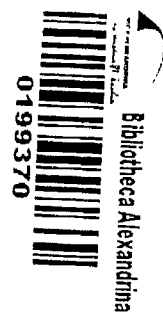


مَعَالِمُ
نَائِحِ الشَّقَى الْأَخِي الْقَدِيرِ
من أقدم البصائر إلى مجي الألكندر

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور
استاذ مساعد كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٩٦٨

مطبعة المصرى



مَعَالِمُ
تَايِجِ الشِّقِّ الْأَخْيَاقِيَّةِ
من أقدم العصور إلى مجي الألكندر

الدكتور محمد أبو المحاسن عصفور
استاذ مساعد كلية الآداب - جامعة الاسكندرية

مطبعة المصرى

إهداء

إلى ذكرى مثال الصبر وإنكار الذات

إلى روح أخى

مقدمة

لست أزعم أن هذا الكتاب يخرج في صورة مرضية حتى لنفسى ،
ولكننى أعتقد أنه كان ضرورة أوجبته ظروف عملى فرغم وجود عدد
لابأس به من المطبوعات العربية التى تتناول بعض موضوعه أو معظمه
بالدراسة (سواء كانت تأليفا أو ترجمة) إلا أنى أرى أننا مازلنا فى
حاجة إلى الكثير من المطبوعات العربية التى تعرض لدراسة تاريخ الشرق
الأدنى القديم دراسة عامة ليتسنى لقارئ العربية أن يجد بين يديه ما يوضح
له تاريخ هذا الجزء الذى نعيش فيه من العالم .

ومع أن إتقان اللغات الأجنبية أمر توجهه نهضتنا الحديثة وفى
مؤلفاتها ما يمكن أن يجد فيه القارئ بغيته للتعرف على هذا التاريخ
إلا أن ما يتوخاه عالمنا الحديث من السرعة فى إنجاز كل الأمور يستدعى
أن يكون بين يدى طالبنا - بل وقرائنا العاديين - مؤلفات بلغتهم يسهل
عليهم الرجوع إليها للبحث فى مختلف العلوم عن خطوطها العريضة على
الأقل دون التعرض لما دار وما يدور حولها من مناقشات وجدل ، وقد
أردت لكتابتى هذا أن لا يخرج عن هذا الحيز العام وإلنى لعلى يقين من
أنه يفى بهذا الغرض ولكنه لا يغنى دارس التاريخ عن قراءة غيره من
الكتب الأخرى .

ودراسة التاريخ فى مفهومها الحديث لاتعنى سرد الأحداث التاريخية
ذات الصبغة السياسية فحسب بل يجب أن يتناول دارس التاريخ بالبحث
كل ما يمر على مسرح الحياة من مظاهر حضارية مختلفة وأن يجعل من
المكان الذى يدرس تاريخه مسرحا يتعرض لكل ما فيه وما يدور به من

- و -

أحداث بالدراسة والبحث خلال فترة أو فترات معينة غير أننى أرى -
من تجاربي الخاصة - أن تشعب هذه الدراسة يؤدي إلى تعقيدها أمام
الطلاب المبتدئ. ويشئت أفكاره وقد يعجز أويرهد في دراسة التاريخ
في كثير من الأحيان كما أن الجمع بين هذه النواحي المختلفة في مؤلف
واحد يكاد يكون أمرا مستحيلا ، ولذا ما زلت أعتقد - وقد أكون
مخطئا - بأن دراسة التاريخ السياسي دراسة مستقلة عما عداها تتيح
للطلاب فرصة فهم المعالم الرئيسية للتاريخ الذي يدرسونه وتمييزهم للجمع
في دراستهم بين نواحيه المختلفة .

وأرجو أن يكون واضحا بأن هذا الكتاب يعد تنقيحا للكتاب الذي
سبق أن قدمته لطلاب جامعة البصرة ، موجز تاريخ الشرق الأدنى -
البصرة ١٩٦٦ ، وقد أضفت إليه بعض الإضافات التي تراءت لي
ضرورتها حاليا والله ولي التوفيق ؟

د . محمد أبو المعاسين عصفور

صفحة	محتويات الكتاب
	الموضوع
	مقدمة
ل	قائمة بالأشكال
ص	أهم الاختصارات
	الفصل الأول
١	منهج التأريخ
	الفصل الثاني
١١	نشأة الحضارة وتطورها...
١٤	الدور الحجري القديم الأسفل ...
١٧	الدور الحجري القديم الأوسط ...
١٩	بدء الاختلاف الحضارى ...
٢٢	التطور الحضارى والشرق الأدنى
	الفصل الثالث
	مصر
٣٤	أولا - العصور قبل التاريخية ...
٣٤	أ - الدور الحجري القديم ...
٤٠	ب - الدور الحجري المتوسط ...
٤٢	ج - الدور الحجري الحديث ...
٥٦	د - عصر ما قبل الأسرات ...
٧١	ثانيا - العصر التاريخى ...

- خ -

٨٣	١ - الدولة القديمة
١١٥	٢ - عصر الاضمحلال الاول
١٢٧	٣ - الدولة الوسطى
١٢٤	٤ - عصر الاضمحلال الثانى
١٥٥	٥ - الدولة الحديثة
٢٠٧	٦ - عصر الاضمحلال الثالث
٢٣٦	٧ - عصر النهضة المؤقتة
٢٤٣	٨ - عصر الفوضى الأخير

الفصل الرابع

٢٥١	شبه جزيرة العرب
٢٥٤	العصر التاريخى
٢٥٤	الجزء الجنوبي
٢٥٨	بجان ...
٢٥٨	دلمون (البحرين)
٢٦٠	باصو ، نجد ، وحاسو ، الاحساء

الفصل الخامس

٢٦١	الإقليم السورى
٢٦٣	أولا - العصور قبل التاريخية
٢٦٣	أ - العصر الحجري القديم
٢٦٤	ب - العصر الحجري المتوسط
٢٦٥	ج - العصر الحجري الحديث

— ط —

صفحة					
٢٦٦	د - دور بداية استخدام المعادن	
٢٦٨	ثانيا - العصور التاريخية	
٢٧٣	الشعوب التي أثرت في تاريخ سورية	
٢٧٣	أولا - العناصر السامية	
٢٧٣	ا - الآموريون	
٢٧٦	ب - السكثانيون	
٢٨٠	ج - الآراميون	
٢٨٣	د - الشعب العبراني	
٢٩١	ثانيا - العناصر غير السامية	
٢٩١	الخوريون والميتانيون	

الفصل السادس

٢٩٢	آسيا الصغرى	
٢٩٦	العصور قبل التاريخية	
٢٩٦	الدور الحجري القديم	
٢٩٧	الدور الحجري الحديث	
٢٩٩	دور بداية استخدام المعادن	
٣٠٤	العصر التاريخي	
٣٠٧	الدولة القديمة	
٣١٠	عصر الامبراطورية	

— نى —

٣٢٠	الممالك الحيثية الجديدة
٣٢٤	سكان غرب وجنوب هضبة الأناضول (الآخيون والطراديون)
٣٣٠	الحيثيون في فلسطين

الفصل السابع

٣٣٢	العراق
٣٣٤	العصور قبل التاريخية
٣٣٤	١ - العصر الحجري القديم
٣٣٤	٢ - العصر الحجري الحديث
٣٣٨	عصر بداية استخدام المعادن
٣٤٥	العصر التاريخي
٣٤٦	١ - السومريون
٣٥٦	٢ - الساميون
٣٦١	٣ - عودة نفوذ السومريين (النهضة السومرية)
٣٦٥	٤ - التنافس بين الآموريين والهيلاميين
٣٦٧	٥ - مملكة أشنونا
٣٦٩	٦ - البابليون
٣٧٧	٧ - الآشوريون
٣٧٨	١ - العهد الآشوري القديم
٣٨١	٢ - العهد الآشوري الوسيط
٣٨٤	٣ - العهد الآشوري الحديث
٣٨٤	١ - الامبراطورية الآشورية الأولى

قائمة بالأشكال والرسوم

صفحة

- ١٤ ١ - فتوس يدوية شيلية
- ١٦ ٢ - فتوس يدوية أشولية
- ١٨ ٣ - آلة مستيرية
- ٢٦ ٤ - مدرجات النيل
- ٣٤ ٥ - آلات شيلية من مصر
- ٣٥ ٦ - آلات أشولية من مصر
- ٣٦ ٧ - أسلحة مستيرية
- ٣٩ ٨ - أدوات شيلية «مستيرية» مصرية
- ٤٥ ٩ - أدوات وأواني فخارية من تاسا
- ٤٨ ١٠ - أواني وأدوات من البدارى
- ٤٩ ١١ - أواني من العمري
- ٥١ ١٢ - منظر لما كان عليه مسكن من مرمد
- ٥٢ ١٣ - أدوات وأواني من مرمد
- ٥٥ ١٤ - أدوات وأواني من الفيوم
- ٦٠ ١٥ - أدوات وأواني من العمرة
- ٦٢ ١٦ - أواني وأدوات من جرزه
- ٦٥ ١٧ - أواني وأدوات من سماينة
- ٦٦ ١٨ - أواني من حلوان ب
- ٦٧ ١٩ - أدوات وأواني من المعادى

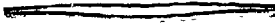
صفحة

٧٧	٢٠ - جزء من بردية تورين
٧٩	٢١ - جزء من قائمة أبيدوس
٩١	٢٢ - هرم زوسر المدرج بإسقاطه ولاحقاته
٩٤	٢٣ - الهرم الكاذب (أو المنحني) في دهشور
٩٥	٢٤ - هرم ميلوم
١٢٨	٢٥ - مجموعة متوحته الأول الجزئية
١٤٣	٢٦ - دمية فخارية دونت عليها نصوص سحرية للقضاء على عدو
٢٩٨	٢٧ - أواني وأدوات من مرسين
٣٢٧	٢٨ - أواني من حسونة
٣٣٩	٢٩ - إناء من الأريحية
٣٤١	٣٠ - أواني فخارية من أريدو
٣٤٣	٣١ - أعمدة مغطاه بالموازيك المخروطي الشكل في أوروك
٣٦٣	٣٢ - زاقورات أور
٤٠٢	٣٣ - آنية من سيالك ٣
٤٠٣	٣٤ - اختتام بها زخارف هندسية الشكل

- ن -

الجدول

صفحة	
٥	١ - مخطط تقسيم تاريخ البشر
٢٢٦-٢٢٧	٢ - جدول يبين معاصرة الأسرات ٢٢ - ٢٥ بعضها للبيض
٤٢٢	٢ب- جدول تاريخي عام



الخُرَاط

٣٠	١ - أهم المواقع الأثرية في الشرق الأدنى القديم
٤١	٢ - أهم المواقع الأثرية في مصر
١٧١	٢ب- الامبراطورية المصرية في عهد تحتمس الثالث
٢٧٤	٣ - انتشار الساميين في سوريا
٢٩٤	٤ - آسيا الصغرى
٣٣٦	٥ - أهم المواقع الأثرية في بلاد النهرين
٣٩٦	٦ - إيران

-- ص --

الاختصارات الواردة بالكتاب

ASA Annales du Service des Antiquité de l'Egypte,
Ls Cairo, 1900

BIFAO Bulletin de L'instiut français d'archeologie
orientale, Le Coioe, 1901ff.

Breasted, AR. J. E. Braested, Ancient Records of
Egypt, Historical Documents from the Earliest
Times to the Persian conquest (4 vols. + I
index), Chicago, 1905-7.

Chr. d'Eg. Chronique d'Egpte, Bruxelles, 1926 ff.

Drioton & Vandier, L'gypte = E. Drioton and J. Vandier,
L'Egypte (Les Peuples de L'Oriet Mediterré-
ens II), (4e ed), Paris, 1962

JEA Journal of Egyptian Archaeology, London, 1914 ff.

Luckenbill, ABAR D.D. Luckenbill, Ancient Records
of Assyria and Babylonia, (2 Vols.) Chicago,
1962-7

Macadam, Kawa. M. F. L. Macadam, The Tomoles of
Kawa, (2 Vols.), Oxford, 1949, 1955.

Mem Inst. Fr. Memoires Publies par, les membres
L'Institut Français d'Archeologie Oriental, Le Caire,
1902 ff.

PSBA Proceedings of the Society of Biblical Archaeo-
logy. London, 1879 ff

Rec. de Trav. Recueil de Travaux relatifs à la
philologie et a l'archelogie égyptienne et
assyrienne, Paris, 1870 — 1923

Sethe, Urkunden (or Urk.) K, Sethe, Urkunden des
Aegyptischen Altertums, Leipzig, 1906 .— 9 &
1923 — 33.

الفصل الأول

منهج التاريخ

يقدر عمر الأرض بنحو ألفي مليون عام اصطلاح الجيولوجيون على تقسيمه إلى أزمنة أو دهور طويلة وهذه قسموها بدورها إلى أقسام فرعية^(١)، وقد أخذت الأرض منذ نشأتها تتجه نحو البرودة التدريجية بوجه عام ولكنها تعرضت لذبذبات طويلة الأجل تناوبت فيها فترات اشتدت برودتها فتقدم غطاء الجليد فيها نحو العروض ذات الحرارة المعتدلة حالياً وفترات مال المناخ فيها إلى الدفء نسبياً فتراجع الجليد إلى العروض الباردة ، وكانت آخر هذه الذبذبات هي تلك التي حدثت في آخر الأزمنة الجيولوجية وتعرف لدى الباحثين باسم العصور الجليدية^(٢) .

(١) هذه الأزمنة هي :

أ - أقدم الأزمنة (الدهر الأقدم) ويعرف باسم الزمن الأركي أو الايوزوي.

ب - الزمن الأول أو البايوزوي وينقسم إلى عصور : الكامبري، الأردوفيشي، السيلوري،

الديفوني، الفجعي ، البرمي .

ج - الزمن الثاني أو الميزوي وينقسم إلى عصور : الترياسي، الجوراسي، الكريتاسي .

د - الزمن الثالث أو الكاينوزوي أو الترياسي وينقسم إلى عصور الأيوسين، الأوليجوسين

الميوسين ، البليوسين .

هـ - الزمن الرابع أو البليوستوسين وهو أحدث الأزمنة .

(٢) حدثت هذه الذبذبات في الزمن الرابع وسمى كل دور تقدم فيه الجليد باسم أحد ودان الأب

حيث عثر على الركبات الجليدية في تلك الوديان وهذه العصور الجليدية هي :

جنتز güntz ، مندل Mindel ، رس Riss ، فرم Würm على التوالي .

ولم تبدأ الحياة على سطح الأرض منذ نشأتها ، وحين بدأت كانت عبارة عن كائنات بسيطة التكوين ثم أخذت الكائنات المعقدة في الظهور، وبعد ذلك وجدت كائنات شبيهة بالانسان ولكنها كانت أقرب إلى القردة العليا (١) ثم ظهرت كائنات تعد أسلافاً للانسان الحديث (٢) إلا أن تلك المخلوقات الشبيهة بالانسان وهذه الأسلاف اقترضت قبل الانسان الحديث ولا يوجد من الأدلة القاطعة ما يؤكد صلتها به .

ولا شك في أن تاريخ الانسان يبدأ منذ اللحظة التي ظهر فيها على سطح الأرض ، كما أنه لم يتوصل إلى ما نشاهده من حضارة إلا بعد آلاف عديدة من السنين ، ولم يتدرج في مراحل الرقي بسرعة واحدة في مختلف أنحاء العالم كذلك لم يمر في كل المناطق بكل المراحل الحضارية التي مرت بها جهات أخرى

(١) يمكن تقسيم هذه الكائنات إلى :

أ - سلالات أشبه بالقردة العليا وقد وجدت بقايا هيكلها العظمية في جاوه (انسان جاوه) وفي الصين (انسان الصين) وغيرها .

ب - سلالات أقل شبيهاً بالقردة العليا ، من السلالات السابقة وقد وجدت بقايا هيكلها العظمية في نياندرتال «اسان نياندرتال» وفي هيدالبرج « انسان هيدالبرج » بألمانيا وفي روديسيا « إنسان روديسيا » .

ويعرف إنسان هايتن المجموعة من السلالات باسم الإنسان العامل Homo Faber

(٢) هذه السلالات قريبة الشبه بالانسان الحديث وحجم المخ لديها أكبر منه لدى السلالات السابقة وقد عثر على بقايا هيكلها العظمية في أماكن مختلفة من العالم مثل جاليهل في إنجلترا وشتاينيم في ألمانيا وجبل الكرميل في فلسطين وكرومانيون في فرنسا وجرمالدى في إيطاليا وغيرها . ويعرف الانسان في هذه السلالات والانسان الحالي بأنه الانسان العاقل

Homo Sapiens

وفي بعض الجهات كان الانسان لا ينتقل من مرحلة حضارية إلى المرحلة التالية لها بنفس الترتيب الذي سار فيه الانسان في تلك الجهات ولم تكن الفترة التي قضاها في إحدى المراحل الحضارية بجهة ما مساوية للفترة التي قضاها في نفس المرحلة في أماكن أخرى .

وقد درج الباحثون على تقسيم تاريخ الانسان إلى قسمين رئيسين : القسم الذي سبق معرفته للكتابة والقسم الذي عرف فيه الكتابة ، وأطلقوا على الأول اسم « ما قبل التاريخ » ، وأطلقوا على الثاني « العصر التاريخي » ، على اعتبار أن الانسان في هذا القسم من حياته توصل إلى التدوين ، وبذلك وجد التاريخ ، إلا أن تسمية القسم الأول باسم « ما قبل التاريخ » لا تتفق مع ما يعرف من أن تاريخ الانسان يبدأ منذ لحظة ظهوره على الأرض ومن الأفضل أن يطلق عليه اسم « عصر ما قبل الكتابة أو التدوين » أو « العصر قبل التاريخي » ، للفرقة بينه وبين « العصر التاريخي » ، أو « عصر الكتابة أو التدوين » ، ومع كل فان اصطلاح « ما قبل التاريخ » أصبح من الشيعوع بحيث لا يشك أحد في المقصود به .

ومن الطبيعي - وقد مر الانسان بمراحل حضارية مختلفة - أن يختلف أسلوبه في هذه المراحل وأن تختلف المظاهر العامة لهذه الحضارات ، وعلى هذا تعددت تقسيمات الباحثين في تاريخ الانسان وحضاراته واختلفت وجهات نظرهم في هذا الشأن - وعلى العموم يمكن تقسيم تاريخ الإنسان على حسب المادة التي صنع منها أدواته إلى مرحلتين :

« دور استعمال الحجر » ، « دور استعمال المعادن » وهذا الأخير ما زلنا نعيش فيه إلى اليوم - أو أن نقسمه على أساس إقتصادي إلى : « مرحلة جمع الطعام » ، « مرحلة إنتاج الطعام » ، وقد نضيف إلى ذلك

فنعبر أول إنتاج للطعام ثورة صناعية يطلق عليها « مرحلة الثورة الصناعية الأولى » ، لما صاحب هذا الانتاج من صناعات جديدة كالقنار ، وتميزا لها عن النهضة الصناعية التي حدثت في القرن الثامن عشر الميلادي التي يمكن اعتبارها الثورة الصناعية الثانية حيث تبدأ مرحلة صناعية أخرى هي « مرحلة التصنيع » ، ومع كل فما زال مختلف الباحثين يقسمون تاريخ البشر حسب أسس متباينة وفق اختصاصاتهم والدراسات التي يهتمون بها - وهذه التقسيمات جميعها تهدف إلى تيسير دراسة تاريخ الإنسان والادوار الحضارية التي مر بها ، إلا أنه ينبغي أن ندرك بأنه لا توجد حدود زمنية فاصلة بين قسم وآخر في كل من هذه التقسيمات التي لا يخلو أي منها من نقائص ولكنها على كل حال تتيح لنا تتبع المراحل التي مر بها الإنسان في تاريخه الطويل ، وهي - وإن اختلفت في الأسس التي بنيت عليها - تتفق فيما بينها إلى حد كبير بحيث يمكن مطابقة أحد أقسام أي من هذه التقسيمات على مراحل واضحة المعالم في التقسيمات الأخرى إذ من الممكن مثلا النوفيق بين « مرحلة جمع الطعام » ، والجزء الأول من « دور استعمال الحجر » الذي يعرف باسم « الدور الحجري القديم » ، وبين « مرحلة انتاج الطعام » و « الجزء الأخير من عصر استعمال الحجر » و « دور استخدام المعادن » أي أنها تبدأ بأوائل « الدور الحجري الحديث » وتستمر إلى وقتنا الحالي وذلك إذا ما تغاضينا عن فترة الانتقال بين « الدور الحجري القديم » و « الدور الحجري الحديث » وهي التي يطلق عليها اسم « الدور الحجري المتوسط » ، وإن كان البعض يجعل « مرحلة انتاج الطعام » قاصرة على الفترة التي مرت على الإنسان ابتداء من « الدور الحجري الحديث » ، إلى بداية « العصر التاريخي » .

وبين المخطط التالي تقسيم تاريخ البشر إلى الأقسام الرئيسية العامة :-

وإذا كان في مقدورنا الآن أن نؤرخ الاحداث حسب وقت حدوثها بالنسبة لنقطة معينة واصطلاح العالم المسيحي على جعل ميلاد المسيح أساسا للتأريخ واصطلاح العالم الاسلامى على جعل هجرة الرسول عليه السلام أساسا للتأريخ ، فإن الامر لم يكن كذلك في العالم القديم فمثلا اتخذ سكان بلاد النهرين من كل حادثة مهمة أساسا يؤرخون به ماحدث في سنتها أو السنوات اللاحقة لحدوثها وبالطبع اختلفت هذه الأسس باختلاف المدن ثم جعلوا من حكم كل ملك تقويما مستقلا أو أطلقوا على السنين أسماء كبار رجال الدولة الذين عاشوا فيها واتخذوها أساسا يؤرخون بالنسبة له ، أما المصريون القدماء فقد جعلوا من حكم كل فرعون تقويما قائما بذاته .

وقد توصل معظم أهل الحضارات القديمة إلى التوقيت وتقسيم الزمن بصورة أو بأخرى إذ عرف أهل العراق الشهور القمرية وكانوا يضبطون تقويمهم باضافة بضعة أشهر كل عدة سنوات^(١) أما المصريون فقد عرفوا السنة على أساس ٣٦٥ يوما أى بفارق $\frac{1}{4}$ يوم في السنة عن تقويمنا الحالى ، وعلى هذا لا تكاد تعترض المؤرخ صعوبة في تأريخ الاحداث التي أشارت إليها الوثائق والنصوص القديمة إذا ما أمكن ربطها بعهد ملك من الملوك حيث أصبح في الإمكان تأريخ حكم معظم ملوك الشرق الأدنى القديم

(١) بما أن السنة القمرية تنقص عن السنة الشمسية ١١ يوماً فن المرجح أنهم كانوا يضبطون

ثلاثة أشهر كل ثمانية أعوام أحدها من ٣٠ يوماً والعهران الاخران كل منها ٢٩ يوماً .

بتتبع قوائم الملوك وتسلسلهم ومدة بقاء كل منهم على عرش بلاده في الافطار التي وصلتنا منها وثائق ونصوص تشير إلى ذلك، كما يمكن أيضا التوصل إلى تأريخ حكم الملوك المعاصرين لهؤلاء في الافطار الأخرى - أما إذا كانت هناك حلقات مفقودة في قوائم الملوك وتسلسلهم وارتبطت الاحداث المراد تأريخها بتلك الحلقات المفقودة أو أريد تأريخ ظاهرة أو حضارة تمثلها آثار لانعزها وثائق مكتوبة مثل تلك التي خلفتها الحضارات السابقة لمعرفة الكتابة فإن المؤرخ يستعين بالوسائل الآتية ..

أولا: في المصور التاريخية عند وجود حلقات مفقودة في قوائم الملوك إذا
 ما أشار أحد النصوص إلى حدوث ظاهرة فلكية معينة . حينئذ يلجأ المؤرخ إلى الاستعانة بعلم الفلك ، فمثلا لم يكن من اليسير تحديد تأريخ عهد حمورابي ولكن كان من المعروف أنه عاصر الملك الاشوري « شمشي - أدد الاول » وقد أشار أحد النصوص الاشورية إلى حدوث كسوف للشمس في عهد أحد خلفاء هذا الأخير ويدعى « آشور دان الثالث » وعند تأريخ حدوث هذه الظاهرة فلكيا وجد أنها ترجع إلى عام ٧٦٣ ق.م - ومن تتبع قوائم ملوك آشور وتسلسلهم فيما بين « آشور دان الثالث ، « وشمشي - أدد الاول » واحتساب مدة حكم كل منهم أمكن تأريخ عهد هذا الملك الأخير وبالتالي أمكن تقدير عهد حمورابي بالفترة ما بين عامي ١٧٢٨ ، ١٦٧٦ ق . م .

ثانيا : فى العصور السابقة للكتابة او فى حالة عدم وجود وثائق مكتوبة وعند العثور على مخلفات حضارية يمكن الالتجاء إلى طرق المقارنة والنسبية ، وأهم هذه ما يلي : -

١ - دراسة الطبقات التى توجد بها المخلفات الحضارية وتقدير عمرها جيولوجيا وبالتالي يمكن تأريخ الآثار التى توجد فى هذه الطبقات ، ومن أهم مايعتمد عليه الجيولوجيون فى تقدير عمر الطبقات احتساب معدل الإرساب فى حالة الطبقات الرسوبية أو تقدير عمر الحفريات الموجودة فى الطبقة المراد تأريخها ويمكن الاستعانة بملم النبات القديم وبعلم الحيران الوصفى ، ومن ذلك يمكن أيضا استنتاج الظروف المناخية التى كانت تسود فترة قيام الحضارات التى تدرس آثارها ومخلفاتها بل ومن الممكن عند وجود آثار مصنوعة من الأشجار تقدير الزمن الذى إستغرقته الحضارة التى أنتجت هذه الآثار بدراسة حلقات نمو تلك الأشجار وتقدير عمرها .

٢ - دراسة الطرز ومقارنتها (التيبولوجيا) Typology من المسلم به أن تشابه آثار جهة من الجهات مع آثار جهة أخرى يوحى بان الحضارات المنتجة لها كانت متعاصرة أما اختلافها فيدل على أن إحداها كانت أسبق من الأخرى وعلى هذا يمكن إستنتاج تأريخ آثار مختلف المناطق بالنسبة إلى بعضها البعض وأن نحدد على أساس ما نشاهده من تطور فى صناعة آثار معينة أى الحضارات المنتجة لهذه الآثار كانت أسبق من غيرها كما يمكن

ترتيب الحضارات التي توجد آثارها في منطقة من المناطق على حسب النطور الذي يحدث في طراز وصناعة هذه الآثار، وأول من استعمل هذه الطريقة الأثرى الانجليزى سير فلندرز بترى Sir Flinders Petrie حيث اتخذ من الفخار الذى عثر عليه عند التنقيب على الآثار في منطقة نقادة بجنوب مصر أساسا لتأريخ هذه الآثار وذلك بترتيب الفخار الذى وجد معها على حسب ماشاهده من تطور في أشكاله وصناعاته وبذلك تمكن من ترتيب الحضارات المنتجة لهذه الآثار وتأريخها بالنسبة إلى بعضها البعض .

٣ - طريقة الكربون ١٤ : (١) - هي أحدث طريقة ولكن لا يمكن إجراؤها إلا على المواد العضوية وخاصة المواد النباتية، وهي مبنية على أساس أن كل مادة عضوية بها ١ كاربون ١٤ المشع و ١٢ كاربون غير المشع بنسبة ثابتة - ويكتسب النبات كاربون ١٤ المشع من تفاعل الأشعة الكونية بالغلاف الجوى المحيط به وحينما تنتهى حياة النبات يأخذ في فقد كاربون ١٤ الموجود به لأنه يتحول بسرعة ثابتة بهيئة متوالية هندسية إلى كاربون ١٢ غير المشع فتتخفص كميته في هذا النبات إلى النصف بعد فترة تقدر بنحو ٥٥٦٨ مع احتمال زيادتها أو نقصها عن ذلك بمقدار ٣٠ سنة، وبعد فترة مائة يفقد النصف الباقي نصف كميته أى يصبح كاربون ١٤ في النبات ربع كميته الأصلية وبعد

W. F. Libby, Radiocarbon Dating. (Chicago 1952) (1)

— ١٤ —

نحو ٣٣٤٠٨ سنة يصبح $\frac{1}{4}$ من كميته الاصلية وهكذا ، وبذلك يمكن
تأريخ الآثار التي تدخل في صناعاتها مواد عضوية على أساس قياس كميته كربون ١٤
المتخلفة فيها وبالتالي يمكن تأريخ الحضارات التي أنتجتها .

وقد أدخلت تحسينات متوالية على التأريخ بهذه الطريقة منذ
اكتشافها وأصبح في الإمكان تقدير عمر البقايا التي تعامل بهذه الطريقة
حتى ٤٤٠٠٠ سنة مع احتمال زيادة أو نقص يقدر بنحو ٣٧
سنة فقط .

الفصل الثاني

نشأة الحضارة وتطورها

أشرنا إلى أن أقدم السلالات البشرية ظهرت بقاياها في جهات متفرقة من العالم (١) وكانت هذه الجهات لا تكاد تختلف في ظروفها الطبيعية أو المناخية بعضها عن البعض الآخر ولذا لم تختلف المراحل الأولى لحياة الإنسان في أى جهة من الجهات عنها في الجهة الأخرى - ثم أخذت الظروف الجغرافية في التغير كما اختلفت السلالات البشرية عن سابقتها وأخذت الجماعات البشرية تتفاعل وبيئاتها التي عاشت فيها وظلت تعمل من أجل بقائها ورفاهيتها وتطورت أساليب حياتها ومظاهر حضارتها إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه في وقتنا هذا وقد سبق أن أوضحنا ما درج عليه الباحثون من تقسيم تاريخ البشر (٢) حتى أصبح في الإمكان تتبع المراحل الحضارية الرئيسية التي مر بها الإنسان .

ومن اليسير أن نتصور بأن الإنسان بدأ حياته إما هارباً من وجه عدو من الإنسان والحيوان أو مطارداً لفريسة منها وقد استمر كذلك فترة طويلة لم يتوصل فيها إلى شيء من الأسس الحضارية ، وكان الكل سواء في أنهم كرسوا حياتهم لجمع القوت الضروري لطعامهم وأخذوا

(١) أنظر أهلاه صفحة ٢

(٢) أنظر أهلاه صفحة ٣ - ٥

ببعض قطع ملائمة من الاحجار أو فروع الاشجار يلتقطونها من الطبيعة
ويستخدمونها كما هي دون تهذيب في أغراضهم المحدودة لجمع القوت والدفاع
عن النفس والصيد ، ويميل بعض الباحثين إلى جعل هذه المرحلة من
حياة الانسان مرحلة حضارية قائمة بذاتها ويطلقون عليها اسم « فجر
الدور الحجري » ، أو « العصر الايوليثي » ، ولكن غالبية العلماء لا يرون
مبرراً لذلك بل يدجون هذه المرحلة من حياة الانسان في أولى مراحل
العصر الحجري - ومن مخطط تقسيم البشر (ص ٥ أعلاه) يتبين لنا أن
عصر استعمال الحجر ينقسم إلى رئيسيين : « الدور الحجري القديم » ،
و « الدور الحجري الحديث » ، وقد يكون بينها « دور حجري متوسط » ،
ولكن كثيراً ما لا يعثر على آثار لهذا الدور في جهات مختلفة من العالم -
وينقسم « الدور الحجري القديم » بدوره إلى ثلاثة أقسام حسب الترتيب
الطبيعي للطبقات التي عثر على آثاره المتباينة فيها ، وهذه الاقسام هي :
الدور الحجري القديم الأسفل والدور الحجري القديم الأوسط والدور
الحجري القديم الأعلى .

وقد ظل الانسان ينعم بمناخ ملائم تتشابه ظروفه في انحاء العالم التي
عاش فيها أثناء الدور الحجري القديم الأسفل حيث يرجح أنه يتفق وفترة
تراجع الجليد الثانية التي حدثت بين عصر تقدم الجليد الثاني (Mindel)
وعصر الجليد الثالث (Riss) ولذا تشابهت الحضارات خلاله ، وفي
الدور الحجري القديم الأوسط انقسم العالم القديم إلى قسمين كبيرين :
أوراسيا وأفريق إذ أخذت الظروف المناخية تتغير لتقدم الجليد خلال
عصر الجليد الثالث إلى العروض الوسطى واختلفت تبعاً لذلك مظاهر

الحضارة في كل منها واستمر الحال كذلك طول عصر الجليد الثالث وفترة الإنحسار التي تلتها وعصر الجليد الرابع (فرم Würm) - وازدادت الاختلافات المناخية بعد هذا العصر الأخير حيث تراجع الجليد فسكانت لكل إقليم ظروفه الخاصة وتباينت تبعاً لذلك الحضارات التي سادت خلال الدور الحجري القديم الأعلى - ثم أخذ الجفاف يتزايد في العروض الوسطى والمدارية فاشتد تباين الظروف الطبيعية حتى تميزت البيئات المحلية بعضها عن البعض وأصبحت لكل منها ظروفها الخاصة في العصور التالية ، ولذا فإن ما يشاهد من مظاهر حضارية في بيئة ما لا يمكن العثور على نظائر لها في بيئات أخرى إلا إذا تشابهت الظروف أو عند انتقال هذه المظاهر من بيئاتها الأصلية إلى تلك البيئات ، وعلى ذلك فمن المستحسن أن تدرس الحضارات البشرية ابتداء من ذلك الدور في كل بيئة على حدة .

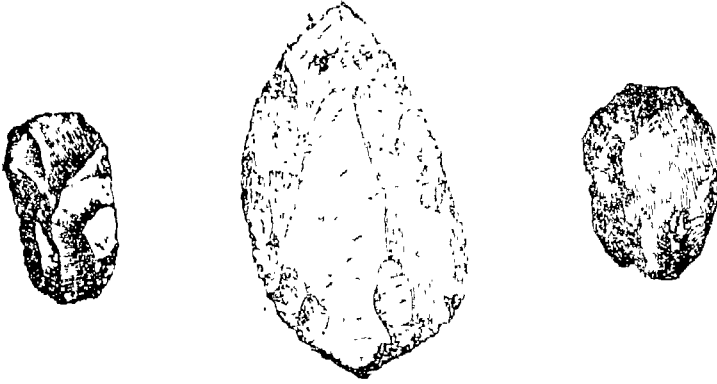
ولما كانت المراحل الأولى لحياة البشر لا تكاد تختلف في جهة من العالم عنها في الجهات الأخرى كما أشرنا (١) فقد اشتركت أقدم الحضارات الإنسانية في مظاهرها الرئيسية كما يلي :

(١) أنظر أعلاه ص ١٠

أولاً : في الدور الحجري القديم الأسفل

١- العضارة الشيلية :

نسبة إلى بلدة Chelles على نهر المارن، وفي أثنائها أخذ الانسان يحاول الإفادة بما يلتقطه من قطع حجرية وفروع أشجار في الدفاع عن نفسه وفي الصيد وجمع القوت ، وقد أخذ يهذب القطع الحجرية كي تصبح مناسبة لقبضة اليد وتمتصيح ذات حافة حادة في نفس الوقت ، فكان يتخذ كتلة كرية من الحجر الصلب بمثابة مطرقة يهذب بها قطعة صوانية يريد تهذيبها وببسطاً بطرق حافات هذه القطعة الصوانية من أحد وجهيها بعناية ثم يقابها على الوجه الآخر ويطرقها على النحو السابق بحيث تصبح كثرة الشكل ويكون حوالى ثلثا محيط القطعة حاداً كالمبراة بينما يبقى



شكل (١) فموس يدوية شيلية

الثالث الباقي بقشرته الاصلية دون تهذيب وذو شكل مستدير في الغالب لكي تتمكن اليد من القبض عليه ، وقد عرفت هذه الآلة باسم العأس اليدوية (Coups de poing (Hand Axe) شكل ١) ومن هذا يتضح أن الآلة كانت تتخذ من النواة نفسها .

ومن المحتمل أن المكاشط scrapers وجدت في هذه الحضارة إلى جانب الفئوس اليدوية وهذه كانت عبارة عن قطع من الصوان تمتاز بجافة حادة مستقيمة وكانت تستخدم في تطعيم اللحم وكشط الجلد ، وربما وجد الإنسان نفسه في أواخر هذه الفترة في حاجة إلى ثقب الجلد فجعل بعض فئوسه اليدوية تدق وتستطيل بحيث أصبحت مثلما بorer .

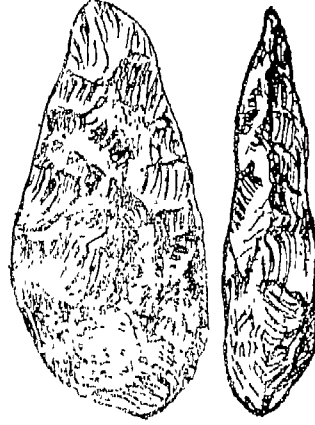
وعلى العموم لا نجد تنوعا كبيرا في شكل الآلات إذ كانت مطالب الإنسان قليلة وكان يستعمل الآلة الواحدة في عدد من أغراضه إلا أنه كان لا بد من أن يستعمل عددا كبيرا من هذه الآلات لأنه كثيراً ما كان يضطر إلى إلقتها على عدوه أو على فريسته .

وقد عاش الإنسان في هذه الفترة في العراء صيادا متجولا ينتقل من مكان لآخر إذ كان المناخ دافئاً فلم يلجأ إلى الكهوف إلا حيث يشتد البرد ، وكانت قدرته على التفكير محدودة لأنه كان من تلك الأجناس قريبة الشبه بالقرود العليا ولم يعثر على آثار له إلا في أماكن قليلة من العالم وربما كان ذلك لقلّة أعداده نسبياً ، ومن المرجح أنه وصل في هذا الدور إلى أوروبا قادماً من شمال أفريقيا عن طريق جبل طارق ويستدل على ذلك من أن آثاره لم تسكتشف في وسط أوروبا وشرقها ولم توجد إلا محطة شيليه واحدة في شمال إيطاليا أما معظم آثاره فقد وجدت في غرب أوروبا وأسبانيا .

ب - الحضارة الأشولية :

لا نكاد نجد فارقاً كبيراً بين هذه الحضارة وسابقتها ، فقد ظل الإنسان يستعمل الفأس اليدوية ولسكنها كانت أكثر إتقاناً من الفأس الشيلية

وأصغر منها حجماً إذ أن الإنسان
الاشولى لم يكتف بهذيب حافة الآلة
بل كان يهذب سطحها كله تاركا أقل
مساحة ممكنة من القشرة الاصلية
في أسفل الأداة لكي يجعل شكلها
متناسقاً (شكل ٢) ولم يكتف
باستعمال الفأس اليدوية المسأخوذة
من النواة وحدها بل بدأ يستغل
كذلك بعض الشظايا فاتخذ منها



شكل ٢ - فتوس يدوية أشولية

بعض أدواته ، كما استعمل بعض الآلات الخشبية والعظيمة وكثير عدد
المكاشط والمثاقيب التي استخدمها .

ويبدو أن المناخ ظل على حاله السابقة من الدفء وكثرة التساقط
ولكنه أخذ بعد ذلك في البرودة والجفاف ولذا نجد أن آلات الإنسان
التي عثر عليها من ذلك العصر كانت مختلطة أحيانا ببقايا حيوانات من
التي تعيش في أجواء دقيئة وفي أحيان أخرى كانت مختلطة ببقايا
حيوانات من ذات الفراء ، ولكن مع ذلك لم يكن المناخ عموا من
القسوة بحيث يضطر الإنسان إلى الالتجاء إلى الكهوف ولذا ظل يعيش
في العراء صيادا وكان يفضل القرب من مجارى المياه بدليل وجود معظم
آثاره عندها - وربما كان اشتداد البرودة أحيانا هو الذى أدى به إلى
اختراع النار واستعمالها فقد وجدت بين أدواته مخلقات المواقد ولكنها
كانت قليلة .

ويرى البعض تسمية صناعات هذه الحضارة بأسماء مختلفة على حسب الأماكن التي عثر فيها على مخلفاتها في بعض جهات أوروبا نظرا لوجود اختلافات طفيفة فيها^(١) ولكنها على العموم لا تخرج عن كونها صناعات أشولية .

وقد ظلت السلالات البشرية البدائية تعيش خلال هذه الفترة ويمثلها في أوروبا إنسان هيدلبرج وفي أفريقيا إنسان روديسيا ، أما في الشرق فلم يوجد من البقايا العظمية ما يبين نوع إنسان هذا العصر بصفة مؤكدة وإن كان من المرجح أنه من السلالات التي تعد سلفا للإنسان الحديث وإليها تنسب بقايا عظمية وجدت في فلسطين (في جبل الكرمل)^(٢) وفي بلاد النهرين (في كهف شاندر)^(٣) وفي السودان (في سنجا)^(٤) ولكن هذه كلها مازالت في حاجة إلى المزيد من الدراسة .

ثانيا : في الدور الحجري القديم الأوسط

الحضارة الأوستيرية

تميز هذه الحضارة عن سابقتها بأن معظم أدواتها من الشظايا وهذه كانت تشكل على كتلة من الصخر ثم تفصل عنها بطريقة واحدة وبعد ذلك تهذب حافنها كي تكون أداة فعالة ، ولا يوجد في هذه الحضارة إلا أدوات

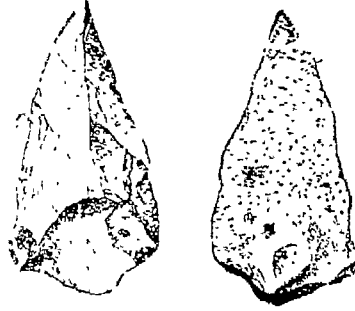
(١) مثل الصناعة السكلاكتونية في إنجلترا والصناعة السفيلية في بلجيكا واليماوازية في فرنسا .

(٢) Dorothy A. E. Garrod ' The Stone Age of Mount Carmel (Oxford 1937)

(٣) مجلة سومر سنة ١٩٥١

(٤) A. J. Arkell, Bate, Wells, & Lacailles, The Fossil Mammal of Africa II. The Pleistocene Fauna of two Blue Nile sites (London 1951)

قليلة من النواة (شكل ٣) - وقد تعددت أشكال الشظايا المستيرية وبدأت تظهر فيها المكاشط الجانبية التي شظيت من أحد جانبيها فقط ورؤوس الحراب بما أدى إلى تضائل شأن الفأس اليدوية ، ونظراً لاشتداد البرودة فإن الإنسان لجأ الى السكوف في أوروبا



شكل (٣) - آلة مستيرية

وربما اضطرته هذه الظروف الى التسكس فيها فأتاحت له هذه الحياة الجماعية فرصة لرقبه الاجتماعى وتقدمه فى التفتكير وفرضت عليه قسوة المناخ مطالب جديدة كصنع الملابس من الجلود اتقاء البرد .

ويستدل من البقايا البشرية التى عثر عليها فى جهات كثيرة من غرب أوروبا على أن انسان هذا العصر كان مازال من السلالات التى تنتمى الى انسان نياندرثال، ويعتقد البعض أن أعدادا كبيرة منه هاجرت الى أفريقيا - لاشتداد البرد - عن طريق جبل طارق ومالطة وصقلية وانتشر هذا الانسان الى وادى النيل أيضاً (١) - ولكن مع هذا يبدو أنه قد انقرض تماماً بعد هذا العصر وظهر الانسان الحديث (أى الانسان العاقل

(١) د . ابراهيم رزقانه و الحضارة المصرية فى فجر التاريخ (القاهرة سنة ١٩٤٨)

(Homo sapiens) في العصر التالي أى في العصر الحجري القديم الأعلى ،
ومنذ ذلك الحين أخذت الحضارة الانسانية في التطور والتشعب الى
وقتنا هذا .

بدء الاختلاف الحضارى

أخذت ملكات الانسان العقلية والفنية تنمو إبتداء من أواخر الدور
الحجرى القديم ولكنه ظل كغيره من الكائنات التي عاشت معه يعتمد
كلية على ما تجود به الطبيعة من مأوى ولباس وطعام ، ونظرا لانه كان
لا يضمن الحصول عليها بصفة دائمة فقد ظل في حركة دائبة وكان كل
ما يكتنيه وما يمتلكه عائقاً له ولا يستثنى من ذلك أبنائه إذ لا شك في
أنه كان يحدد من يتبعه منهم - ولذا فإن أهم تغيير طرأ على الانسانية
بدأ عندما أخذ الانسان يتحكم في بيئته الطبيعية وبعد أن تمكن
من الاستقرار فيها حيث أصبح في الامكان اقتناء الكثير من الأشياء
والمنشآت وأصبحت الآثار الثابتة تستحق التشييد والبناء وأمكن للأطفال
أن يعيشوا في الأماكن التي يعيش فيها آباؤهم ويرثونهم ولا يحول حائل
دون زيادة عددهم .

ومن العلامات المميزة لاولى مراحل الاقتصاد الزراعى إقامة القرى
المستقرة كما أن فكرتى بذور البذور بقصد انتاج المحاصيل وتربية صغار
الحيوانات التي من أصل برى لا بد وأنها تحققتا في أوقات مختلفة في
الأماكن المختلفة خلال التاريخ ، ويرجح كثير من الباحثين أن المشاريع
والاكتشافات التي أدت الى جعل الزراعة مورداً لمعيشة جماعة قروية

مستقرة تعتمد عليها لإعتياداً كلياً قد نشأت في منطقة معينة من العالم القديم ومن ثم انتقلت هذه الأفكار الجديدة هي والبذور الصالحة للزراعة والحيوانات الداجنة إلى مناطق أخرى (١) عن طريق الاقتباس وانتقال الثقافة وعن طريق التحركات البشرية - وما زال الباحثون يحاولون التعرف على هذه المنطقة ولكنهم لم يتوصلوا بعد إلى رأى قاطع فيها يختص بذلك وربما كانت هذه الاكتشافات قد أخذت في الظهور في جهات مختلفة وفي وقت واحد أو في أوقات متقاربة .

ويبدو أن هذه الثورة الجديدة التي تعرف باسم ثورة الدور الحجري الحديث قد استمرت فترة طويلة، كما أنها لم تصل من موطنها أو موطنها إلى الأماكن البعيدة في غرب أوروبا وفي شرق آسيا إلا بعد فترة تقرب من ثلاثة أو أربعة آلاف سنة - والواقع أن غرب أوروبا شهد عصر البرونز ونشأة المدن الصغيرة قبل أن تصل إليه هذه الأفكار الجديدة ، ولا يقصد بهذا الدور فترة زمنية محددة تقع بين تواريخ ثابتة وإنما يقصد به الفترة التي تقع بين الوقت الذي كان الأفراد فيه يعتمدون على حياة الصيد والوقت الذي بدأ فيه اقتصاد يقوم على استخدام كامل للمعادن أي أنه يدل على الفترة التي نشأت فيها الزراعة وانتشرت ببطء في كثير من جهات أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا .

واقتصاد الدور الحجري الحديث يعتمد بصفة عامة على زراعة مختلطة بالرعى ، فأقدم المواقع الأثرية التي عثر عليها من هذا العصر كانت

(١) أنطرس ١٨ .

تعتمد على كل من استئناس من الحيوان وزراعة الحبوب ولم يعثر على موقع يستدل منه على وجود أيها مستقلاً عن الآخر أو أن أهل هذا الموقع اعتمدوا في حياتهم على أحدهما فقط - ومع أن الجماعات التي تعتمد على الرعى وحده تنتشر في العالم الآن إلا أنه لا شك في أن حياة الرعى لم تستقر كنظام يتبع إلا في فترة متأخرة نسبياً، أى بعد مرور بضعة آلاف من السنين على وجود أول مجتمع اعتمد في حياته على الزراعة المختلطة بالرعى .

ومع أن ممارسة الزراعة والمعيشة في قرى مستقرة تعد أول علامات ثورة الدور الحجري الحديث إلا أن مظاهر حضارية أخرى غالباً ما تشترك معها ولا بد من الإشارة إليها كمميزات عامة لحضارة الدور الحجري الحديث ، ومن هذه : الفخوس المصقولة المصنوعة من الصخور النارية أو الصوان والمنجمل المستقيم أحياناً ، على أن صناعة الفخار والذميح سرعان ما برزت أهميتها وأصبحت أهم ما أوجدته حضارة الدور الحجري الحديث ولكنها مع ذلك من المميزات الثانوية التي تعد من مقتضيات حياة الزراعة بما فيها من جديد .

وكان لا بد لإنسان الدور الحجري الحديث بعد أن يبذر بذوره من أن تتعاقب آماله بما تجود به الطبيعة ولذا كان من السهل أن يعتقد بأن الأرض ما هي إلا إلهة للخصب والنماء ، وتطلع إلى ما حوله من كائنات بحشا عن من يحاكي هذه الأرض الطيبة فلم يجد خيراً من الألام الرؤوم تخنو على أبنائها ، وهكذا تمثل في الأرض الأثومة وتمهد إليها حيث

رمز إليها بتماثيل في هيئة آدمية على شكل امرأة في غالب الأحيان أو في هيئة الحمام أحياناً (١) .

وبالطبع لم يقف التطور الحضارى عند دور الحجري الحديث بل أخذ الإنسان لإبتداء من هذا الدور يسرع الخطى نسبياً في تطوره الحضارى ، لأن حياة الزراعة هيأت للإنسان الطمأنينة والأمن أكثر من ذى قبل إذ كفلت له الرزق بصورة أكثر دواما وانتظاما فأتاح له ذلك فرصة التأمل والتفكير والترقى وهكذا انتقل لإنسان إلى دور بدء استخدام المعادن ثم إلى الدور المكتابي أو العصر التاريخي .

التطور الحضارى والشرق الأدنى

من العسير تحديد مكان وزمان نشأة القرى المستقرة التي اعتمدت في حياتها على الزراعة واستئناس الحيوان (أى ثورة الدور الحجري الحديث) التي تعد الجذور الأولى التي اعتمدت عليها الحضارات الانسانية في تطورها الى وقتنا الحاضر وذلك لأن هذه النشأة كانت حقيرة غير واضحة المعالم ، كما يتعذر تحديد موطنها الاصلى بدقة تامة لأن أفكارا مثل بذر البذور وتربية الحيوان يمكن انتشارها بسهولة ويسر الى درجة يصعب معها تحديد مصدرها إذ أنها في الواقع أيسر انتشارا من انتشار المظاهر الحضارية الأخرى وخاصة المادية منها مثل الاخذ باستخدام نوع من الآلات أو تغيير الأدوات المألوفة فسرعان ما تتقبل الشعوب -

(١) كما حدث في سورية في دور بداية استخدام المعادن .

وإن اختلفت تقاليدنا - ثررة مثل هذه (ثورة الدور الحجري الحديث)
إذا ما كانت البيئته التي تعيش فيها ملائمة والمناخ مناسباً ، ويصبح من
اليسير عليها أن تكيف حضارتها تبعاً لذلك .

وعلى هذا فقد اختلف الباحثون في أى الأماكن تعد أقدم مراكز
الزراعة المصحوبة باستئناس الحيوان ، ومنهم من ذهب إلى أنها الحبشة
ومنهم من رأى أنها جنوب غربى آسيا ، وتحمست غالبيتها لهذا الرأى
الأخير حيث اكتشفت فى هذه المنطقة آثار أنواع برية من النباتات
والحيوانات التي تعد أسلافنا للحبوب والحيوانات التي تعيش فيها الآن
بينما لم يعثر فى أفريقيا على ما يناظر هذه الأنواع البرية ، غير أن العثر
على هذه الآثار فى منطقة دون غيرها لا يكفى لحل المشكلة إذ أن
الابحاث الأثرية مازالت غير كافية فى كثير من بقاع العالم بصفة عامة .

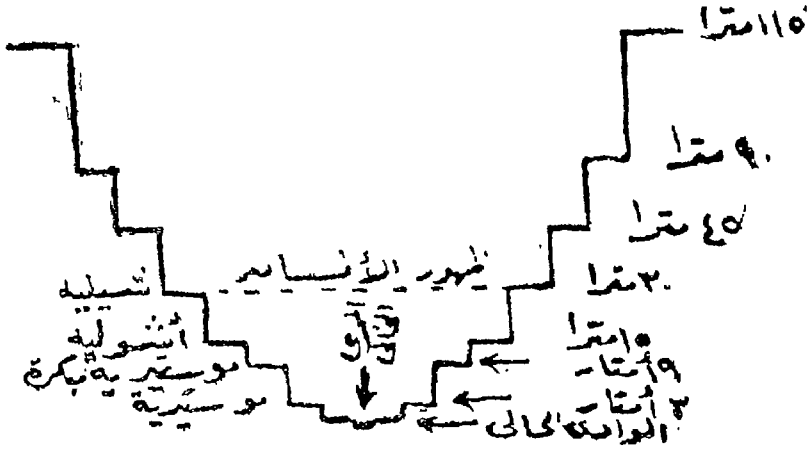
ومع هذا فإننا إذا ما تأملنا ظروف العالم القديم فى الأزمان السحيقة
لوجدنا أن العروض المدارية كانت أحسن جهاته ملاءمة فى مناخها وبيئتها
لنمو هذه الحبوب والحيوانات وخاصة فى الأدوار الحجرية حيث أنها
لم تتعرض لذبذبات مناخية شديدة التطرف ، ولذا فإن أقدم مراكز ثورة
الدور الحجري الحديث لا تخرج عن نطاق هذه العروض ولا تتمثل جنوب
خط الاستواء فى العالم القديم إلا فى بعض جهات أفريقيا وأستراليا ،
لأن هذه الجهات بحكم تضاريسها وموقعها أبعد من أن تكون أقدم
مراكز تلك الثورة ، كما أن توصل هذه الجهات إلى أى مظهر حضارى
لا يحتم انتقاله منها إلى غيرها أو أن يؤثر فيها بالضرورة أما فى شمال
خط الاستواء فإن الجهات التي تقع فى العروض المدارية أكثر احتمالاً

لأن تكون أقدم مراكز هذه الثورة ، وهذه الجهات تتمثل في النطاق الممتد عبر شمال أفريقيا وشبه جزيرة العرب وشمال الهند والهند الصينية أى بين المحيط الاطلنطى غربا والمحيط الهادى شرقا بما فى ذلك من صحارى واسعة ووديان أنهار إذ أن هذا النطاق لم يكن على حالته الراهنة من الجفاف والجذب بل كان ينعم فى العصور السحيقة بكمية من الرطوبة والتساقط هيات للجماعات البشرية التى انتشرت فيه حياة نباتية وحيوانية ملائمة ، لأن عصور تقدم الجليد إلى العروض المعتدلة والفترات الدفيئة التى تخللتها كانت تقابلها أدوار مطيره فى العروض المدارية وأن فترات تراجع الجليد الباردة كانت تقابلها قلة فى التساقط فى هذه العروض كما سبق أن أشرنا (١) - ومع أن بواذر الجفاف أخذت تحل فيه ابتداء من نهاية الدور الحجري القديم إلا أن هذا الجفاف لم يصل إلى ذروته من الشدة الا فى العصر الرومانى ، وعلى هذا يمكن القول بأن صحارى هذا النطاق ظلت تنعم بمناخ ملائم الى أوائل العصر الناريخى على الأفل ، وبالرغم من انتشار الانسان فى أرجاء هذا النطاق الواسعة إلا أنه كان يحرص على أن يظل قريبا من مجارى المياه التى كانت تتمثل فى الانهار العظيمة الحالية وكثير من أودية الصحراء التى أصبحت جافة الآن - وحينما أخذ التساقط فى القلة وبدأ الإنسان يشعر بوطأة الجفاف صار لا يبعد كثيراً فى إقامته عن المجارى المائية الدائمة والانهار العظيمة مثل نهر النيل ونهرى دجلة والفرات وأنهار سوريا وآسيا الصغرى وغيرها ، ونظرا لأن تلك الانهار لم تعمق مجاريها إلا بعد وقت طويل ولأن كمية التساقط كانت

(١) أنظر أعلام ص ١ .

أكبر منها الآن فان السهول الفضية لتلك الانهار كانت أكثر ارتفاعا وأكثر إمتدادا على الجانبين ، وكلما عمق النهر مجراه ، وقل التسايط كلما أخذت سهولة الفيضية تنخفض ويقل امتدادها أى أن مياهه كانت تنحسر عن جانبيه تدريجيا - وكان الانسان بالطبع يتبعها دائما حيث يظل يهبط من الأماكن المرتفعة أو الهضاب التي عاش فيها ليقم على جانبي النهر تاركا وراءه مخلفاته وبعض آثاره - وهكذا نجد أن أقدم ما عثر عليه من الآثار في مثل هذه الحالة وجدت في مناطق أبعد في قلب الصحراء ومنسوب طبقاتها أكثر ارتفاعا من تلك التي وجدت بها الآثار الأحدث منها، أى أن أقرب الآثار في تاريخها إلى عصرنا الحالي تكون في طبقات أقرب إلى الوادى وهى في منسوبها أقل ارتفاعا من تلك التي ترجع الى عهود أقدم ، وعلى ذلك تكون آثار الحضارات المختلفة في مدرجات على جانبي النهر ويكون ترتيبها عكسيا بالنسبة لترتيب الطبقات التي توجد بها آثار في أماكن بعيدة عن وديان الانهار اذ أن أقدم الآثار في هذه الأماكن توجد في أسفل الطبقات وتعلوها الاحداث منها وهكذا وفق ترتيبها الزمنى ، ومن خير الامثلة للمدرجات النهرية التي توجد بها آثار الحضارات المختلفة فى ترتيبها العكسى مدرجات النيل (شكل ٤) .

ومن البديهي أن مناطق العروض المدارية شمال خط الاستواء فى العالم القديم لم تتطور فى حضارتها بسرعة واحدة ولم تؤثر جميعها فى حضارات غيرها أو تتأثر بهم بدرجة واحدة بل كانت بعضها أسرع فى تطورها وأكثر تأثيرا فى غيرها وتأثرا بهم من البعض الآخر ، ولاشك



شكل (٤) رسم يبين مدرجات النيل

في أن المناطق المتطرفة والبعيدة مثل الهند الصينية والهند وشمال غرب أفريقيا كانت أقل شأنًا من بقية المناطق في هذه الميادين .

ولو نظرنا إلى إقليم الشرق الأدنى بصفة عامة لوجدناه يتميز بعوامل هيأت له سرعة التطور وجملته أسبق مناطق ذلك النطاق المدارى وأبعدها أثرًا في مضمار الحضارة والرقى وهذه العوامل تتلخص فيما يلي : -

(١) وقوعه في مركز متوسط من العالم القديم مما سهل اتصاله بغيره من الأقاليم فأمكن انتقال المؤثرات الحضارية منه وإليه بسهولة .

(٢) وجود أنهار عظيمة ومجارى مائية دائمة في مختلف أقطاره مما أدى إلى استقرار الجماعات البشرية التي سكنت قريباً منها وأتاح لها ذلك فرصة النهوض والرقى . (أنظر خريطة رقم ١) .

(٣) سهولة اتصال أجزاء هذا الإقليم فيما بينها لعدم وجود فواصل طبيعية مانعة تحول دون ذلك حيث أتيح لها فرصة الاحتكاك بعضها ببعض فانتشرت مظاهر حضارية مختلفة فيما بين دجلة والبحر المتوسط^(١) ووصلت بعض العناصر الحضارية الى وسط آسيا الصغرى من مواطن لا يقل بعدها عن ٣٠٠ ميل تقريبا^(٢) كما جلب أهل حضارة سيالك في إيران أنواعا من الأصداف من أماكن تبعد عنهم نحو ٦٠٠ ميل تقريبا الى غير ذلك من المظاهر التي تدل على نشاط احتكاك أهل المناطق المختلفة في هذا الإقليم بعضهم ببعض الآخر .

(٤) بالرغم من وجود التشابه بين البيئات في أحواض الأنهار التي تجري في هذا الإقليم فإن كلا من أقطاره تميز بأنواع معينة من الموارد التي لا تتوفر في بقية أقطار هذا الإقليم -مما أدى إلى تشابك مصالحها ودعم الاتصال فيما بينها ، والواقع أن هذا الإقليم في مجموعة وجدت به كل الاحتياجات الضرورية لنشأة الحضارة وتطورها - وكانت كل دولة تحصل على ما تريد من موارد طبيعية لدى الدول الأخرى عن طريق التجارة أو عن طريق الحرب إن وجدت لديها القوة الكافية لذلك .

وكثيراً ما يذهب الباحثون إلى أن قطراً من بين أقطار إقليم

(١) مثل فنغار حضارة حسونة (بالمراة) الذي وجد ما يماثله في سوريا .

(٢) أنظر Seton Lloyd «Early Anatolia» (Pelican 1956), p. 53.

الشرق الأدنى كان أسبق من غيره في الوصول الى ثورة حضارية معينة وخاصة تلك التي حدثت ابتداء من عصره الحجري الحديث أو الى مقدمات عصره التاريخي ويستندون في ذلك الى احتمال انتقال بعض المظاهر الحضارية من هذا الجزء الى غيره من أجزاء هذا الاقليم، وكثير الجدل حول أسبقية كل من العراق ومصر في هذا المضمار إلا أن انتقال بعض المظاهر الحضارية - بفرض ثبوته - لا يمكن لتأكيد أسبقية القطر الذي انتقلت منه الى القطر الآخر ما دامت هناك عناصر حضارية أخرى أصيلة قد تطورت داخليا وتلقائيا في القطر الذي وجدت به المظاهر الحضارية التي يفترض أنها منقولة اليه (١) - وكل ما يمكن قوله بأنه لا يمكن تأكيد أسبقية أحد أقطار اقليم الشرق الأدنى لى ثورة الحجري الحديث بصفة قاطعة فكلما تنعم بمناخ ملائم وكانت تسكنها شعوب من أصل واحد أو من أجناس متشابهة ومن المعروف جغرافيا أن البيئات المتشابهة التي تسكنها أجناس متشابهة تنتج حضارات متشابهة.

وكان من الطبيعي أن يتجه إنسان الدور الحجري الحديث الى تحسين إنتاجه وأن يبحث عما يهيء له شيئاً من الرفاهية واقتصاد

(١) كانت الذكورة باو مجاوتل هي رأس المشيعين إلى أن زراعة الحبوب واستئناس الحيوان في دور الحجري الحديث في مصر ترجع الى تأثير حضارى من غرب آسيا - أنظر E. Baumgartel, (The Cultures of Prehistoric Egypt) I, P. 22-3 ولكنها عادت فأرجعت ذلك إلى أصل أفرقى في الجزء الثاني من كتابها السابق - أنظر E. Baumgartel, op. cit, II (1960), P. 140,

بعض الجهد في عمله ، وشواء كان توصله إلى استخدام المعادن قد حدث عن طريق الصدفة البحتة أو عن طريق التجربة فإنه أخذ يستغلها في أغراضه وانتقل إلى دور بدء استخدام المعادن - وكان استقراره في القرى لا شك داعيا إلى تشابك مصالحه مع غيره وتمتد علاقاته الإنسانية فاضطرته الحاجة إلى إيجاد وسيلة يتذكر بها بعض ما يتعلق بشؤونه وبالعلاقات مع الآخرين خشية أن تخونه الذاكرة ، وعلى هذا حاول تدوين ذلك برسم أو نقش يصور به ما يريد أن يتذكره بقدر الإمكان فابتدع الكتابة التصويرية التي يكاد يكون وقت التوصل إليها واحدا في كل من العراق ومصر مما دعا إلى الظن بأنها من اختراع جنس جديد دخل إلى كل منهما في نفس الوقت ، إلا أنه لا شك في خطأ هذا الرأي نظراً لأن هذه الكتابة لم توجد في أي قطر آخر في تاريخ أسبق لحدوثها في هذين القطرين - وقد بدأ العصر التاريخي في كل منهما بعد فترة وجيزة من التوصل للكتابة - أو قبلها بقليل .

وبالرغم مما أشرنا إليه من جدل الباحثين حول أسبقية العراق ومصر في مضمار الحضارة ينبغي أن لا يتبادر إلى الذهن بأن أقطار الشرق الأدنى القديم الأخرى كانت قليلة الأهمية في المضمار الحضاري أو لم تكن ذات أثر على التراث الإنساني فربما كانت قليلة المعلومات عنها نظراً لقلة الأبحاث الأثرية التي أجريت فيها نسبياً هي السبب الذي من أجله درج العلماء على تكريس القسط الأكبر من اهتمامهم نحو العراق ومصر نظراً لزيادة النشاط الأثري فيها عنه في غيرها من

أقطار الشرق الأدنى القديم فبرزت أهميتها ، ومع كل فاتنا سذمتبع تاريخ
وحضارات هذا الاقليم حسب ما وصلت اليه معلوماتنا الحالية من
الغرب إلى الشرق قدر الإمكان وان خرجنا على ذلك أحيانا لتيسير
ترابط الموضوع ودراسته على القارىء — على أنه يجب أن لا يفهم من
تقديمنا دراسة قطر على آخر أنه يفوقه أهمية أو أنه أسبق منه في
ميدان الحضارة .

الفصل الثالث

مصر

تحتل مصر الركن الشمالى الشرقى لأفريقيا وتشغل الحوض الأدنى لنهر النيل ، وهى عموما عبارة عن وادى منبسطة تحف به الصحارى من الجانبين الشرقى والغربى ولولا وجود النهر لأصبحت هى الاخرى جزءا من الصحارى المحيطة بها ولذا وصفها هيرودوت بعبارة الشهيرة « مصر هبة النيل » .

وقد هيات ظروفها الطبيعية للجماعات التى استقرت بها فرصة للنهوض والرقى ، فى الشمال يوجد البحر المتوسط الذى لم يكن من اليسير عبوره الا بعد أن تمكن الإنسان من ركوب البحر الى مسافات بعيدة ، وفى الشرق والغرب صحارى واسعة يصعب اجتيازها ، وفى الجنوب توجد منطقة صحراوية صخرية تعد من أجذب بقاع العالم وتعترض النهر فيها جنادل وصخور تجعل الملاحة فيه متعذرة غير يسيرة - وهكذا كفلت البيئة المصرية الأمن والهدوء لاهلها ، واذا ما حدث أن وصلت اليها جماعات جديدة فإن هؤلاء الوافدين الجدد لا يغامرون بالخروج منها مرة أخرى ويندمجون فى محيط السكان الاصليين ويتأقلمون تأقلا تماما ، ومن جهة أخرى تتمتع البيئة المصرية بمناخ معتدل وسما صحو دائما ونادرا ماتتعرض للأعاصير وتسودها الرياح الشمالية « التجارية » بينما يجرى النهر المنتظم الفيضان كل عام من الجنوب الى الشمال - وهذه الظروف جميعها أتاحت للجماعات التى عاشت على جانبي النهر سهولة التجوال فيه ، شمالا بمساعدة

تياره وجنوباً بمساعدة الرياح السائدة ، فاحتكت بعضها ببعض ونشأت بينها مصالح مشتركة وخاصة لأن فيضان النهر السنوى المعتاد غالباً ما كان خيراً مشتركاً يتعاون الجميع فى الإفاده منه ونادراً ما كان خطراً مشتركاً يعمل الجميع على مجابهته سواء فى حالة انخفاضه أو ارتفاعه عن المستوى الملائم لسد حاجياتهم ، وقد يحدث النزاع بين تلك الجهات أحياناً فتعمل القوية منها على السيطرة على غيرها من الجماعات وهكذا إلى أن انتهى الأمر بتوحيدها فى مملكتين إحداهما فى الدلتا والأخرى فى الوجه القبلى وما لبثتا فى النهاية أن توحدتا فى مملكة واحدة ، ومع أن كلا من قسمى مصر الجنوبى (الوجه القبلى) والشمالى (الدلتا) انفرد ببعض مظاهر خاصة فى حضارات ما قبل العصر التاريخى إلا أن هذه الحضارات كانت تشترك فى طابعها العام وميزاتها الرئيسية .

ومن المرجح أن توحيده مصر فى مملكة واحدة سبق أى قطر آخر من لإقليم الشرق الأدنى وأنه لم يتم بمساعدة أية قوى خارجية وقد أدى ذلك لأن تصبح مصر فى أقدم عصورها التاريخية أقوى أقطار الشرق الأدنى ومن أكثرها نهوضاً ورفقياً وستتناول فيما يلى تاريخها وحضارتها بصفة عامة .

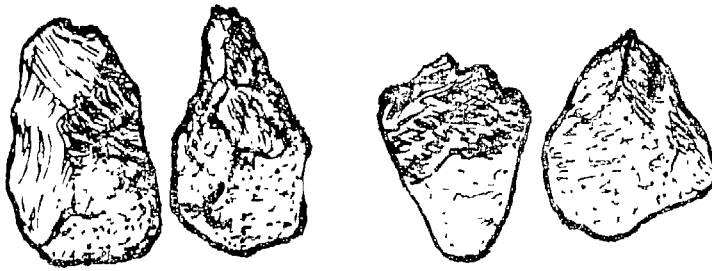
أولا - العصور قبل التاريخية

١ - الدور الحجري القديم

(١) الدور الحجري القديم الاسفل

أ - الحضارة الشيلية :

وجدت آثار هذه الحضارة في مناطق مختلفة من القطر المصرى ومعظمها مناطق بعيدة في الصحارى أو في النلال التي تحف بالوادى ، وهذه الآثار لا تخرج عن كونها آلات حجرية تشبه تلك التي عثر عليها في أوربا أى فتوس حجرية وإن كان بعضها يهذب بحيث تصبح الآلة ذات أوجه ثلاث (كمنشور ثلاثى في جزئها المشغول) بدلا من أن تكون ذات وجهين كما في الفتوس الشيلية الأخرى ، وربما كان اختيار النواة من الحصى المربع هو السبب في إنتساج هذا الشكل لأن الإنسان كان يكتفى بتشظيتها من أعلاها بضربة واحدة أو ببعض الضربات فتصبح ذات شكل هرمى ، على أنه يجب أن لا يعتبر هذا النوع من الأدوات ميذاً للصناعة الشيلية في مصر إذ أن الفتوس اليدوية الأخرى



شكل ٥ - آلات شيلية من مصر

لا تختلف عن زميلاتها في سائر أنحاء العالم القديم ، وقد وجدت فتوس أقل إتقاناً من تلك التي سادت في هذه الحضارة يود البعض إرجاعها إلى ما قبل الحضارة الشيلية ويطلقون عليها لاسم الصناعة الشالوسية ولكنها لا تخرج عن كونها صناعة شيلية بدائية ولا داعي لاعتبارها صناعة مستقلة .

ب - الحضارة الأشولية :

لزدادت العناية بالفتوس الهرمية فشذبت حافتها وصغرت في الحجم واستطالت فأصبحت رفيعة خفيفة ولها حد مستقيم مشطوف كما وجدت فتوس أخرى من الشكل المعتاد في الصناعة الأشولية في أوربا (شكل ٦) وظهرت بعض الأدوات الأخرى مثل المخارز المدببة الأطراف والأسلحة



شكل ٦ - آلات أشولية من مصر

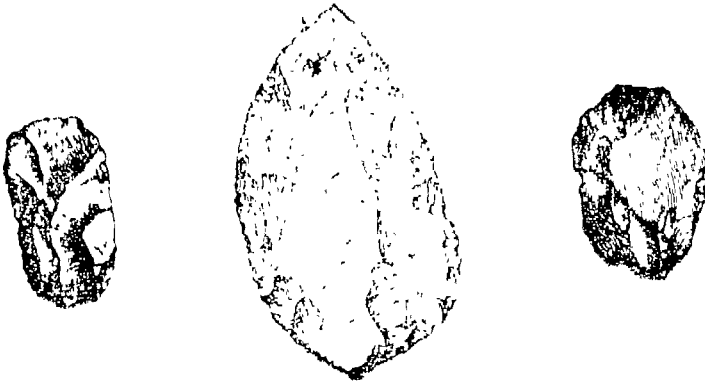
الحجرية ذات الحدود المتعرجة أو المستقيمة وبعض مكاشط قليلة العدد - ولم يكتف بصناعة هذه الآلات من الصوان بل استعملت بعض أنواع أخرى من الأحجار في صناعتها كذلك .

هذا ولم يعثر على بقايا عظمية يستدل منها على السلالات التي عاشت

في وادي النيل خلال الدور الحجري القديم الأسفل ولكن وجدت بقايا حيوانية في بعض المناطق يستدل منها على أن المناخ كان يشبه ما كان سائدا في أوروبا وإن كان من المرجح أنه كان أكثر ميلا إلى الدفء وكثرة الرطوبة بدليل العثور على بقايا تماسيح وفيلة وأفراس النهر .

(٢) الدور الحجري القديم الاوسط :

سبق أن بينا أن تغير الظروف المناخية قد أدى إلى تنوع الحضارات^(١) فانقسم العالم خلال هذا الدور إلى قسمين كبيرين : أوراسيا وأفريقي - وأن الإنسان في أوراسيا آوى إلى الكهوف بينما ظل في أفريقيا يعيش في العراء ، ومع كل فإن الأدوات التي اتخذها الإنسان في مصر في أوائل هذا الدور لم تختلف عن مثيلاتها في أوروبا أي أنها كانت تشمل الصناعة المستيرية ومعظمها من الشظايا وهي عبارة عن رقائق من الحجر تمثل نصالا مدببة ومختمات scrapers وغيرها (شكل ٧) .



شكل ٧ - أسلحة مستيرية

ومن المرجح أن هذه الصناعة استمرت في مصر فترة أطول من استمرارها في أوروبا ولسكنها أخذت تنطور وتنوع أدواتها لتفي بأغراض الإنسان المتزايدة وصغرت في حجمها واتخذت أشكالاً هندسية أى أن الصناعة في مصر في أواخر هذا العهد تميزت بميزات خاصة ولذا أطلق عليها اسم الصناعة المستيرية المصرية أو ما قبل السبيلية،^(١)

والواقع أن هذه الحضارة تمثل مرحلة مبكرة من حضارة الدور الحجري القديم الأعلى في مصر - ويرى البعض أن الحضارة العاطرية (التي ظهرت صناعاتها في الواحات الخارحة والفيوم خلال هذا الدور) ما هي إلا مظهر من مظاهر الحضارة المستيرية المصرية بينما يرى فريق آخر من الباحثين أن الحضارة السبيلية هي التي تعد مظهراً من مظاهر الحضارة العاطرية وأنها ظهرت بعدها ولسكن لا يمكن تأكيد ذلك بصفة قاطعة.

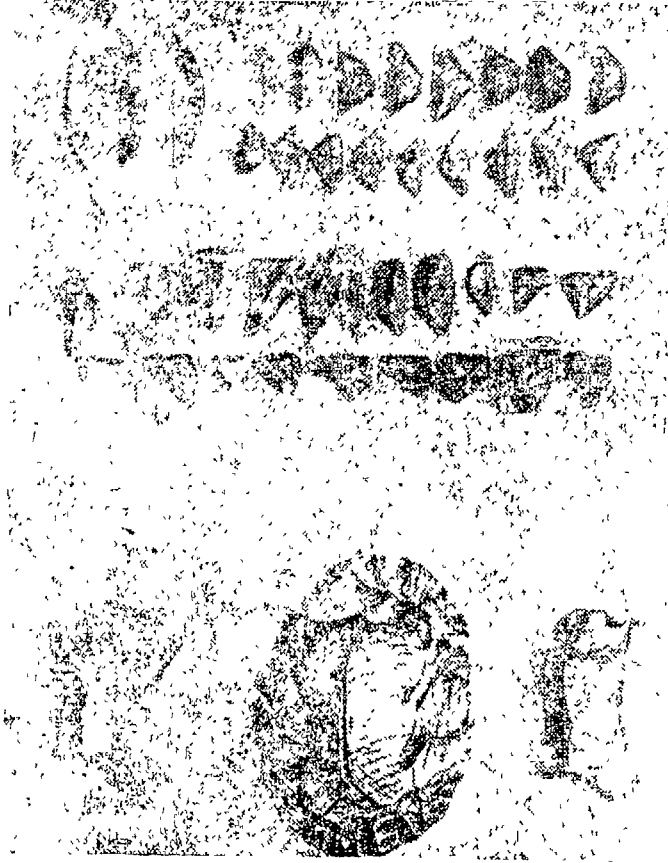
ولم يعثر على بقايا يستدل منها على جنس الإنسان الذي عاش في مصر خلال هذه الفترة وإن كان من المرجح أن الإنسان الحديث كان قد أخذ يعيش في وادي النيل بالفعل كما يستدل على ذلك من أدواته المتقدمة التي تركها خلفاً لما عرف في أوروبا حيث ظل إنسان نياندرثال يعيش في كهوفها طوال هذا العصر ولسكنه انقرض بعد ذلك وحل محله الإنسان الحديث في العصر البالي أي الدور الحجري القديم الأعلى.

(١) الحضارة السبيلية نسبة إلى قرية السبيل قرب كوم أمبو وسنشير إلى هذه الحضارة فيها بدءاً - أطهر ص ٣٨ - ٤٠ .

(٣) - الدور الحجري القديم الاعلى .

ازداد التباين بين أوروبا وأفريقيا فبينما أخذت البرودة تشتد في أوروبا ظل المناخ في أفريقيا ملائماً لأن يعيش الإنسان في الهواء الطلق ولكنه أصبح أقل أمطاراً وأكثر جفافاً من فترة الحضارة المستيرية فأنخفض مستوى الماء في الأنهار والمجاري المائية وقلت الحياة النباتية وتبدلت أنواع الحيوانات في مساحات واسعة من العالم القديم وأخذ الإنسان في هجرها إذ رأى أنها تتحول إلى صحارى مجذبة. فحصر إقامته في الأماكن القريبة من مجارى المياه - ولم يترك إنسان أفريقيا في هذا الدور آثاراً تعادل في مستواها من الناحية الفنية تلك التي تركها زميله المعاصر له في أوروبا ولم تتعدد مظاهر حضاراته في المناطق المختلفة التي وجدت بها كما حدث في أوروبا بل سادت كل شمال أفريقيا حضارة واحدة هي الحضارة القفصية (نسبة إلى قفصه في شمال تونس) التي استمرت إلى ما بعد الدور الحجري القديم الأعلى أى إلى ما يقابل الدور الحجري المتوسط، إلا أن مصر - نظراً لظروف بيئتها الخاصة - انفردت في حضارتها بمظاهر مميزة مما دعا إلى تسميتها باسم «الحضارة السبيلية» وإن كانت في واقع الأمر متفرعة عن الحضارة القفصية - ويرى البعض أن الحضارة القفصية قد مرت بأربعة مراحل تتفق الثلاثة الأولى منها وأقسام الدور الحجري القديم الأعلى أما المرحلة الرابعة والأخيرة فقد غبروا عنها باسم مرحلة الانتقال إلى الدور الحجري الحديث أى أنها تتفق والدور الحجري المتوسط - كما يرى البعض تقسيم الحضارة السبيلية في مصر إلى ثلاثة مراحل تقابل حضارات الدور الحجري القديم الأعلى والدور الحجري المتوسط في أوروبا أى أن المرحلة

الاخيرة منها تمتد الى ما يقابل الدور الحجري المتوسط ، ومما كان الامر
فإن الآلات التي اتخذت في هذه الحجارة كانت صغيرة على العموم وتغلب
فيها الاشكال الهندسية (شكل ٨) ، ولدقة هذه الآلات أطلق عليها اسم
الآلات الميكروليثية Microlithic - وقد كشف عن عدة مواقع تنتمي الى



شكل (٨) أدوات سيليلية «موسستيرية» مصرية ،

إلى هذه الحضارة في مصر ومن أهمها قرية السبيل والتي نسبت إليها هذه الحضارة كما سبقت الإشارة إلى ذلك^(١) .

ب - الدور الحجري المتوسط

يعد هذا الدور مرحلة الانتقال بين حضارات الدور الحجري القديم الأعلى والدور الحجري الحديث في أوروبا ولم تستغرق هذه المرحلة زمناً طويلاً بل وكثيراً ما نجدتها تختفي في كثير من المناطق ولا تكاد نلحسها في شمال أفريقية ومصر فالتفصيلة في الأولى والسبيلية في الثانية تمتدان إلى ما يقابل هذه المرحلة ولذا لا يشار إليهما في دراسة الأدوار الحجرية لتلك المناطق .

هذا وقد درجت غالبية العلماء على تقسيم الفترة التي تقع بين الحضارة السبيلية وبداية العصر الفرعوني (عصر الأسرات) في مصر إلى دور حجري حديث وعصر ما قبل الأسرات - وليكن نظراً لأن الحضارات التي ترجع إلى ما بعد السبيلية لم تدرس بدقة تامة كما أنها جميعاً عرفت المعادن فإن فريقاً من العلماء يفضل إعادة النظر في دراستها حتى يمكن تأكيد ترتيبها الزمني ، وهم يرون كذلك بأنها جميعاً تدخل ضمن عصر ما قبل الأسرات لأن وجود المعادن فيها يجعل انتساب بعضها إلى الدور الحجري الحديث غير صحيح ، ومع هذا فسوف نتبع في دراستها التقسيم الذي ما زال مألوفاً لدى معظم الباحثين .

(١) أطلر أعلاه ص ٣٧ .

ج - العصر الحجري الحديث

ازداد تغير المناخ في العالم القديم فأصبحت الاختلافات بين البيئات المحلية أكثر وضوحا وازداد الجفاف في الشرق الأدنى وبذلك اضطر الانسان أن يقترب من الوديان أكثر من ذي قبل ، ولم يغامر بالابتعاد عن الأنهار فاستقر في جماعات بالقرب منها وأجأته الحاجة لضمان غذائه إلى استئناس الحيوان ومعرفة الزراعة ، وكان من الضروري - وقد عرف الزراعة - أن يخزن محصوله فعرف صناعة الأواني وبذلك أقام حياته على أسس اقتصادية ثابتة .

واتقل أهل مصر من حياة البداوة إلى حياة الاستقرار وأتاحت لهم ظروف بيئتهم الطبيعية فرصة الاتحاد في مملكتين إحداهما في الوجه القبلي والآخرى في الوجه البحري كما أشرنا^(١) - ويختلف الوجه القبلي والوجه البحري كل عن الآخر : فالأول (الوجه القبلي) عبارة عن شريط ضيق من الأراضي الزراعية على جانبي النهر تحف به هضبتان صخريتان من الشرق والغرب ، أما الثاني (الوجه البحري) فتتسع أراضيه الزراعية إلى درجة كبيرة وتكثر بها المستنقعات وتتخللها البحيرات والقنوات ، وهذه المساحات الواسعة من الأراضي الزراعية بعيدة في معظمها عن الصحارى - كذلك يتميز الوجه البحري عن الوجه القبلي بأنه أقرب منه نسبيا إلى آسيا وأوروبا

(١) أنظر ص ٣٣ .

ولذا كانت الحضارات التي نشأت في كل من هذين الاقليمين تتسم بمظاهر خاصة تجعلنا نميز فيما بينها - وتعد الفيوم أشبه بواحة في الصحراء بين هذين القسمين من مصر ولكن نظرا لأنها أقرب إلى الوجه البحري فقد اشتركت حضارتها (في صفاتها) مع حضاراته أكثر من اشتراكها مع حضارات الوجه القبلي ولذا ألحقناها به وإن كنا نميل إلى جعلها حضارة قائمة بذاتها .

وتمثل هذا الدور (العصر الحجري الحديث) في الوجه القبلي حضارتى ديرتاسا (التاسية) والبدارى ، وفي الوجه البحري حضارات حلوان الأولى (العمرى) ومرمودة بنى سلامة (١) ومع أن كلا منها تنفرد بمميزات خاصة إلا أنها جميعا تشترك في تقدم صناعة الفخار وصقل الآلات الحجرية ، ومن المخلفات التي عثر عليها أمكن التوصل إلى أن المستنقعات كانت تسود الدلتا والأحراش كانت منتشرة في الوجه القبلي وأن الحيوانات الكبيرة الحجم كالزراف والضباع وأفراس النهر كانت مألوفة لدى المصريين وسنتكلم بايجاز عن كل حضارة على حدة .

(١) عن مواقع معظم هذه الآثار وأهم المناطق الأثرية في مصر انظر الخريطة رقم (٢)

حضارات الوجه القبلي

(١) الحضارة الناصية^(١) :

هي أقدم حضارات العصر الحجري الحديث في الصعيد ، وتنسب إلى ديرتاسا التي تقع إلى شمال البداري ، ويستدل من آثارها على أن أهل هذه الحضارة عرفوا زراعة الحبوب ولكنهم لم يعيشوا معيشة استقرار تامة فكانوا يمارسون الصيد إلى جانب الزراعة البدائية وعرفوا النسيج واتخذوا الحلي من أصداف البحر المثقوبة والخرز الأسطواني المصنوع من العظم أو العاج تحلية خطوط متقاطعة واستعملوا الأساور ، وفي مخلفاتهم عثر على صلايات من المرمر والحجر الجيري والأردواز لصحن الدهنـج والمغرة وعلى مراحي وبعض الحبوب وعدد من السنانير (الشصوص) وطبق من الخوص ودبابيس ولابر من العظام ، ومن المرجح أنهم استعملوا الوسائد إذ وجد تحت رؤوس عدد من الموتى بعض التبن أو الفس الذي كان لاريب داخل كيس جلد أو كتان ، ولكنه فني مع الزمن ، كما يرجح أن الأشجار الكبيرة والمستنقعات كانت منتشرة في ذلك العهد إذ وجدت فؤوس من أحجار مختلفة لابر وأنها استخدمت من أجلها ، أما فخار ديرتاسا فيمكن تقسيمه إلى نوعين .

(١) « برى أولئك الذين يجعلون الحضارات العالية لسببية وتسبق عصر الاسرات جميعها تدخل في عصر واحد هو ما قبل الاسرات بان الحضارة الناصية تعد من صميم حضارة البداري أنظر : E Baumgartel , op cit, 20 ff

أولاً : بنى ذو سطح خشن عادة وهو حال من التموجات إلا فى بعض القدور النادرة التى نجد بها تموجات مائلة أو عمودية .

ثانياً : أسود رمادى أملس عادة ذو تموجات عمودية والبعض القليل مصقول ، ومن أواني هذا النوع أفداح ذات شفة مقلوبة على شكل البوق . وهى سوداء مصقولة تحلى سطحها الخارجى وشفافها من الداخل خطوط محفورة مليئة بعجينة بيضاء تمثل خطوطاً أفقية بينها مثلثات مخططة لتثبيت المادة البيضاء فيها .

وفخار هذه الحضارة خلو من علامة الصانع أو صاحب الإناء ، ومن بين هذا الفخار بعض المغارف غير العميقة ذوات لسان مسطح بارز من الحافة بمثابة مقبض (شكل ٩) .



شكل ٩ - أدوات وأواني فخارية من تاسا

وكانت متابر القوم عبارة عن حفر كبيرة بيضاوية فى الغالب والقليل منها ذو جوانب مستقيمة بزوايا مستديرة وفى جانبها الغربى دخلة (طاقه) تتسع لأنية ، وكان الميت يدفن فى وضع مقرفص أشبه بالجنين ورأسه إلى الجنوب ووجهه إلى الغرب ويوضع معه بعض الفخار إلى جانب يديه أو ركبتيه وجثته تغطى بجلد حيوان بحيث يسكون الشعر أو الصوفى

إلى الداخل ، ويلف بعد ذلك في حصر وتوضع الرأس فوق ما يشبهه
الوسادة من القش ثم يحاط الميت بتقفيصة من الأغصان .

وهذه المقابر كانت بعيدة عن المساكن وقد وجد بعضها مختلطا بمقابر
البداريين ، ولذا يمكن القول بأن التاسيين كانوا أقرباء أو أسلاف البداريين
وهذا هو ما دعا بعض الأثريين إلى أن يلحقوا هذه الحضارة بحضارة
البداريين ويعتبرونها جزءا منها .

(٢) - البدارى :

كان البداريون أرقى من أى جماعة عاشت في الدور الحجري الحديث
لإذ استقروا في قرى منتظمة يزرعون الحبوب ويستأنسون الماشية وأنواعا
من الأغنام والماعز فضلا عن صيد السبر والبحر وكانوا مهرة في كل
صناعات هذا الدور ، ومع أن بعض حيواناتهم يظن أنها تنتمي إلى
غربي آسيا إلا أن من المرجح أنهم وفدوا إلى مصر من منطقة تبعد عن
البدارى كثيرا إلى الجنوب .

واستعمل البداريون طريقة التشظية بالضغط في صناعة آلاتهم الحجرية ،
وقد امتازوا عن أسلافهم بمعرفة النحاس فاستمضوا بالفأس النحاسية عن
الفأس الحجرية التي سادت في الحضارات السابقة كذلك يتمثل رقيهم عن
من سبقهم في أنهم استخدموا السهام والقسى وعصى الرماية Boomerang
(شكل ١٠) ودبابيس القتال ذات الرؤوس التي على شكل القرص وعرفوا
السنانير وتفوقوا في صناعة اللوحات الأردوازية وبعض لوحات من
المرمر ، وقد عثر بين آثارهم على ثلاثة تماثيل صغيرة لسيدات أحدها

من الطين والآخر من الطين المحروق والثالث من العاج وليست هذه التماثيل دقيقة الصنع وبعض أجزائها مفقود .

واتخذوا حلياً من أحجار مختلفة ومن الأصداف والنحاس كان أهمها الخرز والاساور والأحزمة والامشاط الطويلة الاسنان من العاج ، ومن المرجح أنهم عرفوا صناعة السلال والحصر حيث عثر على أجزاء منها في مقابرهم كما يبدو أنهم كانوا على دراية بنسج الكتان لأن بعضاً من الإبر المصنوعة من المعظم وجدت بين آثارهم ومن بينها مجموعة وجدت في جعبة صغيرة صنعت من ساق فرس النهر - ولم يقتصر البداريون في صناعة أوانيهم على الفخار بل كانت لديهم أواني عاجية منها إناء على شكل فرس النهر وأواني حجرية من البازلت أيضاً .

وفخار البدارى أرقى من فخار الحضارات السابقة إن لم يكن أرقى أنواع الفخار في مصر القديمة على الإطلاق ، وهو يمتاز بما يحلى جدرانته من تموجات تشغل السطح الخارجى بأكمله أو نصفه الأعلى أو تكون شريطاً يحيط بحافة الإناء ، كذلك قد توجد هذه التموجات بالسطوح الداخلية لبعض الأواني الواسعة ومع أنه مصنوع باليد - إذ لم تكن عجلة الفخار قد عرفت بعد - إلا أنه يمتاز برفة الجدران وهو على سبعة أنواع يمكن حصرها بصفة عامة فيما يلي :

- ١ - أواني ذات لون بني أو أحمر مصقول ولها حافة سوداء غالباً .
- ٢ - أواني ذات سطح أملس مصقول لونها بني أو أسود .
- ٣ - أواني ذات شعاب خشن لونها بني أو سود كذلك .

وأشكال هذا الفخار متشابهة ومحدودة وذلك باستثناء عدد قليل من الأواني ذات الأشكال العجيبة كانت تغطي أحيانا بقطع من الخوص المضفور ، وقد عثر على قذح ملفوف بقماش السكان - وفخار البدارى على العموم خلو من علامة الصانع أو المالك وكان يوضع غالبا عند رأس الميت أو قرب يديه أو مرفقيه أو عند ركبتيه ، وفي أحيان نادرة كان يوضع خاف الميت .



شكل ١٠ - أواني وأدوات من البدارى

ومقابر البدارى تقع في شرق منطقة المساكن في جهة يسبل حفرها بالآلات البسيطة ، وهي غالبا بيضاوية الشكل أو مستديرة ونادرا ما تكون جوانبها مستقيمة وأركانها مستديرة وكانت تغطي

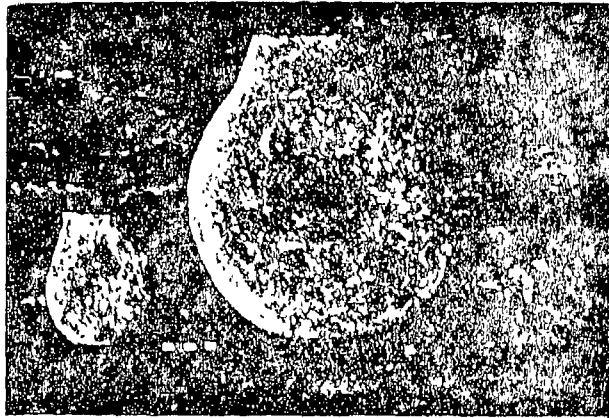
عصى رماية من البدارى

بالحصير كما أستعملت العصي في تسقيفها أحيانا ، وكان الميت يوضع على ما يشبه الأريكة أو (تفقيصة) ويحيط بالجثة حصير يعتمد على عصي على شكل خيمة تحمي الميت من لمنهيار الحصى والرمال عليه ، وكان يدفن عادة على جانبه الأيسر ورأسه إلى الجنوب وهو متجه إلى الغرب ويديه بالقرب من رأسه وتوضع إلى جانبه الأدوات التي كان يستعملها في حياته الدنيا وأدوات زينته وبعض التائم - وقد عثر بدفن الثور والسكب والشاة وغيرها مما يدل على تقديس تلك الحيوانات والاعتقاد بوجود حياة أخرى وبالبعث .

حضارات الوجه البهرى

١ - العمرى « حلوان أ » :

عثر على آثار هذه الحضارة فى منطقة تقع فى شمال حلوان وقد سميت كذلك لأن شخصا يدعى أمين العمرى هو الذى أرشد إلى موقعها الأثرى ، وفيها تم الكشف عن آثار مساكن مستديرة فى وسط كل منها موقد ووجدت بها مفابر مستقلة عن المساكن فهى فى هذا تشبه حضارة ديرا تاسا ولكنها تتميز بما وضع فوقها من أحجار وهى ظاهرة لم تتمثل فى الحضارات الأخرى التى ترجع إلى هذا الدور - وكان الميت يوضع فى وضع الجنين وإلى جانبه توضع قرابين قليلة لا تعدو إناء من الفخار عبارة عن قدر أو طاجن - وفخار العمرى على العموم يشبه فخار مرمدة فى أنه من لون واحد أسود (شكل ١١) ، وقد عثر على ما



شكل ١١ - أواني من العمرى

يشبهه في طرة وقرب الأهرام بما يوحي بأنه انتشر في الدلتا إلا أن مدى انتشاره ليس واضحا .

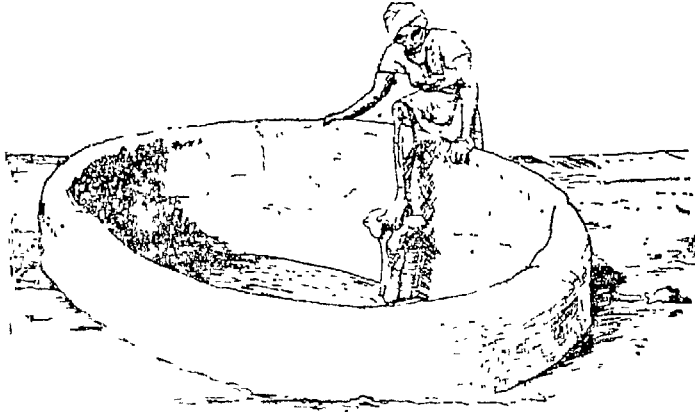
٢ - مرمدة بنى سلامة :

تقع مرمدة بنى سلامة على بعد نحو ٥٠ كم إلى شمال غربى القاهرة ، وقد عثر فيها على آثار ترجع إلى أواخر الدور الحجري الحديث وجدت نظائر لها عند الحافة الشمالية للفيوم وخاصة فى منطقة قصر الصاغة ، وهى التى عرفت باسم حضارة الفيوم ب - وكان المعتقد بأنها ترجع إلى أواخر الحجري الحديث وأوائل ما قبل الأسرات ، ولكن يبدو أنها ترجع إلى عهد أحدث من ذلك كثيرا (١) .

وفى مرمدة بنى سلامة وجدت آثار ثقوب محفورة فى الأرض فى مجموعات غير منتظمة يستدل منها على أنها كانت موضع أعمدة لأشجار تقام عليها أكواخ من البوص أو ستائر من الحصير تحمى من الرياح الشديدة ، كما عثر على آثار مساكن بيضاوية يعلو نصفها سطح الأرض ولكل منها مدخل خاص به وهو عبارة عن قطعة من ساق فرس النهر مثبتة داخل الجدار تساعد على الهبوط إلى داخل المسكن (شكل ١٢) الذى تنحدر أرضيته إلى مكان منخفض ثبت فيه إناء ليتسرب فيه ما يدخله من ماء ، وبأسفل الإناء ثقب لتصريفه فى باطن الأرض - أما الجدران فكانت تبنى من كتل من الطين يوضع بعضها فوق بعض ، كما كشف

E. Baumgartel, op. cit., pp,17f and 43 (١)

عن أهراء للحبوب في هيئته حفر قليلة الغور مسورة بسور من الطين
تخزن الحبوب فيها بوضعها في سلال تطمر في داخلها .



شكل ١٢ - منظر لما كان عليه مسكن بيشاوى من مرمدة وطريقة الهبوط اليه

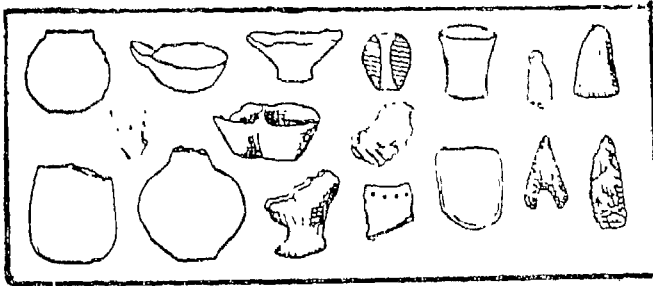
ومن الآثار التي عثر عليها يمكن استنتاج أن أهل مرمدة كانوا يربون
الماشية والخنازير ويطحنون الغلال على الرحى وفخارهم كان أسود غالباً
والقليل منه بني أحمر، وهو إما مصقول أو ناعم أو خشن - وأوانيهم منها
القدور الكبيرة التي يحتمل أنها كانت للطبخ ولبعضها بروزات لإمسакها
بها أو تعلقها ولبعضها ثقب ولبعضها قواعد تستقر عليها ، ومنها ما
يشبه القسارب ومنها المغارف ذات المقابض العريضة أو السمكة
المستديرة - وهذا الفخار خلو من النقوش والرسوم على العموم ولو أن
بعض الأواني تحليها خطوط بارزة أو عدد من البروزات عند الحافة ،
ولى جانب الأواني الفخارية صنع أهل مرمدة أواني حجرية من البازلت .

وقد اتخذوا رؤوساً للسهم مثلثة الشكل أو مقوسة القاعدة بعضها له

سنخ ودبابيس قتال كثرية الشكل (طراز البحر الابيض) أو شبه كرية ، واستعملوا في الصيد نوعا من الشص المصنوع من قرن الحيوان وهو أكثر استواء من خطاطيف الفيوم- ويبدو أنهم اتخذوا الملابس إذ وجدت لديهم فلكات مغازل ومسلات ولابر ، وكانوا يتزينون بحلى فى هيئة أساور من العاج وخواتم وخرز حاقى أو أسطوانى من الاصداف وبلط صغيرة تتعلق على شكل تمائم واستعملوا صلايات من الرمرر والبازلت لصحن المساحيق (أنظر شكل ١٣).

وكان الميت يدفن على جنبه بين المساكن ، مقرنصاً فى وضع يشبه الجنين ووجهه إلى الشرق ومعظم الهياكل العظمية التى عثر عليها كانت للنساء وكن أطول قامة من نساء الوجه القبلى - ولم توضع مع الموتى قربان فى العادة وربما كان ذلك لاعتقادهم أنه كان يشارك أهله طعامهم إلا أن بعض الحبوب وجدت فى أحوال قليلة ملقاة أمام فم الميت ولكن ربما كان ذلك شيئا رمزيا فقط .

ومع أن مظاهر قليلة من حضارة مزمنة كانت تشبه بعض نواحي حضارتى



شكل ١٣ - أدوات وأوانى من مزمنة

الفيوم والبدارى إلا أن من المرجح أن مرمدة قد ورثت هذه المظاهر لأنها في أغلب الظن متأخرة عنها في الزمن .

الفيوم

يستدل من الآثار التي اكتشفت فيها على وجود مرحلتين حضاريتين . الفيوم دا ، والفيوم دب ، ويؤرخها غالبية الاثريين بالدور الحجري الحديث ، وعصر ما قبل الاسرات على التوالي ولكن الفروق بينها ليست من الضخامة بحيث توحي بأن الفارق الزمني بينها كان كبيرا ، وبإعادة النظر في آثار الفيوم ودراسة الصناعات التي سادت فيها أصبح الاعتقاد سائدا بأنها لاتسبق حضارة نقادة الثانية (التي ترجع إلى ما قبل الاسرات) كثيرا في الزمن (١١) ، وعلى ذلك يمكن أن ندخل حضارتى الفيوم ضمن عصر ما قبل الاسرات وأن ندرسها كوحدة قائمة بذاتها وخاصة لأنها تأثرت بكل من حضارات الوجه القبلى والوجه البحرى وإن كان تأثرها بحضارات الاخير أكثر منه بحضارات الوجه القبلى .

ولم يكشف في منطقة الفيوم إلا عن منطقة السكن إذ لم يعثر على قبر واحد فيها وتدل الآثار المكتشفة على أن الفيوميين عرفوا الزراعة غير أن جل اعتمادهم كان على الصيد أى أنهم كانوا في ظروف تشبه

ظروف الزراع البدائيين - وكانت لديهم مجوعتان من المطامير
لخزن الحبوب بالقرب من المساكن ، وهذه كانت عبارة عن
حفر قطر معظمها من قدم إلى أربعة أقدام وعمتها من قدم إلى ثلاثة
ومعظمها مكسو من الداخل بغشاء من قش القمح المضفور يكسو جوانبها
وقاعها - واستخدموا مناجل من الصوان ورحى لطحن الحبوب من
أحجار مخالفة ولكن يبدو أن تربية الحيوان لم تلعب دورا كبيرا
في حياتهم .

وفي هذه المنطقة عثر على رؤوس سهام مثلثة ذات قاعدة مستقيمة
أو مستديره أو ذات سنخ (مثل سهام مرمدة) ، كما وجدت سكاكين
من الصوان وهى طويلة مقوسة من طرفها الأعلى وبعضها محرز عند
القاعدة - أما رؤوس دبابيس القتال فمها المخروطى ومنها القرصى والبعض
الآخر كرى الشكل تقريبا غير أن هذه الأخيرة صغيرة الحجم إلى درجة
تدعو إلى الظن بأنها كانت فلكات مغازل - ولم يعثر على شخص من
النوع الذى عرف فى مرمدة ولذا يحتمل أن الاسماك كانت تصاد بخطاف
من العظام .

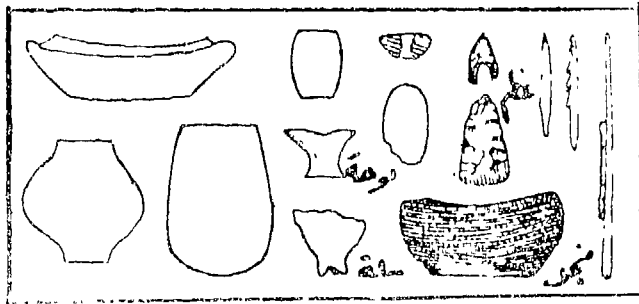
وفخار الفيوم كان يصنع باليد ، من صلصال خشن مخلوط بنسبة
كبيرة من التبن ولذا كان من النادر لإخراجه فى شكل متماسق وهو إما
أحمر مصقول أو أسود مصقول أو بنى أملس أو خشن وهذا
الأخير هو الشائع - ولا يخرج فخار الفيوم عن كونه طواجن وقدور
كبيرة للطبخ أو طواجن وأنداح صغيرة ذات قاعدة بارزة للخارج قليلا
أو مفصصة ، ومنه كذلك ما هو فى هيئة صحاف مستطيلة حوافها مرتفعة

عند الأركان ، وبعض أواني الفخار مثقوبة عند الحافة وجميعه خال من الرسوم أو النقش أى أنه يخلو من علامة الصانع أو المالك - وقد تميزت آتية واحدة ببروزات قرب حافتها .

ولاشك في أن أهل الفيوم عرفوا صناعة السلال والنسيج حيث عثر في آثارهم على بعض سلال (على شكل قارب أو على شكل برميل) وعلى بعض أطباق مسطحة من الحشائش المضفورة، كما وجدت قطعة من قماش الكتان داخل قدر من الفخار وعثر على دبابيس ومخارز من العظام .

أما فيما يختص بأدوات الزينة فقد تحلى القوم بدلايات من الخرز الذى كان على شكل الفرص أو على شكل برميل أو من الأصداف التى تعلق مفردة أو تعظم فى عقود ، كذلك عثر على سوار صغير وتميمه على شكل بلطة صغيرة من الصدف - وكانت لديهم صلايات بسيطة بيضاوية الشكل لصحن المغرة (شكل ١٤) .

هذا وقد عثر على آلات صوتية تشبه آلات الفيوم والبيدارى



شكل ١٤ - أدوات وأواني من الفيوم

في الواحات وفي غرب وادي النيل وخاصة بالواحة الخارجة وجنوب تونس
 كما يوحى بأن الفيوم والمناطق الجنوبية من مصر كانت منبعاً استمد منه
 شمال غربي أفريقيا بعض مظاهر حضارته وإن كانت هناك بعض الآراء
 التي تناقض ذلك .

- د - عصر ما قبل الاسرات

يطلق اسم « عصر الاسرات » أو « عصر السلالات » على العصر
 التاريخي لكل من مصر والعراق ابتداء من الزمن الذي نشأت فيه أول
 سلالة حاكمة في كل منها إلى وقت إنهيار الإمبراطورية الفارسية على يد
 الاسكندر الأكبر تقريبا ، وذلك لأن كلا منهما حكمتها أسرات أو سلالات
 حاكمة خلال هذه الفترة وقد اصطلح الباحثون على تسمية الفترة التي
 سبقت قيام الاسرات الحاكمة في مصر - وتقابل عصر بداية استخدام
 المعادن في الأقطار الأخرى - باسم عصر ما قبل الاسرات نظرا لما تميزت
 به من مظاهر حضارية مهدت لقيام الحضارات العظيمة التي شهدتها مصر
 في عصورها الفرعونية ، ففي هذه الفترة ترقى صناعة الفخار وتواصلت
 المعتقدات الدينية ويكثر استعمال المعادن نسيبا وبأخذ فن الرسم والنقش
 طابعه الذي تميز به طوال العصور الفرعونية ومنه نشأت الكتابة ، وفي هذه
 الفترة أيضا نشأت وحدة سياسية في كل من الوجه القبلي والدلتا مهدت
 لاتحادهما الطويل الذي بدأه مينا مؤسس الأسرة الأولى .

وتمثل حضارات هذا العصر في الوجه القبلي العمرة ، جرزة ، سيانة
 أما في الوجه البحري فتمثلها حلوان «ب» والمعادي .

وقد وجدت آثار هذا العصر في نقادة وهي تمثل حضارات الوجه القبلي في مراتبها المختلفة - ونظرا لأنها سخلت من الكتابة (إذ أن هذه لم تكن قد عرفت بعد) فتمت اتباع في ترتيب آثار هذه الحضارات طريقة المقارنة والنسبية أى أنها أرخت بالنسبة إلى بعضها البعض ، وقد عرفت هذه الطريقة باسم « التوقيت المتتابع ، أو « التاريخ التتابعى » .

التوقيت المتتابع أو التاريخ التتابعى :

كان الأثرى الانجليزى السير فلندرز بترى Sir Flinders Petrie يشترك في التنقيب عن الآثار فيما بين بلاص ونقادة حيث وجدت منطقة غنية بالآثار التى تنتمى إلى عصر ما قبل الاسرات فأطلق على الحضارة التى تمثلها هذه الآثار اسم حضارة نقادة، ولما شاهد أن هذه الآثار تختلف فيما بينها بحيث يبدو أنها لا تنتمى إلى فترة قصيرة محدودة رتب الأوانى الفخارية والآثار التى كانت موجودة معها حسب تدرج التطور فى صناعة هذه الأوانى الفخارية فتمسك بذلك من ترتيب الآثار حسب ترتيب ظهورها محاولا إيجاد علاقة تاريخية بينها - وقد لجأ أولا إلى تقسيم الأوانى الفخارية إلى أنواع يمثل كل منها مرحلة حضارية خاصة عاشت فى مرحلة زمنية من عصر ما قبل الاسرات الذى رمز لمُدته بأرقام تشمل الاعداد من ١ إلى ١٠٠ وبدأ أقدم أنواع الفخار والآثار التى اكتشفها معه بالرقم ٣٠ تاركا الارقام إلى ٢٩ خاليا عساه يحسد من الاكتشافات ، كما ترك أيضا الارقام من ٨٠ إلى ١٠٠ لنفس الغرض - وقد أعد بترى بطاقة خاصة لكل مقبرة وقسم كل بطاقة إلى تسعة أنهر أو أقسام خصص كلا منها لنوع معين من الفخار .

وحيثما أدرج الآثار التي اكتشفها مع الفخار المصاحب لها في الأقسام الخاصة به أمكنه أن يقسم تلك الآثار في أول الأمر إلى قسمين يمثل كل منها مرحلة حضارية هما نقادة د ١ ، ونقادة د ٢ ، على الترتيب ، ثم وجد أن حضارة نقادة د ٢ ، بدورها تمثل حضارتين هما نقادة ١ ، ٢ ، نقادة ٢ ب أى أنه انتهى إلى تقسيم الحضارات التي تمثلها هذه الآثار إلى ثلاثة مراحل هي نقادة د ١ ، ونقادة د ٢ ، ١ ، ونقادة د ٢ ب ، على التوالي .

وقد كشف الأثريون عن ثلاثة حضارات بالصعيد تماثل آثارها تلك التي وجدها بترى أى أنها تتفق والأقسام التي توصل إليها فالأولى وهي حضارة العمرة تمثل المرحلة من ٣٠ إلى ٣٧ والثانية وهي جيزة تمثل المرحلة من ٢٨ إلى ٦٠ أما الثالثة وهي سيانة - فتتمثل المرحلة من ٦١ إلى ٧٥ + .

ويجب أن لا يفهم من هذا التوقيت المتتابع أن الأرقام أو الفترات التي أتبعها بترى تدل على تاريخ محدد أو أن المدة بين فترة وأخرى تعادل في الزمن المدة بين فترتين حيث لا يدل الرقم الواحد على قدر ثابت من السنين وكل ما في الأمر أن هذا التقسيم يسمح بترتيب كل من هذه الحضارات بعضها بالنسبة إلى البعض الآخر .

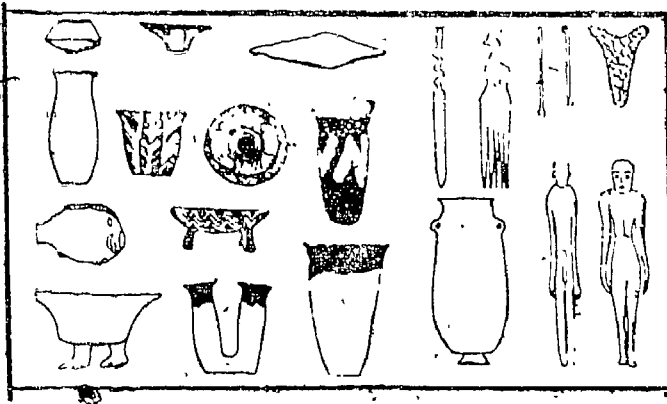
حضارات ما قبل الاسرات في الوجه القبلي

(١) حضارة العمرة ٣٠ - ٢٧ (نقادة ١٠ ،) .

تقع العمرة جنوب شرقي أبيدوس وقد عثر فيها على آثار تشبه أقدم ما وجد في نقادة إلا أن هذه الحضارة تمثل عهدين مختلفين : أوائل العمرة وأواخر العمرة - وفي الفترة الأولى ظهر الفخار الأحمر المصقول المحلى برسوم باللون الأبيض أو الأصفر ، وهذه الرسوم عبارة عن أشكال تحدها خطوط مستقيمة وتملؤها خطوط متقاطعة تمثل في مجموعها أشكالا هندسية مختلفة كالمثلث والمعين والنجوم أو تمثل أشكالا مختلفة من النبات والحيوان ومناظر الصيد والقتال رسمت باختصار وفي أسلوب بسيط وإلى جانب هذا النوع من الفخار عثر على فخار أحمر مصقول أو أحمر مصقول ذو شفة سوداء خلعت سطوحه الخارجية من التوججات التي تميز فخار البداري - كذلك بدأت علامة الصانع أو علامة الملكية تميز أواني هذه الفترة في هيئة صور حيوانات أو نباتات أو خطوط - وقد وجدت بعض الألوان الحجرية من البازلت والحجر الجيري ، وكانت الصلايات من الأردواز على شكل معين أو في أشكال حيوانات مختلفة كفرس النهر والسحفاة ، أما رؤوس الدبابيس فكانت مخروطية الشكل مقوسة قليلا إلى الداخل .

وفي الفترة الثانية من هذه الحضارة اختفى الفخار المحلى برسوم باللون الأبيض واستمر الأحمر المصقول ذو الشفة السوداء كما عثر على أواني محلاة برسوم باللون الأحمر تشبه فخار جرزة ، ومن بين العلامات المميزة لفخار تلك الفترة علامة تمثل تاج الوجه البحري وعلامة تمثل صورة

نقصر - وهو الطائر الذي اعتبره المصري رمزاً للاله حورس - على واجهة قصر وهذه العلامة كانت تتخذ كخاتمة يكتب فيها اسم الملك في زمن الفراغة ، ومن هذا يتضح أن علامات الملك أخذت تستقر - وقد تطورت صناعة الاواني الحجرية التي من البازلت كثيرا وأصبحت أشكال الصلايات أقل تعددا إذ انحصرت تلك الأشكال في الشكل المعين الذي ينتهي عند أحد طرفيه بما يشبه الهلال أو شكل السمكة ، ومن الصلايات أيضا ما كانت تنتهي في أعلاها بشكل يمثل رأسى طائرين - أما دبابيس القتال فكانت تشبه نظائرها في الفترة الأولى لهذه الحضارة - وقد أتقنت صناعة الطران ومن الأدوات المصنوعة منه وجدت سكاكين طويلة ذات حدين وسهام ذات شوكتين (شكل ١٥) . وقد اعتقد أهل هذه الحضارة في الحياة بعد الموت بدليل ما عثر عليه من أدوات وضعت إلى جوار الموتى - ولم يكشف حتى الآن عن حضارة من هذا العهد في الدلتا.



شكل ١٥ - أدوات وأواني من العمرة

(٢) حضارة جرزة ٣٨ - ٦٠ (نقادة ٢)

تقع جرزة شمال ميدوم التي تبعد نحو ٤٠ ميلا إلى جنوب سقارة وتمثل آثارها حضارة مستقلة تماما عن حضارة العمرة إذ وجدت في هامية قرب البدارى آثار تمثل حضارة جرزه في طبقات منفصلة تماما عن الطبقات التي وجدت بها آثار حضارة العمرة ، وآثار هذه الحضارة أوسع انتشارا من آثار سابقتها في مصر الوسطى .

وتتميز هذه الحضارة بفخار ذو لون أصفر برتقالى وعليه رسوم وأشكال باللون الأحمر ، وهذه الرسوم عبارة عن خطوط منحنية غالباً ما تكون حلزونية وصور مثلثات متتالية وبعض المراكب ، الحيوانات التي تظهر بصورة منفردة ولا تتأ أشكلها خطوط مقاطعة كما تتميز بالفخار ذي الأيدي المتموجة ، وكل من هذين النوعين من الفخار على صلة بالآخر إذ قد يحلى ذو الأيدي المتموجة برسوم حمراء .

هذا وقد استمر الفخار الأحمر المصقول وذو الشفة السوداء (وهما من فخار العمرة) في هذه الحضارة أيضا ، وفي بدء هذه الحضارة بدأ ظهور الفخار المتأخر ويمتاز بصلابته وملاسته وهو رمادى فاتح أو بنى أحمر أو أصفر يخلو من أية حليمة إلا أنه لم ينتشر إلا في أواخر عهد ما قبل الأسرات وفي الأسرتين الأولى والثانية .

وتكثر في هذه الحضارة الألوان الحجرية المختلفة ذات الألوان الجميلة التي كانت بعض أواني الفخار تصنع على غرارها ، وقد أخذ دوس

القتال الذي كان شائعا في العمرة (ذو الرأس المخروطى المضغوط الجوانب يقل تدريجيا ابتداء من عهد جرزة حيث أخذ الدبوس ذو الرأس الكمثرى يحل محله ، ومع هذا فقد بطل استعمال هذين النوعين من المدبايس في القتال منذ الاسرة الاولى ولكنها ظلا يستعملان في العصور التاريخية لأغراض دينية وجنائية .

وأخذت الصلايات التي على شكل معين في الاختفاء لتحل مكانها صلايات ذات أشكال هندسية أخرى كالمستطيل والبيضاوي والمربع واستمرت بعض الصلايات في شكل بعض الحيوانات كالقيل والسملك والطيور وبعض الصلايات البيضاوية كانت تعلوها صورة طائر أيضا ،



شكل ١٦ - أواني وأدوات من جرزة

وقد أخذت هذه العلايات تدق في سمكها وكسيت سطوحها بالنقوش
 وصنع بعضها من مواد لاتصاح للصحن منذ أواخر ما قبل الاسرات ،
 ولذا يمكن القول بأنها أصبحت شيئاً رمزياً يوضع في المقبرة لتذكر
 بتقليد قديم متوارث - هذا وقد ظهرت في عهد جزرة بعض التمام على
 شكل حورس وبعضها على شكل ثور وهى رموز تدل على مقاطعات
 بالوجه البحرى (شكل ١٦) مما دعا إلى الظن بأن حضارة جزرة
 ترجع أصلاً إلى الوجه البحرى وإن لم يعثر على حضارة تماثلها فيه ،
 كما يستدل من ذلك أيضاً على حدوث توحيد لشطرى الوادى قبل عهد
 مينا مؤسس الأسرة الأولى .

(٣) حضارة سماينة ٦٠ - ٧٥ + : (نقادة ٢ دب) .

تمثل آخر الحضارات المصرية فى عهد ما قبل الاسرات وأهم الآثار
 التى تمثلها وجدت فى سماينة وهى لإحدى القرى القريبة من نجع حمادى .
 وتتميز هذه الحضارة بزيادة استخدام النحاس وقلة الفخار ذو الشفة
 السوداء والفخار الأحمر المصقول تدريجياً إلى أن اختفياً ، أما الفخار
 ذو الرسوم الحمراء فقد اختفت منه الأشكال التى كانت سائدة فى عهد جزرة
 وحلت محلها أشكال جديدة عليها رسوم مختلفة ، ومن هذه الاشكال أوانى
 على شكل البرميل لها حافة داخلية يسنقر عليها الغطاء وقدور عالية رسمت
 عليها خطوط قصيرة فى أشكال ومجموعات مختلفة - أما الأوانى المنموجة
 الأيدى فقد أخذت تضيق فى السعة ويتلاشى مقبضها حتى أصبح كشریط
 على حافة الإناء بالقرب من الشفة ، وأكثر فخار هذه الحضارة من النوع
 المتأخر وقد ظهر فيه المصب (البزبون) وله أحياناً رقبة واضحة ، وأهم
 ما صنعت منه أوانى التخزين (قدور عالية ذات فوهات واسعة)

(شكل ١٧) ، ومع كل فإن الفخار في عهد سبائنة على اختلاف أنواعه كان أقل إتقاناً وجودة منه في العصور السابقة ، وربما كان سبب ذلك أن الاغنياء أقبلوا على صناعة الأواني من النحاس والأحجار كما أن زيادة الإقبال على حياة المدن التي اتسعت وانتشرت هي التي جعلت صانع الفخار يتوخى سرعة الانتاج وكثرته فبعد عن الإتقان - وقد استمرت صناعة الأواني من الأحجار وكثيراً ما استخدم المرمر alabaster في صنعها وينتشر استخدامه بعد ذلك في العصور التاريخية . أما الصلايات فمنها ما كان على شكل الحيوان ومنها ما كان يحلى جزءة العلوى رأساً طائرین ومنها ما كان بيضى الشكل تحلى حافته خطوط منقطة ومنها ما كان على شكل مستطيل تحلى حوافيه خطوط مستقيمة أو متقاطعة وبعض هذه الصلايات كان فاخراً تحليه نقوش مختلفة .



شكل (١٧) أدوات وأواني من سبائنة

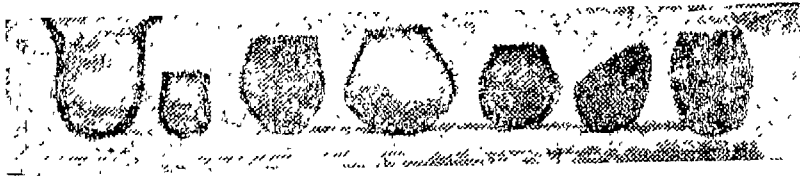
حضارات ما قبل الأسرات في الوجه البحري

(١) حضارة حلوان د ب ،

تضم منطقة العمري (١) مجموعتين من المقابر ومجموعة من المساكن وهي على بعد ٣ كم شرق حلوان - ومن التفتيح في منطقة المساكن تبين أن مساحة القرية كانت كبيرة مثل مدن الدلتا التي عثر عليها في مرمدة

والمعادى بعكس مدن الوجه القبلى المحدودة المساحة ، وكانت مساكنها إما أن تبنى بحيث يكون جزء منها تحت مستوى سطح الأرض بيضية الشكل تحيطها جدران من الحصير المغطى بالطين . أو أن تقوم بأكملها فوق سطح الأرض كما يستدل على ذلك من وجود بقايا أعمدة خشبية مغروسة فى الأرض - وربما كان النوع الأول من المساكن يستخدم كمخازن أما النوع الثانى فكان للسكنى ، وقد حفرت بعض مساكن النوع الأول فى الأرض الصخرية مما دعا إلى الظن بأن أهل حلوان عرفوا استغلال المهاجر فى ذلك الوقت إلا أن هذا بعيد الاحتمال .

والأواني الفخارية فى هذه الحضارة إما رقيقة الجدران مصقولة حمراء وسوداء وسمراء أو خشنة ذات جدران سميكة ، وكان لبعضها مقابض - ومنها ما يشبه أواني مرمدة ومنها ما يشبه أواني المعادى كما وجدت أشكال جديدة اختلفت بها هذه الحضارة (شكل ١٨) .



شكل ١٨ - أواني من حلوان ب

أما السهام التى عثر عليها فى حلوان فإنها كانت إما مقعرة القاعدة كسهام الفيوم أو على شكل مثلث متساوى الضلعين ، وقد عثر على بعض السكاكين والمناجل والمناشير من الصوان وأحجار للرحى وأوعية من قشر بيض النعام وآلات من العظام من بينها شص من قرن حيوان ، كما عثر

على جلود وحصير وحبمال وسلال تدل على معرفة النساجة - واستخدام أهل حلوان أصداف البحر وعظام السمك وأنواع من الأحجار البراقة في الحلى وعرفوا صناعة العقود والدلايات وزراعة الحبوب كالقمح والشعير وكانوا على علاقات مع الخارج حيث وجدت في آثارهم أصداف من البحر وبعض المواد الأخرى التي لا توجد في وادي النيل .

وقد دفنوا موتاهم في أماكن السكنى في وضع مقرفص ومعظم رؤوسهم إلى الجنوب والوجه متجه إلى الغرب ، وفي أغلب الأحيان كانت توضع آنية فخاوية بجانب الميت وكانت الجثة تسكن في بجلد حيوان أو حصير أو قماش ، وعثر مع إحدى الجثث على صولجان من الخشب .

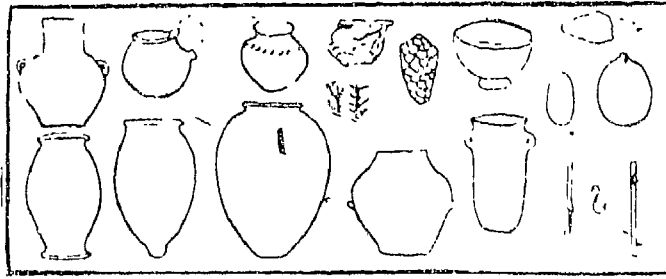
وربما كانت هذه الحضارة تتوسط في الزمن بين حضارتى مرمدة والمعادى إذ أنها تشبه حضارة مرمدة في طقوسها الجنزية وفي بعض صناعاتها الحجرية وبعض أوانيها الفخارية كما تشبه حضارة المعادى في نصالها الحجرية وبعض أوانيها الفخارية أيضا .

(٢) حضارة المعادى :

عثر على آثار هذه الحضارة في شرق المعادى الحالية وهى ذات موقع فريد إذ أنها تتوسط بين الصعيد والدلتا وترتبطها بشبه جزيرة سيناء وغرب آسيا بما أثر في حضارتها وجعلها ذات صفات خاصة تميزها عن الحضارات السابقة - وكان يظن أنها أقدم من حضارة نقادة الثانية ولكنها ما زالت تحتاج إلى كثير من الدراسة وخاصة لأن الشك بدأ يساورنا في أنها

ترجع إلى عصر بداية الاسرات (١) .

وفخار المعادى (شكل ١٩) متعدد الأشكال والألوان إلا أن أهمه نوعان : أحمر اللون غير مصقول لكنه أملس وقاعدته حلقيسية وجسده



شكل ١٩ - أدوات وأواني من المعادى

بيضاوى مستطيل ، وأسود مصقول ذو جسم كرى - ومن بين الأواني التي عثر عليها آنية كبيرة اسطوانية وبخافتها العليا مقابض عدة كما وجدت بعض الأواني التي يميل لونها إلى البياض وبسطحها بروزات كالحبوب أو مزودة بمقابض فهي تشبه الأواني السورية ، كذلك وجدت أيضا بعض أواني تشبه أواني العمرة (ذات حافة سوداء) وأواني تشبه أواني مرمدة (توأمية) ، أما الأواني المزدانة بالرسوم فقد أصبحت قليلة - ومن هذا نلبيّن صلة المعادى بمحضارات كل من الوجه البحرى (مرمدة) وسوريا والوجه القبلى (العمرة) ويرجع هذا إلى مركزها الجغرافى حيث يسهل الاتصال بينها بين تلك الجهات .

وقد عثر في المعادى على عدة أواني حجرية كبيرة متقنة الصنع ولوحات من الاردواز والحجر الجيري وفلصكات مغازل ودبابيس ومصاحن، وعلى الكثير من المكاشط ورؤوس السهام والحراب والمناشير الصوتية وبعض الآلات من الصخر البلورى والكوارتز والجراييت كما وجدت فيها مجموعة من الأدوات الخشبية مثل عصى الرماية Boomerang وعصا قصيرة وبعض المشاقب والأطباق والجففات والملاقق يندر وجود مثلها في الحضارات المصرية المعاصرة إلى جانب آلات كثيرة من العظام وخاصة المشاقب، أما فيما يختص بأدوات الزينة فإن أهل المعادى عرفوا صناعة الخرز من الأحجار المختلفة وقد عثر على عقد كامل من ٤٥ حبة من الخرز كلها بيضاء ما عدا ٨ منها سوداء كما وجدت أصداف مثقوبة وأمشاط من عظام الحيوان ومواد التلون من المغرة والملاخيت والمنتجينز الأسود.

وعرف أهل المعادى استغلال المعادن حيث عثر على عدد من الأدوات المعدنية كالسنائير والمشاقب والأزاميل ورأسى فأس وكلها من النحاس الذى عثر على سبائك منه أيضا كما وجدت بعض مقادير من المنتجينز ومن القار (جلب من منطقة البحر الميت).

وأخذت النزعة الفنية ترقى كما يستدل على ذلك من وجود قطعة من الصلصال المحروق يظن أنها تمثل رأس حمل (١). وقطعة أخرى تمثل رأس

(١) يظن أن الجمل وجد في مصر لفترة وجيزة قبل أوف، بداية عهد الاسرات ثم انقرض منها ولم يصبح استجدامه شائما إلا لأسباب اقتصادية في العهد اليونانى - أنظر .
J. Capart "Primitive Art in Egypt" 1905, pp. 189, 202, H. Kees
"Ancient Egypt" Translated by Morrow (London 1961), p. 53.

خيوان غير واضح وعثر على بيضة نعام لزدان سطحها بأشكال هندسية محفورة باتقان وملونة باللون الاسود، كذلك عثر على هيكل قارب من الفخار ورأس تمثال صغيرة من الفخار الاحمر يمثل شخصاً من غرب آسيا ويتضح ذلك من شكل الرأس والذقن .

أما مساكن المعادى فانها تركزت حول وسط القرية وكانت متعددة الاشكال فنما ما كان يبني من قوائم من جذوع أشجار تلتف حولها أغصان رفيعة ثم تطلّى بالطين وأبوابها نحو الجنوب للحماية من الرياح الشمالية السائدة ومنها ما كان على شكل كلمة pr الهيروغليفية التي تعنى « منزل ، مما يدل على أن رسم هذه الكلمة منقول عن الشكل الغالب في مساكن عصر ما قبل الأسرات ، وقد وجدت عدة كهوف عثر فيها على آثار تدل على أنها كانت للسكنى .

وكانت المواقد إما صغيرة تقام داخل المنازل أو كبيرة تقام أمام المنازل ، وكان الموقد عبارة عن أحجار مترابطة تحصر بينها الوقود . أما المخازن فكانت على شكل حفر يتراوح عمقها بين متر أو مترين وكان بعضها يزود بسياج يحيط بالحفرة وله سقف يقوم على قوائم من الخشب ، وإلى جانب هذه المخازن كان القرم يخزنون المون احيانا في قذور كبيرة او سلال .

وكان البالغون من اهل المعادى يدفنون في جبانة تقع في بقعة منخفضة إلى جنوب القرية أما الاجنة فكانت تدفن في قذور كبيره أو حفر غير عميقة في المساكن نفسها ، وكان الميت يوضع مقرفصاً إلا في حالات

— ٧٤ —

قليلة وجدت فيها الهياكل ممددة ، ولم يكن للرأس أو الوجه اتجاه ثابت كما لم يعثر على شيء مع الجثة سوى بقايا حصير أو جلد أو قماش مما كانت تغطى به ، وفي بعض المقابر عثر بجوار المتوفى على إناء واحد من الفخار - وكان لكل عائلة قسم خاص من الجبانة ، كما عثر على حيران يشبه ابن آوى مدفون بعناية بما يوحي بعبادة هذا الحيوان الذى عبده فراعنة العصور التاريخية كإله حارس للجبانة - ويدل وجود آنية الفخار على اعتقادهم بالحياة الثانية كما يدل وجود الجبانة بعيدة عن المساكن على أنهم كانوا فى مرتبة حضارية أرقى من مرتبة أهل مرمدة وحلوان الثانية .

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن أهل هذه الحضارة عرفوا الزراعة والرعى والنسيج وكانوا على علاقات تجارية وثقافية مع الحضارات الشرقية والجنوبية ولا شك فى أنهم وصلوا إلى مرتبة حضارية لا بأس بها .

ثانياً- العصر التاريخي

كانت معلومات العالم المتحضر عن تاريخ مصر الفرعونية ضئيلة مشوهة تعتمد في أساسها على ما دونه كتاب اليونان وغيرهم من الرحالة والمغامرين الذين أعتمدوا في كتاباتهم على ما قصه عليهم الرواة من أنباء تبدو فيها الطرافة ولا تخلو من الخطأ والخرافة .

وقد حاول كثير من العلماء التعرف على تاريخ مصر الفرعونية من مصادرة الاصلية أى من الكتابات والنقوش التي تركها الفراعنة ، وذلك عن طريق حل رموز اللغة المصرية التي شاهدها على الآثار ولكنهم ذهبوا في ذلك مذاهب خيالية ولم تسفر جهودهم عن نجاح يستحق الذكر .

وكان مجيى- الحملة الفرنسية إلى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١ م) بقيادة نابليون بونابرت فاتحة عهد جديد إذ عثر أحد ضباط الحملة على حجر بالقرب من رشيد نقش عليه نقوش ثلاثة : أحدها باليونانية والآخريين باللغة المصرية كتبت بخطين مختلفين - الهيروغليفي والديموطيقي - وقد انكب العالم الفرنسي شاهبليون على محاولة حل رموز الخط الهيروغليفي وكانت جهوده بالنجاح بمد عمل مضمي ومقارنة كثيرة لنقوش مختلفة ، وما يسر له السبيل أن الفراعنة اعتادوا كتابة أسماء الملوك والملكات داخل إهليج « إطار » بيضى مستطيل الشكل يعرف بالخرطوش - وقد بدأ شاهبليون بقراءة أسماء الملوك في النقش اليوناني بحجر رشيد وعرف أنها لبطلميوس وكليوباترا واتضح له اشترك الاسمين في بعض الحروف كما هي مدونة بالهجائية اليونانية في خراطيشها بالنص اليوناني فطبق ذلك على ما شاهده من تشابه في الرموز الدالة عليها في الخراطيش الموجودة

في النص الهيروغليفى وأمكنه التوصل إلى معرفة بعض الحروف والعلامات الهيروغليفية ، وبمحاولة قراءة كل خرطوش ملكى يقع تحت بصره على أساس ما يعرفه من أسماء الملوك التى وردت فى كتابات اليونان وغيرهم استطاع معرفة حروف ورموز أخرى وتوصل إلى الاصوات والمعانى التى تدل عليها وهكذا - ثم ترالت بعدئذ جهود العلماء إلى أن أصبح فى الإمكان قراءة اللغة المصرية ووضع معاجم وقواعد لها .

اللغة المصرية :

ما زال الاختلاف قائما بين العلماء حول أصل اللغة المصرية إذ أن صلتها باللغات الحامية واضحة كما أن علاقاتها باللغات السامة لا يمكن إنكارها أو تجاهلها - وإذا ما تتبعنا كتابتها نجد أن أقدم المحاولات فى كتابتها تتمثل فى زخارف الأوانى والأدوات المستعملة حيث صورت فيها أشكال أشخاص وحيوانات وسفن وما أشبه ، فالكتابة بدأت حينما بدأت الرغبة فى التعبير بالرسم عن أشياء يمكن للرائى معرفة ما تدل عليه ، وهذه الأشكال كان لا بد للرائى من ترجمتها إلى أصوات معبرة فى اللغة - وقد حدث ذلك فى مصر حينما تمكن المصرى من رسم صرير مصغرة ومختصرة للأشياء المادية والكائنات يمكن تمييزها عن صورها الكاملة التى تدل على نفس هذه الأشياء والكائنات المعروفة مثل الأسلحة والنباتات والحيوانات والبشر بل والآلهة كذلك ، ويمكن القول أيضا بأن الظروف اقتضت ظهور الكتابة وتطورها حينما وجدت الرغبة لدى الناس للتعبير عما لا يمكن التعبير عنه بسكياته مثل الأعداد وأسماء الأشخاص والكائنات وغير ذلك وأخذت فى النمو كلما وجد أن الرسوم والمناظر فى حاجة للتفسير ، وقد ظل هذا الاتجاه طول العصور الفرعونية حيث ظل الفراعنة يدرون على المناظر

التي يمثلونها ما يوضحها بعبارات مكتوبة - وهكذا حتى أصبح في الإمكان التعبير بالكتابة عن كل ما يرغب الانسان التعبير عنه .

واللغة المصرية كانت تكتب في أول الامر برموز تمثل كائنات أو أجزاء من كائنات في صورة قريبة من الواقع وقد أطلق عليها اليونانيون اسم الهيروغليفية أى الكتابة المقدسة وذلك لانهم شاهدوها مدونة على جدران المعابد والنصب التذكارية المختلفة ، فهم في الواقع كتابة إعلام أو كتابة زخرفية ، وقد ظلت مستعملة في النصب المختلفة حتى نهاية العصور الفرعونية وإن كانت رموزها قد اختلفت في مدلولاتها أحيانا - ولم تستعمل هذه الكتابة وحدها بل صاحبها منذ نشأتها تقريبا كتابة أخرى مختصرة عنها عرفها اليونانيون باسم الهيراطيقية أى الكتابة الكهنوتية نظرا لانهم اعتقدوا بأن الكهنة وحدهم هم الذين كانوا يعرفونها ، وربما كان سبب ذلك أن المدارس في مصر القديمة كانت عادة تلحق بالمعابد ، ويرجع أقدم ما عثر عليه من نصوص كتبت بالهيراطيقية إلى عهد الأسرة الثانية تقريبا - ولما تعددت مطالب الحياة وازداد نشاط التعامل بين الأفراد ظهرت كتابة ثالثة - أشد اختصاراً هي الكتابة الديموطيقية ، أى الكتابة الشعبية .

ويمكننا أن نشبهه - مع الفارق - هذه الكتابة بخطوط اللغة العربية فالهيروغليفية تقابل الخط الثلث وغيره من خطوط الزخرفة والاعلام والهيراطيقية تقابل الخط النسخ والديموطيقية تقابل الخط الرقعة .

وحوالى الوقت الذى طغت فيه المسيحية على الديانة المصرية الوثنية في مصر استعمل الحروف الهجائية اليونانية في كتابه اللغة المصرية ، ولكن نظراً لأن هذه تميزت بأصوات ليس لها مقابل أو شبيه في اللغة

اليونانية - وخاصة الاصوات الحلقية (مثل الحاء والعين وغيرها) - فقد أضيفت إلى هذه الهجائية سبعة أحرف من أصل مصرى لاستكمال هذه الكتابة الجديدة التي عرفت خطأ باسم اللغة القبطية والأحرى أن يطلق عليها الكتابة المسيحية للغة المصرية لأنها وإن استعملت فيها بعض ألفاظ غير مصرية إلا أنها في مجموعها لا تخرج عن كونها اللغة المصرية كتبت في هيئة جديدة .

وبما سبق يتضح لنا أن الكتابة المصرية في نشأتها تشبه نشأة الكتابة في بلاد النهرين ولا يستبعد وجود علاقة فعلية بينهما ، وربما يؤيد ذلك اشتراكها في بعض مدلولات الصور التي تعبر عن كائنات واحدة في كل من الكتابتين إلا أن الفرق شاسع بينهما في مراحل تطورها ، فالكتابة في بلاد النهرين - نظراً لاستخدام قلم مدبب في كتابتها - أخذت تتعدى سريعاً عن أن تبين صوراً يمكن التعرف عليها ، بينما ظلت الكتابة المصرية في هيئة صور لكائنات معروفة ولم تفقد هذه الخاصية إلا جزئياً في الخططين الهيراطيقى والديموطيقى ، ولهذا ظلت رموز كثيرة تستخدم في الدلالة على ما تمثله ، أى أن بعض الرموز ظلت مستعملة للدلالة على معاني قائمة بذاتها .

المصادر التي اعتمدها المؤرخون :

كانت عقيدة المصري في البعث والتمتع في العالم الآخر بجملة مماثلة للحياة الدنيا خير معين للمؤرخين ، لأن هؤلاء أفادوا من النقوش التي تركها المصريون في مقابرهم وعلى نصبهم وآثارهم المختلفة حرصاً منهم على تسجيل أعمالهم الحميدة ومظاهر نشاطهم في حياتهم العادية أملاً في أن يقوموا في آخرتهم بنفس الأدوار التي قاموا بها في حياتهم الدنيا فجاءت هذه تراجم

لأصحابها، وقد استقى منها المؤرخون معظم معلوماتهم التي ألقت كثيرا من الضوء على مختلف نواحي الحياة المصرية من حرية واقتصادية واجتماعية ودينية وسياسية وأوضحت صلات القربى بين بعض الافراد من كان لهم أهمية تاريخية خاصة وغير ذلك من المعلومات التي لاغنى عنها لكل مؤرخ - ومن المصادر الهامة التي استقى منها المؤرخون بعض معلوماتهم التاريخية أيضاً ما سجله بعض الموظفين في نقوش على صخور المناطق التي ارتادوها في بعثات للتعددين أو في حملات عسكرية أو جولات تفتيشية وغيرها مما يعد سجلا حافلا يفيد منه كل باحث - هذا فضلا عما عثر عليه من وثائق ومحفوظات مختلفة كالبرديات التي دون عليها ما يشير إلى بعض الأحداث التاريخية أو بعض القضايا والمنازعات أو فصول في الأدب والعلوم والفنون المختلفة مما أفاد في التعرف على نواحي أخرى من نواحي الحياة المصرية ، أضاف إلى ذلك ما عثر عليه من محفوظات كتبت بلغات أجنبية مثل الألواح التي عثر عليها في تل العمارنة والتي كتبت بالخط المسماري وكان لها أكبر الفضل في إلماطة اللسان عن كثير من الشؤون الخارجية والعلاقات الدولية في عهد الدولة الحديثة .

وقد سبق أن أشرنا إلى أن ما كتبه اليونان عن مصر كان يعتمد على ما ذكره الرواة لهؤلاء فجاءت كتاباتهم مليئة بالأخطاء ، ومع ذلك فقد أفاد منها الباحثون قدر الإمكان وخاصة فيما يتعلق بالشطر الأخير من تاريخ الفراعنة إذ أنه كان أقرب العمود لهؤلاء الكتاب ولم تكن روايات الرواة قد تناولته بكثير من التمشويه - وفي عهد بطليموس الثاني دون كاهن مصرى يدعى مانيثون تاريخا لمصر قسم فيه الملوك الفراعنة إلى ٣١ أسرة حاكمة إلا أن ما وصلنا من هذا التاريخ لا يزيد على بعض الفقرات التي نقلها عنه بعض مؤرخى اليونان .

ولاشك في أن تسلسل الملوك وتتابعهم كان من أكبر العقبات التي صادفت الباحثين وذلك نظرا لأن المصرى كان يؤرخ الأحداث الهامة على حسب السنين التي حكمها الملك المعاصر ولا يشير إلى من سبقه أو لحقه من الملوك إلا في أحوال نادرة، ولم يشذ عن ذلك إلا ملوك الأسرة الثانية عشرة والملوك القلائل الذين أشركوا معهم أولياء عهودهم في الحكم ولكن لحسن الحظ ترك لنا المصرى بعض الآثار الهامة التي بينت لنا ترتيب حكم الملوك في كثير من العهود - وهذه الآثار عبارة عن قوائم كتبت في عهد بعض الملوك وهي تروى أسماء الملوك الذين سبقوهم على عرش مصر على حسب ترتيبهم المعروف وقتئذ وبعض الأحداث الهامة التي حدثت في عهودهم وهذه القوائم هي : -

١ - **حجر بلرمو** : عرف بهذا الاسم إلى نسبة إلى متحف بلرمو المحفوظ فيه ، وهو عبارة عن جزء من قطعة من الديوريت دونت عليها حوليات الملوك من أقدم العصور حتى منتصف الأسرة الخامسة تقريبا - ويشير هذا الأثر كذلك إلى بعض ملوك سبقوا مينا بمن كانوا يحكمون في الدلتا وأطلق عليهم اسم أتباع الإله حور - وقد وجدت بعض القطع المماثلة لهذا الأثر ولكن ليس من المؤكد أنها تنتمي لنفس الأثر الأصلي الذي منه القطعة السابقة - ومن بين هذه القطع الأخيرة قطعة دونت عليها أسماء خمسة ملوك من أتباع حور (السابقين لذلك مينا) حكموا في الجنوب .

ويذكر حجر بلرمو والقطع المماثلة اسم كل ملك والحوادث الهامة في كل سنة من سنوات حكمه وارتفاع الفيضان فيها .

٢ - **قائمة الكرنك** : وترجع إلى عهد تحتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) وكانت في حجرة من معبد أقامه في منطقة الكرنك ، وهي تذكر

أسماء بعض الملوك الذين لم يذكروا في قوائم أخرى وقد نقلت هذه القائمة إلى متحف اللوفر .

٣ - قائمة أبيدوس :- وهي عبارة عن نقش يشكّل معظم جدار إحدى حجرات معبد سبتي الأول في أبيدوس (العرابة المدفونة) ، وتعرف باسم لوحة الأجداد لأنها تمثل سبتي الأول يقدم ولده رععميس الثاني (الأسرة ١٩) إلى أسماء أجداده ملوك مصر وهي تشمل ستة وسبعين اسماً تبدأ بالملك مينافهي تغفل ذكر أسماء بعض الملوك وربما كان ذلك لعدم الاعتراف بشرعية حكمهم لمصر (شكل ٢٠) .



شكل ٢٠ - جزء من قائمة أبيدوس

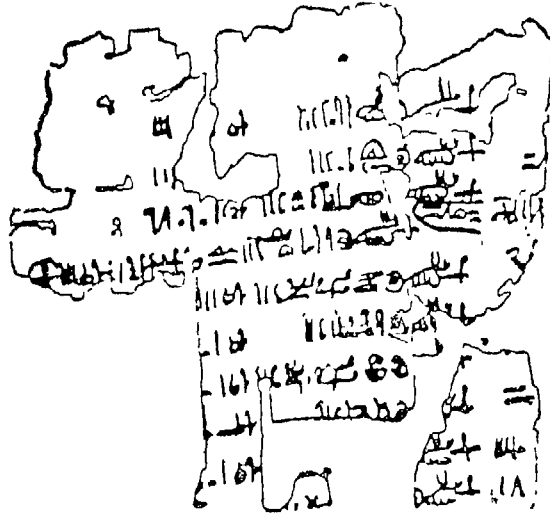
٤ - قائمة مقارة :- وجدت في إحدى مقابر عهد رمسيس الثانى وتختلف الاسماء فيها فى بعض المواضع عن الاسماء التى وردت فى لوحة أيلدوس ولكنها تتفق كثيراً مع الاسماء التى وردت فى بردية تورين التالية .

٥ - بردية تورين :- يحتمل أنها من عهد رمسيس الثانى أيضا وهى محفوظة الآن فى متحف تورين ونذكر أسماء حكام مصر فى العصور السحيقة التى سبقت قيام الأسرة الاولى وقد نسبتهم إلى السماء ، أى اعتبرتهم من الآلهة ثم ذكرت أسماء الملوك الآدميين (عهد الاسرات) - وهى تذكر مدة حكم هؤلاء الملوك بالسنين والشهور والأيام وقد وجدت هذه مطابقة تقريبا لما ورد فى الآثار فى بعض الحالات ومن أمثلة ذلك أنها ذكرت أن الأسرة الثانية عشرة ظلت تحكم مصر ٣١٥ سنة ولا تختلف آثار هذه الأسرة كثيرا عن ذلك حيث تدل على أنها حكمت نحو ٢١٣ سنة ، ومع هذا فإن هذه البردية لا تخلو أيضا من بعض أخطاء طفيفة (شكل ٢١) .

التاريخ والتقويم :

جرت عادة المصرى على أن يؤرخ الحوادث على حسب الزمن الذى وقعت فيه بالنسبة لحكم الملك المعاصر أى أن مدة حكم كل ملك كانت تقريبا قائما بذاته ، فمثلا يخبرنا سنوهى فى قصته أن الملك أمنمحات الاول توفى فى السنة الثلاثين من حكمه كما يلى :

السنة الثلاثين فصل الفيضان الشهر الثالث اليوم التاسع دخل الإله أفقه وطار أمنمحات إلى السماء واتحد مع الشمس ... الخ .



شكل ٢١ - جزء من بردية تورين

وقد استطاع المصري أن يتوصل إلى حساب الزمن حسابا لا يكاد يختلف عن حسابنا له إلا بقدر طفيف ، فقد لاحظ منذ أقدم العصور أن الفيضان يأتيه منتظما في كل عام وفي موعد معين - وحدث أن صادف أول يوم في الفيضان ظهور نجم الشعري اليمانية في المجال الشمسي وقت الشروق مع الشمس في الأفق الشرقي تجاه منفيس ، وربط المصري بين هذه الظاهرة وظاهرة الفيضان واعتبرها بداية السنة ، وراقب ظهور نجم الشعري اليمانية وجعل دورته السنوية وحدته الزمنية ثم قسمها على أساس الظواهر المتعلقة بنهر النيل وفيضانه إلى ثلاثة فصول : فصل الفيضان ، فصل الزرع ، فصل الحصاد - وكل من هذه الفصول قسمه إلى أربعة شهور متساوية كل منها ثلاثين يوما ، ولما كان نجم الشعري اليمانية يظهر

فى الأفق الشرقى كل ٣٦٥ يوما فإن المصرى أضاف خمسة أيام فى نهاية فصوله الثلاثة وسأها الشهر الشهر الصغير احتفل فيها بأعياد مختلفة أى أنه اعتبر السنة ٣٦٥ يوما - وحيث أن الشمس لاتظهر فى نفس موضعها السابق إلا كل ٣٦٥ يوما، أى أن السنة الشمسية تزيد على دورة نجم الشعرى اليمانية بمقدار $\frac{1}{4}$ يوم فإن ذلك قد أدى إلى اختلاط الأمر على المصرى وأحس به لأن السنة التى يعرفها كانت تنقص يوما عن السنة الشمسية فى كل أربعة سنوات ومعنى هذا أن نجم الشعرى اليمانية لايعاود الظهور مع الشمس فى الأفق الشرقى فى نفس اللحظة إلا كل $(٤ \times ٣٦٥ =)$ ١٤٦٠ سنة ، وقد ورد فى كراسة تلميذ من عهد الأسرة التاسعة عشرة مايدل على الحيرة من التباين بين التقويمين الشمسى والمصرى المبني على دورة الشعرى اليمانية حيث جاء فيها : خلطنى (يا إلهى) من السنة المضطربة . إن الشمس لم تمد تشرق فالاشتاء يحل محل الصيف وتسير الشهور القهقرى ، .

وقد لاحظ المؤرخون أن المؤرخ سانسيريون Censerion سجل ظاهرة إجتماع الشعرى اليمانية والشمس وقت الشروق سنة ١٤٠ م ومعنى هذا أن تلك الظاهرة حدثت قبل ذلك سنة ١٣٢٠ ق.م ، سنة ٢٢٨٠ ق م وهكذا - وقد قدر هؤلاء المؤرخون أن المصريين توصلوا إلى معرفة السنة على أساس ٣٦٥ يوما (دورة الشعرى اليمانية) منذ أن اجتمع هذا النجم مع الشمس فى الأفق الشرقى فى المرة السابقة لبدء العصر التاريخى على الأقل (حوالى سنة ٤٢٤٠ ق م) ، أى أن المصرى بدأ تقويمه منذ المرة التى حدثت فيها هذه الظاهرة قبل معرفة السكتانية وقبل

- ١ - عهد الدولة القديمة وهو حكم الأسرات ابتداء من الأميرة الأولى حتى الأسرة السادسة (٣١٠٠ - ٢١٨١ ق م) .
 - ٢ - عهد الفوضى الأول وهو يشمل حكم الأسرات السابعة إلى الحادية عشره (٢١٨١ - ٢١٣٤ ق م) .
 - ٣ - عهد الدولة الوسطى وهو يشمل حكم الأسرات من الحادية عشرة إلى الثالثة عشرة (٢١٣٤ - ١٧٨٦ ق م) .
 - ٤ - عهد الاضمحلال الثانى وهو يشمل الأسرات الثالثه عشرة إلى السابعة عشرة وفى خلاله حكم الهكسوس فى مصر (١٧٨٦ - ١٥٨٠ ق م) .
 - ٥ - عهد الدولة الحديثة أو عصر الامبراطورية وهو يشمل الأسرات الثالثة عشره إلى العشرين (١٥٨٠ - ١٠٨٧ ق م) .
 - ٦ - عصر الاضمحلال الثالث وحكم الكهنة والليبيين والنبتاويين وهو يشمل حكم الأسرات الحادية والعشرين إلى الخامسة والعشرين (١٠٨٠ - ٦٦٤ ق م) .
 - ٧ - عهد النهضة وهو يشمل حكم الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٤ - ٥٢٥ ق م) .
 - ٨ - عهد الفوضى الأخير وهو يشمل حكم الأسرات السابعة والعشرين إلى الحادية والثلاثين حيث بسط الفرس سلطانهم على مصر فى معظم هذه الفترة (٥٢٥ - ٣٣٢ ق م) .
- وما تجدر ملاحظته أن وجهات نظر المؤرخين تختلف فى تحديد

بداية ونهاية بعض هذه الأدوار ، كما أن بدء الأدوار لا يتطلب - بالضرورة وفي كل حالة - انتهاء حكم الأسرة التي كانت قائمة في الدور السابق ، وفي تتبعنا لهذه الأدوار إنما نأخذ برأى غالبية العلماء ، على أنه من الممكن أن نقسم التاريخ المصرى - قبل الثورة الحديثة - بأكمله إلى قسمين كبيرين : الأول قامت فيه مصر بدور إيجابى وهو يبدأ من أقدم العصور وينتهى بنهاية الدولة الحديثة والثانى قامت فيه بدور سلبى على العموم وهو يبدأ من نهاية الدولة الحديثة وينتهى بقيام الثورة الحديثة فى يولية سنة ١٩٥٢ التى تعد بداية القسم الثالث من التاريخ المصرى الذى بدأنا فى بنائه ونعيش فيه الآن ، فتاريخ الفراعنة على هذا الأساس يشمل القسم الأول وجزءا من القسم الثانى حيث قامت مصر بدورها الإيجابى معظم القسم الأول من تاريخها ثم عاشت فترة من القسم الثانى من تاريخها فى دورها السلبى وهذا التاريخ هو الذى سنقوم بدراسته وفق أدوار القوة والضعف التى سبقت الإشارة إليها .

١ - عهد الدولة القديمة

فى عصر ما قبل الأسرات اتحدت أقاليم مصر المختلفة فى إقليمين كبيرين أحدهما فى الوجه القبلى والآخر فى الوجه البحرى - وتشير بعض المصادر التى تعدتنا عنها فيما سبق (١) إلى حكم مارك من الآلهة وأنصاف الآلهة لهاتين المملكتين - وقد اختلفت الآراء بشأن التوحيد الذى قامت على أساسه الأسرة الأولى ويمكن مازلنا نأخذ بالرأى القائل بأن مملكة الوجه البحرى - قبل بداية العصر التاريخى -

(١) أنظر أعلاه ص ٧٤ - ٧٨

استطاعت أن تخضع مملكة الوجه القبلي ثم انفصلت هذه عنها ، إلا أن مملكة الوجه البحري عادت إلى القوة من جديد ووحدت البلاد للمرة الثانية ولكن الوجه القبلي انفصل مرة أخرى ثم أستطاع أن يظفر بالقوة وأن يقوم هو باخضاع الوجه البحري وأن يوحد البلاد التوحيد الثالث والآخر الذي قامت على أثره الأسرة الأولى .

ويبدو أن ملكا قبل مينا أو نعمر (الذى اصطاح المؤرخون على جعله مؤسس الأسرة الأولى وتضعه بعض القوائم على رأس الأسرات الفرعونية) حاول توحيد المملكتين وربما نجح فى ذلك بعض النجاح ويعرف هذا الملك باسم الملك العقرب إذ كتب لاسمه رمز يبين صورة هذا الحيوان إلا أن مينا أو نعمر كان صاحب الفضل فى أول توحيد قام على دعائم ثابتة .

ويصف بعض المؤرخين الأسرتين الأولى والثانية بأنهما تيمنيتان ويضعهما فى عهد قائم بذاته أطلقوا عليه اسم « العصر الثينى » نسبة إلى طينه Thins القريبة من أبيدوس وذلك لأنهم شاهدوا إختلافا واضحا بين حضارة هاتين الأسرتين وحضارة الأسرة الثالثة ، ولأن الاعتقاد كان سائدا بأن ملوك هاتين الأسرتين قد دفنوا فى أبيدوس واحتمال أن عاصمتهم كانت طينة - ولكن نظرا لأن التطور الذى حدث فى الأسرة الثالثة وإن كان عظيما بحيث يبدو الفرق واضحا بين حضارتها وحضارة الأسرتين السابقتين فإن هذا التطور يعد نتيجة حتمية لحياة الاستقرار التى سادت عصر هاتين الأسرتين ولا داعى لتمييزهما عن العهد التالى الذى يرتبط بهما ارتباطا وثيقا - كذلك أصبح من المشكوك فيه الآن أن ملوك

الاسرتين الاولى والثانية قد دفنوا في أيدوس ، وعلى هذا فان وصفهما بالاسرتين الثمينتين أصبح لا مبرر له - أما إذا دعت الحاجة إلى تمييز عهد هاتين الاسرتين عن العهد التالي له لما شهده هذا الأخير من تطور ضخيم في ميدان الحضارة فلا بأس من أن نطلق عليه الاسم الذي اختاره نفر قليل من المؤرخين وهو لاسم « عصر الاسرات الباكر » أو « باكورة عصر الاسرات » ، ومهما يكن من أمر فإننا سنتعتبر عهد الدولة القديمة يبدأ من عهد الأسرة الأولى وينتهي بعهد الأسرة السادسة وستتناوله بالدراسة على حسب الاسرات كما يلي :

الاسرة الاولى - مينا :

اختلف المؤرخون كثيرا حول شخصية هذا الملك - ومهما كان أمر هذا الاختلاف فإن غالبية الباحثين تنسب اليه توحيد مصر وأنه حول مجرى النيل وأنشأ في المكان المنتخف عن مجراه الأضلى عاصمة جديدة عرفت باسم منف أى الحائط الأبيض - ومن المرجح أنه قام بمسحوب ضد الليبيين والنوبيين واحتفل ببعض الاحتفالات الدينية وخاصة تلك التي تتعلق بمراسيم التتويج - ومن النصوص ما يشير كذلك إلى تشييده بعض المعابد ومن المحتمل أنه تزوج من الوجه البحرى من أميرة تدعى نيت حتب .

وربما كانت الإشارة إلى بناء العاصمة الجديدة منف بما يؤيد أن ملوك الاسرتين الاولى والثانية قد حكموا في هذه العاصمة وليس في طينه كما كان الإعتقاد سائدا من قبل وبالتالي يؤيد ما ذهبنا اليه من

عند وجود ما يبرر تسمية عهد هاتين الأسرتين بأسم العهد
الظني (١) .

جسر :

لم يكن هذا الملك أقل نشاطا من سلفه فقد عثر على اسمه منقوشا
على صخور جبل الشيخ سليمان^(٢) بالقرب من وادى حلفا ويبدو أنه
انتصر على أهل النوبة مما يوحى بأن ملوك الاسرة الأولى بدأوا فعلا
في الإحتكاك ببلاد النوبة بقصد تأمين حدودهم الجنوبية أو رغبة في
الاستيلاء على بعض حاصلات الجنوب .

جيت (وادجيت) :

وصلت مصر في عهد هذا الملك إلى درجة لا بأس بها من الرقى
فقد عثر على آثار من عهده يتجلى فيها الإتقان والروح الفنية العالية كما وجد
اسمه مكتوبا على صخور أحد الوديان التي تربط بين أدفو وساحل
تبحر الأحمر مما يدل على النشاط في إرسال البعثات التجارية أو بعثات
استغلال المحاجر والمناجم من منطقة الصحراء الشرقية .

دن

ظل هذا الملك يعرف باسم دن ، أو دأودمو ، ولكن النطق
الأول لاسمه يفضل على النطق الثاني^(٣) وقد استدل من الآثار

(١) أظر أعلام ص ٨٤

(٢)

Arkell, JEA 36, pp. 28 - 9

Sir A. Gardiner, Egypt of the Rharaoahs (oxford 1961) (٣)

pp. 401-2

التي ترجع إلى عهد هذا الملك على أنه كان عظيم النشاط إذ حارب البدو الذين في شرق مصر واحتفل بعيد جلوسه على العرش ، وقد اتخذ لقباً يرمز إلى اتحاد الوجهين برمزين جديدين هما نبات البوص (الغاب) للدلالة على الصعيد والنحلة (اليعسوب) للدلالة على الدلتا - وربما كان في ذلك ما يدل على حدوث اضطرابات تهدف إلى انفصال المملكتين فاستطاع أن يقضى عليها واتخذ هذا اللقب الجديد لتأكيد تمكنه من حكم البلاد بأجمعها وإعادة الوحدة إليها .

عديج ايب :

يبدو أنه حارب البدو كما يشير إلى ذلك حجر بلمو - وقد قام برحلة إلى مكان لم يتمكن المؤرخون من تحديده بعد . وانتصر عن سكان هذا المكان ، كذلك احتفل بعيد جلوسه على العرش وأمر بعمل أول إحصاء معروف في التاريخ كما قام ببعض الاحتفالات الدينية وتأسيس بعض المدن .

وقد تبع هذا الملك ملكان لا تشير آثارهما إلى ما يستحق الذكر وإن كانت الدلائل تشير إلى حدوث نزاع بين أفراد الأسرة المالكة انتهى بالإطاحة بها .

الأسرة الثانية :

لا ندرى هل كانت هذه الأسرة تمت بصلة القرابة إلى الأسرة السابقة أولاً ؟ والمهم أن ما نيثون بدأ أسرة جديدة يحتمل أنها نشأت على إثر حدوث نزاع عائلي في الأسرة الأولى أدى إلى زوال حكمها - وما زال تاريخ

الأسرة الثانية يشوبه بعض الغموض فجدول الملوك تشير إلى ثمانية ملوك على الأقل حكموا في هذه الأسرة .

وما تجدر ملاحظته أن ملوك هذه الأسرة لم ينتسبوا جميعا إلى إله رئيسي واحد فبعض الملوك لم ينتسب للإله حور الذي اعتاد الملوك أن ينسبوا إليه بما يوحي بحدوث بعض المتاعب أو الثورة على المعبود الرسمي أثناء حكم هذه الأسرة - فمن المعروف أن الإله حور كافي صاحب النفوذ في المملكة الموحدة وأن الإله ست كان صاحب النفوذ الأول في الصعيد ، وقد درج الملوك على عادة انتمائهم للإله حور إذ كانوا ينقشون رمز هذا الإله قبل أسمائهم للدلالة على أنهم ينتسبون إليه وبدأوا يهتمون بالعاصمة الشمالية منف ويستقرون فيها ، وربما كان ذلك سببا في إثارة كهنة الإله ست الذين شعروا بتضاؤل نفوذهم القديم فبدروا بذور الفتنة وأشعلوا نيران الثورة ضد هذه الإنجازات الجديدة مما جعل أحد ملوكها وهو برليب سن يحذف رمز الإله حور قبل لاسمه ويضع رمز الإله ست في مكانه أى أنه أعلنها صريحة بأنه ينتمى إلى الإله ست وليس للإله حور ، وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله حذف اسم هذا الملك من بعض قوائم الملوك باعتباره خارجا على عبادة حور وهو المعبود التقليدى الذى ظل الفراعنة في غالبية العهود يدينون له بالولاء .

ومع أن عهد الأسرة الثانية قد حفل بالإختلافات السياسية وربما بحدوث منافسات على العرش أيضا إلا أن التقدم فى مرافق الدولة لم يقف عنده عهد ففسد استقرت جذر الحضارة المصرية منذ عصر ما قبل الأسرات وأخذ الصناعات والفنانون ينهضون بما تخصصوا فيه وبلغوا

فى ذلك درجة كبيرة من الإتقان والرقي ، وقد بدأت صناعة التماثيل الملكية فى عهد أحد ملوكها ويدعى خع سخم .

التطور فى عهد الاسرتين الاولى والثانية

تدل الآثار التى أكتشفت من ذلك العهد على أن المصرى استعمل كل ما صادفه من أحجار مناسبة فى صنع الأدوات والأواني اللازمة له كما استعمل النحاس وإن كان ذلك بدرجة محدودة ، واستخدم العاج والأصداف فى تطعيم مصنوعاته الخشبية وارتقى بفن النسيج فتوصل إلى صناعة منسوجات دقيقة راقية وتدل آثارهم كذلك على أنهم تألقوا فى زينتهم وفى طعاهم إلى درجة الترف .

ومع أن مصر ظلت طوال عهدهما الفرعونية تنقسم من الناحية الإدارية إلى شطريها القبلى والبحرى (إشارة إلى المملكتين اللتين تكونتا فى عصر ما قبل الاسرات) إلا أن الملك خلال عهد هاتين الاسرتين كان مطلق السلطة فى كليهما وله صفة الألوهية إذ كان يعتبر صورة الإله الحية على الأرض وكان عليه يقع عبء الدفاع عن مصر وعليه رفاهية شعبه فبأمر بحفر الترع وإقامة الجسور وينشر العدالة بين الناس - يعاونه فى ذلك عدد كبير من الموظفين على رأسهم وزير ربما كان أصل اختصاصه أن يكون حلقة الاتصال بين الملك وبين موظفيه الذين كانوا ينقسمون من حيث الاختصاص إلى موظفين مخصصين بمملكة الجنوب وآخرين مخصصين بمملكة الشمال فمثلا كان هناك حامل أختام ملك الجنوب وآخر يحمل لقب حامل أختام ملك الشمال وكانا يرأسان بيت المال المزدوج أى بيت مال

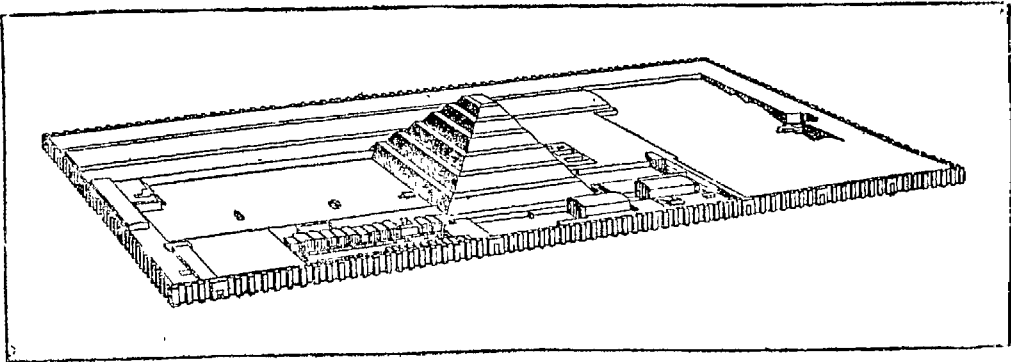
الجنوب وبيت مال الشمال - وفضلا عن ذلك كانت مصر تنقسم إلى مقاطعات يرأسها حكام أو أمراء ، يعاونهم على تصريف الامور فيها عدد من الموظفين الذين كانوا يعنون بتدوين إرتفاع الفيضان لتقدير الضرائب على الزراعة المحتملة ويقومون بعمل التعداد الذى كان يعمل كل سنتين - وكانت بكل مقاطعة هيئة تشرف على القضاء وعلى سائر الاعمال الإدارية وتشرف على عملية الإحصاء وتراقب الفيضان فكانت على الأرجح تجمع بين اختصاص المحلفين واختصاص أعضاء مجالس المدن أو المحافظات .

ولاشك أن المصرى قد عرف طريقه إلى بعض البلدان المجاورة منذ أقدم العصور وتبادل معها التجارة ، ولم يكن هذا التبادل ليتم طوعا في كل الأحيان بل كثيرا ما كان الحصول على سلع الجيران يتم عن طريق الإغارة عليهم أيضا .

الاسرة الثالثة :

بعد عصر الاسرة الثالثة بداية عصر بناء الأهرام ومن المحتمل أن زوسر وضع على رأس هذه الاسرة الجديدة (مع أنه كان ابنا لآخر ملوك الاسرة الثانية) نظر لما اشتهر به من همة ونشاط من جهة ، ولأن عصره يعد بداية تطور حضارى ضخم وخاصة في فن المعمار الذى تمثل في بناء أول هرم مسدرج في التاريخ من جهة أخرى - وكان الفضل في هذا البناء لوزيره لميمحنب الذى يحتمل أنه بدأ تقلده للوظائف منذ أواخر الاسرة الثانية ، وقد خلد اسمه في التاريخ إلى درجة أنه أله ابتداء من القرن السادس قبل الميلاد على الأقل إلى نهاية عهد البطالمة ، فقد كان إلى جانب شهرته

في ميدان الهندسة كبيرا اسكنة الشمس ورئيساً للمثاليين ومشرفاً على القصر
ونابغة في الطب حتى أن اليونان وحدوه مع إله الطب عندهم
(اسكاليبوس) ، وتتجلى عبقرية إيمحتب في إشرافه على بناء هرم سقارة
المدرج الذي شيده للملكة زوسر وهو يعد عملاً فريداً من حيث
أنه أول بناء ضخيم من الحجر ، ويسكفي للتدليل على عظمة مهندسة وعلو
كعبه في فنه أن تصور الوسائل البدائية التي كانت تستخدم في البناء
وقطع الأحجار ونقلها في هذا العهد السحيق ، فلاشك أن قدرة
إيمحتب على حشد العمدة الهائل من العمال اللازمين للعمل وتنظيمهم
قد بلغت أقصى حد - والهرم عبارة عن ستة مصاطب بعضها فوق بعض
وارتفاعه ستون متراً تقريباً والسور المحيط به والمباني الملحقة به يبلغ
طوله ٤٤٤ متراً وعرضه ٢٧٠ متراً . وقد عثر في دهايزه على أوان
من الأحجار مختلفة معظمها مهشم عن قصد وقد قدر عددها بنحو
٣٠.٠٠٠ آنية .



شكل ٢٢ هرم زوسر المدرج بسقارة وملحقاته

ولا يقتصر نشاط زوسر المعمارى على سقارة بل وجدت له آثار في جهات أخرى ، كما يبدو أنه عمل على تأمين البلاد من إغارات البدو وأرسل حملة لتأديب بدو سيناء وما ينسب إلى عهده أن مجاعة حدثت في البلاد بسبب توقف الفيضان عن الوصول إلى منسوبه المعتاد ، وبعد استشارة حاكم الإقليم الجنوبي من مصر أمر زوسر بأن توقف الاراضى الواقعة على جانبي النيل من جزيرة سهيل إلى قرب الدكة في بلاد النوبة للإله خنوم وبذلك عاد الفيضان - كما تشير القصة التي تحدثنا عن هذه المجاعة - إلى سابق عهده ولكننا لانستطيع أن نؤكد ما جاء في هذه القصة التي نقشت على صخور جزيرة سهيل لأن كهنة خنوم هم الذين دونوها في عهد البطالمة (١) وربما كان ذلك للاشادة بفضل إلههم والدعاية له .

سخم خت (زوسر الثاني) :

وجدت لهذا الملك ثلاثة نقوش في وادى مغارة بسينا ظل الاثريون إلى عهد قريب ينسبونها خطأ إلى ملك من الأسرة الأولى هو «سمرخت» كما أن اسم سخم خت كان ينطق سائخت ولسكن بعد اكتشاف هرمه المدرج في سقارة (بالقرب من هرم زوسر) سنة ١٩٥٤ تمكن الباحثون من قراءة اسمه

(١) كان التمس الذي يشير إلى قصة هذه المجاعة والذي نقش على صخور جزيرة سهيل ينسب إلى عهد بطلميوصر. المباشر و لكن أحدث الأراء تنسبه إلى عهد بطلميوصر الخامس (إيفان) أنظر Baraguet, " la Stèle du Famine a Sehel " (Bibl. d'Etudes, T 24) Le Caire 1953. p. 33 n.1.

على سدادت أواني فخارية عثر عليها بالهرم وعرف أن صحة قراءة اسمه « سمرخت » (١) .

وتاريخ هذه الأسرة يشوبه بعض الغموض وما زال عدد ملوكها موضع خلاف ، وقد قام حونى وهو آخر ملوك الأسرة بتحسين إلیفاتین لى يبدو أن الحالة على الحدود الجنوبية لم تكن مطمئنة فى عهده ، ومن الشخصیات الهامة التى عاشت فى أيام الأسرة الثالثة أحد كبار الموظفين ویدعى « متن » ، تدرج فى عدد كبير من الوظائف وكان من المعمرین حیث بدأ حیاته الوظيفية فى عهد زوسر وامتد به العمر إلى أوائل الأسرة الرابعة ، وقد نقلت مقبرته بأكملها إلى متحف برلین ومن نقوشها عرف الشىء الكثير عن التنظيم الإدارى للبلاد فى ذلك العهد .

الأسرة الرابعة :

تكاد المصادر التاريخية تتفق جميعها على عدد ملوك هذه الأسرة ویبدو أن العرش انتقل إليها من الأسرة الثالثة عن طریق المصاهرة فؤسسها « سنفرو » تزوج على الأرجح من ابنة حونى وبذلك أصبح صاحب حق شرعى فى اعتلاء العرش .

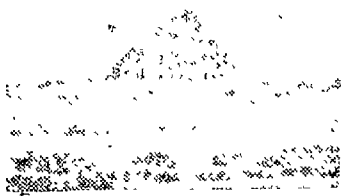
سنفرو

امتاز هذا الملك بالنشاط إذ أنه قام بحملة إلى النوبة وأخرى إلى ليبيا جلب منها عددا كبيرا من الأسرى والماشية كما قام بحملة أو بضعة

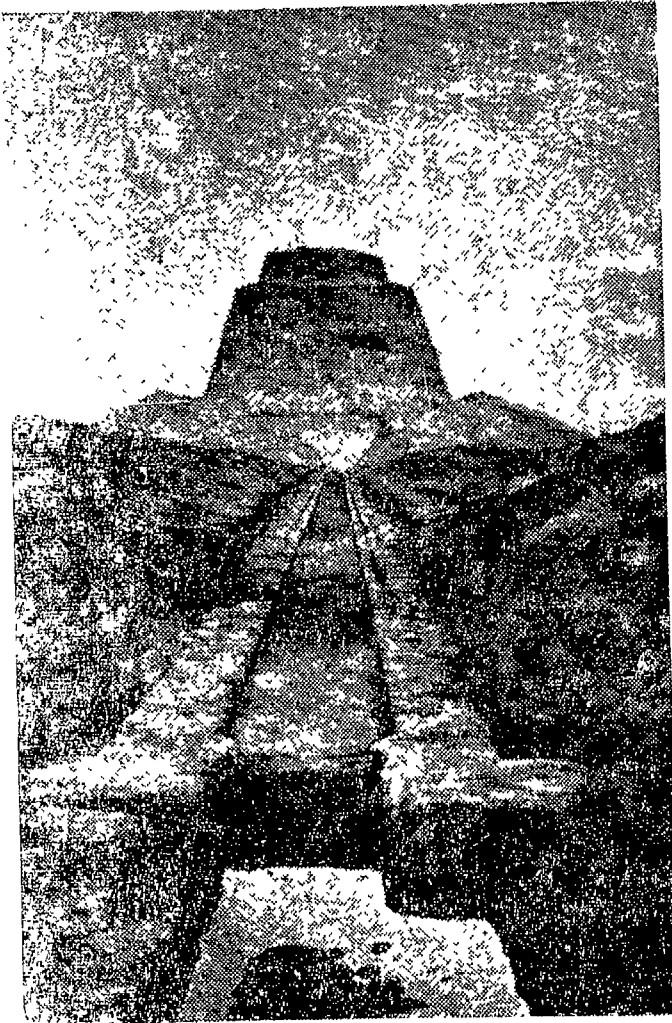
(1) I. Edwards, " The Pyramids of Egypt " (Pelican A. 168,) p. 80

حملات على سيناء إذ تمثله النقوش الصخرية في وادى مغارة وهو يقضى على أحد البدو - وربما كان الغرض من الإغارة على سيناء هو استغلال مناجم النحاس فيها - ويشير حجر بلرمو إلى أنه أرسل كذلك أربعين سفينة لإحضار كتل من خشب الأرز من لبنان ، وما يؤيد ذلك أن كثيرا من تلك الأخشاب قد عثر عليها في هرمه القبلي في دهشور - ومن المرجح أن أعماله الحربية وإرساله السفن إلى لبنان قد جعلته حاكما مرهوب الجانب ، ومع هذا فقد كان ملكا عطوفا رحيا كما يستدل على ذلك من كثير من النصوص التي أشارت إليه ولذلك آله بعد موته بنحو ستائة عام .

وقد جرت العادة على أن ينسب إلى هذا الملك هرمين في دهشور أحدهما الهرم المنحني الذي يعرف لدى العامة باسم الهرم الكاذب (شكل ٢٣) ، كما ينسب إليه هرم ثالث هو الهرم الناقص في ميدوم (شكل ٢٤)



شكل ٢٣ - الهرم الكاذب (أو المنحني) في دهشور



شکل ٢٤ - هرم میدوم

الذى كان ينسب أصلا إلى حوفى آخر ملوك الأسرة
الرابعة (١) .

وقد اشتهر عهد الأسرة الرابعة عامة وعهد سنفرو بصورة خاصة
بتقدم الفن ، ومن بين القطع الرائعة الموجودة في المتحف المصرى وتنتمى
إلى هذا العهد تماثيل « رع نفرت » وزوجها « رع حتب » الذى يرجع أنه
أحد أبناء سنفرو - كما تدل رسوم مقبرة الأميرة « نفر معات » وخاصة
رسم مجموعة الأوز المعروف باسم أوزميدوم على مبلغ ما وصل إليه الفن
من رقى ، كذلك كان الأثاث الجنىزى للملكة حتب حرس (زوجة سنفرو)
الذى وجد مسكدا فى بئر قريبة من هرم ولدها خوفو من أروع ما عثر
عليه من آثار الفراعنة - ومن المحتمل أن هذه الملكة كانت قد دفنت
أولا فى دهشور بالقرب من زوجها سنفرو ولكن لصوفا سطوا على
مقبرتها واكتشف أمر هذه السرقة فنقلت المحتويات الباقية فى المقبرة
إلى تلك البئر المشار إليها بما فى ذلك تابوتها الذى عثر عليه الأثريو
خاليا رغم أن غطاءه كان محسبا فوقه ولذا يرجح أن أمر سرقة جثثة
الملكة قد أخفى عن ولدها خوفو .

وحكم سنفرو نحو أربعة وعشرين عاما سادت البلاد فيها مظاهر الغنى

(١) قارن أحمد فخري « مصر الفرعونية » (القاهرة ١٩٥٧ س ٦٧ - ٦٩ ،

Sir, A, Gardiner, op. cit, p. 78; I. Edwards. op. cit.,
pp. 114-115.

والرفاهية وأصبحت مملكة وطيدة الأركان يديرها موظفون مدربون، ومن بين هؤلاء « متن ، الموظف الذى سبقت الإشارة إلى أنه تدرج فى وظائف الدولة فى عهد الأسرة الثالثة ، فقد عاصر هذا الموظف ملوكها ابتداء من عهد زوسر ولم يمت إلا فى عهد سنفرو .

خوفو :

تلا والده سنفرو على العرش وأفاد من الاستقرار والنظام اللذين وضع أسسها والده فنعم بحكم وطيد هياً له الفرصة للقيام بأعمال ضخمة حيث عثر على اسمه فى كثير من الجهات بسينا .

ويبدو أن التجارة بين مصر وفينيقييا كانت مزدهرة منذ عهد الأسرة الثانية ولكنها نشطت فى عهد الأسرة الرابعة حيث وجدت أحجار من معبد أقيم فى بيلوس (جيبيل) تحمل اسم خوفو ، مما يوحى بوجود جالية مصرية أقامت فى هذه المدينة للتجارة .

ويشتهر خوفو ببناء هرم الجيزة الأكبر الذى خلد اسمه فى التاريخ إذ أنه كان أحد عجائب الدنيا (١) ، وقد فاق هذه العجائب جميعاً فى أنه الوحيد الذى ظل قائماً حتى الآن — ومن ضخامة هذا الهرم يتضح لنا

(١) عجائب الدنيا السبع التى اشتهرت فى العلم القديم هى : أهرام مصر ، حدائق بابل المعلقة ، معبد أرتيميس (إلهة الصيد لدى اليونان) فى أفيوس ، تمثال زيوس الذى أُنشده فيدياس ، الموزيلوم (مقبرة موزولوس ملك الكارين) فى هايلكارناسوس ، وتمثال هابوس الله الشمس فى رودس ، منارة الاسكندرية على جزيرة فاروس .

فإن تشييده تطالب عددا هائلا من العمال والمهندسين وأنه استغرق عدة سنين ، ويذكر هيرودوت أنه سمع من الكهنة أن العمال الذين أستخدموا في البناء كانوا مائة ألف عامل يعملون ثلاثة أشهر في العام وأن عملية البناء استغرقت نحو ثلاثين عاما ، وهو يصف خوفو بالقسوة ونسب إليه أنه سخر شعبه في بناء مقبرته ، وقد وجدت هذه الفكرة صدى لها لدى الكثير من المحدثين ولكننا لو تأملنا ظروف مصر في ذلك العهد لو وجدنا أن بناء الهرم بهذا الوصف كان - على النقيض مما ذكره هؤلاء - عملا إنسانيا حيث أن الزراعة في مصر كانت تتعطل مدة الفيضان ، وفي هذه الفترة من كل عام كان الفلاح يعيش في شظف من العيش ويتعذر عليه الحصول على القوت فكان قيامه بالعمل في بناء مقبرة الفرعون لقاء غذائه وكسائه مما يساعده على تحمل أعباء الحياة في تلك الفترة من السنة ، كما أنه لاشك كان يرحب باشتراكه في عمل من أجل مليكة الذي يعتبره إلها ويغتنب لذلك مـمـها كلفه من جهد ووقت ومازلنا نرى حتى الآن أن المصرى المعاصر يتحمس لدينه ويتفانى في العمل من أجل رفعتة.

والهرم الأكبر وقت بنائه كان يرتفع ١٤٦ متراً ولكن جزءا منه تهدم فأصبح إرتفاعه الآن حوالى ١٣٧ مترا وهو يشغل مساحة قدرها ١٢ فدانا تقريبا واستعملت في بنائه نحو ٢٣٠.٠٠٠ كتلة من الحجر متفاوتة الوزن - ولقد قدر بعض الرياضيين أن هذه الأحجار لو قطعت لى قطع صغيرة حجم كل منها قدم مسكب ووضعت متلاصقة لا يمكن أن تغطى خطأ يبلغ طوله نحو ثلثي محيط الكرة الأرضية عند خط الاستواء . هذا ولم يتم بناء الهرم على أساس تصميم واحد بل غير التصميم

الأصلي أثناء العدل - ولفرط ضخامته ودقة بنائه والإحساس بإعجازه كثيراً ما يربط بعض الناس بين الأحداث العالمية التي حدثت فيها سبق والتي يتكهنون بأنها ستحل بالعالم وبين أطوال الهرم وزواياه ويؤكدون وجود علاقته وثيقة فيما بينها وأن هذا الهرم مستودع عجيب للأسرار ، ولما كل ما يذكر في هذا الصدد عبارة عن وهم خاطيء مبنى على الخرافة وليس له أى أساس علمي صحيح .

ولاشك أن خوفو قد وفق إلى أبعد حد في المحافظة على هبة الملكية ومراعاة النظام إذ لم يعثر من عهده على تماثيل للأفراد بل ولم يعثر له هو شخصياً إلا على تماثيل صغير لا يتجاوز ارتفاعه عشرة سنتيمترات تقريباً ، وربما كانت إقامة التماثيل في نظره قاصرة على الآلهة فقط وعلى الملوك باعتبارهم يمثلين لهم في الأرض أو أكبر كهنتهم - وتتجلى مراعاة النظام والدقة في عهده فيما نراه من انتظام مقابر المقربين من أهله ورجال بلاطه وكبار الموظفين حول هرمه في صفوف مترابطة تفصلها طرقات مستقيمة وكلما كان صاحب المقبرة أقرب إلى الملك كلما كانت المقبرة أقرب إلى الهرم وهكذا - وقد عثر على مقابر كثيرة لم يتم بناؤها ولم تنقش جدرانها كما أن بعضها محيت من نقوشها أسماء أصحابها مما يوحي بأن خوفو تزوج بأكثر من زوجة وأن الأبناء اختلفوا فيما بينهم وحدثت مؤامرات حول العرش .

ولا بد أن عنصراً من دم شمالى أوليبي وفد إلى مصر في ذلك الحين أو أن البيت المالك المصرى تصاهر مع أفراد من هذا العنصر على الأقل لأننا نجد مقبرة من مقابر جبانة الجيزة في عهد خوفو حوت

رسوما وتمائيل لصاحبتها « مرسعينخ » ووالدتها وهما تلبسان ملابس تختلف عن ملابس المصريات ولون شعرهما أشقر مشوب بالحمرة كما أن عيونهما زرقاء .

كذلك لابد وأن نفوذ كهنة رع أخذ يزداد ابتداء من عهد خوفو على الأقل، كما يستدل على ذلك من دخول اسم رع في تركيب أسماء أبناء خوفو والإشارة في القصة المعروفة في الأدب المصرى باسم قصة خسوفو والساحر د ددى، إلى زيادة نفوذ هؤلاء الكهنة حيث تذكر القصة أن الساحر أخبره بأن أبناء أحد كهنة رع سيتولون العرش بعد أن يحكم ابنه ثم حفيده من بعده وهذه القصة وردت في بردية تعرف باسم بردية وستكار .

ددف رع !

يبدو أن ولي العهد الشرعى مات في عهد والده خوفو فتولى ددف رع الذى يحتمل أنه كان ضحية لمؤامرة من المؤامرات إذ أنه لم يستمر فى الحكم أكثر من ثمانية أعوام ويبدو أنه خرج على بعض التقاليد المألوفة لأنه لم يشيد هرمه بالقرب من هرم والده وخلفائه بل بنسائه فى أبو رواش .

خفرع :

تولى العرش بعد أخيه ددف رع وبني هرمه خلف هرم أبيه فى الجزيرة وهو يبدو أعلى من الهرم الأكبر ولكنه فى الواقع مشيد على ربوة أكثر ارتفاعا من تلك التى بنى عليها هرم خوفو، ويعد هذا الهرم ومجموعة المباني الجزرية المحيطة به أكمل ما عثر عليه من مجموعات جزرية

كما أن التماثيل التي عثر عليها وخاصة تماثله المصنوع من حجر الايوريت تعد آية من آيات الفن المصرى التي وصل فيها فن النحت الى القمة .

وينسب تماثال أبو الهول إلى خفرع ويرجح أنه كان عبارة عن صخرة كبيرة كانت تعترض الطريق الموصل بين المعبد الجنزى القائم في شرق الهرم وبين معبد الوادى المقام على حافة الهضبة فاستغلت هذه الصخرة في تجميل المنطقة ونحتت في شكل تماثال هائل على هيئة أسد رابض رأسه في صورة رأس خفرع - وقد عبد هذا التماثال فيما بعد على اعتبار أنه رمز لمعبود آسيوى كان يدعى « حورون » وعرف المسكان الذى أقيم فيه باسم « بوحول » وهو الذى حرف إلى الإسم الحالى « أبو الهول » ومن بين الأسماء التي عرف بها « شسب عنخ » أى « الصور الحية » أو « التماثال الحى » وهذا الإسم هو الذى حرفه اليونان إلى كلمة اسفنكس "sphinx" التي مازالت تستعمل في اللغات الأجنبية الى الآن .

منقرع (منكاورع) :

مازال الاختلاف قائماً بين المؤرخين حول تتابع ملوك الأسرة الرابعة فمنهم من يرى وضع « ددف رع » سالف الذكر فى نهاية الأسرة بدلا من أن يكون تاليا لخرفو ، وبالمثل يظن فريق من المؤرخين أن منكاورع لم يخلف والده خفرع فى اعتلاء العرش مباشرة وإنما سبقته مدة لم يستقر فيها الحكم تمكن فيها واحد أو اثنين من إخوة خفرع من تولى العرش فيها .

ومبها كان الامر فإن منكاورع حكم نحو ٢١ عاما أو أكثر ومع هذا لم يتمكن من اتمام هرمه الصغير ومجموعته الجزية فأتمها ابنه شبسكاف -- ويبدو أن مبانى أسلافه كانت عبيدا كبيرا على الخزانة وكذلك كانت المنازعات الداخلية ولذا تأثرت حالة البلاد الاقتصادية في عهده .

وحيثما فتح هرمه سنة ١٨٣٩ عثر فيه على تابوت الملك ومنه نقل إلى سفينة تسمى أوريجون لتحملة إلى إنجلترا ولكن هذه السفينة غرقت بما فيها أمام شواطئ أسبانيا .

شبسكاف :

تولى بعد والده منكاورع ولكنه لم يعيش بعد ذلك أكثر من أربعة سنوات ، ويظهر أنه واجه خلال حكمه القصير نفوذ كهنة رع الذى أخذ يشتد منذ عهد خوفو على الأرجح (١) - وربما أراد شبسكاف أن يتخلص من نفوذ هؤلاء الكهنة بدليل عدم تشييده لمقبرته (التى بناها فى سقاره) على هيئة هرم لأنه الشكل الذى يرتبط بعبادة الشمس (رع) بل جعل مقبرته فى هيئة تابوت كبير وهى تعرف حاليا باسم مصطبة فرعون - ومن المرجح أن محاولته هذه لم يكن لها من نتيجة سوى التعميل بنهاية الأسرة .

(١) أنظر أعلاه ص ١٠٠ .

خنت كاواس :

يحتمل أنها كانت زوجة شبسسكاف وشهدت محاولته في الحد من نفوذ الكهنة ولكن من المرجح أنها كانت ذات أثر كبير في نهاية حكم الأسرة الرابعة لأنها بعد وفاة شبسسكاف لم تستطع القبض على زمام الأمور حيث يبدو أن نزاعاً حدث حول العرش، وتمكن أحد أفراد الأسرة المالكة ويدعى «بتاح ددف» من الاستيلاء على الحكم ولكنه لم يستمر سوى عامين تمكن بعدها وسركاف، من اعتلاء العرش مؤسساً الأسرة الخامسة - وهذا الأخير يرجح أنه لم يكن من البيت المالكي، وتشير قصة خوفو والساحر ددى إلى أنه كان رئيساً لكهنة رع (إله الشمس) قبل أن يعتلي العرش، وقد تزوج خنت كاواس التي أنجبت منه «ساحورع»، نفر إيراكارع، اللذان خلفاه على العرش ولو أن القصة المشار إليها تذكر بأنها أخواه وليس ولديه.

الأسرة الخامسة :

تمتاز هذه الأسرة بأن ملوكها كانوا من أتباع (رع) وقد نشروا نفوذ هذا الإله إلى درجة جعلت ديانتته ذات أهمية كبرى طوال العصور الفرعونية التالية بعد أن كانت عبادة قاهرة منطنة هليوبوليس فقط — وقد سبقت الإشارة (١) إلى بردية وستكار التي كتبت في عهد الدولة الوسطى والتي تذكر قصة الملك خوفو والساحر ددى وهي تشير إلى أن هذا الساحر أخبر الملك بأن كاهنا لإله الشمس في هليوبوليس واسمه « وسرع » سينجب ثلاثة أبناء سيكون أكبرهم رئيساً لكهنة الشمس

(١) أنظر أعلاه ص ١٠٠.

ثم يعتلى العرش ويتلوه بعد ذلك أخواه وأن الملك قد انزعج لذلك ولكن
 "أحر ظمأنه بأنه سيستمر على عرشه وسيتلوه ابنه في الحكم ثم ابن ابنه
 كذلك ، وبعدئذ يأتى هؤلاء الذين أشار إليهم الساحر من قبل (أى
 أبناء كاهن إله الشمس الثلاثة) - ومن المرجح أن هذه القصة من قبيل الدعاية
 لشكينة الشمس لاتنا لانجد أى دليل على أن أوسركاف كان قبل اعتلائه
 لعرش يشغل وظيفة كبير كهنة عين شمس .

وسركاف :

كان لورع هذا الملك أثره فى نشاطه الدينى فقد قام بتشيد المعابد
 فى مختلف أنحاء مصر وبني هرمأ فى سقارة عثر فى معبده على تمثال صختم
 من الجرانيت لهذا الملك ، ومن المرجح أنه أول من بنى معبداً للشمس
 فى أبو صير - وقد حكم نحو سبعة أعوام ثم تلاه على العرش
 أخوه ساحورع .

ساحورع :

هو أول ملوك الأسرة الخامسة الذين بنوا أهرامهم فى أبو صير
 وكان هرمه صغير الحجم غير متقن البناء نسبياً بينما كان معبده فخماً زينه
 بأعمدة من الجرانيت تاج كل منها يمثل حزمة من النخيل ، وقد صور
 على جدران هذا المعبد لوحات بها مناظر تمثل انتصاره على
 الليبيين وعلى الآسيويين ومن بينها ما يشير إلى رحلة بحرية إلى فينيقيا ،
 ومناظر سفر الأسطول وعودته لاتدل على أن هذه الرحلة كانت حملة
 حربية ولذا لانستطيع أن نلبن الغرض الذى من أجله أرسل الأسطول
 فى هذه المهمة .

ويشير حجر بلرمو إلى أن هذا الملك أرسل حملة إلى بونت وأن هذه الحملة عادت ومعها مقادير كبيرة من البخور والذهب ، وأعواد الخشب ، التي ربما كانت عبارة عن قطع من الأبنوس - ومن نقش صخرى قرب بلدة توماس (ببلاد النوبة) يمكن أن نستنتج أنه أرسل كذلك حملة إلى الجنوب .

وهكذا نجد أن عهد هذا الملك امتاز بنشاط خارجى عظيم خرجت فيه مصر عن عزلتها واحتكت بجزائرها ، ومن الأدلة على ذلك ما شاهدته في مقبرة أحد أشرف عهده في دشاشه من مناظر حربية منها ما يمثل كيفية استيلاء المصريين على أحد الحصون في آسيا .

نفر اير كارع :

بدأ هذا الملك بتشيد هرم له أكبر من هرم أخيه ولكنه مات قبل أن يتم جميع أجزاء المجموعة الجزئية المحيطة به - ويعرف عن هذا الملك أنه كان متدينا طيب القلب إذ يسجل حجر بلرمو الأوقاف التي منحها للألهة في السنة الأولى من حكمه ، كذلك نعلم أنه أصدر بعد ذلك مرسوما يحمى حقوق المعابد ويرعى مصالح رجال الدين بما يوحي بأن سلطان الكهنة أخذ في الازدياد وربما كان هؤلاء قد استغلوا طبيته وتدينه فعملوا على زيادة نفوذهم وسلطانهم .

وبما يدل على شدة عطفه على موظفيه ورجال حاشيته أن وزيره « واش بتاح » كان يشرف على بناء إحدى المنشآت الملكية وسقط مغشيا عليه أثناء زيارة الملك للمكان فأمر بنقله حالا إلى القصر وحاول أن يجد له علاجا ولكنه مات فأمر بأن يصنع له تابوت من خشب الأبنوس

المطمع كما أمر بأن يحفظ أمامه - ولم يقتصر على ذلك بل عين ولده
الأكبر في بعض الوظائف الكبرى .

كذلك تبين دماثة خلق هذا الملك وشدة عطفه بما أظهره نحو أحد
رجال حاشيته ويدعى «رع ور» - ففي أحد الاحتفالات كان «رع ور»
هذا ينف إلى جوار الفرعوى وحدث أن لطمت عصا الفرعون ساق
«رع ور» دون قصد فدعر الملك لذلك واعتذر عما بدر منه وأمر بتدوين
الحادث ليكون ذلك «شهدا على مكانة هذا الشريف عنده» - وقد
تولى بعد هذا الملك ملكان لم يتركا آثارا هامة ومن بعدهما تولى
الملك التالي .

نى أو سرور :

حكم هذا الملك أكثر من ثلاثين عاما وبني هرما ومعبد الشمس في
أبو صير تدل نقوشه على أنه قام بحروب في سوريا وضد الليبيين
وإن كان بعض الآثرين يميل إلى أن هذه المناظر مستوحاة من مناظر
معبد ساحورج سالف الذكر .

وقد عثر في سقارة على مقابر هامة كثيرة من عهد هذا الملك تعطى
نقوشها فكرة واضحة عن الحياة الاجتماعية في ذلك العهد .

من كماو حور :

اعتلى العرش بعد «نى أو سرور» وقد حكم نحو ثمانية أعوام
وتشير بعض النقوش في وادى مغارة إلى أنه أرسل حملة إلى سينا -
وقد شيد هرما لنفسه ولكن لم يعثر عليه حتى الآن (١) .

(١) أحمد نجوى «المرجع السابق» ص ١٠٥ هامش .

اسيى (زكارع) :

لا يقل حكم هذا الملك عن ثمانية وعشرين عاما ويبدو أنه كان نشطا قويا أمن حدود بلاده إذ أن نقوشا تحمل اسمه وجدت في توماس بالنوبة وفي وادى مغارة بسيناء وفي وادى الحمامات - وتدل نصوص الرحالة حرخوف الذى عاش فى عهد الأسرة السادسة على أن أحد رجال هذا الملك ويدعى « بأورد » استطاع أن يجلب له قزما من بلاد بونت فكافأه من أجل إحضاره ، وهذا بما يؤيد وجود نشاط مصرى تجارى على الأقل مع الأقطار الجنوبية - وقد كشف عن هرم هذا الملك ومعبدته وأهرام بعض أفراد أسرته وبما عثر عليه فى هذا المعبد تماثيل لبعض الحيوانات وبعض الأسرى الأجانب ، ويبدو أن الدولة فى عهده حفلت بالكثيرين من مشاهير الرجال ومن بين هؤلاء الحكيم « بتاح حتب » الذى أشرف على تربية هذا الملك وكان من بين كبار الموظفين فى عهده - وحين تقدمت به السن استأذن الملك فى اعتزال الخدمة ، فلما أجب إلى طلبه كتب تعاليمه لولده الذى خلفه فى وظيفته ، وقد أصبحت هذه التعاليم ثروة أدبية عظيمة القيمة وخاصة لما تحويه من مثل أخلاقية عليا .

اوناس :

آخر ملوك الأسرة الخامسة وإن كان بعض المؤرخين يرى اعتباره أول ملوك الأسرة السادسة لأن بعض النغيرات الجهرية قد حدثت فى عهده وكان ، « تبتى » الذى خلفه على العرش وفيأ له فآتم مالم يستطع لإتمامه من مبانئه بما يوحى بوجود صلة قوية بينهما .

ومن أهم ما حدث فى عهد أوناس ذلك التجديد الذى حدث

نقوش الأهرامات ، فبعد أن كانت النصوص الدينية لا تكتتب على جدران الحجرات الداخلية بدأت هذه النصوص منذ عهد أوناس تكتتب على جدران الحجرات الداخلية وحجرة الدفن وأصبحت هذه النصوص تعرف لدى الأثريين باسم نصوص الأهرام :

وقد كشف عن جزء كبير من الطريق الذى كان يصل بين المعبد الجنزى ومعبد الوادى لهرم أوناس ومنه أمكن أن نستنتج أن هذا الطريق كان مسقوفا بالأحجار وينفذ إليه الضوء خلال كوات بالسقف الذى زين بحيث كان يبدو فى هيئة السماء المرصعة بالنجوم ، أى أنه طلى بلون أزرق ومثلث فيه أشكال النجوم بلون أبيض - أما الجدران فقد نقشت بمناظر دينية ومدنية مختلفة ، فن النقوش الدينية مناظر تمثل الملك وهو يؤدى بعض الطقوس وبعض المناظر الأخرى التى تمثل الوراثة والحصاد والصيد فى البر وفى الماء ، والبعض يبين بعض خطوات العمل فى بناء المعبد ونقل الجرانيت إليه فى سفن تسير فى النيل ، كذلك نجد بعض المناظر التى تشير إلى حدود مجاعة وإلى وفود بعض الأجانب إلى مصر .

وقد حكم أوناس ما يقرب من ثلاثين عاما بما يوحى باستقرار الأمور ، ولكن يبدو أن نفرذ ملوك الأسرة الخامسة كان قد أخذ فى الاضمحلال وأدى ذلك إلى انتقال الحكم إلى أسرة جديدة - فن المعروف أن الأسرة الخامسة جاءت من نسل كهنة هليوبوليس أو بإيجازهم ولذا كان من الطبيعى أن يقدوا الهبات وأن يكثروا من الأوقاف

على المعابد، وازداد ثراء الكهنة وسلطانهم وبالتالي أخذت سلطة الملوك المطلقة تقل وبدأت قبضتهم تتراخى عن الشؤون الإدارية وخاصة في الأقاليم حيث تمكن أمراؤها من الحصول على كثير من الامتيازات وتطورت أفكار الشعب عامة بما كان له أكبر الأثر في عصر الأسرة السادسة التي لاندرى كيف انتقل الملك إليها ولا الأسباب التي أدت إلى ذلك .

الأسرة السادسة

سبق أن أشرنا إلى غموض بداية هذه الأسرة - ولا نعرف صلة « تيتي » الذي يعده غالبية المؤرخين مؤسس الأسرة السادسة بملوك الأسرة الخامسة وإن كان من المرجح أنه كان يمت لبعض أفرادها بصلة القرابة أو على الأقل تزوج بأميرة تنتمي إلى هذه الأسرة - ويبدو أن ملوك الأسرة الجديدة أرادوا التخلص من نفوذ الإله رع فانصرفوا إلى « بتاح » إله منف .

تيتي :

يظهر أن هذا الملك أسرف في عداته الإله رع أو أنه كان مقتصباً للعرش حيث يذكر مانيشون أنه لم يمت ميتة طبيعية بل قتله حراسه بعد حكم دام نحو ستة أعوام على الأرجح وقد دفن في هرمه الذي شيده في سقاره .

وسر كارع :

تولى بعد تيتي ولكنه لم يستمر في الحكم إلا مدة قليلة ، ويبدو أنه كان مقتصباً للعرش لأنه لم يذكر في قائمة سقارة ولم يعترف به مانيشون

ومع أنه (كما يتضح من اسمه) كان في الغالب من أتباع «رع» إلا أنه مالا كهنه بتاح إذ بنى هرمه في منف مركز عبادة هذا الإله - ولا بد أن كهنه بتاح استطاعوا أن يثبتوا في الميدان أمام كهنه رع وأخذ نفوذهم يزداد إلى درجة كبيرة فانتشرت الأسطورة التي تنسب إلى بتاح خلق الكون .

بيبي الأول :

يبدو أن المتاعب التي تعرض لها البيت المالك منذ نهاية عهد الأسرة الخامسة ظلت مستمرة في عهد هذا الملك أيضا - فمع أنه حكم نحو خمسة وعشرين عاما نعمت فيها مصر بشيء من الرخاء والازدهار وارتقت فيها الفنون - فإن حياته العائلية تعرضت لبعض المؤامرات حيث يشير «أوني» الذي كان من أكبر موظفي الدولة في عهد الأسرة السادسة إلى أن الملك عينه بين المحققين الذين أسند إليهم التحقيق مع زوجة الملك فيها نسب إليها. (١)

وقد سبقت الإشارة إلى أن سلطان الملوك المطلق أخذ يتزعزع وربما شعر بذلك بيبي الأول وأراد أن يعمل على توطيد مركزه إذ رأى زيادة نفوذ أمراء الأقاليم وحاكم المقاطعات فصاهر إحدى عائلات الصعيد القوية حيث تزوج من ابنة أمير منطقة أيديس التي أنجب منها ولده وخليفته على العرش «مري إن رع» - ومن المحتمل أن والده

(1) Sethe, Urkunden I, pp. 100 - 101

هذا الامير توفيت وهو صغير فتزوج والده من شقيقةتها وهذه أنجبت ولداً آخر تولى العرش بعد أخيه .

ويبدو أن عهد بيبي الاول شهد نشاطا من بعض العناصر المجاورة لمصر وخاصة في الشمال وربما كانت هذه العناصر من بدو سيناء وجنوب فلسطين استطاعت أن تهدد الحدود المصرية (1) وقد استطاع بيبي الاول أن يتخلص من تهديد هذه العناصر حيث تمكن قائده « أونى » من جمع جيش كبير من الوجه القبلى ومن النوبة قضى به على المتاعب التى تهددت مصر في الشمال .

ولابد أنه أكثر من تشييد العماير ونشط في إرسال البعثات لاستغلال المحاجر والمنساجم حيث عثر على كثير من نقوشها في مختلف الجهات . ولما مات بيبي الاول كان ولده « مري إن رع » فى السابعة من عمره تقريبا وولده الآخر « بيبي الثانى » فى الثانية من عمره تقريبا .

مري ان رع :

اعتلى العرش وهو صغير إذ كان فى نحو الثامنة عند وفاة والده - ومات بعد أن حكم فترة وجيزة تكاد لاتزيد على أربعة سنوات ، وأهم مانعليه من عهده جاءنا عن طريق نصوص الوزير أونى ، ومنها تدبين أن هذا الملك أمره بحفر خمسة قنوات فى منطقة الشلال الاول لتسهيل مرور

(1) Sir A. Gardiner, op. cit., pp. 95 - 98

السفن ، كذلك يشير أوني إلى أنه استغل أخشاب الاشجار في النوبة لعمل سفن كبيرة استغلها في شحن احجار الجرانيت اللازمة لبناء هرم الملك ، وإلى أنه أحضر تابوت الملك وغطاه من محاجر حاتنوب ، وتوحي هذه النصوص بأن الملك أو بالأحرى ديوانه شعر بخطر حكام الاقاليم فعين هذا الموظف النشط حاكما عاما على الوجه القبلي - ولم يكن لهذه الوظيفة مثل هذا الدور العملي في مراقبة حكام الاقاليم إلا في عهد هذا الملك لأن لقب حاكم الجنوب أصبح بعد ذلك لقباً شرفياً ولم تكن له قيمة عملية ؛ ويدل نصان في منطقة الشلال الأول على أن الملك ذهب إلى هناك بنفسه حيث تقبل خضوع زعماء بعض القبائل النوبية .

ولابد أن الاهتمام بالاتجار مع النوبة قد ازداد في عهد الأسرة السادسة إذ لاشك في أن مصر كانت تحصل على منتجات النوبة في أول الأمر عن طريق الرحالة والمغامرين ثم بدأت هذه التجارة تنتظم وأخذ ملوك الأسرة السادسة يعهدون بها لبعثات تجارية يرأسها أحد كبار الموظفين أو إلى أمير الأقليم الجنوبي من مصر (١) وهؤلاء كان الواحد منهم يلقب عادة بلقب يدل على رئاسة فرق من المرتزقة (٢) حيث يبدو أن عددا من هؤلاء أو من الجنود النظاميين كانوا يرافقون تلك البعثات

(١) أنظر كتاب المؤام « علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم » (الاسكندرية

١٩٦٢) ص ٢٩ - ٣٢ .

(2) H. Goedicke, J E A 46, pp. 60 - 64

لحمايتها . ومن أشهر رؤساء البعثات في ذلك العهد « حرخوف » الذي يعد عظم رحالة الدولة القديمة حيث وصل في أسفاره الى منطقة بعيدة تدعى يام (١) ، وقد بدأ أولى رحلاته في عهد هذا الملك وكان فيها يصاحب والده « اري »

بيبي الثاني

تولى العرش وهو في السادسة من عمره وكانت والدته أشبه بوصية على العرش في أثناء السنوات الأولى من حكمه ، ومن المرجح أن قوة الامير « جعو » (خال الملك) وعظم مركزه هي السبب في رعاية مصالحه كملك طفل ومصالح أمه الملكة الوالدة - وقد عاش هذا الملك الى أن بلغ من العمر أرذله ويكاد يجمع المؤرخون على أنه ظل يحكم نحو أربعة وتسعين عاما .

وأهم ماحدث في عهده توالى الرسائل التي كان يقوم بها أمراء الاقليم الجنوبي الى النوبة ووصلوا فيها الى مناطق لم يسبق للمصريين أن وصلوها من قبل ، ورغم النجاح الباهر الذي صادفوه في أول الامر فإن بعض الرحالة قد لقوا حتفهم في تلك البلاد فيما بعد مما يدل على أن هيبة مصر في أواخر عهد هذا الملك تعرضت الى الاستهانة بها

(١) مازال موقع هذا البلاد موضع بحث وإن كان من المثق عليه أنها تبعد جنوبا عن

الشلال الثالث أنظر D. M. Dixon, JEA 44, pp 40 ff

لأن ما أصاب البلاد من ضعف كان التوبيون يشعرون به دون ريب فبعض النصوص المتأخرة من عهده تشير إلى ذلك ، إذ يفهم منها أن التوبيين بدأوا يظهرون روح العداوة نحو مصر ولذا أخذ قواد القوافل يستميلونهم بالهدايا (١) .

وربما كان وصول هذا الملك إلى سن الشيخوخة واستمراره مدة طويلة كحاكم ضعيف واهن بما أدى إلى ضعف سلطان الملك وانحيار الإدارة المركزية ، ولم يقدر لمصر أن يجلس على عرشها ملك قوى إلا بعد نحو مائتي عام حينما تأسست الدولة الوسطى إذ لم يتبع هذا الملك في الحكم من ملوك الأسرة السادسة إلا « مري ان رع الثاني » الذي لم يحكم إلا سنة واحدة ثم تبعه على العرش « نيت لإقرت » التي ذكرها مانثون باسم « نيتوكريس » ، ولم تبق هي الأخرى إلا نحو عامين ثم اندلعت نيران الثورة في البلاد وانتهت بذلك الدولة القديمة .

ولم يكن التوبيون وحدهم هم الذين يشعرون بما ينتاب مصر من ضعف بل إن بعض العناصر الآسيوية المجاورة كانت هي الأخرى تشعر بالحالة الداخلية في مصر ، ومن المرجح أنها كانت ترقبها دائما وتتحين الفرص للاغارة على الدلتا أو على الأقل تحاول الهبوط إلى أراضي الوادي الغنية للاستقرار فيها .

(١) يمكن تتبع ضعف مصر في هذه الفترة من نصوص الرحالة الذين ذهبوا إلى النوبة في عهد بيبى الثاني أنظر كتاب المؤلف السابق ذكره ص ٣١

٢ - عصر الإضمحلال الأول

ما أن دبت عوامل الضعف في كيان الدولة المصرية في عهد الأسرة السادسة حتى أخذت بعض العناصر الآسيوية المجاورة تنشر نفوذها في بعض أجزاء الدلتا، وما أن وافى عصر سيادة هيرا كليوبوليس (الأسرتين التاسعة والعاشر) إلا وأصبحت الدلتا خارج نطاق النفوذ المصرى وخاضعة للآسيويين .

وقد سبق أن أشرنا إلى الثورة التي نشبت في نهاية عهد الأسرة السادسة ، فما أن انتهت هذه الأسرة حتى عمّت الفوضى وبدأ العصر الذى يعرف باسم « عصر الإضمحلال الأول » ، أو « عهد الفوضى الأول » ، وبذلك لما أصاب مصر أثناء ذلك العهد من فوضى واضطراب حيث يبدو ذلك واضحا في نصوص بعض البرديات التي تصف ذلك العصر ، ومن هذه بردية ترجع إلى بداية هذه الفترة عرفت لدى الأثريين باسم « تحذيرات حكيم (١) » ، وهى على لسان شخص يدعى « لابيور » ، وفيها يصف ما آلت إليه حالة البلاد من قلب في الأوضاع الاجتماعية و« ما ورد فيها : إن اغنيات العازفين تحولت إلى أناشيد حزن وقتل الرجل أخاه وسلب اللصوص المارة و« صار الفقراء يروحون ويغدون في القصور دون استحياهم

Sir A. Gardiner, " The Admonitions of an Egyptian (1)
Sage, " (Leipzig 1909).

أو خجل بعد أن ذبحوا الموظفين . وهكذا تشرذم الاغنياء وساد الفقراء وأصبح الناس في ذعر ولم يعد هناك راع مسئول ... الخ ، ، وتشير بردية أخرى - من عهد الأسرة العاشرة وتعرف باسم قصة الفلاح الفصيح⁽¹⁾ - إلى ظلم صغار الموظفين للناس ولكنها من جهة أخرى تدل على تطور اجتماعي كبير إذ نجد فيها أن الفلاح في شكواه لرئيس الديوان يحذره من عدم العدالة مدكرا لإياه بأنه سيحاسب على ذلك في آخرته ، ولم يعثر في وثائق الدولة القديمة على ما يدل على أن أحدا من العامة كان يجرؤ على مخاطبة نبيل أو عظيم يمثل هذا الأسلوب والوعى ، ولا بد أن ذلك قد نتج عن الثورة التي حدثت في أعقاب الأسرة السادسة .

ولاشك أن أثر هذه الثورة كان عميقا من الناحية الفكرية فقد حفل الأدب بموضوعات شتى تبدو فيها النزعة الفلسفية من جهة وروح القنق التي سادت في أعقابها من جهة أخرى وتبين من هذه الموضوعات أن المجتمع نفسه لم يكن غافلا عما كان يسوده من مساوئ بل كان هناك شعور غام بها ، ومن المرجح أن أهل هذا العصر أو عقلائهم على الأقل كانوا يحاولون التخلص من تلك المساوئ ويعملون على إصلاح ما فسد من الأمور إذ تصور لنا إحصدي البرديات⁽²⁾ حواراً شيقاً دار بين شخص كان يرغب في الانتحار وبين روجه التي كانت تحاول اقناعه بالتخلي

Vogelsang, Kommentar zu den Klagen des Bauern (1)
(Leipzig 1913).

Berliner Papyrus der Mittleren Reiches 1879., (2)
Erman, Die Literatur des Aegypten. (Leipzig 1923),
pp. 122 ff; JE 42, p. 21ff

عن هذه الفكرة بينما يرد عليها بما يفيد أنه ضاق بحياته وبرم بها ، ويمكن أن نستشف من هذا الحوار صورة ما أحاط هذا الشخص من ظروف فاسدة جعلته لا يقبل الحياة بالرضى والتفاؤل - كذلك نجد في مقبرة أحد ملوك الأسرة الحادية عشرة منظرا (٢) لحفل يغنى فيه ضارب العود للمدعوين أغنية تحض على الاستمتاع بالحياة قدر الإمكان ، ولا بد أن هذه الأغنية ترجع إلى عصر سابق للأسرة الحادية عشرة أى أنها من صميم الفترة التي نحن بصددنا وخاصة لأنها تشترك مع البردية التي تصور حوار الشخص (الذي سُم الحياة) مع روحه في التعريض بما وراء الموت كما أنها يثيران الشك فيما سيلقاه الموتى من مصير .

ولم يقتصر التطور الفكري على الناحية الأدبية وإنما نلاحظ أثر ذلك في المعتقدات الدينية أيضا فقد كان الملك المتوفى يمثل الإله أوزير الذي جعلت منه الاساطير حاكما على عالم الموتى ، وكانت النصوص الدينية والتعاويذ التي تيسر للمتوفى مصاحبة إله الشمس في رحلته في العالم السفلي وتهدئه له حياة خالدة مع الآلهة في العالم الآخر قاصرة على الملوك وحدهم وقد أخذوا يدورونها في أهرامهم ابتداء من نهاية الأسرة الخامسة ، ولكن هذا الحق انتقل بعد ذلك إلى النبلاء والأشراف ، ثم أصبح كل ميت في عهد الدولة الوسطى يوحد مع الإله أوزير وأصبحت التعاويذ الدينية تنقش على توابيت الأفراد وعرفت هذه باسم نصوص التوابيت - ولا بد أن هذا التطور قد حدث نتيجة للثورة الاجتماعية حيث أخذت الفوارق الاجتماعية

بين الطبقات تخف حدتها ، وكل طائفة كانت تحاول الحصول على المزيد من الحقوق التي اكتسبتها . ولذلك لا يدهشنا أن نجد مقابر أفراد الطبقة الوسطى بل ومقابر الفقراء أيضا تفوق مثيلاتها في عهد الدولة القديمة من حيث الفخامة والتجيز إذ أنها حوت من الاثنيات الثمينة وخاصة من المصنوعات الذهبية نسبة أعلى بكثير مما كان مألوفا قبل ذلك ، أى أن توزيع الثروة أصبح يختلف عن ذي قبل ولم تعد الحياة كلها تتركز حول البيت المالك كما كان الشأن قديما .

ومن نصوص الأسرة العاشرة تطالعنا نصائح الملك خيتي لولده مري كارع (١) بما يشعرونا بأن الظلم والمحاباة كانا متفشيين وأن المجتمع كان سقيما فاسداً - وتذكر بردية تعرف ببردية « نفر - وهو » (٢) . بأن الملك سنفرو مؤسس الأسرة الرابعة طلب إلى أحد الكهنة أن يخبره عما سيحدث في المستقبل فعرفه بسوء حالة ما تصير إليه مصر وأن الذي سينقذها من هذه الحالة بعدئذ ملك يأتي من الجنوب أمه نوبية وهو يدعى « لاميني » ، واسكن من المرجح أن هذه البردية كتبت في أوائل عهد الأسرة الثانية عشرة وأنها كانت من قبيل الدعاية السياسية إذ أن اختصار اسم « امنمحات الأول » مؤسس هذه الأسرة هو « لاميني » .

ولا شك في أن أمراء الاقاليم أخذوا في زيادة نفوذهم منذ عهد

A. Volten, Zwei altägyptische politische Schriften (١)
(analecta aegyptiaca IV) (Copenhagen 1943).

Erman, op. cit., pp. 151 ff. (٢)

الأسرة الخامسة . وقد أحس ملوك الأسرة السادسة بهذا الخطر وحاول بعضهم العمل على تلافيه ولكن دون جدوى - وقد تغالى حكام الأقاليم فى إظهار سلطانهم ونزعتهم الانفصالية عن البيت المالك حتى أصبح حاكم كل إقليم يؤرخ الحوادث بالنسبة لتاريخ توليه زمام السلطة فى إقليمه أو مقاطعته ، ويبدو أن البيت المالك نفسه أصبح عاجزا لإزاء هؤلاء الحكام إلى درجة أنه لم يستطع عزلهم أو نقلهم كما أن معظم هؤلاء كانوا يتولون حكم أقاليمهم عن طريق الوراثة مما زاد من تمسكهم من السلطة ، وفى أغلب الأحيان كان الملوك يعملون على مرضاتهم بإغداق الهبات عليهم كما كانوا يضطرون إلى معاملة كبار الموظفين بالمثل حتى يضمّنوا ولاءهم جميعاً - وقد أدى ذلك بالطبع إلى زيادة ضعف الملوك وأصبح حاكم كل إقليم هو صاحب السلطان المطلق فيه وله جيشه الخاص وكذلك أسطوله أحيانا ، وكثيرا ما كانوا يستعينون بالمرتزقة وخاصة من النوبيين وتمثل فى نقوش مقابرهم مظاهر الترف والينخ التى كانوا ينعمون بها - ورغم أن كلا منهم كان يدعى بأنه أقام العدل وأصلح من شأن إقليمه بحيث كفل لمواطنيه السعادة والرفاهية وينفى وجود شيء من سوء النظام أو الاضطراب إلا أن شواهد الأحوال لا توحى باستتباب الأمور حيث أنه لا شك فى أن هؤلاء الحكام - وقد بهرهم السلطان تنافسوا فيما بينهم وأصبح كل منهم يحاول أن يوسع من رقعة إقليمه على حساب الآخرين وأخذ هذا التنافس يشتد وتحالف بعضهم ضد البعض الآخر إلى أن انحصر النزاع بين بيتين كبيرين « بيت إهناسيا » ، « بيت طيبة » وقد انتهى النزاع آخر الأمر بتفوق بيت طيبة

وبدأ عصر جديد من النهوض هو عصر الدولة الوسطى كما سنشير إلى ذلك فيما بعد .

الأسرة السابعة

يغلب على الظن أن هذه الأسرة أسطورية أى لم تكن هناك أسرة حاكمة على الإطلاق فقد ذكر مانيشون أن عدد ملوكها سبعين ملكاً حكموا سبعين يوماً فقط وربما كان يقصد أن سبعين حاكماً من الحكام فى الأقاليم المختلفة كانوا يتقاسمون السطة وكونوا ما يشبه هيئة حاكمة ولكنهم اختلفوا فيما بينهم فزال سلطانهم وانقضت هيئتهم الحاكمة سريعاً ، وقد يرجع زوال سلطانهم إلى عدم تقبل المصريين هذا النظام من الحكم فقاوموه بشدة إلى أن قضى عليه

الأسرة الثامنة

معلوماتنا عن هذه الأسرة ضئيلة وتختلف المصادر القديمة فى عدد ملوكها ، وعلى أى حال فإن أرجح الآراء تدل على أن الأسرة الثامنة لم تحكم أكثر من ثمانية وثلاثين عاماً وكان مقرها منف ولا نعرف عن حكمها إلا أسماء بعض ملوكها وبعض الإشارات العسيرة عن إرسال بعثات لاستغلال المحاجر أو إلى شمال بلاد النوبة .

وبداية الأسرة الثامنة ونهايتها غير معروفين ومن المرجح أن ملوكها أخذوا فى الضعف إلى درجة أن سلطانهم لم يكن ليتجاوز حدود إقليم عاصمتهم إلا لاسمياً - وقد نازعتهم فى نهاية الأمر أسرة قوية فى اهناسيا وأسرّة أخرى فى طيبة ، وقدر لامراء اهناسيا أن يدعوا للملكية

واعتبرهم المؤرخون مكوّنين للأسرة التاسعة ثم للأسرة العاشرة وكان يعاصرهم حكام طيبة الذين أسسوا الأسرة الحادية عشرة فيما بعد .

ملوك إهناسيا (الأسرتان التاسعة والعاشرة)

١ - الأسرة التاسعة

من المرجح أن أمراء إهناسيا كانوا على صلة بالبيت المالكي في منف أي بملوك الأسرة الثامنة ، فلما وجدوا أن ملوك هذه الأسرة قد ازدادوا ضعفاً في حين أنهم أصبحوا من القوة بحيث يمكنهم الوقوف أمامهم نازعهم هؤلاء سلطانهم ولما استفحل الأمر بين هذين البيتين الكبيرين انتهز الفرصة «خيتي الأول» وأعلن نفسه ملكاً في إهناسيا مؤسساً بذلك الأسرة التاسعة - ويروي مانثيون عن هذا الملك أنه كان ظالماً طاغيةً أصيب في أواخر أيامه بالجنون وانتهت حياته عندما فتك به أحد التماسيح .

ولا نعرف شيئاً عن ملوك الأسرة التاسعة ولا كيف بدأ النزاع بينها وبين الأسرة الثامنة في منف - وكل ما يمكن أن نذكره هو أن عدد ملوك الأسرة التاسعة كما ورد في بردية تورين هو ثلاثة عشر ملكاً حكموا ما يقرب من ١٠٩ سنة .

والظاهر أن هؤلاء الملوك استعانوا بحكام بعض الأقاليم لموازرتهم ولا شك في أنهم كانوا يخطبون ودهم ويريدون في امتيازاتهم ولذلك نجد أن الحالة تظل كما كانت في عهد الأسرة الثامنة ، أي أن حكام الأقاليم

كانوا شبه مستقايں يعتمدون على أنفسهم فى حماية أقاليمهم وظلت الدلتا خارج النفوذ المصرى ولم يتمتع الملوك فى واقع الأمر بسلطان خارج عاصمتهم إهناسيا اللهم إلا مجرد نفوذ اسمى فقط ، وظل الملوك على هذا الضعف إلى أن زال حكم هذه الأسرة وتلتها الأسرة العاشرة .

ب - الأسرة العاشرة

من المرجح أن ملوك هذه الأسرة كانوا خمسة فقط حكموا ما يقرب من ٨١ سنة وأنها وجدت - منذ ظهورها - منافسة قوية من أمراء طيبة ودارت بينهم وبين هؤلاء الأمراء حروب طاحنة أطاحت بسلطانهم وانفرد أمراء طيبة بالملك .

ومما تجدر الإشارة إليه أن المؤرخين مازالوا يختلفون فى عدد وترتيب الملوك الذين كانوا يحملون اسم خيتى بل ولم يجمعوا على ترتيب الملك خيتى الذى أسدى نصائحه المعروفة (باسم تعليمات الملك خيتى) لولده « مرى كارع » (١) ولكن يبدو أنه كان مؤسس الأسرة العاشرة وكان ملكا نشيطا أخذ يظهر الدلتا من عصابات البدو ومن النفوذ الآسيوى إلى أن استتب له الأمر ثم أراد أن يتخلص من أمراء طيبة فى الجنوب ونشبت الحرب بين الفريقين ، وكان أمراء أسيوط يعاونونه فانتصر على الطيبيين فى موقعة بالقرب من أيدوس إلا أن هؤلاء تمكنوا من أن يسترجعوا ما فقدوه وتقدموا شيالا حتى بلغوا حدود أسيوط .

(١) أنظر أعلاه ص ١١٨

وفي عهد « مري كارع ، خليفة « خيتي ، كان يحكم في طيبة حاكم قوي هو « منتوحتب الاول ، ، استأنف الحرب وقضى على أمراء أسيوط ثم تقدم شمالا واستولى على الأشمونين .

وفي عهد آخر ملوك الأسرة ، وكان يدعى خيتي أيضا ، عاودت طيبة هجومها على مملكة إهناسيا إلى أن قضت عليها وأخضعت مصر كلها لسلطانها فعادت الوحدة القديمة إلى البلاد ، وقد تم ذلك في عهد منتوحتب الاول « منتوحتب الاول ، ملك طيبة ولذا يمكن اعتباره المؤسس الحقيقي للدولة الوسطى .

ومن الملاحظ أنه لم يعثر على مقابر ملوك الأسرتين التاسعة والعاشر في إهناسيا ومن المرجح أن منف ظلت العاصمة الإدارية للبلاد بينما كانت إهناسيا تمثل مقر الملك فقط ولذلك دفن كثير من الملوك ورجال بلاط في جبانة منف - أما أمراء الأقاليم فقد ظلوا يدفنون بالقرب من عواصم أقاليمهم في مقابر منحوتة في الصخر .

الأسرة الحادية عشرة :

ذكرنا أن حكام الأقاليم ازداد نفوذهم منذ نهاية عهد الدولة القديمة وأصبحت وظائفهم تورث لأبنائهم . وقد اشتهرت من بيوت هؤلاء الحكام أسر في مناطق مختلفة منها أسرة نشأت في طيبة كان مؤسسها يدعى أنتف .

(١) أنتف الأول

لا يعرف الكثير عن هذا الملك قبل أن يعان نفسه ملكا ويتخذ
اللقاب الملكية ، ولكن من المرجح أنه حينما كان مجرد حاكم لإقليم
طيبة على صلات طيبة مع ملوك الشمال ، وكان إلى جانب إمارته للإقليم
كبيراً للمكتبة كما كان مسشراً عن حماية الحدود الجنوبية لمصر لأنه كان
يلتقي وحارس الحدود الجنوبية ، حيث يبدو أن الإقليم الجنوبية من مصر
كانت تكون اتحاداً فيما بينها بزعامة طيبة ، وربما كان هذا هو السبب
الذي من أجله منح هذا اللقب - ولا شك في أن انتقال الملك من الأسرة
التاسعة إلى الأسرة العاشرة وضعف هذه الأخيرة جعلاً أنتف يرى أنه
لا يقل قوة وأهمية في الملك عن ملوك الشمال فادعى الملك ووضع اسمه
في خانة ملكية وأحاط نفسه بحاشية ملكية ودفن في مقبرة كبيرة نحتت
في الصخر بجهة الطارف في البر الغربي للأقصر ، ولا بد أنه حظى بمكانة
عظيمة بين معاصريه بما كان له أثر كبير في تبجيله وتقديس ذكره فيما
بعد حتى أن سنوسرت الأول (٢) أقام تمثالاً لتخليده في معبد الكرنك
ونسب نفسه إليه على اعتبار أنه سلفه العظيم - ومع أنه أصبح يعرف
في التاريخ باسم د أنتف الأول ، فإن اسمه ورد في قائمة الكرنك دون
أن يوضع في خانة ملكية وإنما أشير إلى أنه د الحاكم والامير الوراثي
أنتف المبجل ، أي أنه في هذه الحالة ذكر على اعتبار أنه مؤسس الأسرة
الحادية عشرة فحسب .

(١) أصبح اسم أنتف يقرأ الآن أنيوتف Iniotef

(٢) ثاني ملوك الأسرة الثانية عشر .

انتف الثاني :

تولى الحكم بعد والده وكانت الأقاليم الخمسة الجنوبية من مصر خاضعة لسلطانه ، وظل في الحكم نحو خمسين عاما حاول خلالها أن يتوسع شمالا ولكن بيت إهناسيا استطاع أن يحمده من جهوده وخاصة لأن أمراء أسيوط كانوا حلفاء لهذا البيت ولا شك أنهم اشتركوا فيما نشب من حروب بين الفريقين كما نستدل على ذلك من نقوش أمير أسيوط « خيتي » الذي افتخر في مقبرته بأنه جمع الجنود وأعد فرق الرماة وأشاد بالأسطول ومع هذا لا نجد في العبارات المنقوشة بالمقبرة ما يدل على حرب صريحة أو وقائع معينة بين صاحبها « خيتي » والطيبين .

ويمكن تلخيص الحالة في مصر في تلك الاثناء بأن السيادة فيها كانت تتنازعها مملكتان : شمالية يحكمها بيت إهناسيا وجنوبية يحكمها بيت طيبة بينما كان بعض الأمراء الذين يحكون أقاليم داخل نطاق المملكة (وقد أحسوا بضعف ملوك إهناسيا) يورخون الحوادث بتاريخ حكمهم لأقاليمهم أي أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم مستقلين في أقاليمهم ومن هؤلاء أمراء بني حسن وأمراء البرشه .

ويبدو أن أطباع بيت طيبة في التوسع شمالا ظلت قائمة وتوالى محاولاتها في هذا السبيل حيث نجد أن « تف إيب » الذي أعقب والده « خيتي » في إماره أسيوط قد نقش في مقبرته ما يدل على حروبه مع الطيبين أعداء الملك بالقرب من أبيدوس وادعى بأن زعيم الطيبين وقع في الماء وتفرقت سفنه إلا أن معلوماتنا من مصادر أخرى كثيرة تدل

على أن طيبة قد انتصرت في هذه الحرب واستولت على الإقليم السادس (١) وبذلك وسعت رقعتها شمالاً .

ومن المرجح أن أنتف الثاني كان من الحكام الذين امتازوا بالدراية وحسن الإدارة نشيطاً إذ أقام بعض المباني ورهم بعض الهياكل المتداعية وبني لنفسه قبراً كان يعلوه هرم من الطوب وأقام أمامه لوحة نقش عليها منظر يمثله وأمامه خمسة من كلابه وهي الآن بالمتحف المصرى .

انتف الثالث :

طال حكم أنتف الثاني إلى خمسين عاماً كما ذكرنا فيما سبق (٢) فلما تبعه ابنه انتف الثالث ، كان هذا قد تقدم في السن فلم يبق إلا زمناً قصيراً ولا نعلم عن عهده شيئاً يذكر وربما كان تقدمه في السن سبباً في عدم إقباله على الكفاح فلم تتجدد المناوشات بين بيتى إهناسيا وطيبة في عهده .

(١) الإقليم السادس في الوجه القبلى كانت عاصمته دندره غربى النيل أمام قنا .
(٢) أنظر أعلام ١٣٥

٣ - الدولة الوسطى

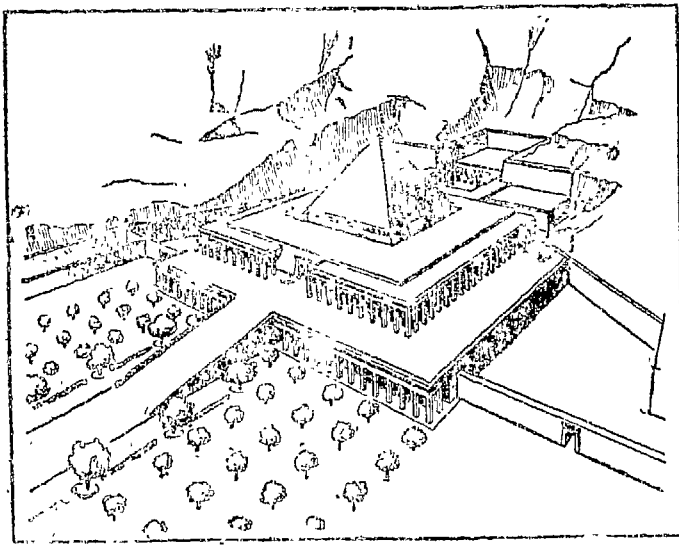
منتوحتب الاول :

اختلف المؤرخون كثيرا في شأن هذا الملك ولكن لاشك في أنه كان صاحب النصر الهأئى على بيت إهناسيا وتوحيد البلاد وبده عهد الدولة الوسطى .

فمن المرجح أن بيت إهناسيا أراد الاستيلاء على إقليم أيدوس وإعادة تربيته لمملكتهم وكان ذلك في عهد مليكهم خيتى الرابع ولكن الموقعة التى نشبت بين هذا الأخير وبين منتوحتب الاول بالقرب من أيدوس لم تسكن في صالح بيت إهناسيا إذ قتل د هرونفر ، أحد أبناء خيتى الرابع وانتصر منتوحتب ، وربما كان في انتصاره هذا إغراء كاف للتقدم شمالا ومواصلة الكفاح حتى تمكن في النهاية من القضاء على بيت إهناسيا وتوحيد البلاد تحت سلطانه ولا بد أنه قد بذل مجهوداً ضخماً لإخضاع سائر أنحاء مصر ، كما يرجح أنه حارب في الدلتا وفي الصحارى المتاخمة لمصر شرقاً وغرباً ضد البدو المقيمين فيها وأرسل بعض البعثات أرحلات إلى النوبة وبعثات أخرى إلى وادى سخامات لاستغلال المحاجر أو للقيام منه الى بونت .

وبعد أن استقرت الأمور وامتدت الامن في البلاد تفرغ منتوحتب الاول للأعمال العمرانية فبنى معبده الجنزى ومقبرته التى نحتها من تحته في الصخر بمنطقة الدير البحر في البر الغربى للأقصر (شكل ٢٥)

وهذه المجموعة الجنزية تعد فريدة في تصميمها وقد اقتبست عنها حتشبسوت (فى الأسرة الثامنة عشرة) فيما بعد حيث شيدت معبدها المعروف باسم « معبد الدير البحرى » بجوار هذه المجموعة ، وهو يشبه فى



شكل (٢٥) منظر تخيلى لما كانت عليه مجموعة متوحش الأول الجنزية

كثير من الوجوه معبد متوحش الجنزى - كذلك أصلح هذا الملك بعض الهياكل القديمة وأقام أخرى جديدة فى جنات مختلفة من القطر .

ويستدل من الآثار التى اكتشفت من هذا العصر وخاصة مقابر الأشراف وكبار الموظفين وزوجات الملك ومحظياته أن مصر قد تمتعت فى عهده بالامن والرخاء والرفاية وارتقت فيها الفنون والآداب ومن أهم ما اكتشف من هذا العهد رسائل كان قد كتبها أحد الأفراد ويدعى

« حقائق » لولده الأكبر واسمه « مرسو » يفهم منها أن الأب كان كاهنا لمقبرة الوزير « ابيبي » وكان من طبيعة عمله أن يدير الأوقاف التي أوقفها الوزير للانفاق على مقبرته ومن بينها ضيعةان بالقرب من منف ولذا كان يضطر للسفر الى هاتين الضيعتين تاركا لولده مهمة الإشراف على بيته وأملاكه وكان يرسل اليه تعليماته عن كل ما يتعلق بهذه الشؤون (١) - وقد ألفت رسائله هذه كثيرا من الضوء على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في هذا العهد.

ومن المرجح أن ولي عهده متوحيب الاول الذي كان يدعى « أتف » قد توفي في حياة والده فتولى من بعده ولده الثاني متوحيب الثاني .

متوحيب الثاني :

اتبع سياسة والده في التعمير فنشطت حركة البناء في الدلتا والصعيد وتقدمت الفنون في عهده - وقد أرسل بعثة إلى وادي حمامات برئاسة مدير البيت الملكي (رئيس الديوان ؟) وكان تعدادها ثلاثة آلاف شخص فلما وصلوا الى شاطئ البحر الأحمر صنعوا سفنا ذهبوا بها إلى بونت وعند عودتهم أحضروا معهم بعض الأحجار الممتازة في صناعة التماثيل اللازمة للمعابد. (٢)

Winlock, Bulletin of the Metropolitan Museum of Art, (١)
(1921 - 2) , pp 38 ff

J Couyant & Montet, Les Inscriptions hieroglyphiques et hieratiques du 'Ouadi Hammamat (Mem. Inst. Fr. 34—Le Caire 1912—3), No. 114.

ويبدو أنه لم يعمر طويلا إذ أنه حينما أراد أن يبني مقبرته ومعبده على غرار ماشيدة سلفه لنفسه لم يتمكن إلا من إعداد الأرض للبناء وتمهيد الطريق إليها ، والظاهر أن المنية وافته حينما بدأ حفر القبر وبعد أن وضعت بعض الودائع فى الأساس ، وعلى ذلك دفن فى مقبرة بسيطة أعدت على عجل .

وقد عثر على مقابر بعض العظام من عهده وهى تاقى - بما حوت - كثيرا من الضوء على نواحي الحياة المختلفة فى هذا العصر ومن أهمها مقبرة « مكنتى رع » التى حوت نماذج لسفن ومنازل ومصانع وفرق من الجيش وغير ذلك .

منتوحتب الثالث :

يبدو أن فترة من عدم الاستقرار حدثت بعد عهد منتوحتب الثانى حيث تمكن بعض الحكام من اغتصاب العرش لمدة سبعة سنوات تقريبا ، ثم تولى بعد ذلك منتوحتب الثالث الذى يحتمل أنه كان هو الآخر مغتصبا للعرش - ولم يعيش هذا الاخير طويلا بعد اعتلائه على العرش بل ويحتمل أن حكمه لم يزد كثيرا على عامين ، ومع ذلك فقد أرسل خلاله بعثتين لإحداهما إلى وادى حمامات بقيادة وزيره « امنمحات » (وهو الذى تولى العرش من بعده وعرف فى التاريخ باسم « امنمحات الأول » مؤسس الأسرة الثانية عشرة) ، وكان تعداد رجال هذه البعثة يفوق ثلاثة أمثال عدد أفراد البعثة التى أرسلت إلى تلك الجهة فى عهد منتوحتب الثانى ، وقد عادت هذه البعثة بعد أن أحضرت الأحجار

اللازمة فى تشييد بعض المعابد ولصنع تابوت للملك - أما البعثة الثانية فقد أرسلها منتوحتب الثالث إلى وادى الهودى (جنوب شرقى أسوان) لجلب كتل من الأماثيست (حجر نصف كريم) (١).

الأسرة الثانية عشر :

أشرنا إلى عدم الاستقرار الذى حدث قبل اعتلاء منتوحتب الثالث على العرش ولكن يظهر أن هذا الأخير تمكن من إعادة الأمن والهدوء إلى البلاد خلال حكمه القصير ، فلما انتهت الأسرة الحادية عشرة بموت هذا الملك لم تتأثر وحدة البلاد التى وضع أسسها منتوحتب الأول وعلى ذلك أتاحت الفرصة لمصر كى تقوم بنهضة شاملة جنت ثمارها فى عهد الأسرة الثانية عشرة - وربما كانت تلك القلاقل التى ظهرت فى أواخر عهد الأسرة السابقة من الأسباب التى أدت إلى ظهور طائفة من الرجال الأقوياء الذين تقاتلوا فى العمل على استتباب الأمن وتهيئة الظروف المواتية للرقى والنهوض وكان على رأس هؤلاء امنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة الذى كان وزيرا فى عهد الأسرة السابقة .

امنمحات الأول

سبق أن أشرنا الى نبوءة « نفرروهو » (أنظر ص ١١٨) ، وهى لاشك تدل على سوء الحالة فى أواخر عهد الأسرة الحادية عشرة ،

Dr. Ahmed Fakhry, "The Inscriptions of the Amethyst (١)
Quarries at wadi-el-Hudi, Nos. 1 ff, pp. 19-25.

وربما بلغت الحالة من السوء حدا جعل بعض العناصر الآسيوية تهدد شرق الدلتا - وكان تنظيم الأمور الداخلية في البلاد هو أول ما وجه امنمحات عنايته إليه فقام بتحديد الحدود بين الأقاليم المختلفة وأبقى كل أمير موال له في منصبه ، أما من حاول الوقوف في سبيله من أمراء الأقاليم فكان ينحيه عن منصبه ويولى بدلا منه أميرا آخر من يثق بهم ، ويبدو أن أمراء الأقاليم قد ارتضوا الوضع الجديد وقبلوا ما فرضه عليهم امنمحات الاول من شروط فأتيحت الفرصة للحكومة المركزية لأن تشرف على الشؤون الداخلية في الأقاليم المختلفة .

وما أن استقر الأمر لامنمحات الاول حتى قام بتحسين شرق الدلتا وغربها بعد أن حارب جماعات البدو التي كانت تغير عليها . ونقل العاصمة من طيبة إلى عاصمة أخرى في مركز متوسط وأطلق عليها اسم « إيثت تاوى » (أى القابضة على الارضين أى المهيمنة عليها) وهى قرب اللشت الحالية في شمال الفيوم ، ومع ذلك فقد ظل يهتم بطيبة وأقام بها المعابد تمجيدا للاله آمون إلهها المحلى وهو الذى أصبح الإله الرسمى للإمبراطورية المصرية فى عهد الدولة الحديثة ، ولم يقتصر نشاطه المعمارى على العاصمة وهى طيبة بل انتشرت آثاره فى كثير من جهات مصر وخاصة فى الفيوم وشرق الدلتا وسينا ، وقد بنى لنفسه هرما وبمجموعة جنزية فى اللشت ولكنه مع الأسف استعمل فى بناء هرمة كثيرا من الأحجار التى جاء بها من معابد ومقابر قديمة ومن بينها أحجار منقوشة لمعابد بعض ملوك الإسرتين الرابعة والخامسة (١)

(١) أحمد فخري « مصر الفرعونية » القاهرة ١٩٥٧ ص ١٧٢

رغم أنه نشط في استغلال المهاجر وأرسل البعث لجلب الأحجار
من وادي حمامات (١) .

هذا وقد أرسل بعض الحملات إلى النوبة واستطاع أن يخضع جزءها
الشمالي لسلطانه (٢) - أما سياسته تجاه أمراء الأقاليم فكانت تختلف
باختلاف الأحوال لأننا نجد أنه من جهة كان يخطب ود الكثيرين
من الأمراء (الذين كانوا على الأرجح من الأقوياء) حتى لا يثيروا المتاعب
إذا ما غفلت الحكومة المركزية عن نشاطهم بعض الوقت فأبقى
على ثرواتهم ونفوذهم بل وربما منحهم بعض الهبات أو المزيد
من الامتيازات حيث يبدو أثر هذا واضحا في المقابر العظيمة التي بنوها لأنفسهم
في أقاليمهم ويتمثل ذلك بصفة خاصة في إقليم بني حسن، ومن جهة أخرى
كان لا يتوانى عن استعمال الشدة مع بعض الأمراء الآخرين - والظاهر
أن عهده كان لا يخلو من المتاعب وخاصة في الجزء الأخير منه وربما كان
ذلك هو الذي دعا إلى إشراكه ولده سنوسرت الأول معه في الحكم
ابتداء من السنة العشرين من عهده بدء أن تقدمت به السن وعجز
عن مواصلة نشاطه في الخارج والداخل، ولذلك كان ولده هو الذي يتولى
أمر الحملات الحربية بينما ظل معظم النفوذ في يد هذا الملك الشيخ -
وكان البيت المالكي نفسه لا يخلو من وجود بعض الحماة الذين على الملك
أو الحاسدين لولى العهد كما يستدل على ذلك من النصوص المعروفة

Couyant & Montet, op. cit , No. 199.

(١)

Breasted, AR. I, §§ 472—3.

(٢)

باسم و نصائح امنمحات إلى ولده ، إذ أنه يوصيه فيها بما يجب عليه اتباعه في إدارة شئون المملكة ويحذره من حوله وألا يثق في أخ ولا يعتمد على صديق ويذكره بما تعرض له هو شخصياً ، ويوضح له كيف أنه على الرغم من عطفه على المحتاجين واليتامى والمساكين لم يسلم من أذى أولئك الذين أحسن إليهم إذ يقول في هذا الصدد : « الذي أكل طعامي هو نفسه الذي استطاع أن يحدث بواسطتها الفزع » - وتسترسل هذه النصائح في بيان كيفية تدبير مؤامرة إغتياله وهو مستقل على فراشه بعد أن تناول طعام العشاء وكيف تمكن من الدفاع عن نفسه - ولكن يشتم بما ورد في هذه النصوص أن المتآمرين نجحوا في إصابته إصابة قاتلة وإن كان من المرجح أنه لم يميت إلا بعد أن أملى هذه النصائح لكي تبلغ إلى ولده ، وفيها تبين ما كان يساوره من الأسى والألم لعدم تمكنه من القضاء على المتآمرين وهو يعدد ما قام به من جلائل الأعمال التي تتصف بالشجاعة والإقدام ثم يختمها بتحية ولده وتمنياته له بالتوفيق ويناشده عمل الخير والنشاط في إقامة المعابد القحمة .

وما يؤكد ماورد في هذه النصائح تلك النصوص المعروفة باسم « قصة سنوهى » ، (١) ، لأنها تروى أن سنوهى كان مع ولى العهد سنوسرت (الملك سنوسرت الأول فيما بعد) في حملة على ليبيا حينما وصل

(١) تناول كثير من الباحثين هذه الفصلا بالترجمة والتعليق ويمكن الرجوع في ذلك إلى :

Wilson ed. by Pritchard, Ancient Near Eastern Texts
[Princeton 1950] pp. 18—23.

رسول من القصر وأبلغ الأمير برسالة سرية عاجلة بأن الملك امنمحات الاول قد مات ، وقد أتيت الفرصة لسنوهى كى ينصت إلى الرسالة (ومن المحتمل أنه كان على علاقة مع المتآمرين) فخشى على حياته وفر هارباً إلى فلسطين حيث أقام هناك وتزعم لإحدى القبائل إلى أن وصل إلى سن الشيخوخة وحينئذ صدر أمر من السراى بالعمو عنه فعاد إلى وطنه - ويغلب على الظن أنه كان يمت بصلة القرابة لروحة الملك أو ينتمى إلى أحد أفراد البيت الملك ولذا صدر أمر العمو عنه بعد أن زال أثر المؤامرة من النفوس وخاصة لأنهم لم تنجح تماماً ، حيث يبدو أن المتآمرين كانوا يهدفون إلى القضاء على امنمحات الاول وإجلاس شخص آخر غير ولده سنوسرت على العرش أثناء قيام هذا الأخير بحملة ليبيا ولكن امنمحات رغم إصابته بالبله، ظل فترة على قيد الحياة تمكن فيها أعوانه من أن يمهّدوا السبيل لعودة ابنه سنوسرت وجلسه على العرش .

سنوسرت الاول

تابع سنوسرت الاول سياسة والده وتمكن من أن يحكم البلاد بخبرة ودراية إذ لم يكن حديث عهد بإدارة شئون البلاد حيث أن والده أشركه معه فى الحكم فى العشرة أعوام الاخيرة من عهده .

وكان سنوسرت نشيطاً طوال مدة حكمه التى بلغت نحو ٤٥ عاماً فقد أرسل عدداً من البعثات، إلى المحاجر والمناجم فى الصحارى المصرية والنوبة جلبت الفيروز والنحاس من سيناء والمرمر من حاتوب والاحجار الصلبة

والجرائيت من وادى حمامات وأسوان والذهب (١) من وادى عملاقى (فى صحراء النوبة السفلى الشرقية) والديوريت من محاجر صحراء النوبة الغربية على بعد نحو ٥٠ ميلا إلى الشمال الغربى من توشكى (٢) والاماتيسست (الجمشت) من وادى هودى (٣) كما أنه شيد كثيرا من المباني فى جهات مختلفة من الدلتا والصعيد وفى الفيوم والنوبة التى كان جزء كبير منها قد خضع للنفوذ المصرى حينئذ لأن الدولة الوسطى اتبعت تجاه النوبة سياسة تختلف عن تلك التى اتبعتها الدولة القديمة بشأنها ، فبينما كانت هذه تكتفى بإرسال بعثات تجارية للإتجار مع النوبيين وتعمل على حماية بعثاتها بإرسال بعض القوات العسكرية معها نجد أن الدولة الوسطى بدأت سياسة احتلال فعلى للنوبة حتى تتمكن من استغلال مواردها وفق مشيئتها من جهة ولكن تؤمن حدودها الجنوبية تأمينا مؤكدا من جهة أخرى وذلك لأن مجموعة من العناصر قوية الشكيمة الخليفة بالدعاء النوبية أخذت تتوغل فى النوبة شمالا وأصبح يخشى من تقدمها نحو مصر نفسها .

وبعد سنوسرت الأول بحق أول من اتبع سياسة حاسمة النوبة لأنه مد الحدود المصرية إلى وادى حلفا على الأقل وإليه ينسب تشييد ما لا يقل عن ثلاثة قلاع فى هذه الجهات .

(١) ربما كان هذا هو أول ذهب يأتى من النوبة إلى مصر حيث لم تشر إليه النصوص التى من عهود سابقة

(٢) عثر فى هذه المحاجر على أسماء الملوك خوفو ودف رع وساحورع وإسميسى من عهد

الدولة القديمة كذلك - أنظر ASA 33, pp.65 ff

A.Fakhry, op. eit., 20 ff ;nes. 6 ff (3)

وفي آخر حكمه أشرك معه ولده « امنمحات الثاني » لمدة ثلاثة أعوام
انفرد بعدها هذا الأخير بالحكم .

امنمحات الثاني

كان للنشاط الذي بذله سنوسرت الاول أثره في استتباب الامور
وأصبحت الحالة الداخلية في البلاد تمتاز بالامن والهدوء ، كما أن جهوده
في بلاد النوبة قد أوقفت المتاعب على الحدود المصرية فأفاد من كل ذلك
امنمحات ووطد صلاته ببحيران مصر حيث أرسل الهدايا إلى أمراء سوريا
وتلقى بعض الهدايا في مقابل ذلك - ورغم أنه لم يكن في نشاط والده
أو جده فقد أرسل البعثات إلى جهات مختلفة لاستغلال المناجم والمهاجر
أو لجلب بعض الحاصلات التي تحتاجها مصر وفي هذا السبيل وصل رجاله
إلى سينا والنوبة وبلاد بونت .

واتبع نفس السياسة التي نهج عليها والده وجده فيما يختص بإشراك
ولى العهد في الحكم فأشرك معه ولده سنوسرت (الثاني) في نهاية حكمه ،
ومن المرجح أن مدة هذا الحكم المشترك قد طالت إلى نحو
سنة أعوام .

سنوسرت الثاني

أفاد سنوسرت الثاني كما أفاد والده من قبل من الهدوء والسكينة
التي نعمت بها البلاد واتبع نفس السياسة الداخلية التي اتبعها والده ولكنه
بذره في قيامه بمشروعات رى كبيرة في الفيوم - والظاهر أنه اهتم بهذه
المنطقة اهتماما بالغاً فبنى هرمه قرب مدخلها ، وعثر في جوار هذا الهرم
عل مجموعة من مقابر الاميرات من أهم ما عثر عليه في إحداها

مجموعة كاملة من الحلى داخل صندوق موضوع فى فجوة بأحد جدران المقبرة وبذلك غاب عن أعين الصوص (١) .

ومن الكشوف الهامة التى عثر عليها فى عهده تلك القرية التى أقيمت للعمال والموظفين الذين كانوا مكلفين ببناء هرمه حيث أنها تعطينا فكرة واضحة عن تخطيط القرى فى عهد الدولة الوسطى وعن عمارة المباني المأددة للسكن .

وبما تميز به هذا العهد كذلك وفود بعض الساميين إلى مصر فن نقوش مقبرة « خنوم حتب » فى بنى حسن تثبت أن جماعة من الرجال والنساء والأطفال الساميين قدموا إلى مصر بزعامه شخص يدعى لإبشا (ى) للاستقرار فى شرق الدلتا أو بقصد الاتجار مع المصريين- وربما كان وفود وهؤلاء الساميين مقدمة لتغلغل النفوذ السامى فى مصر الذى بدأ بوضوح فى عهد الهكسوس .

هذا ولم يستمر سنوسرت الثانى طويلا فى الحكم وتبعه « سنوسرت الثالث »

سنوسرت الثالث

ظفر هذا الفرعون بشهرة كبيرة فى التاريخ لأن نشاطه الكبير من جهة وطول مدة حكمه من جهة أخرى أتاح له فرصة تشييد كثير من الآثار التى خلدت ذكره ، وكان اهتمامه البالغ ببلاد النوبة سببا فى تشييده لعدد كبير من العماثر بها فإليه تنسب أهم المعابد والحصون الحربية التى ترجع إلى عهد الدولة الوسطى ببلاد النوبة .

(١) أحمد فخرى « مصر الفرعونيه » (القاهرة ١٩٦١) ١٧٧ - ٨

والظاهر أن بعض العناصر المناوئة كانت قد أخذت تثير المتاعب في تلك الجهات فما كان منه إلا أن كال لها ضربات متتالية حتى أخضعها خضوعاً تاماً وشيد سلسلة من الحصون في مناطقها المختلفة ليضمن استمرارها في قبضته .

ولم تقتصر جهوده الحربية على التوبة وحدها بل نجده كذلك يوجهه حملة إلى فلسطين، وربما كانت هذه الحملة بسبب إغارة بعض القبائل الآسيوية أو بدو الصحراء المتأخمين لفلسطين إغارة مفاجئة على مصر فوجه اليهم هذه الحملة التي كسرت شوكتهم - ويحتمل أنه وجه كذلك حملة إلى ليبيا ، وأصبح سنوسرت بعد هذه الحملات بطلاً أسطورياً في نظر الأجيال التالية .

أما في داخلية البلاد فيبدو أنه لم يرض بالوضع القائم بالنسبة لامتيازات أمراء الأقاليم ولذلك جردهم من الألقاب التقليدية التي كانوا يورثونها لابنائهم كما جردهم من الكثير من امتيازاتهم وأصبحوا في عهده كموظفين عاديين - ومع أنه اهتم بالفيوم كأسلافه إلا أنه لم يشيد هرمه هناك بل شيده في منطقة دهشور، وقد عثر على بعض مقابر لأميرات بيته بالقرب من هذا الهرم عثر فيها على مجموعات عظيمة من الخلي .

وقد أشرك معه ابنه امنمحات الثالث فترة قصيرة توفى بعدها فانفرد هذا الأخير وحده بالحكم .

امتهجات الثالث

كان عهده أطول من عهد أى ملك آخر فى هذه الأسرة حيث ظل جالسا على العرش نحو ثمانية وأربعين عاما ومع هذا كان عهده عهد رخاء وطمانينة لأن حروب والده وإصلاحاته قد هيأت له تلك الظروف الملائمة فانصرف إلى الاعمال الداخلية ونهض بالكثير من المشروعات العمرانية حيث شيد كثيرا من المباني فى مختلف البلاد ونظم شئون الري ولذا وجه عنايته إلى منطقة الفيوم ، وأرسل بعثات متتالية إلى مناطق المناجم فى سيناء وإلى المهاجر فى وادى حمّامات وطره كما كان يستحضر الذهب من بلاد النوبة .

وبلغ من اهتمامه بشئون الزراعة أن سجل ارتفاع الفيضان فى معظم سنوات حكمه فى قلعتى سمّة وقه بقصد التصرف فى مياه النهر حسب ظروف الفيضان ووفقاً لما تقتضيه مشروعاته فى إصلاح بعض الأراضى وخاصة فى منطقة الفيوم .

وقد أقام هرمه إلى بالقرب من هواره وشيد إلى الشرق منه معبده الشهير الذى عرف فيها بعد باسم اللاپيرانك (١) - وقد عثر فى سنة ١٩٥٦ على مقبرة لإحدى بناته وتدعى « نفرويتاح » وجدت فيها ثلاثة أواني كبيرة من الفضة نقش عليها اسمها واسم والدها كما وجد تابوتها سليما ولكن المومياء

(١) سُمى كذلك لأنه كان يشبه قصر الملك مينوس فى كريت (الذى بناه ديد الوس) من حيث أنه كان فى تعدد حجراته يشبه التيه بصل الإنسان طريقة فيه .

تحملت بفعل مياه الرشح وكانت الحلى التي عشر عليها معها قليلة ، ويبدو أنها دفنت على عجل والظاهر أن الاحوال الداخلية أخذت في الاضطراب والتدهور .

امنمحات الرابع

اشترك مع والده في العام الاخير من حكمه ثم انفرد بعد ذلك بالعرش ولكنه لم يستمر إلا نحو تسعة أعوام ، والظاهر أنه لم يكن في نشاط أسلافه أو في مهارتهم السياسية والادارية - ومعلوماتنا عن عهده قليلة وإن كانت آثاره تدل على أنه أرسل بعثات إلى المهاجر والناجم في وادي الهودي وسينا وأنه شيد بعض العماثر في الفيوم وطيبة وغيرها .

ويبدو أن نجم الأسرة الثانية عشرة قد أخذ في الافول ، ومع هذا ظلت بلاد النوبة في قبضة مصر كما يتضح ذلك من وجود نقوش في قلعة قفة تسجل ارتفاع الفيضان في عهده ، والظاهر أنه لم يترك وريثا حيث خلفته ملكة تدعى « سبك نفروع » .

سبك نفروع :

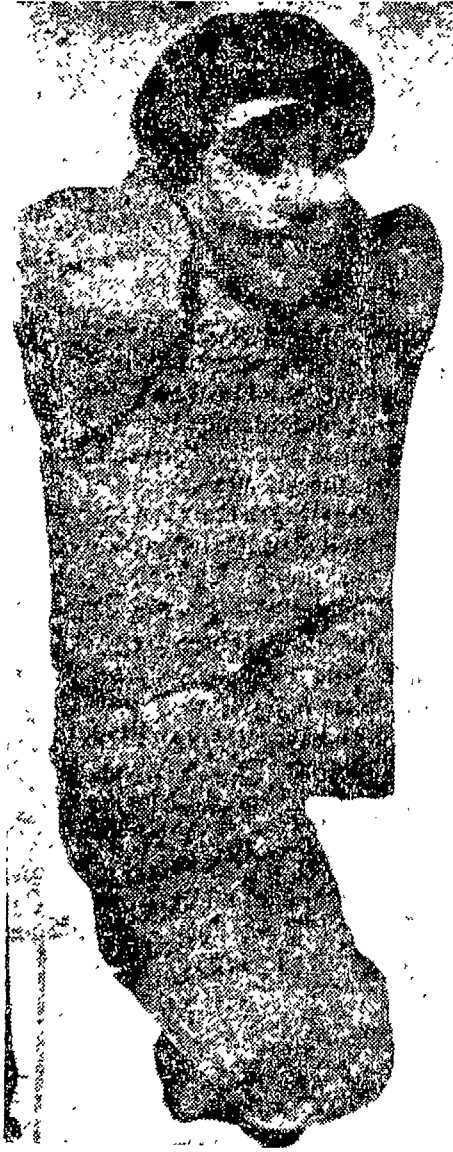
لا ندرى هل كانت هذه الملكة شقيقة لامنمحات الثالث وزوجة له في نفس الوقت أو أنها كانت أخته فقط ؟ وكل ما نعلمه عن هذه الملكة أن حكمها كان قصيرا لم يزد عن ثلاثة أعوام لإقليلا وأنها شيدت هرمها بالقرب من هرم امنمحات الثالث في هواره ، وقد عثر على بعض آثار أخرى لها بالقرب منه أيضا .

وباتمام عهد هذه الملكة انتقل الملك إلى الأسرة الثالثة عشرة ولا ندري شيئاً عن الأسباب التي أدت إلى ذلك، وربما كان هذا الانتقال نتيجة لحدوث اضطرابات داخلية أو المنازعات بين أفراد البيت المالكي أو أن آخر ملك في الأسرة الثانية عشرة لم يترك وريثاً للعرش كما لم يترك « سبك نفروع » التي تلتها في حكم البلاد وريثاً هي الأخرى .

وكانت الفترة التي أعقبت عهد الأسرة الثانية عشرة فترة ضعف حكمت فيها الأسرتان الثالثة عشرة والرابعة عشرة وبعدها تولى حكم مصر ملوك أجانب يعرفون باسم الهكسوس تعاقبوا في أسرهم ثلاث هي الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة ، وهذه الأخيرة كانت تعاصرها أسرة سابعة عشرة أخرى مصرية مقرها في طيبة - ومع كل فقد ظلت أصول الحضارة التي تميزت بها الدولة الوسطى ثابتة خلال تلك الفترة ولم يتناولها تغيير يذكر مما يمكن الدولة الحديثة أن تبلغ القمة في مضمار المدنية والرفق .

٤ - عصر الاضمحلال الثاني

سبق أن أشرنا إلى احتمال حدوث بعض الاضطرابات الداخلية أو المنازعات بين أفراد البيت المالكي في نهاية عهد الأسرة الثانية عشرة ويبدو أن هذه الحالة ظلت سيئة بعد ذلك ولم يكن الملوك من القوة بحيث يستطيعون القضاء على أعدائهم والتفرغ للنهوض بالبلاد إذ عثر



شكل ٢٦ - دمية فخارية دونت عليها نصوص سحرية معينة
واسم أحد أعداء الملك حطمت بقصد القضاء عليه

على كثير من الدمى والاولاى كتبت عليها أسماء بعض الذين يريد الملك أن يقضى عليهم بواسطة السحر - (شكل ٢٦) - وما تجمدر ملاحظته أن هذه الاسماء تضمنت أسماء لامراء ساميين ونوبيين إلى جانب أسماء الامراء المصريين ، مما يدل على أن أعمداء الملك الذين لم يكن ليستطيع القضاء عليهم بالقوة كانوا ينتمون إلى طوائف مختلفة ، وما لاشك فيه أن الحالة كانت سيئة بالنسبة لهؤلاء الملوك في داخل وخارج البلاد على السواء . (١)

الاسرة الثالثة عشرة

ربما كانت هذه الاسرة تمت إلى الاسرة الثانية عشرة بصلة ، وقد حكمت فترة لاتزيد كثيراً على خمسة وخمسين سنة - ولم نعر على آثار لبعض ملوكها ولكننا عرفنا أسماء الكثيرين من هؤلاء من بردية تورين وما ذكره مانيشون إلا أن هذين المصدرين فيما يبدو لم تسكن لهما دراية كافية عن هذا العصر .

ومن المحتمل أن ملوك هذه الاسرة كانوا يحكمون في منف وقد ترك بعضهم آثاراً في مناطق أخرى بل وامتد نفوذهم إلى بلاد النوبة ووجدت آثار لهم في خارج حدود المملكة منها بعض جيات لبسان إلا أن غالبية

(١) Posener, " Princes et Pays d' Asie et de Nubie " ,

(Bruxelles 1940)

ملوك هذه الاسرة كانوا ضعافا ، واما يؤيد ذلك أن بردية من هذا العهد تبين أن حاكم إقليم الكاب تنازل عن منصبه إلى أحد أقاربه في نظير مبلغ معين (١) ويدلنا هذا بالطبع على أن الاحوال كانت سيئة بصفة عامة وعلى أن الملوك لم يكن في مقدورهم الإحتفاظ بسطانتهم على أمراء الاقاليم حتى أصبح في إمكان هؤلاء أن يبيعوا مناصبهم - كذلك ينسب إلى الاسرة الثالثة عشرة ملك يدعى نحسى وصف في بعض النصوص بأنه « حبيب الإله ست معبود أو اريس » ، ولما كان ست هو المعبود الرسمي للمكسوس وأواريس عاصمة ملكهم فإنه لاشك في أن نفوذ هؤلاء قد أخذ في الظهور منذ عهد هذا الملك على الأقل ، كما يوحي اسم هذا الملك أيضا بأنه كان في نفس الوقت يمت بعهلة إلى النوبة وربما كانت أمه نوبية (٢) .

ومن المرجح أن أسرة قوية في غرب الداتا ادعت الملك أثناء حكم الاسرة الثالثة عشر - وهذه الاسرة القوية هي الاسرة الرابعة عشر التي كانت عاصمتها سخا .

وبما تجدر ملاحظته أن بعضا من الاسماء الغريبة غير المصرية وردت بين الاسماء الكثيرة التي ذكرت كملوك حكموا في هذه الفترة ، ومن هذه

(١) لوحة رقم ٥٢٤٥٣ بمتحف القاهرة

Rec. de Trav. 15, pp. 97-101

(٢)

ماهو ذو طابع ساسى مما يؤيد فكرة أن حكم الهكسوس جاء نتيجة لغلبة هذه العناصر فى مصر وتغالغل نفوذها أى أنه كان على الأرجح نتيجة لتغير الحكام أو القادة وليس نتيجة لغزوة ساحقة (١) .

هذا ومازال ترتيب ملوك الأسرة الثالثة عشر ومدى نفوذهم موضع خلاف حتى الآن .

الأسرة الرابعة عشرة ١

تعطينا بردية تورين قائمة طويلة بأسماء ملوك هذه الأسرة كما يذكر مانثون عدداً ضخماً لهؤلاء الملوك ويذكر مدة حكم لهم عدداً كبيراً من السنين ولكن يبدو أن هذه الأعداد جميعها مبالغ فيها كثيراً ، بل ومن المرجح كذلك أن هؤلاء الملوك لم يتمتعوا بنفوذ يذكر خارج حدود إقليمهم الذى كانت عاصمته سخا - وكانت الأسرة الثالثة عشرة تتدهور هى الأخرى إلى أن اضمحلت قوتها بما أدى فى النهاية إلى خضوع مصر للحكام الأجانب المعروفين باسم الهكسوس .

الهكسوس

بالرغم من أن حدود الدلتا الشرقية كانت محصنة في عهد الدولة الوسطى فإن بعض العناصر السامية كانت تدخل إلى مصر من حين إلى حين إما للتجارة وإما للاستقرار ، ويبدو أن الامر لم يكن ليثير رغبة المصريين مادام هؤلاء القادمين مسالمين - وقد سبق أن أشرنا إلى الجماعة الآسيوية التي قدمت إلى مصر في عهد سنوسرت الثاني ومثلت على جدران مقبرة «خنوم حتب» (١) ، والجدير بالذكر أن إبشا (٢) زعيم هذه الجماعة كان يلقب بلقب «حقا خاسوت» أي «حاكم البلاد الاجنبية» وهذا اللقب هو الذى أصبح بعد تحريفه لاسما يدل على الهكسوس .

وتدل ظواهر الاحوال على أن منطقة الشرق الادنى القديم تعرضت لاحداث كثيرة متتالية في الوقت الذى أشرفت فيه الدولة الوسطى على النهاية ، فقد قضت بابل على الممالك المجاورة لها كما أن المملكة الكاشية ، قد أخذت هى الاخرى تتطلع إلى غزو الاقطار المجاورة لها بينما أخذ «الحوريون» أو «الميتانيون» يستولون على بعض البلاد السورية - ولاشك في أن هذه التحركات كانت ذات أثر في هجرة وتسلل الكثير من العناصر الآسيوية إلى مصر التي امتدحت مجموعها في المنطقة الأقرب إلى مواطنها الاصلية ، أى في شرق الدلتا

على الأرجح - ولم يمتص على استقرارهم وقت طويل إلا وأصبحوا قوة
يخشها المصريون واستفحل خطرهم وزاد إلى أن تمكنوا من فرض سلطانهم
على مصر وجعلوا عاصمتهم أواريس .

ومع أن عهدهم كان موضع أبحاث كثيرة إلا أن الغموض ما زال
يسكتفه ومازلنا لا نستطيع أن نجزم بأصلهم أو أن نؤكد كيفية إخضاعهم
مصر لسلطانهم وخاصة لأن النصوص المصرية تحاشت ذكرهم إلا في أحوال
نادرة كانت تتمتعهم فيها بصفات تدل على كراهية المصريين لهم ولعهدهم ،
ومن ذلك مثلا ما تذكره حتشبسوت عنهم في نقوش معبدها المنحوت في الصخر
س: في حسن وهو المعروف باسم واسطلب عنتر Spas Arteni: 33

حيث تقول إن « الآسيويين كانوا يحكمون في أواريس في الشمال وكانوا
يحافظهم المتجولة يعيثون بين الناس فسادا محطتين ما كان قائما ، إنهم كانوا
يحكمون دون (اعتراف بسلطان) رع بل ولم تكن إرادته الإلهية تنفذ
إلى أن جاء عمى العظيم ، (١) أما مانيشون فيقول في هذا الصدد
« في عهد الملك توتيبايوس - ولا أدري سبب ذلك - أصابتنا ضربة
من الإله دون أن نتوقع ذلك حيث جاءنا غزاة من الشرق من أصل مجهول
ساروا تملؤهم الثقة في النصر ضد بلادنا وتمكنوا بقوتهم من الاستيلاء
عليها بسهولة دون ضربة واحدة وبعد أن تغلبوا على البلاد حرقوا مدننا
دون رافة وهدموا معابد الآلهة من أساسها وعاملوا جميع الأهالي بعداء

قاس فذبجوا البعض وأخذوا نساء وأطفال البعض الآخر ليكروا إماءاً
وعبيدا لهم ، وأخيرا عينوا واحدا منهم يدعى ساليثيس Salittis ملكا
عليهم فأقام في منف وفرض الضرائب شمال مصر وجنوبها وكان يترك
حاميات في المواقع المناسبة وبني حصنا في أواريس في شرق الدلتا
ترك فيه حامية من ٣٤٠٠٠ رجل مزودين بالأسلحة وكان يذهب لزيارة
هذا الحصن ويتفقد رجاله في شهور الصيف من كل عام ،^(١)

ومن هذه النصوص نتبين أن هؤلاء جاءوا من آسيا وأنهم كانوا
يسمبون إلى المصريين فكبرهم هؤلاء وعملوا على التخلص منهم ، ومن المرجح
أن جاليات كبيرة من الهكسوس كانت تستقر في أهاكن مختلفة
من سوريا وفلسطين وربما كانت أقرب مراكز استقرارهم هذه هي بلدة
«شاروهن» ، حيث أننا نعلم بأنهم حينما طردوا من مصر لجأوا إلى هذه
البلدة وتحصنوا فيها ثلاثة سنوات^(٢) .

ويقسم حكام الهكسوس عادة إلى ثلاثة مجموعات على النحو الآتي : -

الأولى وتشمل ستة ملوك ويعتبرهم المؤرخون الأسرة الخامسة عشرة
وقد حكموا نحو ١٠٨ .

والثانية وهي أقل أهمية وتكون الأسرة السادسة عشرة .

أما الثالثة فهي الأسرة السابعة عشرة وكانت معاصرة للأسرة السابعة عشرة
المصرية في طيبة .

(١) W.G. Waddel "Manito" (1940), pp. 79 ff

(٢) أنظر بعد مطاردة أحسن للهكسوس ص ١٥٥

ويبدو أن الثلاثة ملوك الاخيرين فى المجموعة الاولى وهم أبو فيس ،
 خيان ، شيشى أو إيسى قد حكموا مصر كلها والنوبة السفلى لأن آثارهم
 وجدت موزعة فيها إلا أنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بنفوذهم طويلا
 فى الجنوب وإن كان من المرجح أنهم ظلوا على صلة بأمراء النوبة كما يستدل
 على ذلك من لوحة عشر عليها بالكرك سنة ١٩٥٤ (١) تصف كفاح كا وزا (٢)
 ضد المكسوس فى أواخر عهدهم إذ تبين منها أن ملك الهكسوس
 كان على صلة بأمير النوبة . والظاهر أن تجارة الهكسوس ظلت رائجة
 فى النوبة ونفوذهم ظل قائما فى الصعيد إلى أن بدأ الأمراء المحليون فى الصعيد
 يعارضون هذا النفوذ وازدادت مقاومتهم له فى عهد الأسرة
 السابعة عشرة .

ولاشك أن بعض ملوك الهكسوس وصلوا إلى درجة عظيمة من القوة
 والسلطان وخاصة ملوك المجموعة الأولى ومن أشهرهم « خيان » سالف
 الذكر حيث عثر له على آثار فى كثير من جهات مصر وسوريا وفلسطين
 بل ووجد جزء من تمثال فى هيئة الأسد يحمل اسمه عند أحد التجار فى بغداد،
 وفى حفائر أجريت فى كريت عثر على غطاء إناء من المرمر نقش على اسمه
 كذلك - ولا بد أن النشاط التجارى فى عهده كان عظيما وأن مصر كانت
 على صلة بمختلف تلك الجهات التى عثر على آثاره فيها .

ولا نعرف إلا القليل عن حكم الملوك الذين تلوا ملوك المجموعة
 الأولى (الأسرة الخامسة عشرة) كذلك لا نعرف كيف انكش ملكهم

(١) Chr. d'Ég. 30, pp. 198 ff

(٢) آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة المصرية - أظن من ١٥٢ - ١٥٤

وأصبح المصريون يتطلعون إلى طردهم - ومن المؤكد على أي حال أن المصريين برموا بهم وضاقوا بوجودهم بينهم حيث يبدو أن ظهورهم كان يصحبه اضطراب في أحوال الشرق الأدنى بصفة عامة وقد أدى إلى وجود فترة عصبية في مصر فنزح بعض المصريين عنها إلى النوبة حيث عملوا في خدمة بعض أمراءها المحليين (١) إذ أن النوبة حينئذ كانت قد تخلصت من النفوذ المصري وأخذ يحكمها بعض أمراءها الذين استقلوا بأقاليمهم بينما أخذ الأمراء المصريون الذين أجبرتهم الظروف على مجابهة بعض الأخطار في أقاليمهم يستعينون بالكثيرين من أبناء النوبة الذين قدموا إلى مصر كجنود مرتزقة واستقرت غالبيتهم فيها في جاليات كبيرة إذ عثر على جباناتهم ومقابرهم منتشرة في مصر العليا ووصل انتشارها شمالا إلى مصر الوسطى، وتتميز هذه المقابر بأنها على هيئة الجرس وقد عرفت لدى الأثريين باسم Pan Graves - وقد ظل هؤلاء المرتزقة النوبيون يؤدون خدماتهم في مصر واستمر المصريون يستعينون بهم حتى في حرب الاستقلال التي طردوا فيها الهكسوس بل وبعد ذلك أيضا .

ولا بد أن مصر والنوبة في نهاية عهد الهكسوس كانتا تنقسمان إلى الأقسام

الآتية (٢) :-

- (١) مملكة طيبة (الأسره السابعة عشرة المصرية) التي كانت تمتد من اليفانتين (إقليم الشلال الأول) جنوبا إلى القوصية شمالا .
- (٢) مملكة الهكسوس وكانت تحكم الدلتا ومصر الوسطى .

JEA 35,pp. 50 ff (١)

PSBA 35,p.117, JEA3, pp. 99- 110 (2)

مملكة النوبة التي يحكمها أمير نوبى وكانت تمتد شمالا إلى اليفانتين .

ومع أن الهكسوس تأثروا بالحضارة المصرية واندمجوا فى الحياة المصرية على العموم حيث اتخذوا الألقاب الفرعونية وعبدوا الآلهة المصرية وتركوا آثارا مصرية الطابع إلا أن حكمهم لم يكن مقبولا - ولا ندرى كيف بدأ كفاح المصريين ضدهم لأن معلوماتنا مستقاة من مصادر متأخرة ولا تمدنا بتفاصيل كافية عن هذا الكفاح ، فى بردية ترجع إلى عصر الرعامسة تعرف باسم بردية سالييه رقم (١) (1) Sallier (١) قصة بها الشيء الكثير من الحيقال عن بدء حدوث المناوشات بين المصريين والهكسوس ، وما جاء فيها من أن الطاعون قد اجتاح البلاد (كناية عن استيلاء الهكسوس على الحكم فيها) وأن البلاد قد خضعت لهم ، وقد جعل ملكهم أبو فيس من الإله سوتخ (ست) معبودا لمصر ولم يقدم قربانا لإله غيره ... وكان سقن رع فى ذلك الوقت حاكما على طيبة ولم يقبل أن يعبد لها غير الإله « آم-ون رع » - ثم تشير البردية بعد ذلك إلى أن رسولا من الملك أبو فيس جاء من أواريس إلى طيبة ليبلغ سقن رع أن « أفراس النهر فى مياه طيبة تطلق نوم أبو فيس وهو فى قصره فى الدلتا » وهو يطلب إسكانها أو أن تهجر ذلك المكان كما أبلغه كذلك بأن أبو فيس يحتم أن يعبد الإله سوتخ - ومن الواضح أن هذه الرسالة الملتوية تدل على ما كان يشعر به ملك الهكسوس من نفشى روح التمرد والثورة ضده فى جنوب مصر وأنه أراد أن يجبر أمير طيبة على إعلان خضوعه له - وقد فقدنا بقية هذه القصة عن كفاح مصر

ضد الهكسوس لأن البردية تهشمت ولم يسلم منها سوى الجزء المدونة فيه هذه الرسالة ولكن بما لاشك فيه أن هذه البردية إنما كتبت لتبين أن سقن رع ، بدأ الكفاح فعلا ضد الهكسوس ولتبين والدور المجيد الذي قام به خلال هذا الكفاح ، وبما يؤيد ذلك أن مومياءه تدل على أنه مات متأثراً بجراح أصيب بها في رأسه وصدره مما يرجح أنه قتل أثناء حربه مع الهكسوس .

ولابد أن ملوك طيبة السابقين كانوا أشبه بولاية من قبل الهكسوس وقد وردت أسماء ثمانية ملوك قبل د سقن رع ، ويظهر أن آخرهم بدأ بإعلان عصيانه عليهم وربما امتنع عن دفع الضرائب المطلوبة لهم وبدأ يستنقض الهمم للوقوف في وجههم ولكن أجله لم يمهل حتى يبدأ النضال وقد خلفه د سقن رع ، أن يقوم بذلك ثم تبعه في تحمل أعباء هذه المهمة كل من ولديه (كاموزا) (واحسس) على التوالي .

طرد الهكسوس

يبدأ طرد الهكسوس في الوصول الى مرحلة حاسمة في عهد كاموزا خليفة (سقن رع) كما يتبين ذات من لوحة خشبية مؤرخة بالسنة الثالثة من عهده (١) وهي وإن كانت غير كاملة إلا أن مادون عليها يدل على مواصلة كاموزا للكفاح ضد الهكسوس - وقد عثر على جزء

(١) تعرف باسم لوح د كارنارفون - أظر

من لوحة دن الحجر الجيري بالكركنك^(١) لاشك في أنها كانت الاصل الذى نقلت عنه اللوحة السابقة وهى تذكر أن كاموزا جمع رجاله لاستشارتهم فى الكفاح ضد الهكسوس ، محاولاً أن يستنهض همهم إذ يذكر لهم أنه يجد نفسه محصوراً بين عدوين (الهكسوس فى الشمال والنوبيين فى الجنوب) ولكن هؤلاء المستشارين كانوا متقاعدسين راغبين عن القتال فى بداية الأمر إذ أنهم أجابوه بما يفيد أنهم لا يرون مبرراً للقتال ضدهم مادامت حدود المملكة (المصرية من اليفانتين إلى القوصية) لم تمس ومادامت أراضيهم وأملاكهم سليمة لم يختصب أحد منها شيئاً أو تنقطع عنهم إيراداتها ولم يعتدى على جزء من المملكة ، إلا أن كاموزا لم يقتنع بإجاباتهم وصرم على طرد هؤلاء الذين يشاركونه فى حكم مصر فى الشمال (أى الهكسوس) .

ولاشك فى أن ماورد فى لوحة الكركنك التى كشف عنها سنة ١٩٥٤ (٢) يعد مكملاً لما جاء فى اللوحة التى أسلفت الإشارة إلى أنها الاصل الذى نسخت منه لوحة كارنارفون ، فمن نصوص هذه اللوحة الاخيرة يتبين لنا أن كاموزا انتصر انتصاراً حاسماً على الهكسوس فى معركة نيلية كما تشير أيضاً إلى حملة على النوبة سبق أن قام بها كاموزا - كذلك توضح لنا كيف أن ملك الهكسوس أراد الاتصال بملك النوبة ليفاجئهم هذا الاخير الملك كاموزا من الخلف أثناء انشغاله فى حربه ضد الهكسوس إلا أن رسول ملك الهكسوس

ASA 5, p.III & 39pp. 245 ff.

(١)

(٢) أنظر أعلاه ص ١٤٩

- ١٥٥ -

إلى النوبة قبض عليه وهو فى طريقه إليها فلم تنجح المؤامرة التى أريد تدبيرها ضد المصريين .

ولا ندرى إلى أى مدى وصل كاموزا فى كفاحه ولكن لا شك فى أنه نجح فى كسر شوكة الهكسوس وأنه مهد السبيل للانتصار الأخير الذى انتهى بطردهم من مصر على يد خلفه وأخيه أحس الأول .

٥ - عهد الدولة الحديثة

اجلاء الأجانب وتكوين الامبراطورية :

سبق أن أشرنا الى أن كاموزا نجح فى كسر شوكة الهكسوس ومع ذلك فقد ظلت الاوضاع فى وادى النيل على ما هى عليه إلا فيما يختص بإقدام المصريين على مناوأة النفوذ الاجنبى وإعلاء شأن ملكتهم فى الجنوب حتى أصبحت المملكة الطيبية دولة ذات سيادة بعد أن كانت تعترف بنفوذ الهكسوس ، أى أنه من الممكن القول بأن عهد (كاموزا) وسلفه (سقن رع) كان تمهيدا للنهضة التى بدأت بعدئذ والتى يوضع على رأسها (أحمس الاول) خليفة (كاموزا) ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة ، وقد تمكنت مصر فى نهضتها هذه من أن تكون إمبراطورية مترامية الاطراف بعد أن تمكنت من إجماء الأجانب عن أراضيها وأصبحت أقوى أمم الشرق الأدنى القديم نفوذا وسلطانا .

سنة ١٥٦ هـ

الاسرة الثامنة عشرة

أحمس الأول :

لاندرى كيف انتهت حياة « كاموزا » وهل لقي مصرعه أثناء كفاحه ضد الهكسوس كما حدث لسلفه من قبل أو أنه مات ميتة طبيعية قبل أن يتمكن من إخراج الهكسوس من مصر ؟ ومهما يكن من أمر فقد برز اسم أحمس الأول فجأة في النصوص المصرية على أنه هو الذى طرد الهكسوس نهائيا من مصر .

وأحمس وإن كان من نسل ملوك الاسرة السابعة عشرة إلا أنه يعتبر مؤسسا للأسرة الثامنة عشرة - وقد استأنف الجهاد بعد سلفه « كاموزا » ومضى فى حربه ضد الهكسوس إلى أن سقطت عاصمتهم « أواريس » فى يده ، ثم طاردهم إلى فلسطين حيث تحصنوا فى « شاروهن » ولكنه حاصرهم فيها ثلاثة أعوام إلى أن سقطت هى الأخرى فى يده وبهذا تم انتصاره عليهم وقضى على قوتهم نهائيا .

ومن المصادر الهامة عن الاسرة الثامنة عشرة فى شطرها الأول بصفة عامة وعن عهد أحمس بصفة خاصة نصوص مقبرتين لضابطين معمرين اشتركا مع أحمس فى حروبه ضد الهكسوس واستمرا فى الخدمة العسكرية فى عهد خلفائه وكان كل منهما يدعى أحمس كذلك ، ولكن أحدهما كان يعرف باسم « أحمس بن نخب » أما الآخر فكان اسمه

« أحس بن أبانا » (١) - وهذه النصوص تصف لنا بعض تفصيلات المعارك التي خاضها الملك أحس في كفاحه ضد الهكسوس كما تشير إلى حروبه في النوبة - وقد وجدت آثار أخرى من عهده تثبت أنه أخضع شمال النوبة وشيد هناك إحدى القلاع وبدأ وضع سياسة لإدارة هذه البلاد بتعيين حاكم عسكري عليها واسناد شئونها المالية والإدارية إلى أميرتخن (إقليم الكاب) .

ولاشك أن ثلاثة سيدات كان لهن أكبر الأثر في حياة أحس بصفة خاصة وفي تاريخ مصر في تلك الآونة بصفة عامة . وأولى هذه السيدات هي « تى شرى » جدة أحس التي ظل وفيها لذكراها وبني لها قبرا رمزيا في أبيدوس وضع به لوحة تذكارية ، وثانيتها هي والدته « إمع حتب » التي لعبت دوراً خطيراً في الكفاح ضد الهكسوس يشير إليه ولدها أحس في لوحة أقامها بالكرنك بقوله « امدحواسيدة البلاد وسيدة جزر البحر المتوسط فاسمها مبيجل في جميع البلاد الأجنبية وهي التي تضع الخطط للناس ، زوجة ملك وأخت ملك وأم ملك وهي العظيمة القديرة ، وهي التي تهتم بشئون مصر ... جمعت جيشها وهيأت الحماية للناس وأعادت الهاربين وجمعت شتات المهاجرين وهدأت ماحل بالصعيد من خوف وأخضعت من كان فيه من العصاة ... ألخ » (٢) - وأظرا لما يبدو من تأثر بعض حلى هذه الملكة وخنجرها

Urk IV, pp. 1 ff & 36 ff

Breasted, AR II, - 29 ; Urk. VI, 14 - 2 4

(١)

(٢)

ببعض المظاهر الفنية التي سادت جزر بحر إيجه فإن نفرا من المؤرخين يميل إلى الاعتقاد بأن هذه الملكة تنتمي أصلا إلى جزيرة كريت ولكن لا يوجد ما يؤيد ذلك وإنما يحتمل أن تلك المؤثرات كانت ترجع إلى وجود علاقات بين مصر وكريت في ذلك الوقت بل ولا يستبعد أنها كانا متحالفتين ، وبمقتضى هذا التحالف قدم أهل كريت بعض المعاونة للمصريين في كفاحهم ضد الهكسوس وأن د لإعح حتب ، لعبت دورا هاما في هذه التحالف .

أما السيدة الثالثة فهي د أحس نفرتارى ، التي كانت زوجة لكل من أخويها د كاموزا ، د وأحس ، على التوالي وقد عبدت منذ أواخر الأسرة الحادية والعشرين حيث أقيم لها معبد في طيبة واعتبرت هي وولدها « أمنحتب الأول » الإلهين الحارسين للجبانة .

امنعتب الأول :

تولى العرش وهو صغير ولكنه كان خبيرا بالملك ومقداما كأسلافه فنصوص الضابطين المشار إليها فيما سبق (أحس بن أبانا وأحس بن نخب ^(١)) تشير إلى أنه ذهب في حملة إلى النوبة وتوغل فيها إلى سمته (جنوب الشلال الثاني) على الأقل حيث ترك د ثورى ، الحاكم المصرى على النوبة في عهده نصين أحدهما في سمته والثاني في أورونارتى (جزيرة

الملك) ، وهما مؤرخين بالسنة السابعة والسنة الثامنة من عهد أمنتب على التوالى - ومن المرجح أنه السبب في قيام الملك بهذه الحملة يرجع إلى حدوث ثورة في النوبة . ويبدو أنه تعقب زعيم الثورة إلى الصحراء أو أن الثارين كانوا من القبائل التي تعيش على حافتها لأن « أحس بن أبانا » يشير في نصوص مقبرته إلى أنه قاد الملك في عودته إلى مصر من منطقة « البئر العلوى ، في يومين فقط ، فالإشارة إلى « البئر العلوى ، تجعل من المحتمل وصول هذا الملك إلى منطقة صحراوية حينما قام بحملته هذه - ويذكر أحد كهنة آمون أن نفوذ هذا الملك وصل إلى منطقة « كاروى ، ، أى إلى قرب « نبتة ، عند الشلال الرابع والسكن لا يوجد لدينا من الأدلة ما يؤكد وصول نفوذه إلى مثل هذا المكان البعيد - ولا تقتصر جهوده الحربية على النوبة وحدها فقد أشارت نصوص « أحس بن نخب ، إلى قيامه بغزوة ليبية ولكنه لم يذكر سبب هذه الحملة أو المكان التي وصلت إليه .

والظاهر أن الأمن كان مستتباً في داخلية البلاد كما أن الحالة هدأت فيها فلم يعد الملك في حاجة إلى مواصلة النشاط العسكرى وتفرغ للأعمال السلمية حيث قام بإنشيد بعض المباني وعم الرخاء في عهده ، ويعد معبده الجنزى من أشهر مبانيه وقد شيده على الضفة الغربية للنيل أمام الأقصر .. كذلك ترك هيكلًا من المرمر عثر على أحجاره ملقاة في أنقاض مباني الكرنك فجمعت وأعيد تركيبها ، وهو يعد من أجمل ما عثر عليه من هياكل الدولة الحديثة .

وقد مات أمنتب دون أن يترك من يخلفه على العرش فخلفه

تحتمس الاول الذى يرجح أنه كان من الامراء وأنه اكتسب حق ولاية
العرش عن طريق زواجه بإبنة امئنتب الاول وكان اسما
« أحس » .

تحتمس الاول :

بدأ حكمه بإصدار مرسوم يفيء عن اعتقاله للعرش وقد أرسل
هذا المرسوم إلى « ثورى » حاكم النوبة ليعلنه على الملأ - وتكاد تلمس
في هذا المرسوم ما يشير إلى حدوث بعض النزاع على العرش قبل أن تستقر
الأمور لتحتمس الاول الذى ما كاد ينتهى من ذلك قام فى السنة الثانية
من حكمه بحملة إلى شمال السودان مد حدوده فيها إلى « كورجوس »
Kurugus (١) (جنوب أبو أحمد) أو إلى « مروى » أى أنه توغل
إلى أبعد من الأماكن التى وصل إليها أسلافه - ولا بد أنه كان يهدف
إلى ضمان بقاء النوبة تحت السيطرة المصرية وخضوعها تماماً لسيادتها وأراد
أن يتصل اتصالاً مباشراً بالمناطق الغنية التى كانت تمتد مصر بكثير
من الحاصلات وأن يضمن بقاء الطريق التجارى إليها فى يده سواء كان ذلك
عن طريق النيل أو بالطريق البرى ، ولهذا استولى على هذه الأماكن
التي إلى جنوب الشلال الثالث وأمر بتطهير مجرى النيل
عند الشلال الاول .

وقد اهتم تحتمس الاول كذلك بالجهات الواقعة فى شمال مصر وتوغلت
فتراحاته فيها كثيراً حيث يرجح أنه وصل إلى منحنى الفرات

الذى عرفه المصريون بأنه النهر ذو المياه المعكوسة (أى النهر الذى يجرى فى عكس الاتجاه الذى يسير فيه نهر النيل) ، وفى تلك البقعة التى وصل إليها انصرف إلى الصيد بعض الوقت وترك هناك لوحـة لبيان حدود مملكته ، ومن ذلك يتضح أنه كان يحكم إمبراطورية تمتد من منطقة الشلال الرابع الى شمال سوريا عند منحنى نهر الفرات - وقد درج بعض فراعنة الدولة الحديثة فيما بعد على الذهاب لصيد الفيلة فى منطقة منحنى الفرات مما يدل على أن هذه المنطقة كانت حافلة بالأحراش فى تلك العصور .

ويحدثنا المهندس إينى الذى عاش ابتداء من عهد امنحتب الأول بأن سيده تحتمس الأول كلفه ببناء مقبرته وأن هذه المقبرة نحتت فى الصخر فى بقعة لايعلمها غيره (١) ، والظاهر أن تحتمس الأول كان أول فرعون يقرر عدم وجود بناء هرمى أو غير هرمى يعلو سطح الأرض فوق مقبرته حتى يخفى مكانها فلا تمتد إليها أيدي اللصوص - وهذه البقعة التى نحتت فيها مقبرة تحتمس الأول أصبحت جبانة ملوك الدولة الحديثة وهى المعروفة حالياً باسم وادى الملوك، وتقع على الضفة الغربية للنيل أمام مدينة الأقصر - ومن المباني التى شيدها تحتمس كذلك معبده الجنزى الذى بناه على حافة الوادى بالقرب من مقبرته كما شيد معبداً كبيراً فى منطقة الكرنك أقام أمامه مسلتين كبيرتين وبنى بهوا عظيماً به أعمدة مربعة على واجهاتها تماثيل أوزيرية (٢)

Breasted, A R II, 90 - 98

- 1

٢ - أى تماثيل بهيئة الإله أو زير الذى اعتقد الفراعنة بأنه إله الموتى الحاكم فى العالم الآخر وكانوا يمثلونه بهيئة إسان ملتف بالأكفان وبمسك صولجاناً فى إحدى يديه وسوطاً فى يده الأخرى وقد يقبض على عصى الراعى بالإضافة إلى ذلك .

وقد حكم هذا الملك نحو من ثلاثين عاما كانت البلاد فيهما قوية
يمتد نفوذها في الجنوب والشمال ولكن أحوال القصر الداخلية كان
يسودها الغدوض مما دعا إلى الظن بأن أفراد البيت المالك قد انقسموا
بعضهم على البعض الآخر - وربما كان سبب ذلك أن الملكة «أحمس»
التي تزوجها تحتمس الأول - واكتسب بذلك حق إعتلاء العرش -
لم تنجب ولدا بل أنجبت ابنتين كبيرهما حتشبسوت أي أنها لم تنجب
وليا للعهد ، في حين أن زوجات أخريات قد أنجبن له أبناء من الذكور
كان أكبرهم (تحتمس الثاني) الذي يرجح أنه كان ضيفا لإزاء أخته
حتشبسوت إنة الزوجة الشرعية لتحتمس الأول ، ولذا بدأت سلسلة
من المؤامرات فانقسم موظفو القصر وكبار موظفي الدولة ورجالها
إلى طوائف تؤيد كل منها أحد الطرفين ثم انتقل هذا النزاع بعد ذلك
بين حتشبسوت وبين تحتمس الثالث مما أدى إلى اختلاف المؤرخين
في شأنهم وخرجوا بعدة آراء ونظريات عن صلة القرابة بين هؤلاء الملوك
وترتيب حكمهم وخلقوا من ذلك مشكلة تعرضوا لها بالبحث بعض الوقت
نظرا لأن اسم حتشبسوت أزيل من على بعض الآثار وكتب بدلا منه
اسم تحتمس الأول أو الثاني أو الثالث ، ومما كان الأمر فقد أصبح
من المتفق عليه أن تحتمس الأول كان والد كل من حتشبسوت
وهي من الزوجة الشرعية وتحتمس الثاني وهو من زوجة غير شرعية ،
وأن تحتمس الثالث كان بالمثل إنا لتحتمس الثاني من زوجة غير شرعية

أيضا (١) وأنه تزوج من أميرة من البيت المالِك كانت تدعى
حتشبسوت (مريت رع) هى الأخرى - وقد بدأ حكمه تحت وصاية
عمته (حتشبسوت الكبرى) ثم انفرد بالحكم بعد ذلك .

تحتوس الثانى :

تزوج من أخته حتشبسوت واعتلى العرش ولكن سرعان ما دب
الخلاف بينها واضطربت الأمور ، وربما كان لذلك أثره الملموس
فى مستعمرات مصر الجنوبية فأراد الأمراء المحليون أن ينفضوا عنهم سلطان
مصر وقامت الثورة فى السودان إلا أن تحتوس الثانى أرسل حملة إلى
هناك قامت باخضاع الثورة وأحضرت بعض الرهائن ومن بينهم ابن أحد
الزعماء - وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن جيوش تحتوس الثانى
وصلت إلى جبل البرقل عند الشلال الرابع ولكن من العسير تأكيد
ذلك ، كذلك يَحتمل أن ثورة أخرى قامت أثناء حكمه فى شرق مصر
فأدبها الجيش المصرى .

ورغم قصر المدة التى حكمها فإننا نجد اسمه منقوشا على كثير من
الآثار مما يدل على أنه كان شديد الاهتمام بالمباني ، وقد نعمت البلاد
بشيء من الاستقرار فى جزء من عهده على الأقل .

١ - والدة تحتوس الثانى كانت ملكة أقل أهمية من الملكة الشرعية وكانت تدعى
موت نقرت ، أما والدة تحتوس الثالث فكانت محظية لتحتوس الثانى وتدعى إيزيس - أنظر

Sir A. Gardiner, " Egypt of the Pharaohs, " pp.

حتشبسوت :

موت تحتمس الثانى بدأت فترة صراع بين حتشبسوت وأنصارها من جهة وبين تحتمس الثالث وأنصاره من جهة أخرى إذ ترك المهندس « إينى » (١) المشار إليه نقوشا يفهم منها أن تحتمس الثالث تولى الملك بعد والده تحتمس الثانى ولكن حتشبسوت هى التى تدير شئون البلاد وصاحبة الأمر لأنها البذرة الممتازة التى خرجت من الإله ، - ويبدو أن تحتمس الثالث الذى يرجح أنه كان ابنا لتحتمس الثانى من زوجة أخرى غير حتشبسوت كان صبييا يشغل وظيفة كهنوتية صغيرة فى معبد الكرنك حينما توفى والده ، واشتد النزاع بين أنصاره وبين أنصار حتشبسوت فاستعان أنصاره بكهنة آمون الذين أعلنوا أن الإله آمون (المعبود الرسمى للامبراطورية) قد اختاره ليجلس على العرش ، وتم إختياره فعلا واسكنه كان طوال حياة عمته حتشبسوت (وزوجة أبيه) مجرد شريك لا نفوذ له فى الحكم بينما وضعت حتشبسوت كل مقاليد الأمور فى يدها ثم أصبحت هى كل شئ ولم يرد له ذكر إلى أن ماتت وانفرد هو بالحكم .

والظاهر أن الحرب كانت عنيفة بين حتشبسوت وزوجها تحتمس الثانى ثم بينهما وبين ابن زوجها تحتمس الثالث حتى أنها لجأت إلى اختراع القصة التى تشير إلى حقها المقدس فى الملك مع أن حكم الملكات فى مصر والشرق القديم لم يكن مستساغا بصفة عامة ،

ووصلت في ذلك إلى أبعد مدى ففقدت مناظر تفصيلية على جدران معبد الدير البحري الذى شيدته في البر الغربى لطيبة (الأقصر) تمثل فيها قصة مولدها التى ادعت فيها بأنها ليست ابنة تحتمس الاول بل ابنة الإله آمون نفسه الذى تشكل في صورة أبيها وأنجبها من صلبه ، كما بينت في بعض هذه المناظر أن أباهما تحتمس الاول بايعها بالملك في حياته وأن كبار الكهنة وكبار رجال الدولة قد وافقوه على ذلك ، أى أن كلا من تحتمس الثانى وتحتمس الثالث كانا طبقا لتلك التقوش معتصبين لحقها المشروع أو على الأقل لم يكن حكمها شرعيا كحكمها .

ومن المرجح أن هذه الفكرة كانت بإيحاء من أنصارها حيث يبدو أنها تمكنت من أن تحيط نفسها بمحاشية من الرجال الأفوياء الذين تمكنت بفضلهم من الاستمرار صاحبة للسلطان في البلاد ، ومن أهم هؤلاء المهندس «سنموت» الذى أشرف على تربية ابنتها (نفروع) التى كانت تعدها لأن تخلقها على العرش وليكنها ماتت وهى صغيرة .

ومها كان الأمر فإن عهدهما كان عهد رخاء وطمأنينة ، ولاجدال في أنها كانت قديرة في الحكم استطاعت أن توجه نشاط الدولة إلى التجارة والأعمال الإنشائية إذ أرسلت حملة إلى بلاد بونت جلبت البحور وأشجار المر وبعض حاصلات المناطق الاستوائية وكميات كبيرة من الذهب من أجل معابد الإله آمون ، وقد صورت مناظر هذه البعثة على جدران معبدها في الدير البحري المشمار اليه - كذلك شيدت كثيرا من المباني أهمها معبد من الجرانيت في الكرنك وصالة كبيرة أساسها دلتان

عظيمتان في نفس المنطقة كما أنها أصلحت كثيرا من المباني المتهدمة ،
ويبدو أنها كانت من قوة العزيمة والنفوذ طوال مدة حكمها التي بلغت
نحو ثمانية عشرة عاما بحيث أصبح تحتمس الثالث في عهدها منزويا ويكاد
يكون مديسا ، ولذا ينسب اليه أنه بعد وفاتها صب جام غضبه على ذكراها
فحما اسمها من معظم آثارها وحطم الكثير من تلك الآثار ومن آثار
أنصارها ومعاونيها .

تحتمس الثالث

يبدو أن العهد السلمي الطويل الذي نعمت به مصر في ظل حكم حشبسوت
قد أطمع البلاد الأجنبية الخاضعة لمصر في أن تتخلص من سيادتها لأن
عدم رؤية تلك البلاد للجيش المصري خلال هذه الفترة جعلها
تتوهم أن مصر ضعيفة تعجز عن المحافظة على مستعمراتها ، ولذا أخذت
تميل إلى الثورة بغية التحرر ولما كان - لحسن حظ مصر - شامت الأقدار أن
يسكون على عرشها تحتمس الثالث الذي لم يتوانى عن توطيد سلطانها ولم يدخر
في سبيل ذلك جهدا على الإطلاق ، فما أن انفرد بالحكم حتى خرج في حملة
إلى فلسطين حيث كانت جيوش بعض الإمارات بزعامة أمير « قادش »
قد تجمعت عند مدينة « مجدو » - وبعد أن سار حوالي ١١ يوما وصل
إلى بلدة « يهم Yehem » وهناك كانت أمامه ثلاثة طرق ليصل إلى مجدو
حيث تجمع هؤلاء الأعداء : وأحد هذه الطرق قصير ضيق محصور
بين سلسلة من التلال ولا يتسع لأكثر من عربية حربية واحدة أما الطريقان
الأخران فطويلان يدوران حول سفح جبال الكرمل ، هذانذ جمع
تحتمس الثالث مجاسا حربيًا مع قواده الذين نصحوه بعدم تعريض الجيش للخطر

باتخاذ الطريق القصير ولكنه أصر على أن يفاجيء عدوه بالمسير في ذلك الطريق حيث لا يتوقع العدو إقدامه على مثل هذه المخاطرة - وفي فجر اليوم التالي كان على رأس جيشه مسرعا باختراق هذا المر ثم انتظر إلى أن تم تجمع الجيش وهناك عسكر بجيشه عند مدخل وادي قينا ، وفي فجر اليوم التالي هجم المصريون على مجدو حيث انتصروا على المدافعين عنها ولكنهم شغلوا بنهب معسكر الأعداء فأتاحوا لهُؤلاء فرصة الهرب إلى داخل المدينة والتحصن وراء أسوارها وظل المصريون يحاصرون المدينة سبعة أشهر إلى أن استسلمت لهم ، ولكن زعيم قادش تمكن من الفرار ، أما بقية الزعماء فقد قدموا ولاءهم لنتحتمس الثالث الذي تقدم بعد ذلك شمالا واستولى على كل ما صادفه من بلاد دون غناء إلا ثلاثة مدن يبدو أنها قاومت بعض المقاومة - ومن الغنائم التي وقعت في أيدي المصريين يمكن أن تتصور مقدار الثراء الفاحش الذي كان يسود تلك البلاد حيث نجد أن من بين هذه الغنائم عربات حربية مصفحة بالذهب والفضة وأواني ذهبية وخشب ثمين مصفح بالفضة .

وكانت هذه الحملة بداية طيبة إذ أن نجاحه الساحق فيها جعله يوالى نشاطه العسكري في تلك البلاد فكان يخرج إليها كل عام تقريبا حيث كان يذهب إليها في أرائل الصيف ويعود منها عند إقبال الشتاء ، وقد بلغ عدد هذه الحملات التي خرج فيها إلى آسيا ستة عشرة حملة كان ينظم خلالها شؤون البلاد ويشرف على تنفيذ ما كان يأمر به من معابد ومباني .

وفي خلال حملاته الخمسة الأولى كان يستولى على بعض البقاع الجديدة وأعد بعض الموانئ السورية لكي تكون قواعد لاسطوله ولضمان عدم الانقضاض

على قواته من الخلف عند توغلهما في الاراضى السورية نحو الفرات إذ أنه كان يهدف إلى الوصول إلى ذلك النهر ولكن عدم إستيلائه على قادش كان يحول دون ذلك - وما أن وافت السنة الحادية والثلاثين من حكمه حتى قام في حملته السادسة وفيها تعاون الأسطول مع جيشه العبرى إذ قام الأسطول بتموين الجيش ونقل المدد إليه وبذلك تمكن من الاستيلاء على قادش وأصبح من اليسير أن يصل إلى الفرات بعد ذلك ، وفي حملته الثامنة تمكن من الاستيلاء على مدينة قرقيش وأقام لوحة إلى جوار لوحة جده تحتتمس الأول .

ومن المرجح أن هذه الحملة الأخيرة كانت ذات أثر كبير في الممالك القوية المجاورة حيث بدأت تخطب وده ، فقدمت مملكة ميتانى ولامها وهداياها إلى العاهل المصرى كما قدمت مملكة الحيثيين الهدايا الثمينة إليه طلباً لصداقته وكذلك فعلت ممالك آشور وبابل فأصبحت مصر الدولة الأولى وصاحبه النفوذ الأعلى في غرب آسيا ، وكان أسطولها القوى يهيمن على ثغور فلسطين وسوريا ويجعلها تحت رحمته .

وكانت آخر حملات تحتتمس الثالث في آسيا في السنة الثانية والأربعين من حكمه (١) لأن مدينة قادش أعلنت العصيان من جديد ، وفي هذه المرة كان يعاونها ملك ميتانى وأمير تونيب إلا أن تحتتمس الثالث استطاع أن يحطمها للمرة الثانية وبذلك قضى على كل معارضة للنفوذ المصرى في تلك الجهات

(١) عن حملات تحتتمس الثالث جميعها - أنظر .

حيث أننا نعلم أنه عاش بعد ذلك نحو اثني عشر عاما لم يحدث خلالها أن اضطر للذهاب إلى هناك .

ويبدو أن الهدوء كان يسود أملاك مصر في جنوب الوادي حيث تسير حويليات تحتمس الثالث بالكرك إلى ورود جزيتها بانتظام ابتداء من حملته السابعة (أى من السنة الخامسة والعشرين من حكمه) إلى وقت حملته التي قام بها حوالى السنة التاسعة والثلاثين من حكمه ، غير أن لوحة عثر عليها في جبل البرقل تدل على أن مصر قامت ببعض النشاط العسكرى في السودان في السنة السابعة والأربعين من حكمه ومن المرجح أنه لم يشترك شخصيا في هذا النشاط بل كلف بعض قواده بالقيام به ولكنه قام بنفسه على رأس حملة إلى السودان فى السنة الخمسين من حكمه .

ولاشك في أن تحتمس الثالث كان قائدا ممتازا لشعبه لم تقتصر ميذاته على كفاءته الحربية فحسب بل كانت له نواحي عظمتها الأخرى التي مكنته من أن يحكم امبراطورية واسعة (خريطة رقم ٣) ويدبر شئونها ويشرف على كل ما يتعلق بتصريف الأمور فيها ويعرف ما يحدث في مختلف أقطابها ، وقد اتبع من الوسائل ما يمكن أن نعهده آخر صيحة في الدبلوماسية الحديثة إذ أنه كان يحضر أبناء أمراء البلاد التي أخضعها لكي ينشئهم في مصر مع أبناء كبار رجال الدولة حتى يشيوا على حب مهروصدا قمتها(١) كما أنه حاول الإصلاح في كافة النواحي وحاول الانتفاع بكل ما يمر به

Urk. IV, p. 690; Breasted, AR. ٩467; T. Sáve (T)
Soderbergh, Aegypten & Nubien, (Lund 1941),
pp. 185, 228 — q, 231

ومن ذلك مثلا أنه أدخل إلى مصر كل ما وجدته صالحا من نباتات وحيوانات غريبة . وربما كان يدخل كذلك إلى البلاد الأخرى ما كان يلائمها من نباتات وحيوانات مصرية - ومن المحتمل أنه كان يشجع بعض الأجانب على القدوم إلى مصر ولم يمانع في بقائهم بها لأن مظاهر الفن والحضارة التي كانت سائدة في سوريا وبلاد النهرين أخذت تظهر في مصر بصورة واضحة .

وكان تحتمس الثالث حاكماً منصفاً يكافئ الممتازين من رجاله ويقدر ذوى المواهب ويحسن اختيار الأكفاء فقد كافأ أحسن ضباطه ويدعى « أمن ام حب » ، لأنه أنقذ حياته حينما كان يصطاد في سهل الفرات وهاجمه أحد الفيلة وكان ذلك في أثناء حملته الثامنة . كما أنه أنصف سلفه العظيم سنوسرت الثالث (١) بتخليد ذكره وخاصة في بلاد السودان حيث اعتبره إلهاً حامياً للنوبة - وكان حين يختار رجاله الأكفاء لشغل الوظائف الهامة يوجههم ويوزدهم بنصائحه وتعليماته كما يتمثل ذلك عندما أسند منصب الوزارة إلى « رخ مى رع » ، وقد ظهر في عهد هذا الملك عدد من كبار الشخصيات ذوى الكفاءات الممتازة ، ومن المناظر التي نقشت على جدران مقابرهم يمكن أن تدل على مظاهر الرقي في الحياة الاجتماعية التي سادت عصره ومقدار الثراء الذي أخذ يتدفق على مصر فيه - وبما لا شك فيه أن قبرص وكريت وغيرها من أقطار ومنطقة حوض البحر المتوسط الشرقى التي لم تسكن خاضعة له كانت تخطب ود مصر وتحرص على علاقات الصداقة معها .

(١) خامس ملوك الأسرة الثانية عشر - أنظر أعلاه ص ١٣٨ - ١٣٩



خريطة رقم ٣ - الامبراطورية المصرية في عهد تحتمس الثالث

ومع أن تحتمس الثالث بذل جهوداً ضخمة في حروبه فإنه لم يهمل في المشروعات العمرانية وشيد كثيراً من المباني في مصر والنوبة من أهمها المعبد الكبير الذي بناه في الكرنك وكانت بإحدى حجراته قائمة الكرنك التي أشير إليها في المصادر التاريخية (١) ، كذلك كان من أهم مبانيه في تلك البقعة صالة كبيرة للاحتفالات وأحد الصروح الكبيرة يعرف في الكرنك بالصرح السابع - وقد أقام عدداً كبيراً من المسلات في مختلف أنحاء القطر وخاصة في منطقة الكرنك وبعض هذه المسلات نقل إلى جهات مختلفة من العالم مثل القسطنطينية وروما ولندن ونيويورك .

المنتخب الثاني :

نشأ هذا الملك في عهد وصلت مصر فيه غاية مجدها العسكري ، وقد عنى والده بتدريبه على الرماية منذ الحداثة كما عنى بتثقيفه فأنشأ مدرسة في القصر ليعلمه فيها مع أبناء كبار الرجال الدولة وأمراء آسيا والنوبة وبذلك حقق والده هدفاً هاماً إذا ارتبط هؤلاء جميعاً برباط الصداقة والود ، وقد عثر على لوحة بالقرب من أبو الهول تصف فروسية المنتخب الثاني وحبه للرياضة ومهارته فيها .

ولما تولى العرش لم يكفد يسمع برغبة بعض الولايات السورية الشمالية في الانفصال عن مصر حتى تقدم نحوها على رأس جيشة حيث هزم

الناشرين ، وفي عودته إلى طبيبه أحضر سبعة من أمراء المدين السورية
 النائرة ، قتل ستة منهم في طبيبه وأرسل السابع إلى نباتا مقر الحكم المصرى
 فى السودان ليشنق هناك حتى يكون عبرة لمن تحدثه نفسه من أمراء
 السودان بالثورة على مصر - وبهذا احتفظ بهيبة مصر فتابعت البلاد الأجنبية
 إرسال هداياها وجزيتها . وفى السنة التاسعة من حكمه دلم بفتنة صغيرة
 فى فلسطين فانهز الفرصة وقام بجولة تفتيشية بعد أن أخذ الثورة ، وقد
 دون أخبار هاتين الحملتين على لوحتين إحداهما بالكرك والثانية عثر عليها
 فى ميت رهينة قرب سقارة (١) كما وصف فى هاتين اللوحتين بطولته
 وقوته البدنية .

ويغلب على الظن أنه استطاع أن يمد النفوذ المصرى فى جنوب
 الوادى إلى أبعد من الحدود التى وصل إليها أسلافه : عثر على
 آثار له فى جهات كثيرة - وبعد أن حكم ستة وعشرين عامات وخلفه
 تحتمس الرابع .

تحتمس الرابع

يحتمل أنه لم يكن ولى العهد الشرعى كما يمكن أن يستنتج ذلك
 من اللوحة التى أقامها بين قدى أبو الهول إذ يذكر فيها بأن الإله
 حور آختى (الذى يمثله أبو الهول) جاءه فى المنام وبشره بأنه سيصبح
 ملكا وطلب منه إذا تحقق ذلك أن يزيل الرمال التى تجمعت من حوله ،
 ويذهب بعض المؤرخين الى أن هذا يدل على أن تحتمس الرابع دبر

مؤامرة مكنته من إبعاد أخيه ولى العهد عن العرش وأن هذه المؤامرة قد أغضبت عليه كهنة آمون وحدثت بينه وبينهم جفوة جعلته يتجه إلى كهنة الشمس ويحاول إحياء عبادة (رع) حور آختى كما شجع عبادة قرص الشمس (آتون) ، وهو أول من أمر برسم هذا الإله وهو يعطى الحياة وهذا الرمز الجديد هو الذى اتخذه فيما بعد حفيده اخناتون .

ومع كل فقد أثبت تحتمس الرابع أنه كان جديراً بالحكم حيث أنه قام فى بداية عهده بإخماد الثورة التى نشبت فى بعض المدن السورية كما أنه ذهب بنفسه إلى السوان حيث قضى على ثورة نشبت هناك .

وفى عهده كانت ممالك ميتانى وبابل وآشور وخيتا (الحيثيون) تتنافس فيما بينها على السيادة ولما شعرت مملكة ميتانى بخطر الحيثيين ازدادت تقرباً لمصر - وقد شجع تحتمس الرابع هذا التقارب ودعمه بالزواج من ابنة ملك ميتانى ، ويرى بعض المؤرخين أن ازدياد الصلات بين مصر وآسيا واختلاط دم الفراعنة بالدماء الآسيوية كان من الأسباب التى أدت إلى إدخال الليونة أو النعومة وحب الملذات فى دماء الملوك - هذا ولم يحكم تحتمس الرابع أكثر من تسع سنوات كان فيها نشطاً للغاية سواء من الناحية العسكرية أو من ناحية تنظيم شؤون البلاد الداخلية وترك آثاراً فى كثير من الجهات .

المنحطب الثالث

الظاهر أن المنحطب الثالث لم يجد ما يعكر صفو مملكته إذ أنها عاشت طوال عهده تقريبا وهى تنعم بالسلم والرخاء، ولانكاد نجد ما يدل على خروجه فى حملة حربية إلا فى السنة الخامسة من عهده حيث ذهب إلى النوبة

وتوغل فيها كثيرا حتى ليظن بأنه وصل إلى المطبرة (١). ولكن مما لا شك فيه أن ملكه قد امتد إلى وكاروى ، عند الشلال الرابع تقريبا - ولم يجد بعد ذلك ما يضطره إلى الخروج في أية حملة حربية في عهده الطويل ، ومع أنه أغرم بالصيد وقتا ما إلا أنه لم يكن مجبا للحرب .

ولما كان الأمن قد استتب في أنحاء الدولة فإن الجزية والهدايا تدفقت إلى مصر بانتظام وأصبحت خزائن فرعون مليئة بالذهب والفضة - وكان الملك الشاب مجبا لحياة الترف والبذخ فانغمس فيها وأدت هذه الحياة به طبعاً إلى الانصراف عن نشاطه العسكري والرياضي أيضاً - كذلك أقبل رجال الحاشية على نفس الاتجاهات التي أقبل عليها ملوكهم فنعموا بحياة كلها ترف وبذخ مما أضعف من شأن مصر وأثر في سمعتها في الخارج وكان لذلك أثره السيء فيما بعد .

ومع أن امنحنب الثالث كان ميسالاً إلى الاستمتاع في حياته وتغالى في ذلك إلى أبعد حد إلا أنه كان على درجة كبيرة من الذكاء والمهارة السياسية - فحينما تولى الملك أراد أن يبرر جلوسه على العرش - لأن أمه كانت آسيوية وزوجته دتي ، كانت من عامة الشعب وهما أمران لم يعتدهما المصري في فراغته - عمد إلى بناء معبد الأقصر وصور على جدرانها قصة تحاكي القصة التي سبق الخثشبسوت وأعوانها أن يخترعوها للتدليل على شرعية احتلالها للعرش حيث أنه بالمثل ادعى بأن الإله آمون اتصل

(١) مازال أمر وصول امنحنب الثالث إلى المطبرة مستكوك فيه - فارن

بوالدته وأنجبه ، فأصبح بذلك من سلالة آمون (الإله الرسمي للدولة)
 نفسه أى أنه لم يكتسب حقاً شرعياً في الملك فحسب بل ومقدساً أيضاً -
 هذا وقد أقبل على مصاهرة ملوك الممالك المجاورة وعمت صلاته بهم
 إلا أن مبله الغريبي نحو النساء لم يكن ليوقف عند حد وتزوج من أميرات
 من ميثاني وبابل وآشور فضلاً عما كان يرسله إليه حكام بعض المدن
 السورية من فتيات جميلات مع الجزية - ولا شك في أن علاقات الود
 التي أوجدها مع الملوك لم تكن خالصة لأن هؤلاء كانوا يأملون دائماً
 في الحصول على بعض الخيرات التي كانت تتدفق إلى مصر وخاصة
 من الذهب ، فمثلاً كان ملك ميثاني كثيراً ما كان يرسل إلى صهره
 (امنحتب الثالث) طالبا المزيد من هذا الماعن مشيراً في خطاباته إلى كثرتة
 في مصر الى درجة أنه كان كالتراب في وفرته .

ومن المعروف أن ملوك الأسرة الثامنة عشرة كانوا ينسبون أنفسهم
 للإله آمون ، وقد اتبعوا سنة تقديم الهدايا لهذا المعبود عقب كل نصر يحرزونه
 وشيدوا له معابد هائلة أوقفوا عليها أوقافاً ضخمة فزاد ذلك من ثراء
 كهنته وعظم نفوذهم إلى درجة أن بعض الملوك كانوا يدينون لهم
 باكتسابهم حق اعتلاء العرش ، وبالطبع وجد هؤلاء أنفسهم مضطرين
 للإسراف في مكافأتهم حتى شعر فريق من الملوك بأن نفوذ كهنة آمون
 قد أصبح من الخطورة بحيث يهدد سلطان الملك - وقد رأى امنحتب الثالث
 بشاقب فذكره أن هذا الأمر أصبح يتطلب علاجاً فعالاً وخاصة لأن سلفه
 تحتمس الرابع قد بدأ يشجع بعض العبادات القديمة ، وربما كان لتغلغل
 النفوذ الآسيوي في البلاط أثره في محاولة التخلص من سيطرة كهنة آمون
 والإقلال من شأن معبودهم ، كما أن اتساع رقعة الإمبراطورية كان مما يدعو

الى التفكير فى إيجاد عمود يقبله الجميع ويدنون له عن رضى وارتياح
وهذا لا يتسنى فى حالة الإله آمون اذ كانت عبادته يكتنفها الغموض والإهمام ،
وعلى ذلك اتجهت الانظار الى تشجيع عبادة إله الشمس لأن نعمه
وأفضاله كانت ظاهرة واضحة لجميع الشعوب التى شملتها الإمبراطورية .
وبالفعل بدأت هذه المحاولات منذ عهد تحتمس الرابع على الأقل
لإذ أنه أعاد الاهتمام بشأن الإله رع حور أختى وحاول أن يوسع بين
عبادة آمون وعبادة قرص الشمس حيث يشير فى أحد النصوص إلى
قرص الشمس على أنه هو الإله آمون ، وحينما تولى امنحتب الثالث كان
كهنة الإله آمون مازالوا يتمتعون بالنفوذ الأعلى ولذا أخذ يشجع
الديانات الأخرى وخاصة عبادة الشمس التى كانت ذات مركز عظيم
لامن عهد تحتمس الرابع فحسب بل من عهد الدولة القديمة أيضا - ولم
يكتف امنحتب الثالث بمجرد تشجيع المعبودات القديمة بل أخذ يعلى
من شأنها وحاول إيجاد بعض العبادات الجديدة رغبة منه فى الإقلال
من شأن آمون ، فأطلق على زورق كان يتنزه فيه اسم « إشراق آتون ،
وعين أكبر أبناءه (وكان يدعى تحتمس) كبيرا لكهنة الإله بتاح
فى منف ، ومع كل فقد ظل نفوذ آمون وكهنته على شدته غير أن
مقاومة هذا النفوذ لم تكن لتجد تشجيعاً أو قبولاً لدى عامة المصريين ،
وعلى ذلك نجد أن امنحتب الثالث حينما استحدث عبادة شخصه الحى
وعبادة زوجته « تى » لم يجرؤ على البدء بها علانية فى مصر بل بدأهما
بعيدا فى السودان وخاصة لأن عبادة الملك الحى لم يسبق لها
وجود فى مصر .

وكان امنحبت الثالث ميالا إلى تشييد العماثر النذكارية والمعابد والمباني الفخمة ومن أهمها تلك المعابد التي شيدها في طيبة سواء في الشاطئ الشرقى أو الغربى للنيل والقصر الذى بناه لزوجته « تى » ، على الضفة الغربية للنيل قرب معبده الجنازى ، وقد ألحق بهذا القصر بحيرة كبيرة كان يخرج للتنزه فيها مع زوجته في قاربه الذى سماه « إشراق آتون » وهو الذى أشرنا اليه فيما سبق .

وفى أواخر عهده أشرك معه فى الحكم ولده الثانى « امنحبت الرابع » الذى عرف فيما بعد باسم « اخناتون » ، لأن أكبر أبنائه الذى أشرنا إلى تعيينه كبيرا لكهنة بتساح توفى دون أن يعتلى العرش ، وفى تلك الأثناء كانت مملكة الحيثيين تقوى وتشتد وأخذت تستولى على بعض الإمارات التى كانت خاضعة لمصر أو حليفة لها ، وكان الأمر يتطلب وجود ملك قوى من طراز تحتمس الثالث أو امنحبت الثانى لىكى يحافظ على الامبراطورية لكن امنحبت الثالث كان قد أصبح شيخا محطما ولم يلبث أن مات وترك ولده الضعيف يحكم البلاد .

امنحبت الرابع :

تدل شواهد الاحوال على أن امنحبت الرابع حينما اشترك مع والده فى الحكم كان متأثرا بفكرة إحياء عبادة الشمس فى صورة « آتون » ، ولكنه كان يفهم هذا المعبود لاعلى أنه « قرص الشمس » ، بل على أنه القوة السكّانة فيه ، وقد أقام لهذه الديانة معبدا فى طيبة التى كانت تعد مقر عبادة الإله آمون - ولا بد أن كهنة آمون لم يشعروا بالارتياح لهذا الاتجاه ونظروا إليه كخطر يهدد نفوذهم فأخذوا يشيرون المتعصب

في وجه الملك حتى لا يتأذى فيه ولكن الملك كان عنيدا فاشتط في مسلكه وبدأت الحرب العوان بين الفريقين .

والواقع أن امنتخب الرابع لم يكن في أول أمره متعصبا كل التعصب للإله « آتون » بل كان يحترم كافة المعبودات ولكنه كان يميل بصفة خاصة إلى تلك التي تتصل بعبادة الشمس مثل « رع » ، و « آتوم » ، و « حور آختي » . أي أنه لم يكن مختصرا لهذه الديانة حيث أنها عرفت من قبل ولكنه رهن إلى معبودها بصورة جديدة جعلته في هيئة قرص الشمس الذي تتدلى منه أشعة تنتهي بأيدي تهب رمز الحياة وفي ذلك إشارة إلى أن القوة الكامنة في الشمس تعطى الحياة للكائنات جميعها .

وعبادة الشمس هذه كانت تختلف عن عبادة آمون من حيث أنها عبادة عامة يمكن أن يشترك فيها العالم لأنها تتعلق بظاهرة طبيعية يدركها البشر جميعا ، وقد جعل اخناتون من نفسه كبيرا لاهوتها ولم يكن يدخل النساء في خدمتها - ولما بلغ النزاع أشده بين كهنة آمون وبين الملك اشتط هذا الأخير في محاربتة لدين « آمون » متجها بكلية نحو « آتون » حتى أنه لم يكن يعترف بأله غيره ، ولكي يتعد عن طيبة - ممر الإله آمون - أنشأ عاصمة جديدة توخى أن تكون في بقعة لم يعرف لها إله محلي من قبل وهذه العاصمة هي تل العمارنة الحالية وقد أطلق عليها اسم « اخناتون » كما غير اسمه إلى « اخناتون » .

وبلغ من حقه على آمون أن أمر عماله بإزالة اسمه من كل ما يقع

تحت أيديهم من الآثار ، ولاشك في أن هؤلاء قد بذلوا قصارى جهدهم في تتبع اسم هذا الإله حتى أنهم محوه من أسماء الملوك إن كان يدخل في تركيبها .

وكانت الأناشيد التي وضعت لمدح الإله آتون تشبه بعض مزامير التوراة مما جعل بعض المؤرخين يقارنها بها ، ويرى البعض أن اخناتون كان أول مبشر بالتوحيد ولذا اعتبروه عبقرية وأنه يمثل أعظم فلاسفة العالم القديم إلا أن هذا غير صحيح نظراً لأن اخناتون كان في أول عهده يحترم كل العبادات ، ومع أنه لم يعترف بغير آتون فيما بعد فإنه لم يحارب غير دين آتون وظل يسمح بمباشرة العبادات القديمة الأخرى - ولا شك في أنه أساء التصرف لأنه لم ينل من السياسة التي اتبعها سوى سخط الكهنة والعسكريين حتى أن أهل عصره لقبوه بعد وفاته بلقب « مجرم آتون » .

ومهما اختلفت الآراء بشأن هذه الثورة الدينية وفي الحكم على شخصية « اخناتون » فإن أحوال مصر الداخلية وظروفها الخارجية لم تكن لتتفق وقيام مثل هذه الثورة ، ولم يكن « اخناتون » بالشخصية المناسبة لتولى عرش البلاد في تلك الآونة على الاطلاق إذ أنه في أغلب الظن كان شخصية ضعيفة مهزوزة وألعوبة في يد أهل بيته ، نشأ محروماً من الصفات التي جعلت من أسلافه ملوكاً ممتازين فلم يوث من الكفاءة الحربية أو المهارة السياسية ما يمكنه من مجابهة الاحداث والظروف التي تعرضت لها البلاد ولذا حاول أن يغطي ضعفه بالفرغ كلية للشؤون الدينية ولم يلتفت لأى أمر من أمور الدولة وأهمال الاعباء الملقاة على عاتقه كملك

لمصر فأخذت الأحوال في المستعمرات المصرية في جنس وحب غربى آسيا
تزداد سوءا وخاصة لأن الهيئيين كانوا قد كونوا مملكة قوية عملت على ضم
الولايات السورية إلى ممتلكاتها ونجحت في إخضاعها لسلطانها الواحدة
تلو الأخرى ، كما أن مدنا كثيرة في فينيقيا وفلسطين أخذت تستقل عن مصر
ونشبت الحروب والمنازعات فيما بينها ولم يبق على الولاء لمصر
إلا بعض الولايات الضعيفة التي أخذت تستنجد بفرعون وأرسلت له عيدا
من الرسائل ليعمل على حمايتها ولما أصم أذنيه ولم يحرك ساكنا .

ولاشك في أن طائفة من المخلصين وذوى المطامع وجدوا أن الظروف
السائدة كانت تدعو إلى التخلص من هذا الملك وسواء كان ذلك بغية
إصلاح الأمور أو تحقيقاً لأهداف ومطامع خاصة فقد دبر هؤلاء
مؤامرات لاغتياله ولكن حراسه كانوا دائمى اليقظة والحذر ، ومن المرجح
أن اخناتون قد أغضب الكثيرين من المحيطين به ، بل ويحتمل أن زوجته
نفرتيتى قد غضبت منه هى الأخرى حتى أنه فى نهاية عهده عرف
عن الاتصال بالناس وانتحى بعيدا عنهم فى قصره بينما أقامت نفرتيتى
فى طرف آخر من المدينة ، ولا يعرف حتى الآن كيف انتهت حياته ولكن
بما لاشك فيه أنه لم يترك وريثاً للعرش إذ كانت كل ذريته من البنات -
ويرى بعض المؤرخين أن المملكة دتى ، والده اخناتون قد ذهب إلى
فى اخناتون وحاولت اقناعه بمهادنة كهنة آمون ولكن المرجح أن جردها
فى هذا السبيل لم تكن موفقة كل التوفيق ، وقبل وفاته بقليل أشرك معه
فى الحكم زوج كبرى بناته المدعو « سمنخ كارع » .

ولئن كان عهد اخناتون يمثل فترة من فترات الضعف والفوضى إلا أنه

كان من جهة أخرى يمثل عهداً من العهود التي تميزت بظهور نوع من الفن لم يعرف في مصر من قبل وهو الذى اصطلح على تسميته باسم فن مطابقة الحقيقة Realism حيث أصبح الفنانون يمثلون الاشخاص على حقيقتهم فمثلوا اخناتون بعيوبه الجسدية ولم يكن هذا متبعاً من قبل وخاصة في تماثيل ونقوش الملوك الذين كانوا يمثلون في صورة أقرب إلى الكمال الجسدى ، فهما بلغوا من الكبر كانوا يمثلون في شرح الشباب كما أقبل الفنانون على تزيين القصور والمباني بالرسوم والنقوش التي تمثل مناظر الطبيعة في أجمل صورها ، ولكن ما أن انتهى عهد العمارنة حتى رجع الفنانون إلى صرامة التقاليد القديمة وانتهى عهد هذا الفن الجديد .

سمنخ كارع :

مازلنا نجهل أحداث عهده ولكن من المنفق عليه أنه رجع إلى طيبة (١) وأنه لم يعمر طويلاً وتبعه في الحكم « توت عنخ آمون » .

توت عنخ آمون :

كان اسمه « توت عنخ آتون » وهو الصهر الثانى لآخناتون حيث أنه كان متزوجاً من ابنته الثالثة ، ويبدو أنه عاش مع نفرتيتى أثناء انفصالها عن زوجها آخناتون - وقد أسرع هو وزوجته بالعودة إلى طيبة بعد وفاة آخناتون وغير اسمه إلى « توت عنخ آمون » واعتلى العرش وهو حديث السن ولكنه لم يعمر طويلاً إذ أنه مات بعد أن حكم نحو ثمانية أعوام

ركان حينئذ في الثامنة عشرة من عمره تقريباً ، ومع هذا فقد حظى بشهرة عظيمة وخلد اسمه في التاريخ إذ كان لاكتشاف مقبرته (١) دوى هائل في جميع أنحاء العالم نظراً لما حوته من أثار وكنوز تعد أمن عاديات المتحف المصرى بالقاهرة .

والظاهر أن ديانة آتون كانت في طريقها إلى الزوال منذ أواخر عهد اخناتون وأصبحت أضعف من أن تقف على قدميها بعد وفاته لأن أحداً من خلفائه لم يحاول على الإطلاق أن يهتم لشأنها بل عادوا إلى ديانة آمون الذى أصبح نفوذه أقوى مما كان (٢) ، ولاشك في أن ضعف اخناتون وخلفائه كان من أهم العوامل التي أدت إلى ضعف سلطان البيت المالكة وإلى القضاء على ديانة آتون فاستطاع بعض رجال ذلك العهد الوصول إلى مركز الصدارة ، ومن أهم هؤلاء « آى » الذى تولى العرش بعد توت عنخ آمون وخليفته « حور محب » الذى يعد مؤسس الأسرة التاسعة عشرة .

(١) أكتشفت هذه المقبرة في ٤ نوفمبر سنة ١٩٢٢ — أنظر

H. Carter, The Tomb of Tut Ankh Amen (London 1923-33)

(١) لاشك في أن الاساليب التي اتبعت في عبادة « آتون » كانت لانصادف هوى في نفس المصرى القديم الذى يهود أن يرى صورة مجسمة للاله في هيئة إنسانية أو حيوانية كذلك كانت معابد آتون مكشوفة وطقوسه تغام أمام المساء ولا يكتبها العروس ولا الإبهام الذى يحيط بعبادة الآلهة الأخرى التي كانت معابدها في أجزاء منها على الأقل بيئمة عن رؤية العامة مما يبعث في نفوسهم الرهبة وينسبون إليها الاسرار العميقة ولذا كان من المتوقع أن تختفى ديانة آتون وبعود المصرىون إلى الديانة التي ألعوها وهي ديانة آمون .

وكان « آى » ، فى بداية الأمر من رجال الحرب ثم تحول إلى الكهنوت قبل أن يتولى العرش أما حور محب فكان قائدا ومشرفا على بيت الملك وشؤون القصر .

ويبدو أن البلاد أخذت تحاول النهوض من جديد منذ أن عاد البيت المالك إلى طيبة وبدأ توت عنخ آمون بإصلاح بعض المعابد وإنشاء معابد أخرى فى مصر والنوبة ولإعادة اسم آمون على الآثار التى حى منها ، ومن المرجح أن قائد جيشه حور محب استطاع أن يقضى على بعض الثورات التى نشبت فى فلسطين كما يحتمل أنه أعاد ضم بعض الولايات التى كانت مصر قد فقدتها .

وقد أشارت بعض المصادر التاريخية إلى أن أميرة مصرية أرسلت إلى ملك الحيثيين رسالة تذكر له فيها أنها تزلت ولم يترك زوجها وريثاً للعرش وأبدت رغبتها فى أن يرسل إليها أحد أبنائه لىكى تتزوجه ويعتلى معها العرش (١) ولسكن حور محب استطاع مقابلة الأمير الذى أرسل إليها قبل وصوله إلى مصر وقتله .

آى :

كان كبيراً للكهنه ومن الألقاب التى أطلقت عليه لقب « الآب المقدس » ، وقد تبع توت عنخ آمون على العرش رغم ما يبدو من تفوق

(١) ظن بعض الأثريين أن هذه الأميرة هى نفرتيتى زوجة اخناتون ولكن أصبح من المرجح الآن أنها زوجة توت عنخ آمون (عنخ - س - إن - آمون) أنظر -
O.R Gurney, The Hittites, (Pelican A 259), pp. 31 - 2.

نفوذ حور محب عليه ، والظاهر أنه كان يمت بصلة القرابة للملكة « تي » (١) زوجة المنحطب الثالث « ونفرتيتي » زوجة اخناتون آى أنه كان أقرب الأشخاص لسلفه الملك الشاب .

ولم يحكم آى أكثر من ثلاث سنوات أقام فيها بعض المباني ، ولا نعرف كثيرا عن حكمه - ومن المرجح أنه تزوج إحدى أميرات البيت المالك التي يرى بعض المؤرخين أنها أرملة توت عنخ آمون ولكن هذا غير مؤكد ، ولعل زواجه بالملكة « تي » أكثر احتمالا - وربما كانت المقبرة التي هيئت على عجل لكي يدفن فيها « توت عنخ آمون » هي التي كانت أصلا معدة للملك « آى » الذي شيّد لنفسه مقبرة أخرى .

الأسرة التاسعة عشرة

حور محب :

سبق أن اشرنا إلى أنه كان قائد الجيش وأنه وصل إلى مكانة ممتازة ، كانت تؤهله لأن يكون أنسب رجال عصره لاعتلاء العرش بعد « توت عنخ آمون » ، لولا أن « آى » كان فيها يبدو من يمتون بصلة القرابة للبيت المالك .

والظاهر أن حور محب قضى معظم حياته قبل اعتلاء العرش في مدينة منف وفي أثناء الفترة التي كان فيها قائدا للجيش بنى لنفسه مقبرة فيها ، ولم يعثر من هذه المقبرة إلا على بعض أحجار قليلة .

(١) يرى البعض أنه كان أخا غير شقيق للملكة تي - أنظر JEA 43, p. 35

وقد شاهد الفوضى التي سادت عهد اختاتون وظلت آثارها عقب وفاته ولكنه أظهر ولاءه وإخلاصه للعرش في أكثر من مناسبة وخاصة في عهد توت عنخ آمون ، ونال لديه حظوة كبيرة - وحينئذ مات الملك د آي ، لم يكن هناك من هو أكفأ منه ، وأراد أن يكتسب شرعية اعتلائه للعرش فتزوج من الاميرة د موت نزم ، التي يظن أنها كانت أخت نفرتيتي .

ولما تولى الملك كانت الفوضى مازالت ضاربة أطنابها والفساد منتشرًا في كافة الشؤون ولذا حرص كل الحرص على إزالة أسبابها فسن القوانين ووضع من التشريعات ما ينص على محاربة الرشوة ومنع الظلم والقسوة وخاصة فيما يتعلق بمعاملة الرقيق وصغار المواطنين وحرم تعطيل أى أمر من الامور التي تتعلق باقتصاديات الدولة كما حرم السرقة واستغلال العمال أو الفلاحين في العمل دون موافقة سادتهم ، وقد فرض أقصى أنواع أنواع العقوبات على كل من يرتكب إحدى هذه الجرائم ، كذلك أصدر أمره بعمل كثير من الإصلاحات الإدارية وأصلح المحاكم وتشدد في عقوبة القضاة الذين يجردون عن العدالة ونظم أمور الجيش ووضع نظاما دقيقا للبروتوكول .

وربما كان في استطاعته أن يوجه نشاطه نحو الشؤون العسكرية وأن يقوم ببعض الحملات الحربية ولكنه آثر أن يتفرغ للإصلاح الداخلي فعند معاهدة بينه وبين ملك الحيثيين حتى يتجه بكلمته إلى محاربة الفساد الداخلي الذي كان منتشرا في كافة الميادين حتى أن بعض السرقات حدثت في المقابر الملكية ولذا أمر بالتنقيش عليها ، وكان من نتيجة ذلك أن أعيدت محتربات مقبرة د توت عنخ آمون ، بعد اكتشاف سرقتها وكسدت

محتويات المقبرة فيها على عجل ثم ختمت بختم الجبانة بعد اغلاقها للمرة
الاخيرة إلى أن تم الكشف عنها - كذلك أمر حورمحب بإصلاح المعابد
وترميمها ، وبني لنفسه مقبرة في وادي الملوك تعد من أكبر
مقابر طيبة .

ولابد أنه نجح فيما كان يهدف إليه من استتباب الامن والقضاء
على الفساد لأن مصر تمسكت بعد ذلك من العودة إلى نشاطها الخارجى
واستطاعت أن تحصل على انتصارات باهرة .

وقد حكم حورمحب نحواً من ثلاثين عاماً ولم يترك وريثاً للعرش ،
والظاهر أن رجال الجيش كانوا قد سيطروا على البلاد لأننا نجد
أن الذى يخلفه على العرش وهو رعسميس الأول كان هو الآخر
من قواد الجيش قبل أن يتولى الملك .

رعسميس الأول :

كان هذا الملك من مدينة صان الحجر التى كانت مقراً لعبادة الإله دست ،
وكان قائداً من قواد الجيش كما سبق أن اشرنا ، وكذلك كان ولده
الذى تلاه فى الحكم من القواد أيضاً وكان كل منهما يشغل
مركز الوزير .

ومع أن حكم رعسميس الأول لم يتجاوز العامين إلا أنه امتاز بالنشاط
فى تشييد المباني وبالجزم فى إدارة البلاد - وقد بنى معبداً فى بوهن -
ويحتمل أن ذلك كان على إثر حملة قام بها إلى السودان فى السنة
الثانية من حكمه .

سيتى الاول :

كان سيتى عند موت أبيه قد تجاوز سن الشباب ، وقد تقلد عدة وظائف في عهد حور محب كما أصبح ساعد والده الايمن في أثناء حكمه ولذا سار في سياسته على نهجه وأمر باتهام مالم يتمه من المباني بإصلاح الآثار المخربة التي لم يتم إصلاحها - وقد حدثت ثورة في بداية عهده على حدود مصر الشرقية استطاع أن يخمدتها ونقش تفاصيل انتصاراته على جدران معبد الكرنك حيث بين فيها أنه هزم بدو سينا وجنوب فلسطين ، والظاهر أن بعض الولايات قد أصابتهما عدوى الثورة بعد ذلك بتحريض من مملكة الحيثيين ، وتجمعت جموع الثائرين في مدن مختلفة تمهيدا للاجتماع في مكان سرى يقومون منه بثورتهم الجماعية إلا أن سيتى أحبط محاولتهم إذ أرسل لكل مدينة فرقة من فرق الجيش وتم له النصر فخضعت له فلسطين وفينيقيا وجنوب سوريا ، ثم حدثت ثورة في ليبيا أسرع بتأديها على حدود مصر الغربية - ومن المرجح أن ذلك كان في السنة الثانية من حكمه .

والظاهر أن سيتى تمكن بأن الحالة مستظل سيئة في آسيا طالما استمرت دولة الحيثيين في دسائسها ضد مصر ولذا سار للقاء الجيوش الحيثية ودارت بينه وبينهم معركة في شمال قادش عاد منها إلى مصر منتصرا ، ولكن يبدو أن هذا الانتصار لم يكن حاسما ولم يقض على قوة الحيثيين وإن كان قد أوقف مؤمراتهم ضد مصر في الولايات السورية .

وتشير النقوش التي نقشت على بعض آثاره الى أنه أخضع نارهارينا

(أى أعلى الفرات) والمملكة الحيثية وآسيا (قبرص) ، ولكن يبدو أنه نقل هذه الأسماء من النقوش القديمة وخاصة تلك التي تبين انتصارات تحتمس الثالث وعلاقاته مع تلك الجهات - ويشير نص مؤرخ بالسنة الرابعة أو الثامنة إلى أنه قام بحملة إلى النوبة أخضع فيها بعض أجزائها ولكن يشك في ذلك أيضا (١) ، وحتى مع فرض قيامه بهذه الحملة إلى النوبة فإنها كانت قليلة الأهمية بالنسبة لحملاته الأولى في آسيا ولتلك التي وجهها ضد الليبيين .

ومن المحتمل أنه عقد معاهدة مع ملك الحيثيين احترم فيها كل فريق حدود الفريق الآخر وساد السلام بينها وبذلك تمكن سیتی من التفرغ للإصلاحات الداخلية فشيّد الكثير من المباني التي (٢) امتازت بالروعة وجمال النقوش وبعضها يعد من أجمل ما تركه الفراعنة من آثار - وقد اهتم سیتی باستغلال المناجم والمحاجر وخاصة مناجم الذهب ، وإلى عهده ترجع أقدم وثيقة جغرافية في التاريخ حيث توجد بردية في متحف تورين مبین عليها موقع منجم الذهب القريب من معبد الراديسية وقد بينت في هذه الخريطة الطرق المختلفة وبعض المعلومات التي تساعد على التعرف على الطريق المؤدية إلى تلك المناجم ، كذلك أمر سیتی بحفر كثير من الآبار في الصحراء لمساعدة المسافرين إلى مناطق استغلال المعادن والمحاجر .

(١) JEA 25, p. 142

(٢) من هذه مقبرته ومعبده في البر الغربي الاصحى ومعبد أييدوس وغيرها

هذا وقد حكم سيتي الاول سبعة عشر عاماً مات في أثنائها ولى عهده
ولذا اعتلى العرش من بعده ولده الثانى رعمسيس الثانى .

رعمسيس الثانى

حظى رعمسيس الثانى بشهرة لم يحظ بمثلها أى فرعون آخر نظراً لأن
حكمه الطويل - الذى بلغ نحواً من ٦٧ عاماً - هيا له الفرصة لتشييد
عدد ضخم من المباني التى خلدت اسمه فى التاريخ .

وفى أول عهده أمر بإتمام المباني التى كان والده قد بدأها ، ومن أهم
هذه معبد أبيدوس الذى نقشته به لوحة الأجداد المشار إليها عند
السلام على المصادر التاريخية (١) ومعبد القرنة (٢) كذلك أقام بعض المباني
المتخلفة مثل الرامسيوم ومعبدته فى الأقصر فضلاً عما شيده فى الكرنك
وفى جهات أخرى من مصر والنوبة كما نجح فى حفر بئر فى الطريق المؤدية
إلى مناجم الذهب بالنوبة .

ومن المحتمل أن مملكة الحيثيين عمات على نقض المعاهدة التى سبق
أن أبرمتها مع مصر فى عهد والده حيث أخذت هذه المماسكة فى تشجيع أمراء
سوريا على الثورة مما جعل رعمسيس الثانى يذهب إلى آسيا فى السنة الرابعة (٣)

(١) أنظر أعلاه ص ٦٠

(٢) هو المعبد الجنزى الذى بناه على الضفة الغربية للنيل أمام الأقصر .

(٣) يشير رعمسيس الثانى فى لوحة عثر عليها فى أسوان إلى أنه فى السنة الثانية من حكمه قضى
على الآسيويين والحيثيين وبابل وأجانب الشمال التمجو والنوبيين ولكن يبدو أنه لم يقم فى هذه
السنة بأى حملة إلا إلى النوبة فقط أنظر Breasted, AR III, 46, 478 - 479

من حكمه ويوطد مركزه هناك ويطمئن على خطوط مواسلاته وعلى حاميات الموانئ ثم رجع إلى مصر حيث أخذ يعد العدة لمقابلة الجيوش الحيثية التي توقع الاصطدام بها في سوريا - وبالمثل أخذ ماتيللا - ملك الحيثيين - يستعد للملاقاته فضم إلى قواته كثيرا من قوات أمراء وملوك المنطقة الذين أرادوا التخلص من سلطان مصر كما استعان بكثير من الجنود المرتزقة وجمع كل هذه القوات في قادش استعدادا للقائه بعيسى الثاني الذي استعان هو الآخر بالجنود المرتزقة وتقدم في السنة الخامسة من عهده نحو عدوه وكان يجمل الموقع الذي تجمعت فيه الجنود الآسيوية ، فلما وصل إلى وادي نهر العاصي قبض رجاله على جاسوسين زعموا أن ملك الحيثيين قد تقهقر بجيوشه نحو حلب وكان جيش عيسى مقسما إلى أربعة فرق يقود إحداها بنفسه ، فلما علم عيسى بما زعمه الجاسوسان أسرع في تقدمه خلف عدوه إلى الموقع المزعوم دون أن ينتظر أن تلحق به بقية الفرق - فلما عبر نهر الأورنت (العاصي) عسكر بجيشه أمام قادش بينما كان ملك الحيثيين وحلفاؤه يحتفون وراء اللال المجاورة لها وسرعان ما علم هؤلاء بوصول عيسى الثاني فقاموا بحركة التفاف حول المدينة إلى الجهة الأخرى من النهر ، وما أن أخذت الفرقة الثانية من فرق الجيش المصري في عبور النهر إلا وعبر من خلفها هؤلاء المتحالفون وهاجموها على غرة فأصاب الذعر رجالها وجعلوا يفرون إلى المعسكر المصري طالبا للنجاة وتبعمهم رجال الحيثيين حيث أذهلت المفاجأة رجال الفرقة المصرية المعسكرة التي كان يقودها عيسى بنفسه ، ولم يجد عيسى بدا من الاندفاع في الهجوم بفلول فرقة يدافع عن نفسه - ومع أن كثيرا من رجال الفرقتين تحلوا عن الدفاع عنه إلا أن البقية

الباقية التفت حوله كحرس خاص حينما شاهدوا شجاعته الفائقة وثبتت قلوبهم والتحموا مع العدو - وفي تلك الاثناء وصلت نجدة من شباب فلسطين المجندين تحت إمرة بعض الضباط المصريين وبذلك أنقذ الملك ورجاله من كارثة محققة وخاصة لأن جيوش المتحالفين كانت قد أخذت في الانشغال عن القتال الصحيح واتجهت للسلب والنهب في معسكر المصريين .

ومع أن القتال انتهى في ذلك اليوم بنجاة الفرعون ورجاله إلا أن النصر لم يكن حاسماً لأي من الفريقين وقد وصلت الفرقتان الأخيرتان من جيش رعمسيس بعدئذ إلى ميدان المعركة وتحفز الجميع لمعركة فاصلة في اليوم التالي ولكن ملك الحيثيين عرض الصلح واتفق الطرفان على عقد معاهدة يحترم فيها كل منهما حدود الآخر ولا يتدخل في شؤون رعاياه .

وقد عاد رعمسيس بجيوشه إلى مصر ولم يستولى على قادش كما كان يأمل ، أى أن الإمبراطورية المصرية أصبحت قاصرة على فلسطين ولبنان والجزء الجنوبي من سوريا وبعض الموانئ ، ومع ذلك فقد أذاع في طول البلاد وعرضها بأنه انتصر على أعدائه وأباد منهم عشرات الألوف ووضعت قصيدة نقشت على كثير من آثاره وهي تصف معركة قادش وشجاعة رعمسيس في قتاله وحيداً ضد جيش المتحالفين وانتصاره عليهم بفضل مساعدة الإله آمون له - ويجب أن لا يغيب عن الذهن أن ادعاء رعمسيس الثاني الانتصار يتنافى مع الواقع ، ومن المعقول أنه إذا كان هناك انتصار مصرى على الاطلاق فإنما يتمثل ذلك في نجاة الملك فحسب وما يؤيد ذلك أن المصادر الحيثية تشير - على العكس من ذلك - إلى انتصار خاتوسيل

(ملك الحيثيين) وإلى هزيمة المصريين ولاشك في أن شواهد الأحوال تدل على أن المصادر الحيثية أصدق من المصادر المصرية فيما يختص بهذه الواقعة وخاصة لأن الحيثيين كانوا يحاولون السيطرة على مملكة الاموريين ولكن ملكها بنتشينا وقف إلى جانب مصر ولم يخضع لتهديد الحيثيين وحلفائهم فلما نشبت المعركة اخفى اسم بنتشينا كملك على الاموريين وحل محله ساييل الذي اعترف بسيادة الحيثيين وهذا يؤكد أن النصر كان حليفهم .

ولا بد أن هذه المعركة كانت ذات أثر كبير لأنها هزت النفوذ المصرى فى آسيا هنا عنيقا فلم يكفد يعض عامان حتى كانت فلسطين قد ثارت على مصر وامتدت الثورة حتى وصلت الحدود المصرية نفسها فسارع رعمسيس إلى إخماد الثورة وأخضع فلسطين كلها من جديد كما أخضع بلاد الاموريين لسلطانه واستولى على حصن دابور وعلى مدينة تونيب وامتد سلطان مصر إلى فينيقيا ، وربما فرض رعمسيس سيادته كذلك على جزر البحر المتوسط حيث أشار إليها على جدران معبد الرامسيوم ضمن البلاد التى أخضعها وإن كان يبدو أنه تغالى كثيرا إذ دون أسماء بعض الأقطار التى يهتمل أنها خطبت وده بالهدايا على أنها أصبحت خاضعة له .

وقد استقرت الامور فى آسيا بعض الوقت ولكن حدث أن نشب نزاع عائلى على العرش فى البيت المسالك الحيثى وكان هذا النزاع حافزا لرعمسيس على التدخل لمصلحة أحد المتنازعين ولكن منافسة فاز بالعرش وفى نفس الوقت أخذت مملكة آشور تظهر على مسرح السياسة الدولية فى هذا الجزء من آسيا وبدأت تبسط سلطانها على ماجاورها ، وعندئذ رأى خاتوسيل

(الملك الحيثي الذي تمكن من الوصول إلى العرش) أن يكتسب صداقة مصر حتى يتفرغ للصراع ضد آشور فعقد معاهدة صلح مع رععمسيس الثاني في السنة الحادية والعشرين من حكم هذا الأخير - وقد كتبت هذه المعاهدة على لوح من الفضة بالخط المسامري وترجمت إلى اللغة المصرية في نسختين وجدت إحداها بالكرنك والثانية بالرامسيوم كما عثر على الأصل الحيثي في بوغازكوى ، وهي تنص على تأكيد الصداقة بين مصر وحيثا وألا تعدى إحداها على الأخرى وأن تسلمها المجرمين الفارين من بلادها واستشهدت كل من المملكتين على التمسك بنصوص هذه المعاهدة بأهله وبلادها العظمى - وقد ظلت تلك المعاهدة قائمة يحترهما الجانبان وزاد من توثيقها فيما بعد أن رععمسيس تزوج في السنة الرابعة والثلاثين من حكمه ابنة ملك الحيثيين التي جاءت إلى مصر في حاشية ضخمة من الوصيفات الآسيويات ، وانتهز والدها والكثيرين من رجاله فرصة هذه المناسبة وقدموا لزيارة مصر وبذلك حل السلام بين البلدين إلا أنها تعرضت لمناعب أخرى فيما بعد حيث نشب النزاع العائلي من جديد في البيت الممالك الحيثي ثم انهارت دولتهم أمام ضغط عناصر هندو أوربية تدفقت من أواسط آسيا في عربات ضخمة تجرها الثيران - وقد توفي رععمسيس الثاني قبل أن تهدد هذه العناصر مصر تهديداً مباشراً فكان الدفاع عنها من نصيب ولي عهده مرتبهاح على أن خطرهما على مصر لم يذته بعد ذلك تماماً بل تجدد في عهد رععمسيس الثالث الذي كاشفهم أيضاً وما تحدر ملاحظته أن رععمسيس الثاني مات بعد أن بلغ من العمر

أكثر من تسعين عاماً ، ولما كان مولعا بتخليد أعماله فقد أناح له حكمه الطويل فرصة تشييد عدد من الآثار المهارية يفوق ماشيده أى فرعون آخر وكان بعض المؤرخين يرى أنه لم يكن صاحب الفضل فى إقامة كل هذه العماثر إلا أننا نلاحظ أنه رغم اغتصابه لآثار بعض من سبقه من الملوك - قد أقام من هذه الآثار عددا أكبر مما أقامه أى فرعون آخر وكان نشاطه فى ذلك لا يقف عند حد فلا نكاد نجد منطقة أثرية فى مصر دون أن يرد فيها اسمه كما أنه أكثر الملوك نشاطا فى إقامة المعابد فى النوبة التى تميزت فى معظمها بالموقع الفريد وروعة التصميم وتتجلى عظمتها بصفة خاصة فى معبدى أبو سمبل .

والظاهر أن كثرة مشاغله فى آسيا قد جعلته يؤمن بأن طيبة كعاصمة ذات موقع لا يتناسب مع الظروف الدولية القائمة فهى شاسعة البعد عن مجريات الأحداث العالمية ولذا أنشأ عاصمة جديدة فى شرق الدلتا أطلق عليها اسم « بررعسيس » ومازال المؤرخون مختلفين فى تحديد موقعها على وجه الدقة ، كذلك نجد أنه أنشأ مدينة عسكرية فى هربيط أدخل فيها عبادة شخصه وهو حى .

وكان رعسيس الثانى مزواجا تزوج بالكثيرات ومنهن بعض بناته وقد أنجب كثيرا من الذكور والإناث لم يجمع المؤرخون على عددهم ، وقد مات كثير من أبنائه الذكور أثناء حياته ومنهم أكبر أبنائه فلم يخلفه على العرش إلا ولده الخامس عشر وهو مرتباج الذى كان - مع ذلك - يقرب من الستين من عمره حينما تولى العرش .

ولاشك في أن رعمسيس الثاني يعد مسترلاً إلى حد كبير عن كثير من عوامل الضعف التي انتابت البلاد وكانت لها آثارها فيما بعد ، فتورطه في الاستعانة بالجنود المرتزقة الأجانب كان ذو أثر بعيد إذ أن خلفائه تغالوا في استخدامهم فضعفت الروح العسكرية لدى المصريين حتى أن فرقة من الجيش المصرى في نهاية الدولة الحديثة كانت لا تضم سوى خمسمائة من المصريين من مجموع أفرادها الذين يبلغون الألفين في حين أن بقية أفرادها كانوا من الليبيين والنوبيين ومن شعوب البحر المتوسط وقد زاد زواجه بإبنة ملك الحيثيين التي جاءت إلى مصر في حاشية ضخمة من امتزاج الدماء المصرية بالدماء الآسيوية وخاصة في القصر الملكي بين كبار رجالات الدولة وأضعف الروح المصرية الخاصة ، كذلك كان لتشييده عاصمة جديدة في الدلتا - مع بقاء طيبة متمتعة بالسيادة الدينية كقر للاله الرسمي في الامبراطورية - أثره في ابتعاد السلطة الدينية عن الإشراف الفعلى للسلطة الزمنية مما أتاح الفرصة للسكينة كي يستغلوا نفوذهم ببعيد عن الرقابة الادارية ، كما كان في قرب د برعمسيس ، - العاصمة السياسية - من مواطن الصراع في الشرق الأدنى (مع ظهور قوة دقية في غرب آسيا) تهديد دائم لآمن الدولة وسلامتها ، وما زاد الحالة سوءا شدة ولع رعمسيس الثاني بإقامة المبسائي الضخمة ومغالاته في الإكثار منها حيث أدى هذا إلى إنهماك موارد الدولة واستنفادها ، وفوق ذلك كله كان امتداد أجل رعمسيس الثاني نفسه إلى أن أصبح شخصا مسنا للغاية سببا في عجزه عن القيام بأعباء دولته على الوجه الأكل ولذا يمكن أن يقال بأن رعمسيس الثاني ترك لخلفائه امبراطورية قد أصابها الوهن وأصبحت في طريقها إلى الإنهيار .

مرئبتاج :

سبق أن ذكرنا أن مرئبتاج كان يقرب من الستين من عمره حينما اعتلى العرش ومع هذا فقد كان مالكا على الهمة لم تحل شيخوخته دون قيامه بجهود مشكورة في سبيل المحافظة على امبراطوريته ، فلما قامت ثورة في آسيا في السنة الثالثة من حكمه لم يتوان في لإخادها وسجل ذلك على لوحة ورد بها اسم اسرائيل لأول مرة مما دعا إلى الزعم بأنه هو الفرعون المقصود في قصة موسى الواردة في الكتب السماوية ولكن لا يمكن تأييد هذا الزعم لعدم وجود وثائق تاريخية كافية لتأكيده (١) وسواء قام باخماد هذه الثورة بنفسه أو أرسل أحد قواده فان اتهامه بالقضاء عليها يدلنا على أنه لم يشأ التهاون في حق مصر أو التفريط فيه .

وقد أنقذ مرئبتاج مصر من الهجوم الشامل الذي شنه عليها الليبيون وحلفاؤهم في السنة الخامسة من حكمه ، وكان الهجوم على ما يبدو نتيجة لهجرات بعض الشعوب الهندو أوربية التي تجمعت على ساحل أفريقيا الشمالي ثم اتجهت مع القبائل الليبية نحو مصر بقيادة أحد الزعماء الليبيين إلى أن وصلوا إلى منطقة في غرب الدلتا وتوغلوا فيها

(١) مازالت الاختلافات كبيرة بين المؤرخين بشأن تاريخ خروج الاسرائيليين من مصر فبعضهم يرى أنه تم في عهد الهكسوس وبعضهم يرى أنه تم في عهد الامرة الثامنة عشرة، وحتى في هذا يختلفون فمنهم من يعتقد أنه حدث في عهد تحتمس الثالث، ومنهم من يطن أنهم أخرجوا من مصر في عهد أمنحتب الثاني أو الثالث ، ومنهم من يرى أنهم أخرجوا على إثر ثورة إخناتون الدينية ، كما أن منهم من يرى أنهم أخرجوا في عهد مرئبتاج كما أشرنا .

حتى اقتربوا من كفر الزيات إلا أن مرنبتاح تمكن من هزيمتهم هزيمة ساحقة حتى فروا على أثرها ووقع منهم آلاف الأسرى في أيدي المصريين ، والظاهر أن فلول الليبيين اتجهت نحو الجنوب بغية الوصول إلى وادي النيل في منطقة النوبة ولكن المصريين استطاعوا أن يردوهم كذلك .

ولم يطل حكم مرنبتاح أكثر من ثماني سنوات مات بعدها وترك العرش فريسة للاختلافات العائلية التي نشبت بسبب كثرة عدد الأمراء الذين أمجهم رمسيس الثاني - وقد أدى هذا إلى اغتصاب البعض للعرش ولم يحدث في عهدهم ما يستحق الذكر سوى أن أحدهم وهو مرنبتاح سابتاح ذهب في حملة إلى النوبة لتثبيت حاكمها في منصبه عندما قامت هناك ثورة ضده ، ومن هذا نستنتج أن النوبة ظلت على صلتها بمصر وأنها كانت من الأهمية بحيث انتقل إليها الفرعون بنفسه لكي يثبت حاكمها في منصبه كما يدل ذلك من جهة أخرى على أن الحكم المصرى لم يكن ليقابل فيها دائما بالرضى وإنما كان أحيانا يجد معارضة شديدة إما من النوبيين أنفسهم أو من رجال الإدارة المصريين الذين كان يرأسهم ذلك الحاكم .

وأواخر عهد هذه الأسرة يمثل فترة غامضة لا نعلم عنها إلا أسماء بعض الملوك ومدة حكم كل منهم ومنها نثيين أن غالبيتهم لم يحكموا سوى فترة قصيرة جدا وما زال ترتيب حكمهم مشكوكا فيه ، بل ولا نعرف كذلك كيف انتهت هذه الأسرة وإنما يبدو أن الفساد قد عم أنحاء البلاد وتفاقت الحالة بسبب وجود عدد كبير من المرتزقة الذين كانوا يتقاضون أجورا باهظة ويتطلعون دائما إلى الاشتراك في الحروب جريا وراء

الاسلاب والغنائم ، ولما فقدت مصر مستعمراتها في آسيا نقصت إيراداتها وعجزت عن إرضائهم وخاصة بعد أن زال خطر غزو مصر وهدأت الحالة على الحدود فلم تجد الدولة بدا من أن تقطع بعض هؤلاء المرتزقة شيئا من الاقطاعات وتركت الباقين وشأنهم حيث أخذوا يعيشون في الأرض فسادا باغتصاب ما وقع تحت أيديهم من أموال وملكيات ونشروا الذعر بين الناس ، ولم تنته الأسرة التاسعة عشره إلا وكانت الثورة قد نشبت في طول البلاد وعرضها وتمكن شخص من أصل سورى يدعى « إرسو » من أن يعتلى العرش (١) واستبد بالبلاد كما تشير إلى ذلك بردية « هاريس » التى تصف على لسان رعسيس الثالث « ثانى ملوك الأسرة العشرين » سوء حالة البلاد وتبين أن والده « ست نخت » تمكن من اعتلاء العرش بعد أن طرد الغاصب السورى ونجح فى إعادة الاستقرار وبدأ عهدا جديدا حيث أصلح لإدارة الحكومية وأعاد تنظيم الجيش (٢) ولذا يعد « ست نخت » فى نظر المحدمين من المؤرخين مؤسس الأسرة العشرين .

(١) يحتمل أنه كالت رئيسا لنديون فى أواخر عصر الأسرة ١٩ وكان اسمه « باى » ثم غير اسمه بعد اعتلائه للعرش إلى « إرسو » وقد أجزر الملكة « ناسرت » على قبول اعتلاء ابنها الصغير « سبتاح » على العرش تحت وصايتها بدلا من أفرادها بالحكم ثم اعتصب العرش لنفسه بعد ذلك — أنظر JEA 44, pp. 12 ff

Breasted, AR IV, §§ 397 ff (٢)

الأسرة العثمرون

سمت نخت :

أحدث سوء الحالة في نهاية عهد الأسرة السابقة واغتصاب « إرسو » السورى للعرش استياء عاما وخاصة لانتشار المرتزقة من الأجناب والتدهور الاقتصادي الذى منيت به البلاد - ولا بد أن رجال الدين تعرضوا للتعاب ولم يأمنوا على أملاكهم ونفوذهم فسأهموا بنصيب وافر في تمكين « ستم نخت » من اعتلاء العرش وطرد الغاصب ، كما يفهم ذلك من بردية هاريس المشار إليها فيما سبق وإن لم تذكر ذلك صراحة.

وبالرغم من أن « ستم نخت » بدأ عهدا جديدا فان مايشون لا يعتبره مؤسس الأسرة العشرين بل يعتبر أن ولده « رعسيس الثالث » هو المؤسس لها - ومهما كان الأمر فان « ستم نخت » قد أعاد الاستقراد للبلاد باصلاح الادارة الحكومية وتنظيم الجيش - وبذلك هيا البلاد لأن تدافع عن نفسها ضد أعدائها وجيرانها الأقوياء الذين كانوا يتربصون بها ويطمعون فيها ، وربما كان بعض الغزاة الآسيويين قد تمكنوا من الاستيلاء على الدلتا في عهد « إرسو » فتمكن « ستم نخت » من إجلاتهم عنها ، ومع أنه لم يخكم أكثر من عامين إلا أن حكمه كان بعيد الأثر في الإبقاء على كيان الدولة وتأجيل انهيارها - وقد أشرك معه في الحكم ولده وولى عهده رعسيس الثالث الذى كان يدبر وينفذ الإصلاحات المطلوبة وبذلك تعود إدارة شئون البلاد ونجحت كفاءة عند اعتلائه للعرش .

وعهسيس الثالث :

ما أن تولى العرش بعد وفاة والده حتى وجد أن الأخطار تحيق بالبلاد من كل جانب فعمل على تقوية جيشه سريعا بإدخال فرق من المرتزقة من العناصر الليبية والسردينية إذ أن الآسيويين كانوا يهددون الحدود الشمالية الشرقية واليبين الذين سبق أن هزمهم مرتبأح كانوا يتحينون الفرص للإغارة على مصر والاستيطان فى وادى النيل .

وهكذا كان على رعسيس الثالث أن يواجه أخطاراً فى الشرق والغرب ومع ذلك فقد استطاع فى أوائل عهده أن يخمد ثورة فى أمور، وفى السنة الخامسة من حكمه استطاع أن يصد هجوما كبيرا شنه الليبيون على مصر كان يعاونهم فيه حلفاؤهم من شعوب البحر، وقد هزمهم رعسيس الثالث على حدود الدلتا الغربية وأسر منهم عددا كبيرا من الأسرى .

وفى السنة الثامنة من عهده كانت الشعوب الهندوأوربية التى تمكنت من إسقاط دولة الحثيين (١) واجتاحت آسيا الصغرى قد أصبحت عظيمة الخطر على مصر لأن موجه كبيرة من هجرتهم أخذت تتجه بطريق البر نحو منطقة شرق البحر المتوسط وتؤيدها فى نفس الوقت سفنها الحربية، فاستعد رعسيس الثالث لدفع خطرهم وجمع أسطولا كبيرا ثم تقدم بجيشه فى البر والبحر للملاقاةهم قبل أن يصلوا إلى مصر، وحدثت بين الفريقين معركة فاصلة هزمهم فيها برا وبحرا، ولا نعرف مكان حدوث هذه المعركة

- ٢٠٢ -

ولكن تفصيلاتها منقوشة على جدران معبد مدينة هابو الذى شيده
في البر الغربى لطيبه .

والظاهر أن هذه المعركة قد قضت على قوة شعوب البحر في آسيا
قضاء تاما وكانت سبباً في نجاة مصر وغرب آسيا من خطرهم ولكن
خطرا جديدا تهدد مصر مرة أخرى من ناحية الغرب حيث أن الليبيين
تحالفوا مع شعوب البحر وكرروا هجومهم عليها في السنة الحادية عشرة
من عهد رمسيس الثالث إلا أنه تمكن من هزيمتهم على حدود الدلتا ،
وحينما ارتدوا إلى الصحراء تعقبهم مسافة قصيرة وأبقى منهم عددا كبيرا
وأسر الكثيرين من بينهم قائدهم نفسه ، وهكذا استطاع أن يتخلص
من الخطر في الشرق والغرب على السواء .

ومن المرجح أنه لم يمانع بعد ذلك في هجرة الليبيين إلى مصر
فدخلوها مسالين حيث استقروا في بعض جهاتها وخاصة في الجهات الغربية
القريبة من موطنهم الاصلى وانخرط الكثيرون منهم في سلك الجنديّة
كجنود مرتزقة ، وكان هؤلاء الليبيون يتحلون بريشة فوق الرأس وعرفوا باسم
« الماشواش » وكان هذا الاسم يختصر أحيانا إلى كلمة « الما » فقط .

ولما اطمأن رمسيس الثالث إلى زوال الخطر أراد أن يعيد إلى مصر
ممتلكاتها في آسيا فاتجه إليها على رأس جيشه حيث قام بحملة موفقة يغلب
على الظن أنه وصل فيها إلى أعلى الفرات - وقد دوت في نقوش
هذه الحملة بعض التفاصيل ولكننا نشك كثيرا في قائمة البلاد التي ذكر
بأنه أخضعها إذ يرجح أنه نقل معظمها عن مصادر قديمة ، ومع هذا
فما لا شك فيه أنه نجح في إعادة جزء كبير من أملاك مصر السابقة ،

ويكفي أن الأمن قد استتب في عهده واستقر له الأمر إلى أن مات بعد أن قضى في الحكم أكثر من ثلاثين عاماً لم يصادف خلالها ما يعكر الصفو بعد الحروب والحملات التي أشرنا إليها إلا ثورة صغيرة قام بها بدو منطقة صير ولكنها أخذت بسهولة .

سقوط الامبراطورية

حاول رعمسيس الثالث أن يتشبه بسلفه العظيم رعمسيس الثاني في كل الأمور ولكنه ارتكب خطأ كبيراً إذ منح كهنة آمون وهداه كبراً من الثروات الضخمة حتى أصبح الإله آمون رع يملك مناجم الذهب في النوبة وتسمية من المدن في سوريا ونحو العشر من مجموع مساحة الاراضى المنزرعة فضلاً عن الأرقاء والماشية والحدائق مما جعل كهنة هذه الإله هم أصحاب النفوذ الفعلى في البلاد - ولم يتوانى هؤلاء في استغلال الفرصة بل تغالوا في إظهار قوة آمون ونسبوا إليه القدرة على حل المعضلات حتى أصبح الملوك وكبار الشخصيات يستلمون وحيه في معظم شؤون الدولة يأخذون بما يشير به في تعيين الموظفين ومعاقبة المذنبين ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل استلموا وحيه كذلك في شؤونهم الشخصية ولهذا أصبحت طوائف الكهنة تستغل سداجة العامة استغلالاً فاحشاً فتدهورت النواحي الأخلاقية والاجتماعية - هذا وقد جمع رعمسيس الثالث حوله عدداً من الاجانب وخاصة من الفتيات الجميلات والمستشارين الذين تقلدوا أرق المناصب وتحكموا في شؤون القصر والبلاط فأخذوا ينافسون الكهنة في الاستثمار بالسلطة وأوحوا إلى الفرعون بالاكثار من الجنود المرتزقة مما أزهق الميزانية حتى عجز القصر عن دفع مرتبات عمال المقابر في طيبة ،

ولم يجد هؤلاء بدا من الاضراب عن العمل - وكان الكثيرون من الفقراء يتهاكسون جوعا بينما كانت أكداس الحبوب والذهب تتجمع في مخازن آمون ولم يرحم رجال الدين هؤلاء الفقراء أو يمدوا لهم يد العون ومع ذلك فقد ظل رعمسيس الثالث لاهيا عن شؤون الدولة منغمسا في ملذاته ولا يدرى شيئا عما يجري من حوله حتى قامت في الدلتا ثورة أخرى ضده كانت أتريب (قرب بنها الحالية) مركزها - ومع أن هذه الثورة لم تنجح إلا أن الأحوال الداخلية في القصر كانت توحى بضرورة التخلص من الملك ولذا نجد إحدى زوجاته تنجح في نهاية عهده في الحصول على تأييد بعض موظفي القصر لتدبير مؤامرة لقتل الملك كي تتاح لها الفرصة لإعلان ابنها ملكا على مصر (١) ولكن هذه المؤامرة لم تنته بالقضاء على الملك واكتشف أمر الجناة الذين أحيلوا إلى المحاكمة أمام هيئة مكونة من أربعة عشر عضوا من بينهم أربعة من الأجانب - ومما يدل على انتشار الفساد في البلاد وتفشي الانحلال أن بعض النساء وبعض الضباط استطاعوا إغراء ثلاثة من القضاء لكي يؤثروا في سير التحقيق ولكن هذا الأمر اكتشف كذلك وقدم هؤلاء الثلاثة إلى المحاكمة فبرئ أحدهم وانتحر الثاني أما الثالث فقد حكم عليه هو ورجال الشرطة بجذع الأذنين .

ومع أن خاتمة رعمسيس الثالث لم تكن مشرفة إلا أنه لاشك

في أنه أنقذ البلاد - بل وأنقذ بلادا أخرى كذلك - من خطر العناصر الهندو أوربية التي كانت تقضى على مدينتي البلاد التي تبتاعها ، وقد ظل نشيطاً على الهمة في الجزء الأكبر من حياته وأعاد لمصر شيئاً من مجدها السابق ولم يخلد إلى حيساة اللهو والسكسل إلا في أواخر عهده بل ويمكن القول بأن مجد الإمبراطورية المصرية انتهى بعد وفاته ولم تقم لها قائمة بعد ذلك إلا لفترة قصيرة في عهد الأسرة السادسة والعشرين .

وتوالى من بعده ملوك ضعاف لم يحكموا إلا نحو خمسة وسبعين عاماً انتهى بعدها حكم الأسرة العشرين ، وفي خلال تلك الفترة الأخيرة من حكم هذه الأسرة ظلت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ وأخذ سلطان الملوك يتضائل (ابتداء من عهد رعحمسيس الرابع إلى عهد رعحمسيس الحادى عشر آخر ملوك الأسرة) حتى أصبحوا العوبة في يد كهنة آمون الذين أن يستأثروا بالسلطة - أما نفوذ مصر خارج حدودها فقد أخذ يزول تدريجياً إلى أن صار قاصراً على بلاد النوبة فقط ، ومع كل فإن هذه لم تستمر على اتصالها بمصر طويلاً بل انفصلت بعدئذ وتكونت فيها ملكة مستقلة .

وقد كثرت في عهد خلفاء رعحمسيس الثالث حوادث السرقة والرشوة ولم يكن لا أحد منهم نشاط يذكر ، وإن كنا نعرف أن رعحمسيس السادس ترك نقوشاً على كثير من الآثار في مصر والسودان وأن كثيراً من مقابر الفراعنة قد سرقت واكتشف أمر سرقتها في عهد رعحمسيس التاسع وبدأ التحقيق مع اللصوص ولكن يظن أن تلك السرقات كانت مستمرة

من عهود سابقة ، كما يبدو أن الجنساء كانوا يطمئنون إلى الموظفين الذين يكشفون أمثال تلك السرقات على أساس إرضائهم بالرشوة مما يدل على تدهور الحياة الاجتماعية وانحلال الاخلاق بصفة عامة - ولما لم يستطع ولاة الامور القضاء على حوادث السرقة أمر الملوك بنقل موميات أسلافهم خفية من مكان إلى آخر خشية من تكرار سرقتها ، ومن التحقيقات التي أجريت عن سرقة المقابر في عهد رعميس التاسع يتبين لنا أن العداة الشخصى بين رئيس البوليس في طيبة الشرقية وبين محافظ الجبابة (أى محافظ طيبة الغربية) كان سبباً فى اتهام بعض الأبرياء وتبرئة المجرمين ومن هذا يبدو أن التأثير على المحققين كان أمراً شامعاً .

وما أن تراخت قبضة الملوك حتى استفحل شر أمراء الأقاليم وأصبح كهنة آدون أصحاب النفوذ الفعلى فى مصر العليا - وما لبثت أسرة قوية فى الدلتا أن زادت من نفوذها منذ عهد رعميس التاسع ثم حدثت ثورة لم يمكن إخمادها إلا بعد أن جاء « بانحسى » حاكم النوبة وقضى عليها ، إلا أن الثورة تجددت فى عهد رعميس الحادى عشر (١) الذى لم يجد بداً من الفرار إلى طيبة حيث استقبله « حريحور » كبير كهنة آمون استقبالا حسنا وبذلك خلا الجو فى الدلتا أمام الأسرة القوية التى ظهرت فيها وتمتعت بسلطة فاقت سلطة الملك الشرعى حتى تمكن أحد أفرادها ويدعى « نسوبانبدد » أو « سمندس » من اغتصاب العرش وتكوين أسرة جديدة .

وبما سبق نستطيع أن نبين سرعة تدهور الأحوال في مصر فبينما نجد أحد ملوك الأسرة التاسعة عشر (١) يذهب لتمهئة الأحوال في النوبة وتثبيت حاكمها في منصبه نجد أن حاكم النوبة « بانحسى » يأتي في الأسرة العشرين للقضاء على الثورة التي قامت ضد رعسيس التاسع ولا ينتهي الأمر عند هذا الحد فقد اضطر آخر ملوك هذه الأسرة - رعسيس الحادى عشر - إلى الفرار من مقر ملكة في الشمال والالتجاء إلى كبير الكهنة في طيبة كما سبق أن ذكرنا .

٦ - عصر الاضمحلال الثالث

الأسرة الحادية والعشرون ونفوذ الكهنة

سبقت الإشارة إلى أن رعسيس الحادى عشر - آخر ملوك الأسرة العشرين اضطر إلى الفرار إلى طيبة لظهور أسرة قوية في الدلتا تمكن أحد أفرادها ويدعى « نسوباندد » (سمندس) من اغتصاب العرش - ومن المحتمل أن زوجة هذا الأخير كانت من أصل ملكى بما يسر له الاستيلاء على الملك بينما رحب حريحور كبير كهنة آمون في طيبة برعسيس الحادى عشر وأبقاه إلى جانبه وبذلك أصبح مطلق النفوذ في مصر العليا لأنه كان - حتى قبل أن يلجأ إليه رعسيس - يجمع السلطات الروحية والزمنية في يده حيث أنه كان يجمع بين وظائف رئيس الكهنة

وقائد عام الجيش وحاكم النوبة ، أى أنه كان يتحكم فى شئون الدولة الروحية والزمنية ، فلما أصبح الملك الشرعى لى جانبه لم ينزع سلطانه أحد فى الجزء الجنوبى من مصر ، وهند ذلك الوقت أصبح رؤساء كهنة آمون فى طيبة يهيمنون على السلطات الزمنية والروحية فى جنوب مصر وخاصة لأنهم توارثوا فى نفس الوقت قيادة الجيش وحكم النوبة ، ورغم هذا فان حالة البلاد الداخلية كانت سيئة على العموم .

ولم يعمر (حريجور) طويلا كما أن ولده (بنى عنخ) لم يعمر طويلا هو الآخر حيث عاصرهما (سمنس) - وحينما توفى هذا الأخير تبعه فى الحكم (بسوسنس الأول) الذى لا نعلم عن حكمه شيئا يذكر ، أما فى طيبة فان (باى نجم) قد خلف والده (بنى عنخ) فى رئاسة الكهنوت وتزوج من ابنة (بسوسنس الأول) .

وقد سارت البلاد من سوء إلى أسوأ وتقلصت مملكة الشمال كما بدأ نفوذ الكهنة فى الاضمحلال أيضاً ، وكانت مصر قد فقدت مستعمراتها فى آسيا ولم يعد لها أى نفوذ فيها منذ زمن ولعل أصدق ما يصور لنا حالة التسدهور التى وصلت اليها البلاد وزوال كل أثر للنفوذ المصرى فى الاقطار الآسيوية قصة المبعوث (وينامون) الذى أرسله (حريجور) لى لبنان لاجتماع خشب الأرز اللازم لصنع سفينة آمون المقدسة إذ يبين لنا هذا المبعوث كيف أنه ذهب لى الملك فى الشمال كى يساعده بالمال اللازم ولم يحظ منه إلا بقدر يسير كما يبين لنا مدى ما تعرض له من صعوبات وكيف نهبت أمواله وأتمتته وأنه لم يقابل من حكام سوريا

ولبنان إلا بالازدراء والاحتقار مع أنه كان يذكر لهم بأنه مبعوث من قبل فرعون مصر ورئيس كهنتها بعد أن كان مجرد ذكر اسم الفرعون فيها مضي كقيل بأن يبعث الرعب في نفوس ملوك آسيا ويجعل أمراء سوريا ولبنان يسارعون بتقديم كل فروض الطاعة والولاء .

وبما زاد حالة البلاد المصرية سودا وخاصة في الجنوب أن رئيس السكينة كان يحكم الناس باستلزام وحى آمون الذى كان يستشيره في كل أمر وتسلط السحر والشعوذة على أفهام الناس حتى توهم السذج والبسطاء أن الإرادة الإلهية التي يصدرها آمون كافية لتصرف الأوراكها ، ولم يقيم رؤساء السكينة أو حكام طيبة بأى عمل جليل يذكر سوى مساهمتهم في نقل جثث الملوك السابقين من مخبأ إلى آخر خشية السرقة بعد أن عجزوا تماما عن حفظ الآمن ، ومع هذا فقد تمتعوا بسلطة روحية كبيرة مكنتهم من التدخل في كثير من الشؤون المدنية بل وأتاحت لهم سلطة زمنية كبيرة إذ كانوا يستطيعون أحيانا - عن طريق وحى آمون - أن يحدوا من سلطة الملك نفسه

وحينما توفي الملك بسوسنس الأول أصبح « باى نجم » الحاكم الوحيد في مصر كلها وتولى العرش بإسم « باى نجم الأول » لأنه كان صاحب النفوذ المطلق في جنوب مصر كما أنه اكتسب حق اعتلاء العرش عن طريق زواجه بإبنة الملك الراحل ، أى أنه جمع بين شرعية ولايته للعرش وسلطة صاحب النفوذ الأقوى في البلاد وقد أنجب ولدين هما : « ماحسارتى » ، « من خسبررع » ، وقد عين أولهما رئيسا للسكينة واسكنه لم يعمر طويلا

إذ مات في حياة والده وتبعه شقيقه في رئاسة الكهنة حيث ظل يشغل هذه الوظيفة إلى أن توفي والده فتبعه على العرش .

وتدل شواهد الاحوال على أن ثورة نشبت في مصر العليسا أثناء تولى « محسارتي » لرئاسة الكهنوت نفى على أرها عدد من الثائرين إلى الواحات ولسكن - حينها وصل « من خبررع » إلى طيبة وتقلد منصب رئيس الكهنة على أثر وفاة أخيه - استصدر وحى الإله آهون بالعضو عن الثائرين بما يوحى بأن مركزه كان حرجا وان الحالة كانت سيئة رغم ما تذكره النصوص عن حفاوة استقباله والترحيب به فأغلب الظن أن ذلك لم يكن إلا ستارا اختفت وراءه مظاهر مناوأة السلطة الحاكمة التي أخذت في الظهور في مختلف المناسبات ، ومع كل فقد ظل « من خبررع » متمتعا بالسلطان سواء كرئيس للكهنة أو كحاكم مطلق بعد اعتلائه للعرش فترة تقرب من نصف قرن - ثم ظهر بعدئذ حاكم يدعى « ابن - ام - اوبت » لا نعرف صلته بالبيت المالك وربما كان مقتصبا اعتمى للعرش في الشمال ثم بسط سلطانه بعد ذلك على الجنوب ، ومن المحتمل أن نوعا من الصراع نشب بينه وبين « من خبررع » انتهى بانتصار هذا المغتصب الذي تلاه في الحكم بضعة ملوك ضعاف بينما ظلت عائلة « من خبررع » تتولى رئاسة الكهنوت .

وفي غميرة هذا الضعف الظاهر فقدت مصر هيبتها نهائيا في سوريا وفلسطين بينما ظلت النوبة على ولائها لها ولكنها أخذت في الانفصال عنها من الناحية الادارية حتى استقلت عنها تماما وفي تلك الاثناء

كانت مملكة العبرانيين قد ازدهرت وعظم شأنها وإن كنا لا ندرى هل تكونت هذه الدولة نتيجة لظهور بعض الاسرات المحلية القوية التي استطاعت أن تستقل بالبلاد أو أنها بدأت أصلاً بمساعدة المصريين - عند ظهور خطر شعوب البحر المتوسط - لكي تساهم في محاربة هذه الشعوب ودرء خطرها .

ومع ذلك يبدو أن « بوسنس الثاني ، آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وجد الفرصة للتدخل في شؤون فلسطين والاحتكاك بأمرائها إذ يتحدثنا الكتاب المقدس بأن أميراً من ايدوم ربدعى حداد (١) فرخوفا من بطش داود الذي كان قد أنشأ دولة قوية في فلسطين ، وقد وصل هذا الأمير هو وبعض أخصائه إلى مصر حيث أحسن ملكها استقباله وزوجه من أخت الملكة . وبعد مضي بعض الوقت قام الفرعون إلى كنعان في ظروف لا تعرف على وجه الدقة واستولى على جزر وخربها وقدمها كهدايا لابنته التي زوجها من سليمان (٢)

(١) سفر الملوك الاصحاح ١١ آية ١٤ وما بعدها .

(٢) سفر الملوك ١ الاصحاح ١٤ آية ٢٥ - ٢٦ ، ١٦ الاصحاح ٩ آية ١٦

مصر تحت حكم الأجانب

الأسرة الثانية والعشرون

سبق أن أشرنا إلى أن الليبيين كانوا يهددون الحدود المصرية في عهد الدولة الحديثة وأن آخر من انتصر عليهم كان رعحميس الثالث الذى سمح لهم بعد ذلك بالهجرة إلى مصر مسالين (١) - وقد وفد منهم عدد كبير ودخلوا فى خدمة الجيش المصرى كجنود مرتزقة ، ومن بين هؤلاء الوافدين أسرة قوية كان يتزعمها «يويرواوا» وقد استقرت هذه الأسرة فى إهناسيا «هرقليوبوليس» ونعمت بشيء كبير من النفوذ والسلطان إذ تولى بعض أفرادها مناصب مختلفة ومنهم من تولى وظيفة كاهن معبد إهناسيا وقائد حرس المدينة فى نفس الوقت ثم أصبحت هاتان الوظيفتان وراثيتان فى أسرته من بعده .

وتطور أمر هذه الأسرة وأصبحت من القوة والنفوذ بحيث كانت تتصل بالملك رأسا (٢) ، وبينما كانت الأسرة الحادية والعشرين تتداعى

(١) أنظر أعلاه ص ٢٠٢

(٢) كان رئيس لأسرة الليبية القوية التى استقرت فى إهناسيا يدعى شيشنقى وقد توفى ولده نمرود فدفنه فى أيدوس ، وحينما اعتدى على قبر هذا الأخير لم يذهب الأب ليشكو لرئيس الكهنة فى طيبة بل ذهب إلى الملك الذى صحبه رأسا إلى طيبة ليستعنى وحى آمون ، ولا صدر حكم آمون على الجناة أرسل الملك تمثالا لنمرود ليوضع فى أيسدوس على سبيل التعويض .

وفي طريقها إلى الإنيهار أخذت هذه الأسرة الليبية تقوى وتشدن حتى تتمكن أحدها ويدعى شيشنق من أن يستولى على العرش وجعل مقر ملكه في بوسطه (تل بسطه الحالية قرب الزقازيق) ، ومن المرجح أنه لم يجد الفرصة المواتية لاتخاذ هذه الخطوة إلا بعد وفاة آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وانقراض ذريته كما يحتمل أنه كان قد زوج ولده من ابنة هذا الملك فاكتمسب بذلك شيئاً من الحق في اعتلاء العرش بعد وفاة صهره - ويبدو أن كهنة آمون في طيبة كانوا أقل قبولا لحكمه من أهل الدلتا وإن لم ينسطيعوا إنكار حقه في العرش إذ أنهم لم يعلنوا عن رضاهم ولم يعترفوا له بالملكية مباشرة ودارت بينه وبينهم مفاوضات حول اعترافهم به ، ويخيل إلينا أن هذه المفاوضات تعثرت في أول الأمر لأنهم على الأرجح رغبوا في الحصول على المزيد من السلطة وتجريد الملك من بعض الحقوق التي كان يحتفظ بها ، وما يؤكد هذا الرأي أن لوحة في الكرنك عليها نص مؤرخ في السنة الثانية من عهد رئيس الماشواش (١) الأكبر « شيشنق » بينما نجد على نفس اللوحة نصاً آخر مؤرخ بالسنة الثالثة عشرة من عهد الملك شيشنق - أي أنه في النص الأول كان يعتبر رئيساً الليبيين فحسب بينما اعترف به في النص الثاني كملك .

ومن المؤرخين من يرى أن طائفة من كهنة آمون لم تقبل الاعتراف بحكمه وفرت إلى بلاد النوبة حيث احتجمت في منطقة نباتا وجعلت منها

(١) الماشواش هم الدربرقة الليبيون أنظر ص ٢٠٢ ، ٢١٢

عاصمة للمملكة التي أقاموها هناك ولذا يرجح هؤلاء المؤرخون أن أصل الاسرة النباتية (١) يرجع إلى هؤلاء السكينة ويستندون في ذلك إلى شدة ورع ملوك نباتا وإخلاصهم وتفانيهم في عبادة آمون وإلى أن بعض هؤلاء الملوك كانوا يحملون أسماء مصرية ، كما يستنتجون عدم قبول حكم سيشنق أيضا من قيام ثورة بالواحات الخارجية في السنة التاسعة عشرة من عهده ولكن لا يمكن الاخذ بهذه الآراء إذ ليس هناك ما يؤكد زيادة سلطان أولئك السكينة في نباتا أو أنهم تمكنوا من الوصول إلى الحكم وتكوين أسرة مملكة فيها ، كما أن تشابه أسماء بعض الملوك في نباتا مع الأسماء المصرية قد يرجع إلى أن بلاد النوبة كانت قد تأثرت بالحضارة المصرية منذ وقت طويل واصطبغت بها ، كذلك يغلب على الظن أن ثورة الواحات الخارجية ترجع إلى كثرة وجود العناصر النابتة بها لأنها كانت تعتبر منفي للبرمين وهؤلاء كثيراً ما كانوا يرغبون في التخلص من متفاهم .

ورغم ما يبدو - لأول وهلة - من عدم تحسن الأمور في مصر فإن سياسة شيشنق الأول الخارجية تدل على أنه كان موفقاً إلى حد كبير فحينما تولى العرش كان سليمان ما زال يحكم في فلسطين وكان النبي أشعيا قد تنبأ ليربعام وهو أحد أمراء اسرائيل المناوئين لسليمان بأنه سيحكم اسرائيل

(١) نسبة إلى نبتة أو نبات - بالقرب من جبل البرقل عند الشلال الرابع في إقليم مروى بالسودان الشمالى

ولما حاول سليمان القضاء على يريعام هرب هذا إلى مصر حيث لجأ إلى شيشنق (١)- وبالرغم من أن المصريين كانوا يحرسون على علاقات الود مع ملوك العبرانيين الاقوياء إلا أنهم لم يضيعوا أى فرصة تسنح لهم يتمكون فيها من إضعافهم وأمعنوا في التدخل في شؤون فلسطين أملاً في إعادة نفوذهم إليها ، وعلى هذا نجد أن شيشنق يعمل بما نصح له به يريعام - الذى يرجح أنه تزوج بإبنة شيشنق - من إعداد العدة لمهاجمة فلسطين ، وكان العبرانيون قد ضاقوا ذرعاً بحكم سليمان الذى طعن في السن وأثقل كاهلهم بالضرائب الفادحة ، فلما مات انقسموا على أنفسهم وانتهز شيشنق فرصة انقسامهم إلى مملكتين (٢) متنافستين وتقدم بجيشه حوالى سنة ٩٢٠ ق . م إلى مملكة يهودا التى كان يحكمها رحبعام ابن سليمان واستولى على خزائن الرب فى اورشليم ، وربما كان سبب عدم مقاومة رحبعام لشيشنق وحليفه يريعام (ملك اسرائيل) يرجع إلى أن النبي أشعيا كان قد تنبأ بتمزق مملكة العبرانيين وأن يريعام سيحكم على عشرة قبائل من قبائلها الإثني عشر .

واستمر شيشنق فى غزواته حيث امتلك بعض المدائن فى فلسطين لمدة قصيرة ثم رجع إلى مصر ، وقد نقش شيشنق أخبار الجزية التى وصلتته

(١) سفر الملوك الاصحاح ١١ آية ٤٠

(٢) بعد موت سليمان لم يقل ولده رحبعام تخفيف الضرائب على العبرانيين فلم تعترف عشرة قبائل من قبائلهم الاثني عشر به ملكاً ونادت يريعام الذى عاد من مصر ملكاً عليها مكوّنه مملكة إسرائيل أما القبائل الباقية فقد بقيتا تحت حكم رحبعام وكونتا مملكة يهوداً

من فلسطين ومن النوبة على جدران معبد الكرنك - وربما كان الباعث الذي دفع شيشنق إلى هذا النشاط هو رغبته في البحث عن مورد للثروة لأن البلاد كانت في حالة اقتصادية سيئة ووجود أنه من المتعذر فرض ضرائب جديدة لأن حكمه لم يكن مقبولا تماما، وعلى ذلك اتبع سياسة ملوك مصر التقليدية في القيام بحملات خارجية لزيادة دخلهم ، ولا شك في أنه أفاد من ذلك أيضا في شغل أذهان الناس عن ولاية العرش والشئون الداخلية ليتمكن من تثبيت أقدامه في الحكم .

وقد تفرغ شيشنق بعد عودته من حروبه في فلسطين للشئون العمرانية في داخل البلاد حيث شيد وأصلح كثيرا من المباني - ولما مات خلفه ولده «أسركون الاول» الذي كان والده قد زوجه من ابنة بسوسنس الثاني في حين كان ابنه الثاني « يوبت » كاهنا في طيبة .. ولم ينجب هذا الأخير أبناء فاتفق مع شقيقه « أسركون الاول » على أن يكون ابن هذا الأخير خليفة لعمه في رئاسة كهنوت طيبة ، إلا أن هذا الابن مات وخلفه ابنه « حرسا إيسى » (حفيد أسركون) - وقد مات هذا الأخير أيضا فتبعه ولدين من أبناء أسركون ثم تبعها الابن الرابع لأسركون ويدعى شيشنق ، وفي تلك الأثناء توفي أسركون وتبعه على العرش « تكاوت الاول ، (تكرتي) ، ومن ذلك نقبين أن أربعة من أبناء أسركون الاول تتابعوا في رئاسة كهنوت طيبة واعتلى ابنه الخامس العرش من بعده .

والظاهر أن طول مدة حكم أسركون الاول نسبيا وتتابع أفراد أسرته في رئاسة الكهنوت في طيبة مما زاد الحالة تعقيدا في البلاد إذ من المحتمل أن ما تمتع به هؤلاء من نفوذ وسلطان كان يدفعهم دائما إلى إثارة المتاعب

أو محاولة الاستحواذ على مزيد من السلطة ، وربما دأب أسركون على تغييرهم من أجل ذلك لأننا لا ندرى كيف انتهت خدمات بعض أبنائه في رئاسة الكهنة .

ومهما يكن من أمر فقد بدأ الصراع واضحا بين الشمال والجنوب في نهاية عصر أسركون الأول وبداية عصر تكلوت الأول ، ثم اشتد النزاع بين هذا الأخير وشقيقه الساكن شيشنق لأن هذا الأخير حينما شعر بقوة نفوذه في طيبة التحل الالقاب الملكية - وحينما تولى أسركون الثاني بعد والده تكلوت الأول نوجد أن نفوذ عمه يهدد سلطانه وخاصة في أجزاء مصر الجنوبية ، ولذا عمد إلى الاحتفاظ بهيبة الملكية في تلك الجهات، وقام بإصلاح بعض التلغف الذي أصاب معابد طيبة باسمه وخاصة في معبد الأقصر الذي أثر فيه الفيضان ، ومع هذا يبدو أن الخطر ظل يهدد نفوذ الملك من نواحي متعددة كما يتبين ذلك من تمثال للملك « أسركون الثاني » عثر عليه في تانيس إذ نقشت عليه دعوات يطلب فيها الملك من المعبود أن يخلد أبناءه في الحكم وأن يمنحهم السلطة على رؤساء الكهنة وعلى رؤساء (ماشواش) العظام وعلى كهنة هرقلوبوليس - وما جاء في هذه الدعوات أيضا « اجعل أولادى في الوظائف التي عينتهم بها ولا تجعل قلب أحدهم يكبر أو يعظم على قلب أخيه » . (١)

فمن هذه الدعوات يمكن أن نتبين سوء الحالة في البلاد في عهد هذه الأسرة

بصفة عامة إذ كانت هناك بضعة قوى متنافرة كل منها تعارض سلطان الملك وهذه القوى تتمثل في الكهنة ورؤساء المشاوش (المرتزقة الليبيين) الذين أصبحت لهم سطرة كبيرة باعتبارهم يمتون بصلة للبيت المالكي ، وربما أصبح معظم أمراء الأقاليم من هؤلاء الليبيين - ولاشك في أن كل طائفة من هذه الطوائف كانت تعمل لمصلحتها الخاصة بما أضعف سلطان الملوك وتراخت قبضتهم عن الأقاليم فحظى أمراؤها بشيء من الاستقلال والسيادة وإن لم يعتمد نفوذهم عواصم أقاليمهم إلا قليلا .

والخلاصة التي يمكن أن نستنتجها هي أن البلاد كانت سائرة في طريقها إلى الانحلال وأن تتنازع السلطات بلغ من الخطورة حدا جعل الملوك لا يأمنون على عروشهم فهناك ما يشير إلى أن أسركون الثاني ، قبل أن يعتلى العرش كان مشتركا في الحكم مع والده الذي اتخذ هذه الخطوة لكي يضمن لولده ولاية العهد - وقد اتبع أسركون الثاني ، نفس هذه السياسة مع ولده شيشنق الثاني ، الذي مات في حياته فأشرك معه ابنه الآخر ، تكلوت الثاني ، الذي استمر معه في الحكم سبعة أعوام ثم انفرد بالعرش بعد وفاته .

وأخذت هذه الأسرة بعد ذلك تنحدر نحو الاضمحلال حتى إن ابن تكلوت الثاني - وكان يدعى أسركون - قد جرؤ في السنة الحادية عشرة من حكم والده على تقديم بعض الهدايا إلى معبد آمون باسمه الخاص مع أنه لم يكن إلا رئيسا للكهنة ، وبالرغم من تقديمه لتلك الهدايا

فإن رئاسته للكهنه كانت في أغلب الظن غير مقبولة إذ أن أهالى طيبة قاموا بثورة ضده فاضطر إلى الهرب - وبعد نحو عشرة أعوام عاد إلى طيبة بمعاونة بعض أعوان والده ، ويبدو أنه استلهم وحى الإله آمون حينئذ فأصدر هذا عفوه عن الثائرين ولكن ذلك العفو كان مؤقتا في نظر أهل طيبة على الأقل لأنهم عادوا الثورة فاضطر أسركون للهرب ثانية بعد نحو ستة أعوام من هودته ، وظل مختفيا في هذه المرة نحو ثلاثة عشر عاما - وفي كل مره كان يختفي فيمسا تولى رئاسة الكهنوت في مكانه أحد أفراد الأسرة ويدعى « حرسا إيسى » .

ومن النقوش التى ترجع إلى أواخر عصر هذه الأسرة يتبين لنا أن عمود آخر ثلاثة ملوك فيها كانت تسودها الاضطرابات وقد تلفت فيها آثار كثيرة ولم تنجو عاصمتهم « بوباسطه » من التخريب كما أنها تعرضت بعد ذلك للنهب والتدمير ولذلك كانت معلوماتنا عن هذه الأسرة بصفة عامة ضئيلة للغاية ، ولانجد فيما لدينا من نصوص بعد عهد مؤسسها شيشنق ما يشير إلى فلسطين بما يدل على أن نفوذ مصر قد انعدم فيها تماما من بعده .

ويحتمل أن ظهور مملكة آشور في ذلك الحين جعل بعض الدويلات الآسيوية في شرق حوض البحر المتوسط تتجمع في شكل اتحاد ضدها ، ووجد « تاكلوت الثانى » أن في ظهور هذه المملكة القتيية خطراً يهدد مصر فأرسل عدداً من المقاتلين كمدد لذلك الاتحاد الذى هزمه سلمنصر الثالث ملك آشور حينئذ ، وأثار ذلك انتباه هذه الدولة القتيية إلى الدور الذى تقوم به مصر ضدها فتحفزت للاصطدام معها .

وفي أواخر عهد « شيشنق الثالث » أى فى أثناء تولى « حرسا لىسى » لرئاسة الكهنوت من جديد نشأت أسرة ملكية (بدأها « بادى باست ») فى طيبة هى الأسرة الثالثة والعشرين ، أى أنها كانت تعاصر الأسرة الثانية والعشرين وخاصة فى الفترة الأخيرة منها ، ولكننا لانعرف كيف نشأت هذه الأسرة ؟ وماهى العلاقة بينها وبين الأسرة السابقة ؟ بل ولانعرف شيئاً عن الدور الذى قام به « حرسا لىسى » عند تعاصر الأسرتين - وكل مايمكن أن نقوله هو أن الأحوال الخارجية والداخلية بصفة عامة لم تكن واضحة تماماً .

وما تحدر ملاحظته أن الأسرة الثالثة والعشرين وقد مرت فى نهايتها بنفس التجربة إذ ظهرت فى الشمال أسرة جديدة (وإن لم تعمر هذه الأسرة طويلاً) كما شاهدت كذلك دخول النبتاويين إلى مصر حيث أسسوا الأسرة الخامسة والعشرين .

الأسرة الثالثة والعشرين :

تمكن الثلاثة ملوك الاخيرين فى الأسرة الثانية والعشرين من الاحتفاظ بسلطتهم على قسمى المملكة الشمالى والجنوبى فيما عدا الفترة التى حكم فيها « يادى باست » فى طيبة (كما أشرنا) حيث انتزع السلطة من ملوك بوسطه ، ويرى مانيثون أنه مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين ولكن يبدو - حسب ما يفهم من بردية فى فينا - أن بعض الاضطرابات حدثت فى السنة الرابعة عشرة

من حكمه وأنه اضطر إلى أن يقتسم السلطة مع أحد أمراء شرق الدلتا .

ولاندري على وجه التحديد هل كان « بادى باست » من سلالة كهنة طيبة وتمكن من أن يترزع السلطان من أمراء بوبسطة ثم تمكن أحد هؤلاء من أن يقتسم معه السلطة على أثر ثورة قام بها ، أو أن « بادى باست » كان مقتصباً لاعلاقة له ببيت الكهنة ولا بالبيت المالك في الشمال ، وحينما سنحت الفرصة ثار عليها أحد أمراء الشمال واضطره إلى اقتسام السلطة معه .

وعندما اعتلى العرش شيشنق الرابع خليفة بادى باست نجح في توحيد البلاد من جديد ، ولكن يبدو أن ذلك لم يكن إلا ظاهرياً فقط لأن منافسات شديدة قامت بين أمراء الأقاليم الذين كانوا يشعرون بأنهم من القوة بحيث يستطيعون الخروج على سلطان الملك وعلى ذلك حدثت اضطرابات مختلفة ، فمن ذلك مثلاً ما حدث عند اشتداد المناقشات بين أمير تمي الامديد وأمير عين شمس إذ انضم إلى كل منها فريق من الأمراء ونشبت بسبب ذلك حروب عجز فيها « بادى باست » وخليفته « شيشنق الرابع » عن حقن الدماء .

وما أن تولى « أسر كون الثالث » حتى كانت البلاد قد انقسمت إلى إمارات صغيرة تتشاحن فيما بينها ، كانت الإمارات التي تمتد من الوجه البحرى إلى الأشمونين تتقاتل فيما بينها بصورة تشبه إلى حد كبير ما كان يحدث في عصور ما قبل الأسرات - وقد وصلنا نحو ثمانية عشر اسماً لامراء من هؤلاء المتنازعين ، وفي خضم هذه الاضطرابات الى كانت تعاني

منها البلاد والتي جعلت من ملكها أشبه إبحايم على إقليم العاصمة « بوبسطة » ولا يتعدى نفوذه كثيرا حدود هذا الاقليم كانت اسرائيل في صراع مع دولة آشور فلم تتمكن مصر من تقديم المساعدة لها ، بل وكانت مصر بالنسبة لظروفها الخاصة تعد فريسة سهلة لكل من يطمع فيها من جيرانها ولكن لم يغامر أحد بالإغارة عليها في ذلك الوقت - واستمر بعض خلفاء « أسركون الثالث » يحكمون فترة وجيزة إلى أن ظهر أمير قوى في « سايس » (في غرب الدلتا) هو « تفتخت » الذي حاول أن يخضع كل أمراء الدلتا لسلطانه . وفي نفس الوقت كانت أميرة حاكمة قد تكونت في نباتا واستطاعت أن تبسط سلطانها على كل السودان الشالى وبلاد النوبة ومصر العليا حتى طيبة .

وأول من سمعنا عنه من ملوك هذه الأسرة النبتاوية فى النصوص المصرية هو « كاشتا » ثم تلاه « بعنخى » الذى أخضع البلاد كلها لسلطانه ، ولذا يعتبره بعض المؤرخين مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين كما يطلق فريق من المؤرخين على هؤلاء النبتاويين اسم « الأسرة الاثيوبية » لكن نظرا لاختلاف مداوات اثيوبيا والنوبة باختلاف العصور ، وعدم دلالة أيها على كل الأجزاء التى ارتبطت بمصر أيام الفراعنة ، ولعدم تأكدها من أصل هذه الأسرة حتى الآن فإننا نفضل الإشارة إلى هذه بالاسم المشتق من اسم عاصمتها نبتة أو نباتا أى « الأسرة النبتاوية » .

الاسرئان الرابعة والعشرون والخامسة والعشرون :

ما زال المؤرخون يختلفون في أصل الأسرة النبتاوية وما زلنا نجهد كيف استطاع أحد ملوك هذه الأسرة وهو « كاشتا » أن يفرض سلطانه على مصر مصر العليا حتى طيبة ، وبذلك أصبح يحكم مملكة تمتد - على الأقل - من الشلال الرابع جنوبا إلى طيبة شمالا أى أنه كان يحكم في إقليم النوبة الغنية فضلا عما كانت مملكته تنعم به من وحدة متماسكة ، على عكس الحال في مصر التي فقدت أملاكها في آسيا كما تنازع فيها الأمراء ورجال الدين على السلطة إذ وجدوا في ضعف الملوك خير مشجع لهم على التماهى في محاولة الاستئثار بها - وقد تطورت الأمور بعد ذلك سريعا في مصر لأن « تفتخت » أخذت يمد نفوذه على بقية الأمراء في الدلتا محاولا أن يعيد الوحدة إلى البلاد ، فبعد أن قهر أمراء غرب الدلتا سار جنوبا حيث استولى على شمال الوجه القبلى ثم عاد فبسط نفوذه على شرق الدلتا ووسطها أى أنه أصبح ملكا بالفعل على الوجه البحرى وشمال الوجه القبلى إلى بنى حسن ولم تقاومه إلا إهناسيا عاصمة إقليم الأشمونيين - وفي تلك الأثناء كان « بعنخى » قد تولى الملك في النوبة (بعد كاشتا) ، ولم يهتم بأدى الأمر لنجاح تفتخت في بسط نفوذه على بقية أمراء الدلتا ولكنه رأى في عودة تقدمه إلى الصعيد خطرا يمسدد نفوذه هناك وانزعج كثيرا حينما علم بأن « نمرود » أمير الأشمونيين استسلم له في النهاية بل وانضم إليه أيضا ، وعلى ذلك أمر بعنخى قواته بالتقدم شمالا نحو تفتخت لوقف تقدمه إلى الجنوب - ومن المحتمل أن القوات النبتاوية لم تصادف نجاحا كبيرا في أول الأمر فاضطر بعنخى أن يتقدم بنفسه نحو الشمال ، وما أن وصل إلى طيبة حتى استراح بها وقدم الهدايا لآمون ثم واصل

سيره شمالا مخضعا كل الأقاليم التي كانت فى طريقه إلى أن وصل إلى الأشمونين حيث دارت معركة بين أسطوله وبين الأسطول المصرى هزم فيها هذا الأخير، وفر تفتخت شمالا ليعيد تنظيم قواته ويتوى من تحصيناته .

أما نمرود فقد تحصن فى الأشمونين ودافع عنها ولكنه - لإزاء حصار بعنخى - أجبر على التسليم وأرسل زوجته للتوسط له عند حريم بعنخى ، وقد استولى بعنخى على كثير من نفائس المدينة ثم تقدم شمالا نحو منف التى كان تفتخت قد احتسبى بها - وفى أثناء حصار بعنخى لها فر تفتخت قبل أن تسقط فى يده ، وما أن استولى عليها حتى ذهب إلى معبد عين شمس حيث أعترف به ملكا على مصر - وهنا وفد عليه « أوسركون الثالث ، الذى كان يحكم فى بربسطة وقدم له الخضوع والولاء ، وبعدئذ توجه بعنخى إلى « أنزيب » حيث أقبل عليه أمراء الدلتا يعملون له الولاء - وفى تلك الأثناء كان تفتخت قد وصل فى فراره إلى بلدة صغيرة مجاورة تعرف باسم « مسد » فأرسل بعنخى قوة فتسكت بحاميتها واضطر تفتخت أن يلبأ إلى الى جزيرة صغيرة فى شمال الدلتا تحيط بها المستنقعات ومن هناك أرسل الهديا إلى بعنخى راجيا منه أن يرسل من قبله رسولا إلى معبد مجاور كي يقسم أمامه يمين الطاعة والولاء له ، وقد تم ذلك فعلا ، وعندئذ قدم بقية الأمراء ولاءهم له أيضا فأصبح بعنخى حاكم مصر المطلق ، أى أن ملكة قد امتد من نباتا (أو أبعد منها قليلا إلى الجنوب) الى أقصى شمال الدلتا - ومعنى هذا أنه كان يحكم بملكية لاتقل عن الامبراطورية المصرية فى أوج عظمتها باستثناء الأجزاء الشمالية الشرقية فى سوريا وفلسطين .

ويدهشنا أن بعنخى لم يستمر طويلا فى مصر بل عاد مسرعا إلى نباتا

ومازلنا نجعل الأسباب التي دعتنا إلى ذلك إذ أن عودته السريعة جعلت بعض المؤرخين يشبهون حملته بمغامرة ليس لها غد إذ لم تكن ذات نتائج حاسمة ، وما هو جدير بالذكر أيضاً أن الفترة التي غزا فيها بعنخى مصر هي الفترة الوحيدة التي أمسك فيها تفتنخت عن ادعاء حكم مصر حيث يبدو أنه ما أن رجع بعنخى إلى عاصمة ملكه في النوبة إلا وعاد تفتنخت إلى ادعاء حكمه لمصر بأكملها ، وإن كنا نرجح أن ملكه لم يكن ليتجاوز منف جنوباً ، بل وكانت بقايا الأسرة الثالثة والعشرين تحكم في بوبسطة في نفس الوقت أيضاً - وبين الجدول بالصفحة التالية كيف حكم مصر ملوك يمثلون أسرات مختلفة في نفس العصر .

فاذا اعتبرنا أن ملوك نباتا هم ملوك الأسرة الخامسة والعشرين في مصر فإننا في هذه الفترة نجد مثلاً آخر لمعاصرة بعض الأسرات المصرية (١) للبعض الآخر ، فبينما تحكم الأسرة الثالثة والعشرين في بوبسطة يسيطر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين على مصر بالفعل أو على الأقل يتحكمون في الصعيد ويسيطر تفتنخت الذي يعتبر مؤسساً للأسرة الرابعة والعشرين على معظم الدلتا وكانت عاصمته سايس - هذا وقد ظلت نبتة تسيطر على الصعيد حتى بعد أن عاد تفتنخت إلى اتخاذ الألقاب الملكية وربما كان السبب في خروج أمراء الوجه البحري على نفوذ نبتة يرجع إلى أنهم كانوا أقرب إلى الاتفاق مع تفتنخت من أمراء الصعيد ،

(١) أنظر الأسرات ٨ و ٩ و ١٠ و ١١ و ١٣ و ١٤ و ١٧ المكسوسية و ١٧ المصرية

مس ٨٩ وما بعد ١٠٥ و ١٠٩

جدول يبين ماهرة الأسرات ٧٢ - ٢٥ بعضها البيض

الاسرة الثانية والمشرون شبابية - جنوية	الاسرة الثالثة والمشرون شبابية	الاسرة الرابعة والمشرون شبابية	الاسرة الخامسة والمشرون بدايات من نانا
شيبتيق الاول ٩٥٠-٩٢٩ ق م أسركونا الاول ٩٢٩-٩١٣ ق م تكاروت الاول ٨٩٣-٨٧٠ ق م أسركون الثاني ٨٧٠-٨٥٤ ق م شيبتيق الثاني ٨٥٤-٧٤٧ ق م تاكلوت الثاني ٨٤٧-٨٢٣ ق م شيبتيق الثالث ٨٢٣-٧٧٤ ق م شيبتيق الرابع ٧٧٣-٦٧٧ ق م شيبتيق الرابع ٦٧-٤٦٧-٣٠ ق م	نادى باست ٨١٧-٧٦٣ ق م شيبتيق الرابع ٧٩٣-٧٥٧ ق م أسركون الثالث ٧٥٧-٨٠٤ ق م		كاشتا ٤٠٠-٣٧٥١ ق م (لم يتجاوز حكم مصر العليا)

بمختص ٧١٦-٧٠١ ق م

(أضيق مصر كلها لسلطانها)

(ولكنه رجح الى بنانا بعد فتح

مصر)

شيبكا يورد الى مصر حوالى

٦٩٦-٧٠٧ ق م

(ظل علاقة هذه الاسرة بمصر

الى حوالى سنة ٦٥٦ ق م) -

رغم أنه من المحتمل أن

بنسايديك الاول مؤسس الاسرة

السادسة والبشرى كان قد

أعلن نفسه ملكا على مصر

حوالى ٦٦١ ق م ولكن نفوذه

كان قاصرا على الوجه البحرى

في أول الامر (١)

-٧٤٨

٧٣٠ ق م

أو خورس ٧٢٠-٧١٥ ق م

تلكوت الثالث
المنزود
انكركون الرابع

(١) انظر ص ٢٣٤ وما بعدها

وفى نفس الوقت كان نفوذ « كبيرة محظيات آمون فى طيبة » (٢) عاملا أساسيا فى نفوذ مملكة نباتا فى الصعيد لأننا نعرف أن ابنة أسركون الثالث التى كانت كبيرة محظيات هذا الإله قد تبنت شقيقة بعنخى .

ولما توفى تفتنخت تبعه ولده « بخورس » فى الحكم فى سايس ، وقد رأى هذا الأخير أن نفوذ آشور قد ازداد إلى درجة كبيرة فلم يجد بدا من إرسال هدية إلى « سرجون الثانى » ملك آشور (٧٢١ - ٧٠٥ ق م) وربما كان بخورس يرمى من وراء ذلك إلى توطيد علاقاته مع ملك آشور أو أنه كان يهدف إلى اكتساب عطفه إذا ما أراد أن يعارض نفوذ نباتا ، وقد اعتبر سرجون الثانى هذه الهدية بمثابة الجزية وادعى خضوع مصر لسلطانه .

(٢) يبدو أن الملوك حينما شعروا بضعفهم أهدوا وظيفة كبيرة محظيات آمون إلى سيدات من البيت المالک ولكن لا توجد إلا إشارات ضئيلة من هؤلاء فى الاسرتين ٢١ و٢٢ ولا تعرف سلسلة المحظيات إلا لابتداء من عهد أسركون الثالث (ثالث ملوك الأسرة ٢٢) الذى عين ابنته فى هذه الوظيفة ليعد من نفوذ كونه آمون على الأرجح ، ولما وصل نفوذ كاشتا إلى مصر العليا أجبر شين وبث الأولى ابنة أسركون على أن تتبنى ابنته ، ومن ذلك الوقت ظهرت سلسلة من البنين حيث كانت كبيرة المحظيات تتبنى ابنة الملك الحاكم أو أخته — أنظر

Jean Leclant, Enquêtes sur les Sacerdotes et les Sanctuaires Egyptiens (Le Caire 198)

الصراع الآشورى النبتاوى على مصر

كان لما وصلت إليه مصر من ضعف ولوجود قوتين عظيمتين فى آشور ونبتة وانساع ملكها وزيادة أطعمها أكبر الأثر على الحالة الدولية إذ كان لابد لهاتين القوتين من أن تصطدم إحداهما بالآخرى ، وقد تعود ملوك مصر منذ بداية الأسرة الثالثة والعشرين على إرسال الهدايا للملوك آشوريين حتى يصرفوهم عن غزو مصر - ولأنكاد نعلم شيئاً عن الحالة فى نبتة بعد عودة بعنخى سوى أنه توفى بعد نحو عشر أعوام (حوالى سنة ٧٣٠ ق م) وتبعه شبكا ، على العرش .

وقد بسط شبكا سلطانه على مصر ونقل عاصمته إلى الدلتا ولمكننا لاندري هل تم له ذلك عن طريق الاستيلاء على مصر عنوة أو أنه وفق إلى فرض سلطانه عليها دون حاجة إلى جهد عسكري - وينسب مانيشون إلى هذا الملك أنه أحرق بخورس حيا كما يعتبره مؤسس الأسرة الخامسة والعشرين ، كذلك يذكر بعض المؤرخين أنه لم يحكم فى النوبة وإنما حكم فى مصر فقط - وبما أن بعنخى أخضع البلاد كلها لسلطانه بل وكان كاشنا يحكم الصعيد من قبل فإنه لايمكن اعتبار شبكا مؤسسا للأسرة الخامسة والعشرين وخاصة أنه ثبت بالدليل القاطع أن شبكا حكم ملكة مترامية الأطراف كانت تمتد جنوبا إلى ما وراء الشلال الرابع كما كانت الواحات تخضع له أيضا. (١)

ولما وقعت الفوتان (آشور ونباتا) وجها لوجه بدأ ملوك نبتة سياسة جس النبض ، بل ومن المرجح أنهم أرادوا أن تكون علاقتهم

بآشور ودية بدليل وجود أختام من الصلصال في أرشيف نينوى تحمل اسمى شبكا وسرجون الثاني جنبا إلى جنب ، كذلك وجد ختم لشبكا في كيونجك يحتمل أنه كان ختمها لرسالة أرسلت منه إلى الملك الآشورى ، فلما أرسل لآخر رده إلى شبكا اعتبره هذا دليلا على خضوع الملك الآشورى له إذ أننا نجد أحد نقوش شبكا يمثله وهو يخضع الشعوب الآسيوية والأفريقية بالطريقة التقليدية المعروفة في مصر الفرعونية .

وحيثما أضع سرجون الثاني ساريا ونقل أهل اسرائيل إلى بلاد النهرين لم يبق من فاصل بين آشور ومصر (منطقة نفوذ نبتة) إلا مملكة يهورا الصغيرة التي كانت تتأرجح بين الخضوع للملك الآشورى أو ملك مصر ، ثم ما لبثت كل الممالك الصغيرة في فلسطين ومن بينها يهودا أن خضعت لآشور - وقد ذاقت هذه الممالك الامرين من حكمها ففارت ضدها وبعدها لم يكن هناك بد من غزو الآشوريين لمصر لأن شبكا كان ، يثير قواتها المتحالفة ويشجعها ، إلا أن سرجون استطاع أن يقضى على تلك القوات وأن يوطد مركزه في هذه الامارات .

وبعد أن حكم شبكا اثني عشر عاما مات وتبعه في الحكم « شبتكو » الذى لم يحكم إلا فترة وجيزة حدث خلالها أن توفي « سرجون الثاني هو الآخر وتولى بعده « سنخريب » الذى ضاق ذرعا بمؤامرات مصر وثورات الولايات الصغيرة في غرب آسيا . فهاصر اورشليم إلى أن أخضعها واضطر ملكها « حزقيا » إلى دفع ضريبة ضخمة كان من جرائها أن جردت المعابد من كوزها ونفائسها وبعدها عاد الآشوريون إلى بلادهم حيث يبدو أن وباء انتشر في صفوف جيشهم ، كما أن الاحوال الداخلية في بلادهم

لم تكن لتشجيع على التقدم إلى مصر - ويشير الكتاب المقدس إلى ذلك فيذكر أن الآشوريين رجعوا من فلسطين ونتيجة لوصول طهرقة ولوصول ملاك الرب، (١).

ولا يعرف إلا القليل عن حكم شبتيكو إلا أنه في الغالب لم يهتم بالشئون الخارجية أو على الأرجح لم يجد في نفسه القدرة على المغامرة فيها فكرس جهوده للبناء ، وقد ذكر مانيشون بأن « طهرقة » قتل شبتيكو واعتلى العرش من بعده واتخذ تانيس عاصمة له ولكن هذه الرواية لا يمكن مقابلتها إلا بالشك (٢).

وكان طهرقة قائدا للجيش منذ عهد شبكا وما أن اعتلى العرش حتى أخذ ينظم المقاومة ضد الآشوريين ، ولكنه أهمل في سياسة الداخلية بل ولم ينجح في سياسته الخارجية أيضا لأنه لم يقدر الظروف حتى قدرها إذ أنه لم يقم بأى جهد في سبيل تنظيم الإدارة الداخلية التي ساءت إلى أبعد حد كما أنه لم يستعد الاستعداد الحربي الكافي لمواجهة خطر آشور بالرغم من أنه كان يدبر المؤامرات ضدها ويتعاون مع الولاة الذين كانوا يناوئونها وخاصة أمراء صور وصيدا .

(١) سفر الملوك الثاني الاصحاح ١٩ الايات ٨ - ٣٥ - والمعروف أن طهرقة كان قائدا للجيش المصرية في ذلك الوقت أن يعتلى العرش بعد وفاة شبتيكو .

(٢) كان نظام توارث العرش في الأسرة النيباتاوية يحول من طهرقة وربنا لأخيه شبتيكو فلم يوجد ما يدعوا لأن يقتل طهرقة أخاه أنظر Macadam, Kawra I, pp. 22 ff

ويبدو أن نهاية سنخريب لم تكن سارة إذ اغتاله أحد أبنائه (١) وتولى بعده «أسر حدون» الذى أخضع الولايات التى ناورته بمنتهى العنف، فما أن امتنع والى صيدا عن دفع الجزية حتى دفع حياته ثمنا لذلك - وحينما أصغى ملك صور الى رسالة طهرقة التى كانت تدعوه لمناوأة آشور وجه أسرجون ضرباته للقوتين معا فحاصر صور وأرسل فى نفس الوقت حملة إلى طهرقة فى مصر، لكن حصار صور استمر خمسة أعوام واضطر الجيش الذى أرسله إلى مصر أن يتقهقر بما أحقق أسر حدون وأثار غضبه على طهرقة، فتهتم بجيشه نحو مصر وهزم النبتاوين عند الحدود المصرية، وحينما تراجع طهرقة إلى منف تبعه الآشوريون واستولوا عليها وخربوها ولكن طهرقة فر إلى الجنوب - أما أمراء الدلتا فقد قدموا ولاءهم لآشور وأبقاهم أسر حدون فى مناصبهم كولاية من قبل الآشوريين، وما أن ترك أسر حدون مصر عائدا إلى بلاده حتى رجعت طهرقة إلى الدلتا بجيش آخر جمعه من مصر العليا ومن السودان واحل منف ثانية وقام ببعض الإصلاحات فيها كما استأنف علاقاته مع ملك صور.

وإذا ما نظرنا إلى حالة الدلتا فى ذلك الوقت نجد أن معظم أمراءها كانوا موالين لملوك نيبته الذين كانوا ينتمون إلى أصل مماثل لأصلهم بينما كان الآشوريون يمثلون عنصرا آخر، ولم يكن المصريون ليرتاحوا كثيرا إلى العناصر الآشورية وخاصة إذا دخلت هذه العناصر إلى البلاد غازية

(١) سفر الملوك الثانى الاصحاح ١٩ الآية ٤٧،

أو ذات نفوذ ، ومع هذا فلا شك في أن بعض الأمراء كانوا يترددون بين الولاء للملك نباتا والخضوع للأمراء آشور - ومن المؤكد أن طهرقة لم يعد إلى الدلتا إلا بعد أن وجد تشجيعا من معظم أمرائها حيث كتب له هؤلاء على أثر عودة أسر حدودون إلى بلاده يطالبون لإليه القدوم إلى مصر واقتسام السلطة فيما بينهم (١) .

وقد علم الآشوريون بأمر هذه الرسائل وكان أسر حدودون يستعد لإعادة فتح مصر ولكنه توفي وتبعه آشور بانديال ، - وقد تقدم هذا الأخير على رأس جيش كبير وأعاد فتح مصر ففر طهرقة إلى منف ومنها إلى طيبة إلا أن جيش آشور تبعه إليها وخرّبها ففر طهرقة إلى نبتة بينما قبض على المتآمرين من أمراء الدلتا وأرسلوا إلى نينوى لمحاكمتهم ، وكان من بين هؤلاء « نكو ، أمير صالحجر الذي - بدلا من معاقبته - أعيد إلى وظيفته مكرما كما عين ولده « بساتيك ، (٢) أميرا في أتريب ولاندرى سببا لذلك كما لاندرى كيف استطاع «متموام حات» أمير طيبة ورئيس كهنتها أن يتنح الآشوريين بالرجوع عن طيبة بعد تدمير طفيف لها - ومع أن طهرقة فر إلى نبتاتا وبقي حتى وفاته إلا أنه ظل يتمتع بسلطة اسمية على مصر حيث اعترف به كملك في طيبة إلى ما بعد هذه

H. Zeissl, Aethiopen und Assyrer in Aegypten, (1)
(Hamburg 1944), p. 15

(٢) لم يكن بهذا بل أعطى بساتيك اسما آشوريا كذلك أنظر .

Luckenbill, ABAR, II, § 770

الغزوة الاشورية ، ورغم كثرة حروبه فان ماخلفه من آثار يجعلنا نعتقد أنه كان من أكثر ملوك نيبته ثراء .

ولما توفى طهرقه تبعه في الحكم « تانويت أماني ، الذي ادعى في لوحة له تعرف باسم لوحة الرؤيا بأن الإله آمون جاءه في المنام وأمره بالتقدم إلى مصر والاستيلاء عليها - ومع أنه يشير إلى ترحاب المصريين به إلا أننا نفهم من بين سطور هذه اللوحة بأن الظروف لم تكن مواتية له تماما ، كذلك لم يستمر في مصر طويلا لأن آشور بانبيال عاد إليها ثانية وأخضعها من جديد ودمر طيبة للمرة الثانية ففر تانويت أماني إلى نباتا - ومنذ ذلك الحين لم تشاهد مصر بعد ذلك أحد من ملوك النوبة كما أن الآشوريين رجعوا إلى نينوى ، ولم تبقى مملكتهم بعد ذلك طويلا بل وتحطمت عاصمتها نينوى بعد غزوة آشور بانبيال الاخيرة بنحو خمسين عاما .

ومها كان من أمر الأحداث التي مرت بمصر بعد الغزوة المشار إليها فإن السلطة الفعلية فيها كانت في يد «بسماتيك» الذي أشرنا إلى تعيينه أميراً لاتريب ، فقد تولى إمارة سايس بعد والده ، ويبدو أنه أعلن نفسه ملكاً على البلاد على أثر عودة آشور بانبيال من حملته الأولى (١) أي قبل غزوة آشور الثانية لطيبة - وفي نفس الوقت كانت سلطنة تانويت أماني معترفاً

بها في مصر العليا لمدة تزيد على ستة أعوام بعد فراره من مصر (١)
ومن الغريب أننا لانجد نصا واحدا من النصوص المصرية يشير إلى خروج
الآشوريين من مصر وعلى ذلك لم يستطع المؤرخون أن يجدوا سببا مباشرا
لتركهم للبلاد .

ويعد عصر بسهاتيك بداية عهد جديد فقد استطاع أن يؤسس أسرة
جديدة هي الأسرة السادسة والعشرين ولانعلم كيف تخلص من النفوذ
الآشوري وكيف زال النفوذ الإسمي للملك نبتة نهائيا من طيبة .

F.R. Kientz "Die Politische Geschichte (١)
Aegyptens vom 7 bis Zum 4 Jahrhundert vor der Zeitwende",
(Berlin 1952) , pp. 14 - 15

٧ - عصر النهضة الموقته في مصر

الأسرة السادسة والعشرون :

تمعت مصر خلال عهد الأسرة السادسة والعشرين بشيء من الرخاء والنهوض كانت قد حرمت منها منذ وقت طويل ، كما أنها بدأت عهداً جديداً في علاقاتها الخارجية وإن كانت هذه العلاقات قد سلكت اتجاهها مغايراً لما اعتادته مصر من قبل حيث أخذت تستعين بالمرتزقة اليونانيين، وبدأت توطد علاقاتها مع جزر البحر المتوسط ، ومن المحتمل أن بساتيك الأول طلب المعونة من ملك ليديا لتدعيم سلطانه فأرسل هذا جنوداً من الأيونيين والكاريين - وهكذا نجد أن بساتيك يقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه الرعامسة مع فاروق بسيط هو أن المرتزقة في عهد الرعامسة كانوا من عناصر ليلية ونوبية ومن شعوب البحر بينما كانت العناصر الاغريقية وعناصر جزر البحر المتوسط هي الغالبة في عهد بساتيك ، ومن ثم بدأ النفوذ اليوناني يدخل إلى مصر وتأثرت الثقافة المصرية بتأثيرات يونانية مختلفة - وقد عمل المصريون من جانبهم على تيسير إقامة اليونانيين في بلادهم فبنوا لهم بعض المدن الخاصة وشيدوا لهم مستعمرات أقاموا فيها وتزايد عددهم حتى دب الحسد في نفوس الجنود الآخرين من مصريين وليبيين وغيرهم - وفر بعضهم إلى النوبة لأن هؤلاء لم ينظروا بعين الارتياح لتشجيع بساتيك للمرتزقة اليونانيين ، وقد أطلق هيرودوت على هؤلاء الفارين اسم «أساخ» (١) - ولكن وجود المرتزقة اليونانيين

في أعداد كبيرة كان من جهة أخرى سبباً في إنعاش الأحوال الاقتصادية نوعاً ما لأن بساتينك وجد أنه لا بد من الإنفاق على هذا الجيش الكبير ، فشجع التجارة مع الدول المجاورة وفي نفس الوقت فرض الضرائب على البضائع الواردة إلى مصر ونظم الإدارة وعاد بها إلى التقاليد القديمة حيث أخذ المصريون في ذلك الوقت يشعرون بأن عظمة مصر في عهد الدولة القديمة كانت أعلى ما وصلت إليه في تاريخها ، ولذلك اصطبغ عهد الأسرة السادسة والعشرين بصبغة الدولة القديمة في كل شيء وعاد الناس إلى استعمال أسلوب الكتابة القديمة وإلى المعبودات القديمة والفنون القديمة مع شيء بسيط من التحرر وربما كان هذا من الأسباب التي تجبذ لإطلاق اسم عصر النهضة على هذه الفترة من تاريخ مصر القديم .

وتتميز هذه الفترة من تاريخ مصر أيضاً بنهج جديد في السياسة المصرية ، إذ أن مصر - مع تركيز اهتمامها في علاقاتها الخارجية بالاقطار الشمالية - كانت أكثر ارتباطاً باليونان منها بأى قطر آخر ، وفي نفس الوقت لم تحاول مملكة ناباتا من جانبها أن تعيد علاقاتها بمصر بل اتجهت بدورها إلى الاقطار التي تقع إلى الجنوب منها حيث وجدت أن لافائدة ترجى لها من الإتجاه شمالاً ، وهكذا نجد أن الوضع السياسي في مصر أصبح يتركز في الوجه البحرى حيث أدى هذا إلى ظهور مدن جديدة - ونظراً لكثرة وجود اليونانيين في مصر بدأ اهتمام العالم اليونانى بأحوال مصر وحضارتها ، وإلى ذلك العهد ترجع معظم الكتابات اليونانية عنها ومنها نقبين أن اليونانيين ذهلوا حينما وجدوا أن أمة أخرى غيرهم لها حضارة لا تقل عن حضارتهم إن لم تكن أرقى منها واعتبروا المصريين

شعبا غاية في الغرابة ووصفوا أحوالهم وأطوارهم بكل دقة وإن كانوا قد أخطأوا في تفسير بعض مشاهداتهم عن مظاهر الحضارة المصرية .

وقد وجد بسياتيك أن في مقدوره محاولة إعادة السيادة المصرية على فلسطين وسوريا ولكنه اضطر لوقف أعماله لظهور السيشيين (١) على المسرح الدولي إذ استطاع هؤلاء الزحف على آشور وأصبح خطرهم يهدد مصر ، ولكن بسياتيك تمكن من إرجاعهم عنها ولا يعرف كيف تم له ذلك وهل لجأ إلى رشوتهم أو أنه استطاع التغلب عليهم ، هذا وقد حكم بسياتيك حوالى أربعة وخمسين عاما عادت البلاد أثناءها إلى حالة من النهوض والرخاء لم تشهدها منذ أيام رعميس الثانى وتولى بعده ولده د نكاو ، .

وفي تلك الاثناء وصلت آشور إلى منتهى الضعف وكانت سوريا وفلسطين أضعف من أن تقفا أمام أى غزو أجنبي وعلى ذلك تقدم نكاو نحوهما للاستيلاء عليهما، ولما تاهب اليهود لمقاومته أسرع بالخضاعهم كأخضع سوريا وتقدم إلى القرآت خشية أن تسترد آشور ملكها مفضلا أن يبدأ بمهاجمتها - ولما لم يجدها مستعدة لذلك عاد إلى مصر مفضلا عدم الإستيلاء على نينوى ، وقد نسب نكاو نصره إلى الجنود المليونيين وهذه هى المرة الأولى التى ينسب فيها الفرعون نصره لغير الإله - ومع أنه كون امبراطورية على إثر الحملة التى قام بها إلا أن هذه كانت مؤقتة ولم تدم طويلا لأن الاحداث

(١) السبثيون scythians قبائل بربرية كانت تتكلم لغة هندو أوروبية وكانت تعيش في جنوب روسيا شرق بحر آرال وكانوا حلفاء الاشوريين في أول الامر ولكنهم خانوهم وانضموا إلى أعدائهم ملك بابل وملك ميديا حيث اشتركوا في إسقاط نينوى ٦١٣ ق . م .

في غرب آسيا تطورت سريعاً ، فلم تكبد تمض سنتان حتى اتحد ملك ميديا مع ملك بابل واستطاعا معا أن يحطما آشور وأن يقتسما ملكها ، وقد وقعت سوريا ضمن نصيب بابل وبذلك أصبحت بابل خطراً جديداً يهدد مصر .

ولما تولى نبوخذ نصر ، - الذى كان ولياً للعهد فى ملكة بابل الجديدة (أى الامبراطورية السكلمانية) - قيادة جيوشها ذهب نكاو لملاقاته ولكن نبوخذ نصر انتصر عليه وتعقبه بعض الوقت غير أنه رجع إلى بابل بعد أن اتفق مع نكاو لأن والده كان توفى فى ذلك الوقت .

ولم تطمع مصر بعد ذلك فى آسيا حتى لأنها لم تتدخل حينها حاصرت بابل بيت المقدس واكتفى نكاو بترقية التجارة وتشجيع الملاحة وقد أمر بعثة فينيقية بالدوران حول أفريقيا فأتمت ذلك فى ثلاثة سنوات (وربما كانت هذه أول رحلة من نوعها فى التاريخ) ، كما أمر بشق القناة التى تربط بين النيل والبحر الاحمر ولكنه تخلى عن تمامها لوفاة عدد كبير من العمال ولأن الكهنة تنبأوا بأن فائدتها سوف لا تعود إلا على الاجانب .

ولما توفى تبعه يسهاتيك الثانى ، الذى ذهب إلى بيلوس لزيارة معبد آمون هناك وربما كان ينوى الاحتكاك مع بابل ولكنه اضطر للعودة إلى مصر لعلمه بوجود تكتلات فى جنوبها ، ولذا أرسل حملة

إلى الجنوب توغلت إلى الشلال الخامس أو السادس (١) - وقد ظلت علاقة بسامتيك طيبة مع اليونانيين وزاد من تشجيعهم واستعان بهم في تكوين أسطول ضخم .

وعندما توفي بسامتيك الثاني تبعه « ابريس » على العرش وقد استغل هذا الأخير الأسطول الذى كونه سلفه فى غزو فينيقيا ونجح فى ذلك بسبب انشغال نبوخذ نصر فى حروبه مع ميديا وانسلاخ بعض المدن السورية والفلسطينية عن حكمه وثورة بعض المدن الأخرى عليه وفى أثناء ذلك هاجر كثير من اليهود إلى مصر وكونوا بها جاليات كبيرة ، وهكذا نجد أن القلاقل عادت من جديد إلى شرق البحر المتوسط ووجد أبريس الفرصة فتقدم بجيشه شمالا واستولى على صيدا، ولكن هذه قاومت طويلا ولم ينجح أبريس فى الاستيلاء على جنوب فلسطين وأقيمت الجيوش الآسيوية لطرده فاتجه بأسطوله نحو قبرص واستولى عليها ومع أن بعض قوى غرب آسيا تحالفت مع مصر ضد نبوخذنصر إلا أن هذا الأخير هزم هذا التحالف الذى تكون ضده فى ربله وحاصر أوشليم وبعد عام أسر ملكها صدقيا وقتل أولاده ونهب المعبد وحرق المدينة - ومع ذلك لم تدم مملكة بابل فقد تمزقت بعد موت نبوخذ نصر .

ولم تكن الحالة سيئة فى منطقة غرب آسيا وحدها وإنما ساءت الحالة كذلك فى مصر حيث حدثت ثورة فى صفوف الجيش فى عهد أبريس

(١) كان بعض المؤرخين فيما سبق يظنون أن هذه الحملة لم تصل إلا إلى الشلال الثانى فقط -

فرت بعض الوحدات على إثرها إلى النوبة ولكن حاكم الشمال استطاع أن يعيد بعض أفرادها ، كما حدث عصيان آخر في صفوف الجيش أيضا لأن أبريس أرسل قوة معظم أفرادها من المصريين إلى قرطاجنة وقد منيت هذه القوة بالهزيمة وبخسائر فادحة فاعتمد هؤلاء أن الملك أرسلهم إلى هناك للتخلص منهم بحماية منه اليونانيين الذين لم يشركهم في هذه الحرب ، وحينما ثاروا ضده أرسل أحد أقربائه ويدعى « أمازيس » لتهدئتهم ولكن هذا الأخير استمال إليه الجنود العاصين فصبوه مملكا عليهم مما أحق أبريس عليه ودارت الحرب بينهما ولكن النصر كان حليف أمازيس ، ورغم ذلك أشركه في الحكم إلا أن أبريس مال بث أن ثار قتله أمازيس وانفرد بالحكم .

وظل أمازيس على تشجيع اليونانيين بينما تظاهر بإيقاظ الشعور الوطني ، وقد تغالى في تشجيع اليونانيين ومنحهم كثيرا من الامتيازات بل وتبرع للمعابد في اليونان نفسها وأهدى لبعض حكامها الهدايا ، ومع أن مظاهر النهضة كانت واضحة في عهده إلا أن زيادة عدد الجيش وقوة الأسطول تطلبت كثيرا من النفقات التي اضطرت به إلى الاستيلاء على بعض دخل المعابد فأفادت من ذلك السلطة المركزية بطريق غير مباشر لأنه أضعف نفوذ الكهنة - ومع أنه تمكن من بسط نفوذه على بعض مواعل البحر المتوسط فإنه لم يكن أكبر قوة في الشرق واستمر خطر بابل يتهده ، كما ظهرت قوة جديدة هي مملكة فارس التي تحركت جيوشها وعبرت الفرات لتهاجم ليريا في غرب آسيا الصغرى وكانت مصر وبابل واسبرطة قد وعدت بمساعدة هذه المملكة ولكن مصر كانت هي الوحيدة

التي احترمت كلمتها - وبعد أن هزم الفرس مملكة ليديا أخضعوا كلا من سوريا وفينيقيا أيضا ولم يبق أمامهم سوى بابل ومصر ، ومالبت بابل أن هزمت وسقطت عاصمتها نينوى على يد كورش ملك الفرس وبذلك ازداد الخطر على مصر حيث أصبحت وحدها أمام قوة الفرس الهائلة .

٨ - عهد الفوضى الأخير (سيادة الفرس وحكمهم في مصر)

الاسرات السابعة والعشرون الى الحادية والثلاثين

توفي أمازيس فتبعه « بساتيك الثالث » على عرش مصر كما توفي « كورش » وتبعه « قبيز » على عرش فارس ، ولما أراد هذا الأخير الاستيلاء على مصر خان أحد القواد اليونانيين بساتيك الثالث وأرشد الفرس بنفسه إلى الطريق المؤدية إليها وبذلك تمكنوا من الاستيلاء على الفرما ووصلوا إلى منف - وفي تلك الاثناء أقبل رسل عن الأغرقيق الذين يعيشون في ليبيا وأحضروا معهم الهدايا إلى قبيز ، ولما تم لهذا الأخير الاستيلاء على مصر عامل بساتيك معاملة حسنة في أول الأمر ولكن هذا الأخير حاول إثارة المصريين فاشتط قبيز في معاملته حتى أدى به إلى الانتحار ، وقد غزا قبيز مصر العليا وأرسل حملة إلى النوبة ويقال أنه جن في آخر أيامه بسبب فشل حملته على النوبة .

ويعد قبيز مؤسس الأسرة السابعة والعشرين في مصر - ومع أنه تمكن من إقامة امبراطورية واسعة إلا أن الاحوال ساءت في فارس نفسها بعد وفاته ، إذ حدثت ثورة في سوريا وكاد خليفته « دارا » - الذي تولى العرش في فارس من بعده - أن يفقد ملكه ولكنه استطاع أن يثبته بعد أن خاض تسعة عشر معركة وأسر تسعة من الامراء ووصل إلى مصر حرالي سنة ٥١٧ ق.م ، وحينما قامت ثورة ليبية ولم ينجح الوالى الفارسى في اخادها قتلته دارا - ومع ظاه هذه القسوة إلا أنه كان معروفا بالعدل

وقد احترم ديانة المصريين وشجع التجارة إذ المعروف أنه كان يهودى
عصره تاجر فى كل شىء ومع كل الأقطار ، وقد نجح فى حفر قناة وادى
الطميلات التى تربط بين النيل والبحر الاحمر (١) ولكن سلطانه أخذ يضعف
فى فارس فانصرف عن شئون مصر وخاصة بعد أن هزمه اليونانيون
فى معركة ماراثون حيث ركز كل اهتمامه فى الانتقام من الاثينيين حتى أنه كلف
شخصاً ليذكره بذلك كل صباح بقوله « مولاى لاتنسئ الإثينيين » - وبعد
تلك المعركة بأربعة سنوات حدثت ثورة فى مصر بقيادة « خباش » (٢)
الذى احتل منف وسائس فبدأ دارا يعد العدة للانتقام من مصر واليونان
على السواء ولكنه مات وتبعه « اكزركسيس » الذى استطاع القضاء
على ثورة خباش وعين أخاه واليسا على مصر ، وقد تغالى هذا الوالى
فى قسوته وشدته حتى أذل المصريين .

ولم يحكم اكزركسيس طويلاً حيث اغتيل بعد فترة وجيزة وتولى
بعده « ارتكزركسيس » الذى وجد امبراطورية واسعة أرهاقتها كثرة
الحروب والثورات فى مختلف الميادين ومن بينها ثورة قامت فى مصر
بقيادة « إناروس » اللبى الذى كان فى مريوط « وأمبيرتا يوس » الذى
كان مركزه سائس فلما التقى إناروس بالوالى الفارسى كانت الحرب سجالاً
بينهما وتراجع الوالى إلى برقة ، وطلب كل من الفريقين المدد واتجه

G. Posener, " La première domination perse en (١)
Égypte," (Bibl. de Études XI), pp 48-879 180-189

Herodotus VII, 1 (٢)

لإناروس في ذلك إلى أئينا ولكن النجدة التي أرسلها ارتكزركسيس إلى واليه وصلت قبل النجدة التي طلبها لإناروس بما كان له أثره في انتصار الفرس وأسر لإناروس وأرسل إلى سوسه حيث قتل هناك ، وبذلك ظل أمير تايوس الزعيم الوطني الوحيد فعاود العصيان محاولا الاستنجاد بالآثينيين ولكن النجدة لم تصل إليه ، وفي نفس الوقت تهادن الفرس واليونان فلم تجد الثورات المصرية تأييدا من اليونانيين بل اكتفى هؤلاء بإفئاع الفرس بتعيين ولدى لإناروس وأمير تايوس ولاة على مصر (١) ، وفي هذه الأثناء زار مصر كثير من أعلام اليونان ومن بينهم هيرودوت .

ولما توفي ارتكزركسيس تبعه دارا الثاني ، الذي استبد هو وولائه في حكم البلاد وحاولوا فرض عقائد الفرس على المصريين فتار هؤلاء ضدهم كما ثاروا على اليهود في اليفاتين (٢) لأنهم كانوا يعاونون الفرس .

ونجحت الثورة مؤقتا لأن دارا الثاني توفي وخلفه ارتكزركسيس الثاني ولم يكن حكم هذا الأخير مقبولا تماما في أنحاء الامبراطورية ولذا هزمت فارس في ميادين مختلفة ونجحت حركة التحرير التي قادها « لإمرتي » حفيد « أمير تايوس » السابق (٣) ، الذي يعتبر مؤسس الاسرة الثامنة والعشرين والملك الوحيد فيها .

Kienitz ,op-cit., pp. 69-73 (١)

Kienitz, op-cit., p. 39 n, 2 (٢)

(٣) أنظر أعلاه ص ٢٤٤

وبعد أن حكم هذا الأخير نحو ستة أعوام قتل على إثر ثورة قام بها د نفيريس ، أمير منديس مكونا أسرة جديدة هي الأسرة التاسعة والعشرين التي لم تستمر طويلا هي الأخرى لأن الفرس بدأوا يهتمون بمصر من جديد ، وقد حاول نفيريس جهده أن يتلافى خطرهم فتوود إلى الإغريق للاستعانة بهم عند الحاجة وتحالف مع الاسبرطيين حيث أرسل اليهم مددا في حربهم ضد الفرس ، وفي نفس الوقت تقدمت القوات المصرية إلى الحدود السورية واحتلت بها بعض المواقع واكن نظرا لهزيمة أسطول اسبرطة في حربها ضد أثينا أنسجبت قوات اسبرطة من الأقاليم الآسيوية - كذلك اضطرت القوات المصرية إلى التراجع نظرا لحلول الشتاء .

ويمكن أن يقال أن الأسرة التاسعة والعشرين بدأت بداية طبيعية ولكن سوء الحالة الداخلية ظل على ما هو عليه ولم يقدر لاتنفاضة مصر في عهدها طول البقاء ، فحينما توفي نفيريس وتبعه د أخورس ، على العرش تحالف هذا الأخير مع أمراء ليبيا واليونان وقبرص ضد فارس ومع أن مصر لم تكن لديها فرصة لتدعيم قواها فإن أخورس أرسل إلى ملك قبرص الذي كان يحارب الفرس مددا من السفن الحربية والمؤن والمال - واستمر هذا الصراع ثلاثة أعوام ولكنه لم يؤد إلى نتيجة وبعدهذ رأى قائد الأسطول الفارسي أن يتحالف مع أخورس فاستطاع هذا الأخير أن يتفرغ للإصلاحات الداخلية ولم تلبث الحال أن تبدلت في نهاية عهده حيث حدثت ثورة في سمنود بزعامة أميرها د نختنبو ،

الذى استطاع أن يؤسس الأسرة الثلاثين بعد أن توفي أخورس وخليفتيه
« بساموتس ، و « نفرينس الثانى ، (١) .

ولا نذكر النصوص المصرية كثيراً عن حكم « نختنبو الاول ، ولكن
بعض مؤرخى اليونان وخاصة ديودور يشيرون إلى أن نختنبو الاول
حارب الفرس وهزمهم ، ولكن حروبه هذه لم تكن خارج مصر
بل داخل الحدود المصرية رغم أن نختنبو ذكر فى نقوشه التذكارية قائمة
ببلدان أجنبية أخضعها غير أن هذه النقوش لا يمكن الأخذ بها وخاصة
لأننا نعلم أن الفرس بعد أن هزموا ملك قبرص وجدوا الفرصة سانحة
للاتتقام من مصر فتقدموا اليها - وعمد نختنبو إلى ائفال مصبات النيل
السبعة وحصن كلا منها كما حصن بلوزيوم إلى أقصى حد ، ومع ذلك
تمكن الفرس من الانتصار على المصريين فى الفرع المنديسى ولكنهم أرجأوا
الهجوم على منف ، وفى هذا الوقت حل الفيضان فساعد المصريين
على المقاومة وانتصروا على الفرس الذين تراجعوا إلى بلادهم - وقد أوجد
هذا الانتصار حالة من الاستقرار مكنت نختنبو من القيام ببعض
الإصلاحات وأشرك ولده « تيوس ، فى الحكم .

وحينما اعتلى هذا الأخير على العرش حاول تجديد التحالف مع اليونان
فأرسل تقودا إلى ملك أسبرطة وإلى ملك أثينا ليرسلا له جنوداً مرتزقة
وتمكن بذلك من تجهيز جيش ضخم يعد أعظم ما عرفته مصر منذ أيام

الدولة الحديثة ، وسار على رأس جيشه إلى آسيا محرزا انتصارات ساحقة في سوريا حتى ظن أنه سيجيد الإمبراطورية إلى ما كانت عليه في عهد نكاو ، ولكن أخاه الذي تركه في مصر خانه وألب عليه المصريين وخاصة الكهنة الذين أحرقهم استيلاء تيوس على أموالهم باستمرار لكي يدفع نفقات جيشه - ثم تمكن هذا الأخ من اغتصاب العرش ، ولم يكتف بهذا بل استدعى ولده الذي كان يحارب مع عمه فعاد إلى مصر بمعظم الجيش كما استدعت أئينا قائدها اليوناني « كابريوس » (الذي كان معه) فوجد تيوس نفسه وحيدا واضطر إلى الفرار إلى صيدا حيث احتفى بملك الفرس .

ولما اعتلى العرش في مصر « نختنبو الثاني » الذي كان يحارب مع عمه تيوس في سوريا لم يلبث طويلا في الحكم حتى حدثت ثورة في مندليس (التي كانت مقرا للأسرة التاسعة والعشرين) ولولا مقدرة المرتزقة اليونانيين لضاعت الفرصة من نختنبو الثاني ، ومع هذا لم يكف يبدأ تنظيم مملكته حتى تولى عرش فارس (ارتكزركيس الثالث) الذي أراد الاستيلاء على مصر ولكنه فشل في محاولاته الأولى لأن نختنبو الثاني استعان بمرتزقة من الإثينيين والاسبيرطيين - وقد أثر هذا النصر على سلطان ارتكزركيس وحدثت سلسلة من الثورات في فينيقيا ربما كان يشجعها « نختنبو الثاني » بما أثار ارتكزركيس وجعله - بعد أن يقضى على الثورات - ينظم هجوما مخيفا على مصر من البر والبحر ، وتقدم في الدلتا سريعا ووصل أسطوله عبر مصب النيل إلى منف ففر نختنبو إلى مصر العليا حيث احتفظ بملكه هناك عامين .

ولاندى كيف انتهى عهده ولا كيف بسط الفرس سلطانهم على مصر كلها ، وإن كان من المرجح أن إتمام فتح مصر كان عن طريق حملة ثانوية متممة للحملة السابقة - وعلى أى حال يعد ارتسكزركسيس الثالث أول ملوك الأسرة الحادية والثلاثين .

وحينما توفى هذا الأخير تبعه في الملك « أرسيس » الذى استطاع أن يحكم مصر بأكملها ولكنه لم يستمر سوى ثلاثة أعوام ثم تبعه دارا الثالث ، الذى كان تاريخه غامضاً لا يعلم عن تاريخ مصر فى عهده شيئاً يستحق الذكر ، ولكن من المؤكد أن المصريين كانوا فى أشد الاستياء من حكم الفرس كما نتبين ذلك من بردية كتبت فى عهد البطالمة تعرف باسم أخبار الأيام الديمقوطيكية (١) .

وقد حدثت ثورة فى الدلتا بقيادة أحد أمرائها ويدعى « خبباش » ، أو « سخباباش » ، أعترف به كهنة منف ماسكا ، وقد وجدت فى السرايوم لوحة مؤرخة بالسنة الثانية من حكمه كما وجدت باسمه بعض الآثار الأخرى من بينها تمثال يعرف باسم تمثال الوالى (٢) وكلها تشير إلى جهوده فى سبيل تحرير البلاد ، ومع هذا يمكننا القول أن تلك الجهود ذهبت عبثاً لأن

(١) هذه البردية محفوظة بالمكتبة الأهلية فى باريس برقم ٢١٥ وقد نشرت فى وترجتها فى مراجع مختلفة - من هذه المراجع أنظر

Drioton & Vandier, L'Egypte (4e.ed.), p. 616

Sethe, UrK. II, pp. 11-22

(٢)

مصر - بالرغم من أن الامبراطورية الفارسية كانت في طريقها إلى الزوال - لم تستقل طويلاً ، فبعد أن هزم (دارا الثالث) في إسوس على يد الاسكندر الأكبر فقدت فارس معظم قوتها ولم تحاول الدفاع عن مصر حينئذ جاء إليها هذا الأخير غازياً .

وكان الاسكندر الأكبر لبقاً إذ تظاهر بمظهر المخلص لمصر من نير الفرس لأن المصريين أنفسهم كانوا يتطلعون إلى ذلك حيث أننا نعلم أن مصرياً يدعى « تفتنخت » من مدينة أهناسيا ذهب إلى ملك مقدونيا واستنجد بالاسكندر بعد أن شاهد معركة إسوس ليخلص بلاده من الفرس - وقد أحسن هذا معاملة المصريين وأكرم آلهتهم وزار المعابد المختلفة واعترف به السكينة ملكاً بمعد آمون بسبوة ، ومنذ ذلك الحين أصبحت مصر جزءاً من العالم الشرقى الذى تأثر بالنفوذ الأغربقى وإن ظلت تحتفظ ببعض مظاهر حضارتها القديمة التى استهوت فى بعض نواحيها كل من وفد إليها من كتاب اليونان فكتبوا عنها الكثير وإن كانوا قد شوهوا بعض الحقائق عنها لعجزهم عن إدراك بعض مظاهرها وفهمها فهما تماماً .

الفصل الرابع

شبه جزيرة العرب

لا شك في أن قسوة الظروف الطبيعية في شبه الجزيرة قد جعلت منها بيئة غير مرغوب فيها لا يعرف العالم المتحضر من تاريخها إلا القليل إذ أن هذه الظروف كانت سببا في عدم نشاط الإرتحال إليها وجعلت القيام ببحوث علمية وأثرية فيها أمرا يكاد يكون مستحيلا إلا في بعض مناطق محدودة للغاية ، وقد يجيء الوقت الذى يمكن للانسان فيه أن يستعين بوسائل المدنية الحديثة على البقاء فى أقصى جهاتها ظروفًا وأن يقوم بما يريد من أبحاث تزيد معلوماتنا عنها .

ورغم قلة ما توصلنا إليه من معلومات عنها تدل شواهد الأحوال على أن شبه الجزيرة كان ينعم بظروف مناخية ملائمة لسكنى الإنسان ، فهى فى هذا تماثل نظيراتها فى العالم القديم - أى الصحراء الليبية وصحراء مصر الشرقية - ولذا يرجح أنها ظلت كذلك إلى نهاية العصور الحجرية على الأقل ، فقد وجد أحد الأمريكيين فى الربع الخالى بقايا نهر واسع هو السهل المنخفض المسمى ، أبو بحر ، كما وجدت آثار أهبار فى جنوبي شبه الجزيرة يستدل عليها من وديانها الجافة الآن ، وفى هذه الأماكن وبالقرب منها بقايا حيوانات من تلك التى تعيش فى مناخ شبيه بما كان سائداً فى شمال أفريقيا فى تلك العصور - كذلك عثر على آثار تدل على أن بعض المدن كانت توجد فى مناطق مختلفة من جنوب شبه الجزيرة على الأقل .

ولم يتمكن البحاث مع الأسف من الوصول إلى المناطق شديدة الجذب والقيام فيها بأبحاث تنير لنا السبيل عن عصورها القديمة ولكن بعثات قليلة قامت ببعض الأبحاث في جنوب شبه الجزيرة كشفت عن وجود آلات من الصوان في حضرموت تشبه كثيرا آلات العصر الحجري القديم فى شرق أفريقيا - ومع هذا فإن الاختلافات القليلة التى تبدو فى آلات كل من المنطقتين قد أدت إلى اختلاف وجهات النظر بين الباحثين فمنهم من يرى أن التقدم الذى طرأ على الآلات الحجرية فى أفريقيا يوحى بأن الحضارة التى أنتجت هذه الآلات نشأت فى شبه الجزيرة ثم انتقلت منها إلى أفريقيا - بينما يرى البعض الآخر أن آلات شبه الجزيرة لا تكاد تختلف عن آلات شرق أفريقيا فى أقدم صورها ولذا فإنهم يذهبون إلى أن شرق أفريقيا كان مهدا لثقافة مركزية تفرعت منها ثقافات متعددة إلى جهات مختلفة من أفريقيا وآسيا وأن من المحتمل أن الحضارات الآسيوية بصفة خاصة (ومن بينها حضارات شبه الجزيرة) قد انفصلت عن حضارات شرق أفريقيا بعد فترة - وهؤلاء الباحثون جميعا يستدلون على نشأة هذه الحضارات فى مكان ما (من تلك التى أشرنا إليها) إلى الأماكن الأخرى بما لاحظوه من عدم استقرار تشابه آلاتها بعد تطورها .

ولا يمكن أن نحدد الزمن الذى استمر فيه استعمال آلات العصر الحجري القديم فى شبه الجزيرة بل ولم يعثر حتى الآن على آثار من العصر الحجري الحديث فيها - كذلك لا يمكن فى حالة معلوماتنا الراهنة أن نحدد الزمن الذى بدأ فيه العصر التاريخى فى شبه الجزيرة ، وكل ما يمكن أن يقال فى هذا الصدد هو أن أجزاءها المختلفة لم تبدأ عصرها التاريخى فى وقت واحد وأن من المرجح أن الركن الجنوبى الغربى منها (اليمن)

ولقائم عمان ومنطقة حضرموت كانت أسبق هذه الأجزاء في الوصول إلى عصورها التاريخية .

ومن المسلم به أن شبه الجزيرة تعد بيئة طرد لا يرغب الإنسان في البقاء بها إذا ما ساءت الظروف - وكثيرا ما كان يحدث ذلك - فهناك من الأدلة ما يشير إلى خروج عدة هجرات منها إلى المناطق المجاورة في العراق وسوريا وغيرها ، وهي المسؤولة عن تحركات العناصر السامية التي كان لها أكبر الأثر في تاريخ إقليم الشرق الأدنى من أقدم العصور ، فمن المرجح أن هجرة سامية خرجت منها في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد إل الشمال الشرقي واختلطت بالسومريين ونشأت عن ذلك الدولة الأكادية التي أسسها سرجون الأكدي في بلاد النهرين (حوالي سنة ٢٣٧١ ق . م) ، بعد زوال سلالة أور الثالثة التي كانت آخر دولة للسومريين في العراق حيث انفرد الساميون بالزعامة السياسية فيه - وفي منتصف الألف الثالث ق م خرجت منها هجرة أخرى جاءت بالأموريين إلى سهول سورية الشمالية وبالكنعانيين إلى السهل الساحلي فيها ، وقد أطلق اليونان على هؤلاء اسم الفينيقيين - وفيما بين عامي ١٥٠٠ و ١٢٠٠ ق . م خرجت منها جماعات الآراميين الذين انتشروا في الجزء الشمالي من سوريا والعبرانيين الذين استقروا في جنوبها - وفي حوالي سنة ٥٠٠ ق . م خرج منها الانباط إلى شمال شرقي شبه جزيرة سينا وأسسوا دولة كانت تدمر عاصمتها في أيام الرومان .

ورغم صعوبة التعرف على تاريخ شبه الجزيرة قبل بدء الكتابة

فإن وجود بعض المصنوعات في العراق وبعض الجهات الأخرى من المواد التي جابت من شبه الجزيرة يدل على وجود صلات بينها وبين تلك الجهات من أقدم العصور - ومن أمثلة ذلك أن سكان بلاد النهرين جلبوا من بعض أجزاء الجزيرة أحجاراً ومعادن منذ عصور ما قبل التاريخ ، فقد جلبوا النحاس الخام من عمان وحجر الألبسديان من شرق شبه الجزيرة - ومن المحتملة كذلك أن المصريين في عصورهم التاريخية قد اتصلوا بجنوب شبه الجزيرة وجابوا منها العطور (١) .

العصر التاريخي

لم يتوصل الباحثون إلى معرفة شيء من تاريخ شبه الجزيرة إلا ما جاء عن طريق علاقاتها بالدول المجاورة (وخاصة العراق) وماورد في بعض المصادر اليونانية والرومانية لأن البحوث الأثرية تكاد تكون معدومة فيها وهي تختلف من جزء إلى آخر - ويمكن أن نلخص ما أمكن الوصول إليه من تاريخها كما يلي :-

الجزء الجنوبي :

(١) معين : يختلف هذا الجزء من بلاد العرب عن بقية الأجزاء من حيث كثرة مصادره التاريخية نسبياً ، فنذ القرن التاسع عشر اكتشفت

(١) يشك بعض الباحثين في أن هذه المنطقة هي التي عرفها المصريون باسم بلاد بونت وإن كنا لانميل إلى هذا الرأي .

نقوش معينية وسبئية ترجع إلى الألف الأول قبل الميلاد وهي تفيد بأن أربعة ممالك توالى في هذا الجزء من شبه الجزيرة ، وهذه الممالك هي : معين وسبأ وحضرموت وقتبان (١) التي آلت إلى الزوال في القرن الأول قبل الميلاد حيث خربت عاصمتها تمنع بالحريق حوالي ٥٠ سنة ق م - كما يستدل من تلك النقوش أيضا على وجود الاتصالات بين هذا الجزء وبين البابليين والسكنعانيين والأموريين ترجع إلى الألف الثاني قبل الميلاد ومن المرجح أن مملكة عربية قامت في بلاد معين وامتد نفوذها إلى الحجاز هي التي كانت مسئولة عن هذه الاتصالات ، كما أن من المحتمل أن نرام سين ملك أكاد (٢) كان على علاقات مع هذه المملكة .

ويصل إلى هذه المنطقة طريق برى يمر بمكة وجبل شعرو منه إلى بابل وهذا الطريق هو الذي كان يستعمله حجاج المسلمين القادمين من الشرق - وطريق آخر بحري يأتي من الخليج العربي إلى البحر العربي ويمر بدمون (البحرين) - أما القوافل التجارية فكانت تتبع طريقا آخر حيث تبدأ من مأرب عاصمة سبأ (مريابة) وتسير في محاذاة البحر الأحمر إلى تيماء ثم تتفرع إلى طرق تتجه إلى العراق وإلى البتراء ودمشق وتدمر وسيناء .

(١) معلوماتنا عن حضرموت وقتبان ضئيلة للغاية .

(٢) حفيد سرجون الأول وقد حكم فيها بين ٢٢٩١، ٢٢٥٥ ق م .

وربما كانت معين هي أول دولة نهضت في الجنوب - ومع أن بعض المؤرخين يرى بأنها قامت منذ أوائل الألف الثاني قبل الميلاد أو حتى في الألف الثالث إلا أن من المرجح أنها قامت فيما بين ١٣٠٠ و ٦٥٠ ق م وقد ازدهرت في بعض فترات تاريخها حتى شملت جنوب الجزيرة بأكمله ، هربيا حيث امتد نفوذها إلى بعض الجهات في الشمال والشمال الغربي كما تدل على ذلك النقوش البثودية التي وردت فيها أسماء الآلهة المعينية - هذا وقد وجد الباحثون في النقوش المعينية ٢٦ ملكا من ملوك معين ، وكانت العاصمة في موضع معين التي تقع في الشمال الشرقي من صنعاء وكانت تسمى « قرناو » - وإلى جانب هذه المدينة وجدت مدينة دينية هامة عرفت باسم « يثيل » وهي في مكان « برانش » الحالية التي تقع إلى الشمال الغربي من « مأرب » .

ومن المؤرخين من يرى أن أقدم نقوش معين لا ترجع إلى أقدم من سنة ٨٠٠ ق م. وأنها كانت تعاصر سبأ ومع هذا لم يرد لها ذكر في نقوش هذه الأخيرة ولا في النصوص المسهارية ، كما يرى البعض أن مملكة معين ظلت قائمة إلى زمن الحميريين وكان آخر ذكر لهم في سنة ٢٤ ق م بينما يرى البعض الآخر أن أول ملوك سبأ كانوا يعاصرون آخر ملوك معين وأنهم ورثوا مملكتهم وسلطانهم .

٢ - سبأ (٩٥٠ - ١١٥ ق م)

في الركن الجنوبي الغربي لشبه الجزيرة وسكانها هم فينيقيو البحر الجنوبي - ويقسم تاريخها إلى دورين :

الأول ينتهى حوالى سنة ٦٥٠ ق م وكانت العاصمة فيه صروح
أو صروح فى مكان خربة الحالية (على مسيرة يوم واحد غربا
من مأرب) وكان ملوكها يلقبون بالمكربيين وهو لقب دينى زال استعماله
بعد هذا الدور .

والدور الثانى من سنة ٦٥٠ - ١١٥ ق م وقد اقتصر الملوك فيه
على لقب ملك سبأ وكانت عاصمتهم حينئذ مأرب (مريابة) على بعد
٦٠ ميلا شرق صنعاء - وكان أهل سبأ يتصلون بمصر عن طريق البحر
الأحمر ووادى الحامات أو عن طريق برى على طول الساحل الغربى
لشبه الجزيرة إلى مكة فالبراء حيث يتفرع الطريق إلى مصر وسورية
والعراق ، كما أن طريقاً آخر كان يربطهم بمحضرموت نشأت على طول
جسلة مستعمرات سبئية ربما كانت هى التى أشارت إليها
النصوص المسارية .

وكانت سبأ تعاصر مملكتين أخرتين فى الجنوب هما قتيبان وحضرموت
وعاصمتاهما تمنع ، شبيهة على التوالى - وأقدم ذكر للسبئيين فى المصادر
المسارية هو ماورد فى أخبار الملك الأشورى تجلات بلاسر الثالث
(٧٤٥ - ٧٢٧ ق م) حيث يشير إلى أنه (حوالى ٧٣٢ ق م)
أخذ جزيرة من مملكة العرب (سمسى) . وأنه فرض سلطانه على جزء
من بلاد العرب - ومن جهة أخرى يشير اسم « مكة » إلى نفوذ السبئيين
فى جنوب شبه الجزيرة لانه مشتق من صيغة سبئية تعنى « مزار أو معبد »
وهى « مكورابا أو مكرابة » وربما كان لهذا الاسم صلة
بالمكربيين .

مجان :

ذكر سرجون الاكدي أنه غزاها وجلب منها ومن ملوخوا و دلمون سفنا (١)
ولذا يعتقد أغلب الباحثين أنها تقع في شرق شبه جزيرة العرب بينما يرى البعض أنها عمان الحالية وأنها اشتهرت بالتجارة والملاحة ، وتشير
نصوص زرام سين (حفيد سرجون ملك أكاد) إلى أنه غزا مجان وأخضع
ملكها مانيثوم وهو اسم يبدو أنه سامي عما يوحى بوجود مملكة حكمها
من العرب الساميين .

ومع أن اسم مجان قد يكون مشتقا من كلمة سومرية ميناء أو أرض
السفن إلا أن النصوص المسماة تصف (مجان) بأنها « جبل النحاس »
وقد اشتهر نجاحها بوجود نسبة من القصدير - كذلك اشتهرت « مجان »
بججر الديوريت الاسود الذي صنع منه قدامى ملوك العراق تماثيلهم
ونصبهم .

دلمون أو تلهون (البعريين)

ذكر اسم دلمون أو تلمون في المصادر المسماة وكانت على علاقات مختلفة
مع السومريين والبابليين والاشوريين منذ أقدم العصور - وقد وردت عنها

(١) من المرجح أن منطقة « ميجان » الحالية التي تقع على ساحل الخليج العربي عند مصب
وادي شهبان هي البقعة التي نشأت فيها مملكة مجان القديمة ، ولا يمكن تعيين موقع ملوخوا بالعديد
حتى الآن ولكن لا شك في أنها كانت قريبة من ميجان - أما دلمون فمن المرجح أنها كانت تضم
جزر البحرين وجزءاً من الاحساء

إشارات في النصوص المسماة منذ منتصف الألف الثالث إلى نحو سنة ٥٠٠ ق م - وهذه النصوص تدل على أن دلمون تقع في منطقة البحرين وأنها أرض أسطورية غريبة ، حيث يذكر سرجون الثاني (ملك آشور) أن ملك دلمون يعيش في وسط البحر الذي تشرق منه الشمس ، كما يذكر الملك آشور بانينيال أن دلمون تقع وسط البحر الأسفل والمقصود « بالبحر الذي تشرق منه الشمس » و « الأسفل » في النصوص الآشورية هو الخليج العربي ، ويستدل من نصوص سرجون الثاني على أن الوصول إلى دلمون كان يتطلب نحو ٦٠ ساعة ملاحية من مصب الفرات أي أنها كانت تبعد نحو ٣٠٠ ميل وهي نفس المسافة إلى جزر البحرين . وفي سنة ١٨٧٩م عثر على كتابة مسماة في البحرين ترجع إلى العهد البابلي القديم في النصف الثاني من الألف الثاني ق م وبها إشارة إلى « قصر روم عبد الإله انزاك رئيس قبيلة أجاروم » ومن المحتمل أن أجاروم القديمة هي قبيلة عربية بقي اسمها مستعملا وحرف إلى بني هجر التي تقيم الآن في بقعة تجاور البحرين ، كما يرجح أن هذا الإسم المحرف « هجر » كان يستعمل في العصور الوسطى للدلالة على منطقة الاحساء .

وقد اشتهرت دلمون بشمرها منذ أهدم المصور - ويغلب على الظن أن الساحل الشرقي لشبه جزيرة العرب كان ضمن مملكة دلمون التي ازدهرت في الألف الثاني قبل الميلاد وكانت تضم الاحساء والبحرين .

وما زالت الآراء تختلف في أصل الدلمونيين إذ يرى البعض أنهم جاءوا من الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة وكانت لهم صلات

مع العراقيين منذ عصر فجر الاسرات السومرية ، بينما يرى البعض الآخر أن من المحتمل أن يكون السومريون القدماء قد جاءوا أصلا من دلمون . وقد تعرضت دلمون لغزوات كثيرة من مساوك بلاد النهرين ، فقد غزاها سرجون الأكدي هي ومجان وملوخا وجلب منها سفنا كثيرة كما أشرنا إلى ذلك من قبل ، كذلك حاول بعض الاشوريين ضمها إلى ملكهم - وبما يذكر في هذا الصدد أن سنحريب بعد أن دمر بابل سنة ٦٨٩ ق م أرسل إلى دلمون أمرا بالخضوع ومعه بعض رماد حريق بابل كتهديد لها بنفس المصير فبادر ملك دلمون بإرسال جزية وهدايا لسنحريب رمز الخضوع له . ويورد بعض الباحثين أن يربط جنة عدن المذكورة في السكتب السماوية بمنطقة دلمون ويستندون في هذا إلى ما تذكره الأساطير المسمارية التي تصفها بأنها أرض غريبة وإلى الأساطير العربية الشائعة في شبه الجزيرة التي تصفها كجنة ليس فيها إلا الخير والطهر ، وإلى أن أسطورة سومرية عن الطوفان تشبه أسطورة جلجاميش تشير إلى دلمون كأرض مقدسة ولكننا بالطبع لانستطيع تأكيد ذلك .

باصو أوبازو « نجد » وحاسو « الأحساء »

تقع هذه البلاد في شرق وجنوب شرق شبه جزيرة العرب وقد اتصل بها غير واحد من ملوك الاشورين وكان أهمهم أسر حدون الذي توغل في بلاد العرب الى مسافات بعيدة وصفها وصفا ينطبق على نجد والأحساء ، وقد ذكر أسميهما باصو (أوبازو) وحاسو على الترتيب ، ومع أن بعض البحوث الأثرية قد تمت حديثا في الأحساء وفي جزيرة البحرين إلا أنها لا تلتقي كثيرا من الضوء على تاريخ هذه الجهات قبل خروج الإسكندر الى حملاته في الشرق .

الفصل الخامس

الاقليم السورى

ويقصد بالإقليم السورى هنا تلك المساحة التى عرفها اليونان بهذا الاسم ، أى المساحة الواقعة بين جبال طوروس شمالا وسينا جنوبا وبين البحر المتوسط غربا والبادية وبلاد النهرين شرقا .

ولو تأملنا هذا الإقليم لوجدناه ينقسم من ناحية التضاريس إلى أقسام طولية يغلب فيها بوجه عام تناوب الاراضى المنخفضة والمرتفعات حيث نجد أن السهل الساحلى تتلوه سلسلة الجبال الغربية وبلى هذه سهل البقاع ثم السلسلة التى تنتهى إلى بادية الشام مع ملاحظة أن كلا من هذه الاقسام يختلف فى اتساعه بين بقعة وأخرى .

وقد تأثر هذا الإقليم فى تاريخه وحضارته ببضعة عوامل يمكن تلخيصها فيما يلى :

١ - الموقع الجغرافى : تقع سورية بين القارات الثلاثة الرئيسية للعالم القديم ، فهى لهذا تعد حلقة الاتصال فيما بينها ، ومع أن هذا الموقع أتاح لها أن تلعب دورا هاما فى التبادل التجارى وانتشار كثير من المظاهر الحضارية بين أقطار الشرق الأدنى إلا أنه من جهة أخرى جعلها عرضة للهجمات والغزوات المختلفة وكانت مجاورتها لأقدم مراكز الحضارة الفعالة

في العراق ومصر وآسيا الصغرى من العوامل الهامة التي جعلتها تتأثر بتلك الدول وحضارتها .

٢ - التضاريس : أشرنا إلى أنها تنقسم إلى أقسام طولية مختلفة الاتساع والمظهر وقد أدى ذلك إلى قيام وحدات منفصلة فيها ، ولم تكن إحدى هذه الوحدات من الاتساع بحيث تنشأ فيها دولة قوية يمكنها أن توحد سوريا بأكملها تحت سلطانها ولذا كان توحيدها غالبا ما يتم بإرادة سلطة خارجية .

٣ - وجود المناطق الصحراوية في شرق سوريا وجنوبها جعلها المطمع الدائم للبدو من سكان هذه الأقاليم فكان في صراع مع تلك العناصر .

ونظرا لأن هذه العوامل مرتبطة بالظروف الطبيعية الإقليم السوري فإن أثرها الحضارى والتاريخى ظل مستمرا في معظم أدواره التاريخية ، وفيما يلي موجز الأدوار التي مر بها .

أولاً - العصور قبل التاريخية

١ - العصر الحجري القديم

العصر الحجري القديم الأسفل

وجدت آثار حضاراته (التي تشبه مثيلاتها في جهات العالم الأخرى) في كهوف عدلون (بين صيدا وصور) وفي الكرمل وأم قطفة (شمال غرب البحر الميت) والزطية (شمال غرب بحيرة طبرية) ورأس شمرا (أوجاريت) - ولم يعثر على بقايا بشرية تمثل سكان هذا العصر (١١).

العصر الحجري القديم الأوسط :

عثر على آثاره في كهوف في جبل الكرمل وفي جنوب الناصرة وفي شمال غرب طبرية ، وقد عثر في بعض هذه الكهوف على بقايا بشرية تبين أن إنسان هذا العصر كان خليطاً من السلالات التي تشمل إنسان نياندرثال وأنواع أخرى أرق منه تكاد تشبه الإنسان الحديث ، ومن المحتمل أنه كان يأكل اللحوم البشرية كما يستدل على ذلك من بقايا العظام البشرية التي وجدت وقد استخرجت مادتها النخاعية (١٢) .

(١) أنظر م ذلك فيليب حتى « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ترجمة جورج - مداد وعبدالكريم رافق ص ٩ حيث يعيد إلى أن سكان سورية في هذا العصر كانوا « نوعاً بدائياً غير متميز من الانسان الأبيض » .

(٢) أنظر نفس المرجع السابق ص ١١

العصر الحجري القديم الأعلى :

وجدت آثاره في كهوف أنطلياس وفي حوض نهر السكلب وفي كهف بالقرب من طبرية حيث عثر فيها - فضلا عن الأدوات الميكروليثية - على بقايا هياكل عظمية لأنواع مختلفة من الحيوانات مثل الكركدن والضبع الثعلب والماعز والغزلان (وهذه الأخيرة كانت أكثرها) كما عثر على بعض بقايا إنسانية ، ومن المحتمل أن الإنسان توصل - في هذه المرحلة - إلى معرفة النار واستخدامها في الطهي .

ب - العصر الحجري المتوسط

تمثل هذا العصر حضارة تعرف باسم الحضارة الناطوفية (١) (نسبة إلى وادي النطوف شمال غربى القدس) ، وفيها ظلت الأدوات الميكروليثية مستعملة بينما أخذت بعض الحيوانات التي كانت تعيش في تلك الجهات في الاختفاء نظراً لتغير الظروف المناخية - ويستدل من بقايا إنسان هذا العصر على أنه كان قصير القامة مستدير الرأس ، ويرجح أنه عرف استئناس الحيوان والمرحلة البائيسية في الزراعة وإن كان هذا لا يستند إلى دليل قوى حتى الآن ، واتخذ منازل عبارة عن أكواخ من الطين

Dorothy A. E Garrod & D.M. A. Bates " The Stone (١) Age of Mount Carmel " Vol. 1 (Oxford 1937) pp. 145, 153, 175-7, D.A.E. Garrod " A New Mesolithic Industry : The Natufian of Palestine " , in the Journal of the Royal Institute of Great Britain, vol LX 11 (1932), pp. 267 ff.

أو اللبن عثر على أقدم آثارها في أريحا وتل الجديدة (شمال سوريا)
ورأس شمرا - ويتغالى بعض المؤرخين فيعتبر سورية أول من عذرف
بعض أسس الحضارة التي انتقلت منها إلى جهات أخرى من الشرق
الأدنى (١) وهو ما لا يتفق مع نشأة الحضارات العظيمة في مصر والعراق.

ومن المرجح أن الانسان - ابتداء من هذا العصر - اهتدى إلى نوع
من العقيدة بدليل ما عثر عليه من أواني الطعام والتقدمات في أماكن
الدفن ، كما أنه أخذ ينمى ملكته الفنية حيث أصبح يحاول محاكاة ما حوله
من الكائنات بحفرها على العظم أو الحجر إذ عثر على قطعة من العظم
في هيشة غزال وعلى تماثيل طينية لبعض الحيوانات الداجنة كانت
في مزار مقبرة في أريحا .

ج - العصر الحجري الحديث

يشتمل العصر الحجري الحديث والعصر التالي له (بداية استخدام
المعادن) في عدة مواقع في سورية وفلسطين - وقد اصطلح كثير
من الأثريين على اتخاذ منطقة العمق في سورية نموذجاً للحضارات
التي شاعت في هذا العصر وما تلاه نظراً لأن تلاها الكثيره بطبقاتها
المختلفة تحوى آثاراً لكل من هذه الحضارات ويقابل هذه المنطقة في فلسطين
منطقتى جريكو وتل الغسول .

(١) فيليب حتى المرجع السابق ص ١٧ وما بعدها .

وقد وجدت آثار حضارة العصر الحجري الحديث في تل الجديد وساكجي جوزى (في أقصى الشمال) ومرسين في قيليقيا وهذه يمكن وضعها ضمن آسيا الصغرى ولكنها أقرب إل الاقليم السورى ولذلك تلاحق به ، وقد وجدت نظائر لهذه الآثار في طبقتى العمق أ ، ب بسوريه وطبقتى ١٠ ، ٩ في جريكو بفلسطين ، ويمكن أن نعدها نظائر لحضارات حسونة بالعراق وسيالك الاولى في إيران - وهى تمثل مرحلة استقرار بالمعنى الصحيح إذ عثر فيها على بعض الفؤوس والمناجل الحجرية لاشك في أنها استخدمت في الزراعة ، كما عثر فيها على أجران ومخازن - أما الاواني الفخارية التى عثر عليها فربما كانت متأثرة فى صناعتها بما كان سائدا فى العراق حيث يرى البعض أنها متأثرة بحضارة سامراء التى تنتمى إلى أواخر الدور الحجري الحديث بينما يرى البعض الآخر أنها متأثرة بحضارة حلف (١) التى تنتمى إلى أوائل دور بداية استخدام المعادن

د - دور بداية استخدام المعادن (عصر النحاس والحجر)

تتمثل حضارات أوائل هذا الدور فى أوجاريت (قرقيش) وفى جزر وتل الغسول وفى الطبقة ج بمنطقة العمق والطبقة ٨ بمنطقة جريكو (وهى تقابل تقريبا حضارة حلف بالعراق - وقد عثر فيها على منازل من اللبن أساساتها من الحجر الغنيم (غير المهدب) وكان الاطفال يدفنون عادة فى جرار تحت أرضيتها أما البالغون فكان بعضهم يحرق

(١) أنظر مع ذلك فيليب حتى تاريخ سورية . . . (الترجمة) ص ٢٢، ٢٣

والبعض يدفن في جرار على هيئة الجنين (١) ، ومن المحتمل أن تحصينات المدن بدأت من هذا العصر - وكانت الزراعة مقترنة بالرعى واستئناس الحيوان كالثور (الذى يرجح أنه قدس) والماعز والغنم ، وكان الحمام يرمز عادة للإلهة الام - وفي هذا العهد كانت تغلب على السكان صفات جنس البحر الابيض المتوسط في الجنوب أما في الشمال فيغلب أنهم كانوا من الآرمنيين .

وتتمثل حضارات أواخر هذا الدور في أريحا ومجدل (تل المناسم) والعمقولة وبيت شان (بيسان) وأوجاريت وبلوس وهى تقابل طبقات العمق د ، ه ، و - في سوريا والحضارة الغسولية وعصر البرونز الأول في فلسطين - ويبدو أن سوريا خلال هذه المرحلة كانت في حضارتها تسير حضارات العراق ومصر المناظرة لها وخاصة في الجزء الأخير من عصر التمهيد للكتابة في العراق وعصر ما قبل السلالات الحاكمة في مصر أى حضارتى جمدة نصر وسمانية ، ويبدو التطور واضحا في هذه الحضارة إذ نجد أن الفخار أصبح يصنع بالعملة وأن اللبن أصبح يستخدم في البناء وطلبت الجدران بلون أبيض وزينت برسوم تمثل بعض الأشخاص والآلهة - وقد توصل أهل هذه المرحلة إلى صب المعادن حيث عثر على تماثيل نحاسية صغيرة مصبوبة كما تطورت الفنون عامة ويتجلى ذلك بوضوح في زخرفة الأواني بطلاء زجاجى .

C. Leonard Woolley, "Hittite Burial Customs" in (١)
The Annals of Archaeology and Anthropology, " University
of Liverpool, VI (1914) p. 88

ثانياً - العصور التاريخية

سبق أن أشرنا (١) إلى أن ظروف الأقليم السوري الجغرافية لم تيسر قيام دولة قوية فيه وأن الوحدات التي نشأت به لم تتحد إلا بإدارة سلطة خارجية - والواقع أن كل ما وصلنا من معلومات عن طريق البحوث التاريخية والآثرية يوحي بأن سورية ظلت في معظم فترات تاريخها ميداناً لصراع القوى المجاورة، ومع وجود بعض دويلات المدن التي استمرت مستعصية على الغزاة في الجزء الأكبر من تاريخها إلا أن هذه كانت تستسلم في النهاية تحت ضغط القوى الفتية التي تغزوها - ومن الممكن القول إجمالاً بأن الإقليم السوري كان في أقدم عصوره التاريخية على علاقات تجارية مع مصر التي كثيراً ما كانت تنشر نفوذها به، وليس من المستبعد أن تكون جالية مصرية قد أقامت في جبيل (بيلوس) بلبنيان في زمن الأسرة الرابعة المصرية (٢) لملاحظة التبادل التجاري بينهما وبين مصر كما أن نصوص الأسرة الخامسة تدل على قيام حملات حربية مصرية إلى تلك الجهات أو على الأقل بعثات تجارية مسلحة - ومن المحتمل أن بعض عناصر الإقليم السوري استطاعت أن تهدد الحدود المصرية بل ويرجح أنها في نهاية عهد الأسرة السادسة تمكنت من بسط نفوذها على الدلتا (٣)، وما لبث أن حدث رد فعل في عهد الأسرة الثانية عشرة

(١) أنظر أعلاه ص ٢٦٢

(٢) أنظر أعلاه ص ٩٧

(٣) أنظر أعلاه ص ١١٤، ١١٥

لإذ يبدو أن ملوكها كان لديهم شيء من النفوذ في جنوب الإقليم السوري كما أنهم استأنفوا النشاط التجاري مع سواحله الشمالية وكانت لهم علاقات ودية مع بعض الإمارات الأخرى .

والظاهر أن ظروفًا سيئة حلت بالإقليم السوري خلال هذه الفترة إذ أن بعض القبائل السورية جاءت في عهد سنوسرت الثاني (١) تطلب السباح لها بالاستقرار في مصر ويرجع سبب ذلك إما لحدوث قحط في هذه الجهات أو لتعرضها لغزوات بعض الديولت المجاورة وخاصة لأن الآموريين أخذوا ينتشرون إلى أواسط سوريا وجنوبها خلال هذه الفترة تقريبًا بعد أن كانوا قد تركزوا فترة في سوريا الشمالية أو لتدفق بعض سكان شمال ووسط سوريا عليها من جراء ضغط هجرات بعض العناصر الهندوأوربية الرعوية التي جاءت بالإيرانيين والحموريين وغيرهم ممن انتشروا في أعالي دجلة والفرات ثم زحفوا إلى سوريا الشمالية - والظاهر أن ازدياد هذا الضغط قد أدى إلى زيادة تسلل العناصر الآسيوية إلى مصر وانتشارها وازدياد نفوذها تدريجًا حتى استطاعت أن تستولى على السلطة فيها وحكمتها في أعقاب الدولة الوسطى - وقد عرف هؤلاء في التاريخ باسم الهكسوس وهم الذين تمكن ملوك الأسرة الثامنة عشرة من طردهم وتعقبهم في فلسطين إلى أن قضوا على سلطانهم .

(١) أنظر أعلاه ص ١٣٨

وظل الإقليم السوري خاصصا للسلطان المصرى معظم عهد الأسرة الثامنة عشرة ولو أن مملكة قوية عرفت باسم مملكة ميتاني نشأت في شماله الشرقى (١٤٠٠ - ١٢٠٠ ق م) إلا أن نفوذها لم يتعد ذلك إلى مناطق النفوذ المصرى بل وكانت علاقاتها طيبة مع مصر وارتبط ملوكها بروابط المصاهرة مع الفراعنة - وفي عهد الأسرة التاسعة عشرة تقاسم الحيثيون والمصريون النفوذ في سوريا إذ أصبحت الأجزاء الشمالية منها في قبضة الحيثيين بينما اقتصر النفوذ المصرى على جنوبها ، ولم يستمر الحال كذلك إذ انتهت الأسرة التاسعة عشرة نهاية سيئة فأعلن حكام الأقاليم استقلالهم واغتصب أحد كبار موظفي البلاط السوريين العرش فترة إلى أن تمكن مؤسس الأسرة والعشرين د ست نخت ، من اعتلاء العرش بعد طرد الغاصب السورى وعاد الأمن والاستقرار في البلاد (١) ، وفي عهد هذه الأسرة الأخيرة حدثت اغارات مفاجئة من شعوب هندوأوربية عرفت باسم د شعوب البحر ، على آسيا الصغرى فأسقطت دولة الحيثيين وواصلت تقدمها في شمال سوريا وزحفت جنوبا حتى أصبحت تهدد مصر ولكن رعسيس الثالث - ثانى ملوك هذه الأسرة - تصدى لهم وهزمهم برا وبحراً في معركة فاصلة ، وبذلك احتفظ بشيء من النفوذ المصرى في سوريا ، وكذلك ظلت بعض الولايات الحيثية قائمة فترة بعد ذلك في شمال سوريا إلى أن قضى عليها نهائيا سرجون الثانى ملك آشور

(١) أطر أعلاه س ١٩٩

في أواخر القرن الثامن قبل الميلاد - وبعد عهد رمسيس الثالث أخذ نفوذ مصر يزول تدريجياً من سوريا إلى أن انتهى تماماً في أواخر الأسرة العشرين ولم تقم له قائمة بعد ذلك إلا في فترات متباعدة ولمدد قصيرة من عهدي الأسرتين الثانية والعشرين والسادسة والعشرين ثم أصبحت سوريا ومصر نفسها بعد ذلك جزءاً من الإمبراطورية الفارسية .

ولاشك في أن ظروف الإقليم السوري الجغرافية التي أشرنا إليها من قبل (١) لا تجعل من مصر الدولة الوحيدة التي كان على علاقات معها ، بل وربما كانت بعض المناطق الأخرى أيسر اتصالاً به وعلاقاته معها أبعد مدى ، فمن المعروف أن المنطقة بين سهل سوريا الشمالية وسهول نهر دجلة الأعلى كانت كثيفة السكان منذ أقدم العصور ، يسهل الانتقال عبرها بين بلاد النهرين والإقليم السوري ولذا كانت بمثابة حلقة الاتصال بينهما مما أدى إلى تشابه بعض حضارتهما في العصر قبل التاريخي وإلى توسع الدول القوية التي تنشأ في أي منهما في أراضى الآخرة ، وهكذا نجد أن « لوجال زاجيزي » ، (٢) يدعى بأنه غزا سورية ووصل « سرجون » الأكدي في فتوحاته إلى لبنان ، وما أن تجررت أرض الجزيرة وشمال سورية من الأكديين حتى خضع الجرح الشمالي من سورية للحموريين ، وبعدئذ تمكن « آرام سن » من السير في فتوحاته شمالاً حتى أخضع حلب . ولم يهتصر نشاط العلاقات بين القطرين على سياسة التوسع فقد قامت بينهما علاقات تجارية من أقدم العصور وخير

(١) أنظر أعلاه ص ٢٦٩ - ٢٦٢

(٢) أنظر فيما بعد ص ٣٥٦ - ٣٥٨

مثال لذلك ما قام به «جوديا» حاكم لجش من إحضار خشب الأرز من لبنان .

وعندما ازدادت قوة الساميين الغربيين «الأموريين» الذين كانوا يقطنون في الإقليم السوري زحفوا على طول نهر الفرات وأصبحوا حكاما لكثير من بقاع بلاد النهرين ولكن لم يلبث «حامورابي» أن أخضعهم لسلطان بابل ولو أنه هو نفسه كان أصلا من الأموريين ، وما أن انتقامت السيادة في بلاد النهرين إلى الآشوريين حتى وجدوا أن الأراميين أصبحوا يتركزون على الجانب الأيمن للفرات ولذا عمد ملوكهم الأقوياء إلى فرض سلطانهم على هؤلاء الأراميين بل وتوسعوا غربا حتى وصلوا إلى البحر المتوسط ، ولم تسكد بضعة الدويلات السورية القائمة أن تفيق من ضربات الآشوريين المتلاحقة بعد سقوط آشور حتى تعرضت من جديد للغزوات السكلدانيين .

ولم تكن آسيا الصغرى في علاقاتها بالإقليم السوري أقل شأنا من غيرها ، بل ويمكن أن نعد الجزء الجنوبي منها - وهو الواقع خلف جبال طوروس - امتدادا للإقليم السوري ولذلك نجد تشابها في حضارتيهما منذ العصر الحجري والحديد ، وقد وجدت دوله الحثييين «سكان آسيا الصغرى» فرصة للتوسع في الإقليم السوري منذ القرن الرابع عشر ق م واشتد التنافس بينهما وبين المصريين من أجل السيطرة عليه ثم تكونت فيه عدة ممالك حيثية صغيرة خلال القرن الحادي عشر ق.م.

وهكذا نجد أن الإقليم السوري كما ميدانا لصراع دول وشعوب مختلفة أثرت في تاريخه أيما تأثير

الشعوب التي أثرت في تاريخ سورية

أشرنا إلى أن موقع الإقليم السوري كان عظيم الأثر في تاريخه وحضارته إذ أنه جعله عرضة لوفود بعض العناصر التي لعبت في تاريخه دوراً هاماً - وأهم هذه العناصر هي :

أولاً - العناصر السامية :

وفدت هذه العناصر إلى الإقليم السوري في موجات متتابعة واستقرت في أنحاء مختلفة منه (خريطة رقم ٤) ، وظلت تسود فيه خلال الجزء الأكبر من تاريخه القديم وأهم جماعات هذه العناصر هي :-

١ - الاموريين :

هم أول شعب سامي عاش في سورية ، وقد جاءوا من بلاد العرب في هجرة واحدة مع الكنعانيين حوالي منتصف الألف الثالث ق.م وأخذوا يتجولون في شمال سورية قبل أن يستقر بهم المقام في أواسط حوض الفرات ، وكانت هذه المنطقة تسكنها جماعات سوسرية عند وفود الاموريين ثم مالبت هؤلاء أن أصبحوا يمثلون غالبية السكان ، وبعد انتصار سرجون الاول (ملك أكد) على لوجال زاجيرى (١) حوالي سنة ٢٣٧١ ق.م اجتاح بلاد الاموريين - ولما أن حل القرن العشرين قبل الميلاد حتى أصبحت منطقة الفرات الاوسط أمورية في سكانها

(١) ملك مدينة أوما - أنظر بعده عصر «عصر الأسرات السومرية» بالعراق .

وحضارتها وحكومتها حيث أسسوا دولة عاصمتها ماري جنوب مصب
 الخابور - ولم يتوقف نشاط الاموريين عند هذا الحد بل أسسوا
 سلالات حاكمة في أجزاء مختلفة من بلاد النهرين وفي معظم أنحاء سورية،
 والواقع أن إماراتهم كانت منتشرة من آشور شمالاً إلى لارسا جنوباً
 ومن البحر المتوسط غرباً إلى مرتفعات عيلام شرقاً ، والظاهر أن بعض
 الجهات التي قطنوها في أول الأمر تعرضت لحملة مصرية في عهد ساحورع
 أحد ملوك الأسرة الخامسة (١) حيث أن النقوش التي تركها على جدران
 معبده تبين انتصاره على آسيويين مثلوا بملاح تغلب فيها الصفات الأرمينية
 (رأس مستديرة وأنف ضخيم) وهي صفات كانت سائدة بين الاموريين
 أيضاً ، ومن المرجح أن بعض مواطنهم تعرضت لبعض المتاعب فجاءت
 جماعات منهم تطلب الاستقرار في مصر ، ويتضح هذا من نقوش مقبرة
 «خنوم حتب» أحد أشراف مصر الوسطى في عهد سنوسرت الثاني
 من السلالة الثانية عشرة حيث مثاث إحدى القبائل التي لها نفس الملامح
 وقد جاءت تطلب السماح لها بالإقامة في مصر (٢) - وربما كان الاموريون
 يمثلون الغالبية بين الشعوب التي اجتاحت سورية وتسلمت إلى مصر
 وسيطرت عليها وهي التي عرفت باسم الهكسوس (٣) .

وقد شهد مطلع النصف الثاني من الألف الثاني قبل الميلاد تحولا

(١) أنظر ص أملاء ١٠٤

(٢) انظر أملاء ص ١٣٨

(٣) انظر أملاء ص ١٤٧ وما بعدها

في النشاط الدولي إلى سورية الوسطى التي كان الأموريون يلعبون الدور الرئيسي فيها ، لأن الدولة الحيثية أصبحت من القوة بحيث أخضعت الجزء الشمالي من سورية لسلطانها بعد أن كانت تسيطر عليه بمملكة يانخاد الامورية التي كانت عاصمتها حلب - وفي تلك الاثناء كانت مصر قد أخذت تبني إمبراطورتها في عهد الدولة الحديثة ووقع جزء من سورية تحت سيطرتها ، وهكذا انحصرت بقية الإمارات الامورية في سوريا الوسطى وخاصة في الجزء الشمالي من لبنان والإقليم الداخلي حول دمشق - وطات هذه الإمارات تتأرجح بين الخضوع للحيثيين أو الولاء لمصر ، وظل الحيثيون في تقدمهم بينما أخذت حالة المستعمرات المصرية تزداد سوءاً في أواخر عهد الأسرة الثامنة عشر وانكشفت الممتلكات المصرية حتى أصبحت قاصرة على الجزء الجنوبي من سوريا وأخذ الحيثيون يسيطرون على شمال سورية ووسطها إلى أن انتهى نشاط الأموريين منها واقتصر على جنوبها بينما ظل الكنعانيون يسكنون السواحل - وبعد مضي بعض الوقت استطاع الآراميون والعبرانيون الذين وفدوا إلى سوريا بين ١٥٠٠ ، ١٢٠٠ ق.م. أن ينتزعوا السيادة من الأموريين والكنعانيين كما استولوا على المناطق السورية الواقعة في شرقي نهر الأردن .

ب- الكنعانيون :

أشرنا إلى أن هؤلاء وفدوا مع الأموريين في هجرة واحدة ولكن هؤلاء الكنعانيين استقروا على الساحل حيث أطلق عليهم اليونان اسم « الفينيقيين » ، ولم تمكنهم طبيعة المنطقة التي عاشوا فيها من تأسيس

دولة قوية موحدة بل انتظموا فى جماعات صغيرة يحكم كلا منها ملك ويتركزون حول مدن محصنة ، تحميها أسوار وأبراج قوية تلجأ إليها تلك الجماعات عند مهاجمتها ، وبعض هذه الجماعات كانت تحتل - إلى جانب أماكن استقرارها على الساحل - جزرا صغيرة فى مواجهتها حتى إذا ما اشتد الهجوم عليها التجات إلى تلك الجزر التي كانت محصنة هي الأخرى ، أى أن هذه الجماعات كانت تنبع ، سائل دفاع مزدوجة بفضلها استطاعت بعض مدنهم أن تقاوم طويلا هجمات كبيرة تعرضت لها ووقفت صامدة أمام الفاتحين رغم حصارهم لها سنوات متتالية .

وكثيرا ما كان يكثر النطاحن بين هذه المدن وتنشب بينها الحروب ومع ذلك فإنها كثيرا ما كانت تتحد أمام المهاجمين من الشعوب الأخرى ، وقد تحصل لإحداها على الزعامة وتمتع بنوع من السيادة على الآخرين (١) ولكن هذه الأحلاف كانت لا تستمر طويلا وخاصة لأن بعض المدن كانت تحاول الانتفاع على حساب البعض الآخر .

وكان الفينيقيون أول أمة بحرية فى التاريخ ، أخذوا يجوبون البحار ويؤسسون الطرق البحرية بين الشرق والغرب وأنشأوا المستعمرات ونشروا حضارتهم وحضارات غيرهم بين مختلف الجهات ، وكانوا تجارا نموذجيين ألقت الشعوب القديمة رؤية سفنهم ولذا نجدها بمثابة فى نقوش المصريين والأشوريين - ومن أهم ما قاموا به الدوران حول أفريقيا

(١) مثل العلاف الذى يحكون بزعامة فادش أيام تعتمس الثالث - أطرص ١٦٦

في عهد نخبو (ثاني ملوك الأسرة السادسة والعشرين المصرية) (١) كما ينسب إليهم أنهم وصلوا إلى بريطانيا وكانوا يتاجرون معها إذ كانوا يحصلون منها على القصدير في نظير الخزف والملح والأواني النحاسية - وأهم المستعمرات التي أسسوها كانت في قبرص وصقلية وسردينيا وأسبانيا وأوتيكيا (تونس) وقرطاجنة وبلاد اليونان - وكانت قرطاجنة أكثر هذه المستعمرات نجاحا فقد تطورت حتى أصبحت تنافس الوطن الام في القرن الثامن قبل الميلاد ، وكونت منذ القرن السادس ق.م إمبراطورية واسعة امتدت من حدود ليبيا إلى جبل طارق شملت بعض جزر البحر المتوسط حتى نازعت روما السيادة على هذا البحر ، وبلغ من تسلطها عليه أن تردد القول بأن الرومان لم يكونوا يستطيعون غسل أيديهم في مياهه دون اذن من قرطاجنة - وتطورت الحرب بين روما وقرطاجنة إلى أن دمرت هذه الأخيرة على يد الرومان وأشعلوا فيها النيران لمدة سبعة عشر يوما حتى أتت عليها في سنة ١٤٦ ق.م

ويبدو أن الفينيقيين كانوا أول من استعمل الألبجدية الراقية التي لاشك في أنهم اقتبسوها من الكتابة المصرية كما أنهم تأثروا بالمصريين في كثير من أمورهم كالآداب والعقائد وفن العمارة وعادات الدفن وغير ذلك ، إذ أن من المرجح أن النفوذ المصري كان سائدا في الساحل الفينيقي من حوالي ٢٤٠٠ - ١٢٠٠ ق.م ، وكانت أول مدينة تحتل مركزا رئيسيا

في العلاقات المصرية الفينيقية هي جبيل (بيلوس) حيث كانت مصر تستورد منها خشب الأرز والخنزور والزيتون في نظير الذهب والمصنوعات المعدنية وورق البردى ، وقد دخلت سوريا تحت سلطان فراغدة الدولة الحديثة على العموم ولكنها خرجت عن سيادتها بعد ذلك .

ولم يكن التأثير الحضارى لبلاد النهرين على سوريا أقل من التأثير المصرى ، وكان ملوك بلاد النهرين الأفياء يحصلون على خشب الأرز من هذا الإقليم كما حدث في عهد جوديا ملك لجش ، بل ويحتمل أن سوريا الشمالية خضعت لمرجون الأول ملك أكد وإلى نارام-سن (ثالث خلفائه حوالى ٢٢٣٨ ق . م ، على أن خضوعها بصفة حاسمة لدول بلاد النهرين لم يحدث إلا في عهد الآشوريين حينما امتازت الدولة الحيثية فقد استطاعت تجلات بلاسر الأول ملك آشور أن يفرض سلطانه عليها ، وما لبث الآراميين أن غزوا مملكتها فيها ولكن آشور ناصر بال (أحد خلفائه) تمكن من استرجاعها - وفي عهد وريثه شلينا ناصر الثالث تكون حلف ضده من المدن السورية ومن ملك دمشق (٨٥٣ ق . م) ولكنه انتصر عليه إلا أن انتصاره لم يكن حاسما .

وحينما اعتلى تجلات بلاسر الثالث عرش آشور قام بعدة حملات لفتح سورية ثم استطاع والده شلينا ناصر الخامس أن يجتاح المدن الفينيقية فيما عدا صور ، ولكن في عهد سنحريب تمكنت آشور من الاستيلاء على معظم الإقليم السورى بما في ذلك صور نفسها - وفي عهد خلفه أسرحدون قامت صيدا بالثورة ولكنه خربها وقتل ملكها وأخضع بعض مدن فينيقية أخرى كانت صور تزعمها وبعدئذ استطاعت صور أن تلخص من السيادة الآشورية

فترة قصيرة إلا أن أسر حديون وخلفه آشور بانيمبال تمسكنا في النهاية من مد امبراطوريتها إلى البحر المتوسط بل وإلى مصر أيضا .

وحيثما أصبح السككديونيون حكام بابل بعد آشور ادعوا أنهم ورثوا السيطرة على سوريا - أما مصر فقد تخلصت من سيادة بلاد النهرين وأرادت أن تفرض سيادتها على سورية ، وكانت المدن الفينيقية أميل للاعتراف بسطان مصر منها إلى الاعتراف بالسيادة البابلية - وفي عام ٥٨٧ ق . م وصل نبوخذ نصر ملك بابل إلى سورية وأعاد فتح البلاد الفينيقية وفلسطين وحاصر صور ثلاثة عشر عاما حتى خضعت له .

٥ - الآراميون

كان هؤلاء من الرحل الذين عاشوا في شمال شبه جزيرة العرب ثم هاجروا إلى سورية ، وما أن حل منتصف الألف الثاني قبل الميلاد إلا ووصلوا إليها - وفي خلال القرنين الرابع عشر والثالث عشر ق . م اجتاحت جماعات منهم سورية الشمالية والوسطى ووقفت جبال لبنان حائلا دون طغيانهم على السهل الساحلي في الغرب - ومنذ حوالي سنة ١٢٠٠ ق . م أصبحت دمشق مركزا لدولة آرامية تأثرت بمحضارة الاموريين والكنعانيين ، كذلك تأسست عدة مدن ودويلات آرامية في أجزاء أخرى من الإقليم السوري وبلاد النهرين .

وكانت دمشق أهم هذه الدويلات ، عاصرت تأسيس المملكة العبرانية فكانت محصورة بين هذه المملكة جنوبا وبين مملكة آشور شمالا -

وقد استمر عداء الآراميين للebraانيين نحو قرنين من الزمان.. ومن الدويلات الآرامية التي كانت تنازع العbraانيين بمملكة صوبته التي كانت إلى جنوب زحلة في سهل البقاع ، وقد انتصر دارد ملك العbraانيين على هذه المملكة كما احتل دمشق - ثم تناوبت دمشق وصوبته السيادة بعد ذلك ، فبعد أن كان ملك دمشق تابعا لصوبته قام بمحاربة العbraانيين طوال عهد سليمان (١) وانتقلت السيادة بعدئذ إلى دمشق التي - الفها الحظ بانقسام مملكة العbraانيين إلى مملكتين (اسرائيل ويهوذا سنة ٩٢٢ ق . م) حيث أخذت تؤول لإحدى هاتين المملكتين ضد الأخرى . وتمكن ملك دمشق بنحدد الاول (٧٨٩ - ٨٤٣ ق . م) من أن يأخذ من ملك يهوذا كنوزا ثمينة من المعبد ومن القصر الملكي في أورشليم ثم هاجم إسرائيل وأخضعها (إسميا على الأقل) لسلطانه - وحينها تحالفت المدن السورية ضد شلناصر الثالث (٢) كان ملك دمشق يرأس الحلف الذي لم يتمكن الأشوريون من الانتصار عليه انتصارا حاسما ، وبعد نحو سبعين عاما أصبحت دمشق من الضعف بحيث هاجمها يربعام الثاني ملك إسرائيل وذلك لأن هجمات آشور ضعفت قوتها - وفي عهد تيجلات بلاسر الثالث اجتاحت الأشوريون معظم المدن السورية وحاصروا دمشق وأسقطوها في سنة ٧٣٢ ق م وقتل ملكها وبذلك انتهت السيادة الآرامية .

(١) صفر الملوك الأول ١١ : ٢٥

(٢) أنظر أعلاه ص ٢٧٩

٥ - الشعب العبراني

نزع العبرانيون من شبه جزيرة العرب إلى سوريا عن طريق كنعان في نفس الوقت الذي وصلها فيه الآراميون تقريبا ، فتسلسل العناصر السامية التي وصلت إلى الإقليم السوري كان على النحو التالي : الآموريون تركروا بادئ الأمر في الشمال والكنعانيون في الساحل والآراميون في المنطقة الداخلية والعبرانيون في الجنوب .

وتروى التوراة أن هؤلاء العبرانيين أتوا هجرتهم إلى فلسطين على ثلاثة مراحل ، أقدمها كانت إلى الصحارى القريبة من شمال بلاد النهرين ، ويرجح أنها كانت في نفس الوقت الذي حثت فيه تحركات الهكسوس في شرق البحر المتوسط أى في القرن الثامن عشر ق.م ، والثانية توافق هجرة الآراميين أى حوالي القرن الرابع عشر ق.م ، والثالثة كانت في أواخر القرن الثالث عشر ق.م وفيها خرجوا من مصر إلى جنوب شرق فلسطين بعد جولة ليست بالقصيرة في شبه جزيرة سيناء .

وحينها وصلت هجرتهم الأولى إلى الإقليم السوري كان السواد الأعظم فيه من الآموريين والكنعانيين بالإضافة إلى بعض العناصر غير السامية كالمحوريين والحيتيين وغيرهم - وقد استطاع هؤلاء العبرانيون أن يختلطوا بهؤلاء جميعاً وأن يتعلموا حياة الاستقرار بعد أن كانوا من المتجولين المغامرين ، واتخذوا اللغة الكنعانية بدلا من لغتهم الأصلية كما تأثروا بكثير من مظاهر الحضارة والثقافة الكنعانية ولذا يمكن اعتبارهم ورثة للكنعانيين أو أخلافا لهم - وتذكر الأساطير العبرانية أن جددهم الأكبر إبراهيم

(أو قبيلتهم الأصلية) أت من أور الكلدانيين عن طريق حران واستقر مؤقتا قرب حبرون (للخليل) وربما يتفق هذا الارتحال مع الهجرة الأولى - ثم أقام حفيده يعقوب (ابن اسحق) عدة سنوات في فدان آرام، ويحتمل أن هذا هو ما يتفق مع هجرتهم الثانية، وحينما وقع الاختيار على اسحق ليكون صاحب الشأن بينهم غير اسمه إلى اسرائيل كما غير أخوه عيسو اسمه هو الآخر إلى أدوم وسمى ورثته بالادوميين - ومن أبناء يعقوب كان يوسف الذي استقر هو وإخوته بمصر (١)، وبعد أن عاش أحفادهم فيها عدة أجيال أخرجوا منها وكان يقودهم موسى، وهذه هي هجرتهم الثالثة التي تعد بداية التاريخ الحقيقي للاسرائيليين.

ولا يعرف تاريخ هذه الهجرة الأخيرة بالضبط رغم أن كلية اسرائيل وردت على لوح حجرى من عهد مرنبتاح (٢) بن رعسيس الثانى وقد ظل أفرادها يتجولون طويلا في سيناء حيث قاسوا كثيرا، وتزوج موسى من ابنة كاهن مدين (في جنوب سيناء) الذى كان يدين بوحدانية يعبد فيها يهوه وهو أحد آلهة العرب الشماليين - ثم اتخذت هذه الجماعة الإسرائيلية مكانا لها في جنوب شرقى الأردن استعدادا لدخول فلسطين وكان عددها يتقدر بحوالى ٦٠٠٠ أو ٧٠٠٠ نفس، ومرت في طريقها

(١) يحتمل أن أحمد ملوك المكسوس هو الذى قرب يوسف إليه باعتباره من أسل
صورى مثله .

(٢) أنظر ص ١٩٧

بدويلات صغيرة في جنوب وشرق وشمال شرقي البحر الميت - ولم تحاول مهاجمة هذه الدويلات ولكنها حاربت إمارة سيحون الامورية (في شرق الاردن) وانتصرت عليها كما انتصرت على إمارة باشان التي كان ملكها عوج بن عنق المشهور في التوراة على أنه كان من العمالقة - واستولوا على بعض المدن الكنعانية المحصنة في فلسطين وأحرقوها وقتلوا أهلها حتى الأطفال ، ولكن بعض المدن الأخرى استعصت عليهم مثل جزر أورشليم وبيت شان ، وهذه الأخيرة لم تسقط في أيديهم إلا حوالي سنة ١٠٠٠ ق م أو بعد ذلك بقليل .

وبعد أن استقرروا في الجهات التي وصلوا إليها اختلطوا بسكانها ومن بينهم أقرباؤهم الذين كانوا قد فضلوا البقاء فيها ولم يهاجروا إلى مصر ، ثم تغلغلوا في أماكن أخرى وبعدئذ قسموا الجهات التي سيطروا عليها بين إحدى عشرة قبيلة من القبائل الاثني عشر التي تضمهم أما القبيلة الباقية وهي قبيلة « لاوى الكهنوتية » فقد تفرغت للشؤون الدينية ووزعت على القبائل الأخرى ، وهذا هو ما يعرف بعصر القضاة .

وهؤلاء القضاة كانوا أبطالاً وحكاماً قادرين قادوا قبائلهم في حروبهم ضد أعدائهم واشتهر منهم كثيرون من بينهم شمشون الجبار حيث روت عنه الأساطير العبرانية الشيء الكثير فيما يتعلق بحروبه مع الفلسطينيين الذين كانوا أشد أعداء العبرانيين ، وهم من شعوب البحر التي جاءت من منطقة إيجة في أواخر القرن الثالث عشر ووصلوا إلى سواحل سورية الجنوبية واستقروا بها

(ومن اسمهم اشتق اسم فلسطين) ، وقد حاولوا الدخول إلى مصر في عهد رعمسيس الثالث (١) ولكنه هزمهم وحال دون توغلمهم إليها . ومن مدنهم الخزة الرئيسية كونوا اتحادا بزعامة أشدود ، وفي حوالي سنة ١٠٥٠ ق. م حاربوا العبرانيين وانتصروا عليهم وأخذوا منهم تابوت العهد (٢) ونقلوه إلى أشدود .

ويبدو أن العبرانيين حينما وجدوا أن جيرانهم كان يحكمهم ملوك طابوا إلى زعيمهم الديني ، صموئيل ، أن يعين عليهم ملكا فاخترت شاول ، ولكن هذا كان ضعيفا مسنا ، ازداد نفوذ الفلسطينيين في عهده وتسلطوا على مدن داخلية بعيدة مثل بيت شان ، وحينما حارب العبرانيين الفلسطينيون انتصر هؤلاء وقتلوا ثلاثة من أبناء شاول وأصيب هو نفسه بجراح خطيرة فانتحر .

وقد اختير داود حامل درع شاول ملكا من بعده وهو يعدد المؤسس الحقيقي للمملكة العبرانية ، فمع أنه بدأ حكمه تحت سيادة الفلسطينيين إلا أنه نجح في التخلص من سلاطنتهم وتمسك من توسيع مملكته إلى حد لم تبلغه

(١) أنظر ص ٢٠١

(٢) تروي الأساطير أن تابوت العهد صندوق طويل من الخشب صنع موسى عليه السلام (كان يوضع في أقدس مكان من المعبد العبراني بعد ثنائه) وكان به لوحان من الحجر منقوشان بالصايا العشر وقبل إن يشيد المعبد كان القبرانيون يحملون هذا التابوت معهم في ترحالهم

في أى وقت آخر (١) واختار حصن أورشليم ليكون عاصمة له ، وفي عهده
ظم الادب العبرى الذى يعتبر من أرفع الآداب التى خلفها الشرق القديم
ودونت في عهده الحوادث والحوليات الملكية فى أسلوب حيوى لم يكتب
مثله من قبل .

ويورث سليمان ملك أبيه داود ، وفي عهده وصلت المملكة إلى غاية
المجد والاهبة وعاش سليمان بين مظاهر الترف كملك شهوانى مستبد فحذا
حذوه العبرانيون ، ولكن كانت أعماله العمرانية عظيمة للغاية ومنها هيكله الشهير
الذى كان عبارة عن معبد ملكى ملحق بالقصر تم إنشاؤه فى سبع سنوات
ثم أصبح بعد ذلك مركزا عاما لعبادة العبرانيين ، كما نشطت التجارة فى عهده
وعم الرخاء حتى أجمعت الأساطير والتفصص على إعلاء شأنه ولكن الوثائق
التاريخية لا تؤيد ذلك حيث يفهم منها بأن فلسطين كانت تعترف بالسيادة
المصرية فى ذلك العهد ، وقد تزوج سليمان من ابنة فرعون (الذى يرجح
أنه بسونس الثانى آخر ملوك السلالة الحادية والعشرين) - وحينما استولى
الفرعون على حصن جزر الكنعانى أعطاه ممرأ لابنته زوجة سليمان (٢)
ولكن نفقات هذا الأخير وتبذيره وسوء إدارته كانت سببا فى انقسام
المملكة من بعده حيث اجتمع بنو القبائل العبرانية الأثني عشر بعد وفاته

(١) من بين الإمارات التى أخضعها « إيدوم » وقد أسرف فائده فى ذبح الذكور من
أبنائها ولكن أميرا إيدوميا حديث السن يدعى حداد هرب إلى مصر حيث أكرم وفادته
فرعونها ، ومع ذلك عاد إلى فلسطين على غير إرادة الفرعون وأصبح عدوا مدى الحياة لسليمان
أنظر سفر الملوك ١ الاصحاح ١١ الآيات ١٤ وما بعدها .

(٢) سفر الملوك ١ الاصحاح ٣ الآية ١ والاصحاح ٩ الآية ١٦ .

لتنصيب ولده رحبعام ملكاً وأبدوا له رغبتهم في أن يخفف عنهم عبء الضرائب التي فرضها عليهم والده فرفض ذلك بقسوة وتهور، وعلى ذلك رفضت عشرة قبائل أن تعترف به ملكاً وانتخبت د يربعام ، بدلا منه وعرفت مملكتهم باسم اسرائيل ، أما القبيلتان الباقيتان فخضعتا لرحبعام وعرفت المملكة التي تكونت منهما باسم « يهودا » - وقد تناهست المملكتان واستحكمت العداة بينهما وكان الصراع بينهما سجالا فكانت كل منهما تفوق على الأخرى أحيانا حتى انتهى الأمر بانهارهما .

اسرائيل

كان « عمري » من أشهر ملوك اسرائيل (ويدل اسمه على أنه كان من أصل عربي أو نبطي) ، بنى السامرة وحصنها واتخذها عاصمته الجديدة وبني فيها قصراً .

وحيثما تولى العرش « آحاب » بن عمري وسع في قصر أبيه وزخرفته ، وقد عرف هذا القصر باسم بيت العاج حيث عثر فيه على أثاث نزل من العاج يبدو أن كثيرا منه كسى بالذهب - وكانت علاقة آحاب بن عمري مع جيرانه ودية فقد حالف مملكة دمشق في معركتها ضد آشور وتزوج من ابنة ملك صور وصيدا ، وهذه كانت قوية الشخصية فرضت سيطرتها على زوجها كما أرادت فرض عبادة يهوه على اسرائيل .

وبعد فتره وجيزة قام أحد الضباط واسمه ياهو بالثورة وتمكن من الاستئثار بالملك وجعل عبادة يهوه العبادة الوحيدة في اسرائيل ، ولكن هذا الملك لم يكن موقفا في سياسته الخارجية حيث خضع لشلتناصر الثالث ملك آشور وقدم له الجزية - ولهبط ضعف كل من اسرائيل ويهودا

في ذلك العهد قامت إمارة من الإمارات بالثورة ضد إسرائيل ، وفي نفس الوقت قامت ثورة أخرى ناجحة ضد مملكة يهوذا ولكن ما لبثت قوة إسرائيل أن تجددت في عهد يربعام الثاني وهو ثالث ملك من سلالة ياهو حيث أمكنها أن توسع حدودها الشمالية على حساب الآراميين .

وظلت إسرائيل تنعم بالهدوء إلى أن اعتلى تجلات بلاسر الثالث عرش آشور الذي ما لبث أن أخضع سورية وحولها إلى مقاطعات آشورية وفرض الجزية على إسرائيل التي انكشبت مساحتها حينئذ - وبعد بضعة سنوات رفض هوشع ملك إسرائيل الاستمرار في دفع الجزية فهاجمه شلمنصر الخامس وريث تجلات بلاسر المذكور وحاصر السامرة ثلاث سنوات ولكنها لم تسقط إلا في يد خلفه سرجون الثاني الذي سبي أحسن رجال إسرائيل وعددهم ٢٧٠٨٠ ونقلهم إلى ميديا فتلاشت مملكة إسرائيل إلى الأبد (٧٢٠ ق م) حيث إن الباقين من الرجال لم يكونوا إلا قسما صغيرا من سكان المداينة يقع في غرب نهر الأردن ، أما المسييون فقد اندجروا مع غيرهم في المناطق التي نقلوا إليها - ولم يكنف سرجون وخلفاؤه بذلك بل نقلوا قبائل من بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب محل الإسرائيليين وأسكنوهم في السامرة وما حولها فأتزج هؤلاء بالسكان واتحدت معتقداتهم الدينية مع عبادة يهوه وأصبح يطلق على الجميع اسم السامريين ، ولما لبث النزاع أن نشب بين اليهود والسامريين بعد عودة بعض أنبيائهم من السبي حيث أن هؤلاء دافعوا عن فكرة النقاوة العنصرية .

يهودا

اعتلى العرش فيها عدد من الملوك مساو لعدد ملوك اسرائيل (أى ١٩ ملكاً)، إلا أن هذه المملكة استمرت مدة أطول من المدة التى عاشتها اسرائيل بنحو قرن وثلث من الزمان وفى عهد ملكها رحبعام تعرضت لغزو مصر على يد فرعونها شيشنق الذى كان قد زوج ابنته من ربعام ملك اسرائيل، ولم يتمكن رحبعام من صد هذا الغزو فاستطاع شيشنق أن يخرب المدن وأن يهيب أورشليم (١)، وحينما توقف نشاط كل من آشور ومصر أفادت كل من اسرائيل ويهودا من استقرار الأمور وعمدت يهودا إلى تنظيم جيشها كما أصلحت حصونها ووسعت حدودها ونظمت شئونها الداخلية إلا أنها بعد زوال ملكة اسرائيل أصبحت عرضة للهجمات المباشرة من آشور - وبالرغم من تزايد الخطر على يهودا لم يتبع ملوكها سياسة حكيمة، فعندما اعتلى العرش ملكها حزقيا استجاب للتشجيع مصر رغم تحذير النبي أشعيا له وتحدى آشور بالتحالف مع المدن الفلسطينية وغيرها من المدن المجاورة ضدها فتوالت على يهودا حملات سرجون وخلفه سنخريب الذى حاصر أورشليم ولمكنها لم تسقط فى يده، ومع ذلك فقد أجبرت يهودا على دفع الجزية بعد أن خضعت كلها فيما عدا أورشليم لسلطان آشور واستمرت آشور فى توسعها فخضعت لها مصر فى عهد آسرحدون وآشور بانيبال (٢) وتقاصت ملكة يهودا وظلت تدفع لها الجزية بانتظام .

(١) أنظر أعلاه ص ٢١٥

(٢) أنظر أعلاه ص. ٢٣٢ وما بعدها

وإن دب الضعف في آشور حتى استقلت مصر وحاولت يهودا أن تعيد وحدتها مع إسرائيل ، وبعد أن سقطت نينوى على يد الدولة البابلية الجديدة وميديا سعت مصر إلى إعادة إمبراطوريتها ثانية في سوريا وقام ملكها نخاو بحملة وصل فيها إلى قرب أعلى الفرات ، وقد قاومه يوشع ملك يهوذا حيث اعتبر نفسه تابعاً لبابل الجديدة ورثته آشور ولكنه قتل في مجدو - وبعدئذ ترددت يهودا بين الخضوع لبابل وبين التحالف مع مصر ، واختار يواقيم ملكها حينئذ التحالف مع مصر وكان جزاؤه أن دخل نبوخذنصر أورشليم وقيده بالسلاسل ليحمله معه إلى بابل ولكنه قضى نحبه وتبعه في الحكم ولده الذي لم يمكث سوى ثلاثة شهور ثار فيها على بابل فجاء نبوخذنصر إلى أورشليم وسبى الملك ونسائه وموظفيه وسبعة آلاف من الجنود وألف من مهرة الصناعات ونقلهم إلى بابل وعين صدقياً وهو عم الملك السابق ملكاً على يهودا - وظل هذا الأخير يتظاهر بالولاء لبابل بضعة سنين ثم حاول الاستقلال فجماعت الجيوش البابلية وخربت أورشليم وهرب الملك ولكنه أدرك في أريحا وجرى به إلى معسكر نبوخذنصر في ربله حيث قتل أبناؤه أمامه ثم سملت عيناه وحمل إلى بابل ، وسبى الآشوريون عظام المدينة وغيرها من البلاد وكان عددهم خمسين ألفاً تقريباً ولم يبق في يهودا إلا جماعة من البائسين ودمروا كل مدينة مهمة ما عدا صور التي قاومت الحصار نحو عشر سنوات ثم خضعت بعد ذلك ، ولما حاولت الثورة أخذت ثورتها بسهولة وعلى ذلك أصبحت سوريا كلها في يد الكلدانيين .

ثانياً - العناصر غير السامية

الحوريون والميتانيون

ظهر الحوريون في التاريخ من منتصف الألف الثالث ق . م (أى منذ العهد الأكدي) حيث كانوا يمثلين بأعداد قليلة في شمال بلاد النهرين شرقي نهر دجلة ثم زاد عددهم منذ عهد سلالة أور الثالثة (١) ، وزادت مساحة الأراضى التي شغلوها في منتصف الألف الثاني ق . م وأصبح لهم كيان سياسى في شمال بلاد النهرين وسورية وبعض جهات الأناضول ، وفي ذلك الحين كان الساميون أكثرية في وسط الفرات وجنوب سورية وفلسطين ، ويحتل أنهم هم الذين غزوا آشور بعد شمش أدد الأول (٢) وهورابى - وبلغ نفوذهم أوجه عندما أسسوا دولة قوية في شمال سورية بالإضافة إلى مكاتهم في العراق ولعبوا دوراً هاماً في سياسة المنطقة ، ومن بعد سنة ١٥٠٠ ق . م تقلص نفوذهم في المنطقة ولكنهم مع هذا كونوا في الإقليم الذى تركزوا فيه في شمال بلاد النهرين دولة قوية عرفت باسم مملكة ميتانى يستدل من أسماء ملوكها على أن الطبقة الحاكمة فيها كانت من العناصر الهندوأوربية غير أننا لانستطيع الجزم بالأصل الجنسى لعامة الحوريين وقد بلغ من قوة هذه الدولة أنها كانت تحكم المساحة الممتدة بين البحر المتوسط ومرتفعات ميديا بما في ذلك آشور التي خضعت لنفوذها نحو قرن من الزمان ولم تتخلص من النفوذ إلا في عهد آشور أو بلط الأول (حوالى ١٢٦٥ - ١٢٣٠ ق م) وكانت عاصمتها وشوكانى التي يرجح أنها الفخارية

(١) أطر عودة الدولة السومرية في بلاد النهرين

(٢) ملك آشور الذى يعاصر هورابى وقد حكم حوالى ١٨١٤ - ١٧٨٢ ق م

الواقعة على نهر الخابور في شرقى تل حلف - ومن أهم مراكزها نوزى
ويوزغان تبة وأربنجا جنوب كركوك الحالية وقد عرفت هذه المملكة
فى النصوص المصرية باسم نهارينا ومن أشهر حكامها هانى جلجات ثم
توشراتا الذى كان صهرا لامنحبت الثالث (١) وأمنحبت الرابع وبعد أن
نجحت المملكة الحورية فى الاعتماد على الأراضى الحيثية على أثر ما أصاب
الحيثيين من ضعف عقب موت تليينوس استعاد الحيثيون قوتهم بعد ذلك فى عهد
سوبيلوليوما وهاجموا المملكة الحورية فى عهد ملكها توشراتا وفى عهده هاجم
الحيثيون مملكة ميتانى واستمرت حملاتهم عليها فى عهد خلفه أيضاً وانتهت هذه
الحملات باستيلاء الحيثيين (٢) على القسم الشمالى من سورية - الذى يحده
الفرات فى الشرق ولبنان فى الجنوب ثم ما لبث الآشوريون أن استولوا
على القسم الباقى منها فى عهد ملكهم أدد نيرارى وهكذا زالت دولة ميتانى
من الوجود .

(١) انظر ص ١٧٦

(٢) انظر عهد سوبيلوليوما فى الامبراطورية الحيثية

الفصل السادس

آسيا الصغرى

يرى البعض أن المناخ في هضبة الأناضول تتعدد أنواعه إلى درجة تدعو إلى الاعتقاد بأن الممكن أن يجد في أجزائها المختلفة كل من الانجليزية والأفريقي والسويسرى والروسى وغيرهم نوع المناخ الملائم له - فهضبة أرمينيا التي تعد امتدادا لسلسلة جبال البرز المطلة على بحر قزوين ، يصل ارتفاع بعض قممها في أارات إلى ١٧ الف قدم وتنتهى إلى خطوط تقسيم مياه الفرات التي تعتبر الحدود الطبيعية لهضبة الأناضول بالمعنى الصحيح ، ومن هذه الهضبة تخرج سلسلتان جبليتان تسير إحداهما في محاذاة ساحل البحر الأسود وتمتد الثانية إلى الجنوب الغربى حتى تصل إلى البحر المتوسط وهما تحصران الهضبة الوسطى حيث تمتد السلسلة الشمالية إلى ما يعرف باسم القرس البونتي Pontic Arc الذى لا يتخلله إلا بعض الأخاديد العميقة تمر فيها مياه الأنهار إلى البحر الأسود بينما تنتهى السلسلة المقابلة لها جنوبا إلى سهولة قيليقيا (خريطة رقم ٥) ، فالهضبة فيما بين هاتين السلسلتين أشبه بمحوض متوسط وفي غربها توجد عدة بحيرات وأنهار شديدة الانحدار إلى بحر إيجه حيث تنهى شبه الجزيرة بسلاسل جبلية متوازية تمتد نحو هذا البحر ، وهى تعد امتدادا للسلاسل الموجودة في بلاد اليونان وهكذا تنوع التضاريس وأدى ذلك إلى اختلاف المناخ وتباينه في أجزاء هضبة الأناضول المختلفة ، ومع كل فإنها تتميز



الخريطة رقم ٤

بشطاء قاس طويل ولم تسكن مغرية بالسكنى فى الألف الرابع قبل الميلاد ، وعلى هذا لاشك فى أن القرويين الذين عرفوا الزراعة والاستقرار لم يكونوا هم أول من غامر بسكنى الهضبة وكانت لديهم الشجاعة على تحمل شوائها الطويل ولذا ينبغى أن نستنتج بأن الهضبة سكنتها أقوام سبقت أولئك الذين عاشوا فيها معيشة استقرار بعد أن عرفوا الزراعة وأن هؤلاء الأخيرين لا بد وأنهم وفدوا إلى الهضبة من الخارج - وإذا ما حاولنا أن نتعرف على الموطن الأصيل الذى جاء منه هؤلاء لوجدنا أن الأدلة الأثرية تعوزنا فى هذا السبيل - وإذا ما درسنا الظروف المحيطة بالهضبة بدقة فإننا نستبعد قدومهم من المناطق الجنوبية البعيدة فى الهلال الخصيب لأن سكان هذه الجهات كانوا قد تحولوا من البداوة إلى حياة الزراعة والاستقرار وليس من اليسير أن يتركوا أوطانهم إلى داخل هضبة الأناضول إنما المعقول أن يكون هؤلاء الوافدون قد جاءوا من القوقاز أو من منطقة بحر قزوين حيث وصلت فى نفس الوقت هجرة أخرى من عنصر جنسى مخالف (ولكنه كان يعيش فى ظروف مشابهة تقريبا) إلى المناطق التى تحف ببحر إيجه من الغرب ، وقد عاش هؤلاء الأخيرون مع السكان الأصليين - الذين سبقوهم إلى تلك الجهات - فى وئام تام فترة طويلة .

ويجب أن نلاحظ بأن آثار أماكن الإقامة أثناء الدور الحجري القديم فى آسيا الصغرى وجدت - كما الجهات الجبلية الأخرى - التى تحف بالهلال الخصيب (فلسطين وكرديستان العراقية وإيران) فى كل من الكهوف والعمارة ...

أما الحجري الحديث الذى يرجح أنه كان فى الألف الخامس قبل الميلاد فتمتلك آثاره فى أعماق الطبقات فى بعض البقاع مثل مرسين وطرسوس وساكجى جوزى التى تحتل مواقع جغرافية تجعل ظروفها مشابهة لظروف الأماكن التى وجدت بها آثار الحجري الحديث فى الهلال الخصيب ولذا فهى تعد الامتداد الشمالى لهذه الأماكن ولذا يشار إليها فى دراسة الحجري الحديث بتلك الجهات على اعتبار أنها أقرب إليها من داخل الهضبة (١).

الصور قبل التاريخية

الدور الحجري القديم

ظل البحث عن آثار هذا الدور فترة طويلة بطريقة غير منظمة وعلى أسس غير علمية وعلى ذلك فإن أى خريطة لتوزيع ما عثر عليه فى تلك الفترة من آثار هذا الدور تعطى نتائج خاطئة لأنها مركزة فى المناطق التى يكثر ارتيادها لسبب أو لآخر ، ومع كل فن بين الجهات التى وجدت فيها تلك الآثار قرقيش وملاطيا وحول العاصمة الحديثة أنقرة .

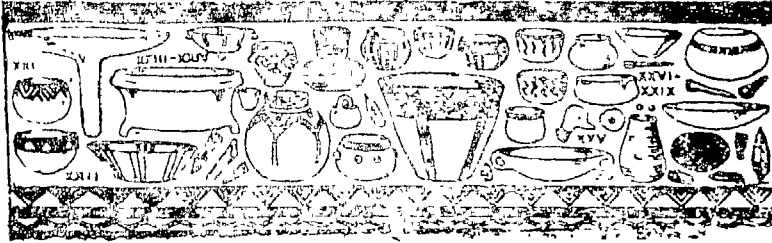
ومن الممكن تبعا لذلك أن نستنتج بأن الإنسان وجد فى الأناضول منذ بداية الدور الحجري القديم ، ومن المناطق التى لها أهمية خاصة منطقة آديامان (Adiyaman) التى تقع فى حوض الفرات الاسلى بالقرب من ملاطيا (Malatya) لأن الآثار التى وجدت بها تبين تعاقب

(١) أظر أعلاه ص ٢٦٧

معيدة الجماعات البشرية بها كما أنها تعد بمثابة حلقة الاتصال الأولى بين حضارات الإقليم السوري من جهة وبين تلك التي وجدت في كردستان والقوقاز من جهة أخرى - ويجب أن لا يغيب عن الذهن بأن الدلائل الأثرية التي أعتمد عليها الباحثون حتى الآن تتكون في معظمها من مجموعات متفرقة من المخلفات السطحية ومن الآثار التي اكتشفت غير منتظمة في طبقات ، أما النتائج التي أمكن التوصل إليها على أسس سليمة فهي تلك المترتبة على الاكتشافات التي تمت في كهف كارين (Karain) بالقرب من أنطاليا (Antalya) حيث وجدت آثار حضارات أشولية وموسستيرية وأورنياسية متتابعة في طبقات ، كما عثر على آثار لبعض حفريات حيوانات فقرية أهمها دب الكهوف *Ursus spelaeus* وأسد الكهوف *Felis leo spelaeus* كما عثر على سنة من أسنان طفل من جنس نياندرثال .

الدور الحجري الحديث

بدأ سلوك الانسان في الهضبة كما في غيرها يتغير خلال هذا العصر حيث أخذ في استئناس الحيوان وعرف الزراعة المنظمة وكان هذان كافيين لأن يغيرا من نظام حياته تغييرا شاملا ، وقد عرف الأواني الفخارية وعنى بتشكيلها وزخرفتها مع احتفاظه فيها بأشكال ورسوم تقليدية (أنظر شكل ٢٧) كما استحدث أنواعا من الآلات الحجرية لتقابل مطالب الحياة الجديدة ، وكانت الأسلحة الصوانية - ومن بينها السكاكين وأسنان المناشير ومخارز ثقب الجلود - أكثر هذه الآلات شيوعا في آسيا الصغرى حيث عثر على نماذج كثيرة منها بجوار البحيرة الملحة في الهضبة الوسطى ، وهذه يعتقد



(شكل ٢٧ - أواني وأدوات من مرسين « عصر حجري حديث »)

البعض بأنها جلبت مع التجار الذين كانوا يفدون للبحث عن الملح - وإذا كان الأمر كذلك فلا بد وأن هؤلاء جاءوا من أماكن بعيدة لأن أقرب مراكز الاستقرار - مرسين وساكجى جوزى - تبعد نحو ٣٠٠ إلى الجنوب وراء منطقة الجبال .

ويبدو أن ثورة الدور الحجري الحديث كانت قاصرة على منطقة تحدها سلاسل طوروس والسفوح المطلة على سهول سوريا لأن هذه كانت موطن نمو الحبوب التي كان يعتمد عليها الاقتصاد الزراعى في هذه المنطقة ، ولكن نظراً لأن هذه الحبوب كانت تنمو أيضاً في مناطق أخرى مثل القوقاز فلا بد أن انعدامها في داخل هضبة الأناضول كان يرجع إلى الظروف التي أوجدت حاجزاً مناخياً جعل لإنسان الدور الحجري الحديث يقف وراء حدود معينة فتمثلت حضاراته خارجها ، ولذا لا نجد في الهضبة الداخلية بل على حافتها في بقاع مثل مرسين وساكجى جوزى التي أشرنا إليها عند دراستنا لسوريا (١).

(١) أنظر ص ٢-٢٠ .

دور بداية استخدام المعادن

تتضح بداية استخدام المعادن من الناحية الأثرية بواسطة عدد من المستحدثات التي كان لها أثرها بالطبع في زيادة وتنوع أساليب الحياة التي كانت قائمة بالفعل ولكنها لم تحدث تطورا ثوريا ، أى أن الإنسان ظل يتدرج في استعمال الحجر إلى جانب بدء استخدامه للعدن فترة طويلة يمتثل أنها استغرقت الجزء الأعظم من الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد ، ولذا لا تمثل هذه الفترة مرحلة واحدة بل عددا من مراحل التطور الحضارى - وحينما بلغت الحضارة في هذا الدور منتهاها كان الإنسان يعيش في مدن محصنة بها معابد وقصور ويشرع قوانينه ويكيف حياته حسب حاجياته ، ونظرا لأن هذه المظاهر لم يعثر على ما يماثلها داخل هضبة الأناضول خلال هذا الدور فإن من المرجح أن الحاجر المناخى الذى أشرنا إلى أنه كان قائما خلال الدور الحجري الحديث (١) ظل قائما كذلك إلى أواسط دور استخدام المعادن على الأقل فظلت الجهات الداخلية من الأناضول مجهزة بالنسبة لأهل حضارة بدء استخدام المعادن ولم يتجهوا إليها إلا في أواخر هذه الفترة - وهذا الحاجر المشار إليه يكاد ينطبق على خط كنتور المرتفعات الجنوبية الذى يصل إلى ارتفاع ألفى قدم أو أكثر ويمتد من المشرق إلى المغرب ولكن تتخلله فجوات عميقة تخترقها وديان بعض الأنهار وتصل شمالا إلى سهل قيليقيا .

(١) أنظر أهلام ص ٢٩٧

وعلى اى حال ففى وقت مامن القرون الاخيرة للألف الرابع قبل الميلاد
تمسكنت الجاعات التى تعتمد على الزراعة من أن تعيش فى بعض
الجهات الواقعة شمال هنا الحاجز المناخى وبدأت المحلات الزراعية تظهر
فى الهضبة نفسها وفى الإقليم الإيغى فى الغرب ، ولكننا لانستطيع
الجزم بالمسكان الذى جاءت منه هذه الجماعة ، فإزالت المعلومات
التي أمكن الوصول إليها عن هؤلاء الأناضوليين الأوائى ضئيلة
للغاية وغير كافية لأنها جاءت عن طريق الإكتشافات التي تمت
فى مواقع قليلة ومعظمها لانخرج عن كونها نتجت عن مجسات طبقية
فى بعض الأماكن أو أشياء وجدت على سطح الأرض فى أماكن
أخرى ، ومع هذا يمكن القول بأنها تغطى مساحة جغرافية لأبأس بها
إذ أنها تمتد من أقصى الغرب إلى حدود إيران ، ولو أنها فى أول الأمر
كانت عبارة عن سلسلة من الإكتشافات المتفرقة التي أمدتنا بمخلفات تتميز
فى كل موقع أو مجموعة من المواقع المتجاورة عما عداها ولم يمكن معرفة
أنها ترجع إلى دور بداية استخدام المعادن إلا عن طريق أدلة
الطبقات فقط .

ومن أمثلة الاختلاف فى آثار الجماعات المختلفة ما يشاهد من فوارق
بين المخلفات التي عثر عليها فى كل من هليشار وأزجوق (بالقرب
من سمسون ونداراتبه) ويوق جلوجك (بالقرب من ألاج) وطرواده
ركوم ته وغيرها - ومع أن كلا من هذه تتميز عن الآخرين فى صفات
معيّنة إلا أن هذه الصفات الخاصة ترجع - دون شك - إلى اختلاف

المظاهر الجغرافية التي كانت تميز تلك البيئات المختلفة ، ويرى البعض أن من المحتمل وجود صلة بين الأناضول والبلاد التي تحف ببحر إيجه وامتدادها شمالاً حتى حوض نهر الدانوب ، ويؤكد وجهة نظرهم هذه ما يرى من تشابه بين أشكال الفخار التي اكتشفت حديثاً في بقعة تعرف باسم فكيكرتيه Fikirtepe (على الشاطئ الآسيوي للبحر الأسود) مع فخار جلوجك مما يساعد على معرفة اتجاه حركة الاستيطان الأولى في الهضبة - ومن الغريب أن الخلفيات الأثرية في الأناضول لا تدل على أي نوع من الصلات التي تربطها بمخلفات الحضارة التي تطورت عن حضارة العصر الحجري الحديث فيها وراء الحاجز الجنوبي، وعلى هذا نستبعد كلية احتمال استيطان هضبة الأناضول عن طريق انتشار سكان تلك الجهات الجنوبية إلى الشمال - والواقع أن أول الاتصالات الملحوظة بين هؤلاء وبين جيرانهم في الأناضول على الساحل الغربي لآسيا الصغرى يرجع إلى وقت تكوين أول محلة في طرواده (١) أي في عصر البرونز القديم الذي استغرق الجزء الأكبر من الألف الثالث ق م مع أن استخدام النحاس لم يعرف في داخل الهضبة إلا في وقت متأخر عن ذلك ، ويبدو أن المجتمعات التي عاشت في داخل الهضبة - في فترة لا يمكن تحديدها من القرون الأولى في الألف الثالث قبل الميلاد - امتزجت مع بعضها البعض وانصهرت في وحدة بشرية جديدة لا تحتمل لإشبهها بسيطاً لأي عنصر من العناصر الأولى التي دخلت في تكوينها ولم يحدث ما يحول دون تطور تلك الجماعات في هدوء وببطء إذ أنهم ظلوا بمثلين لمدة سبعة أو ثمانية قرون في كل قرية أو مدينة

تجارية (من سقاريه إلى الفرات ومن البحر الأسود إلى سلاسل طوروس التي تكون حافة الهضبة) وكانوا يعيشون في نفس المنازل مستعملين لنفس الأدوات ومفضلين لنفس الأشكال في فخارهم ، وكانت ظروف ومعدات حياتهم الزراعية معروفة من بضعة المحلات التي تم اكتشافها فلم يلاحظ في معظمها إلا تغير طفيف في حالات شاذة - وربما كانت هذه التغيرات الضئيلة في الصناعات التقليدية نتيجة هجرة قوية ، ومع ذلك فإن المظهر العام لحياتهم ظل كما هو إلى ما بعد الألف الثالث قبل الميلاد ، فانعدام مظاهر التقدم في مخلفاتهم يكاد يكون عاما بينما عاصرت حضارات عصر استخدام النحاس في الأناضول حضارات بالغة الرقي في بقية أقطار الشرق الأدنى ، فصر مثلا كانت تعيش في عهد الدولة القديمة وهو من أزهى عهودها التاريخية ولذا لا يمكن أن نقارن بين حضارات الأناضول وتلك التي كانت في الأقطار الأخرى خلال هذه الفترة بل ويمكن القول بأن منطقة طروادة المطلة على بحر إيجه كانت منفصلة حضاريا عن داخل الهضبة ، والواقع أن قليلا من الأدلة الأثرية هي التي تربط بين المنطقتين في هذا العصر السحيق بحيث يصعب إيجاد صلة بينها أما الأدلة على ارتباط طروادة (خلال هذا العصر) بإقليم بحر إيجه فهي متعددة وكافية لأن تؤيد وجود صلة بينها .

ومع أن مخلفات الحضارات التالية من عصر النحاس في طروادة التي تتمثل في طبقاتها الأثرية ابتداء من الطبقة الثانية إلى الطبقة الخامسة - وهي التي تعد نموذجا لكل المنطقة المحيطة ببحر إيجه - تشير إلى اقتصاد زراعي متواضع إلا أن بعض آثارها فيها تدل على غنى عظيم يوحي بوجود مستوى

أعلى للحياة بين الطبقات العليا ، وهذه تتشبه في وجود بعض حلل من الذهب والفضة عثر عليها شليمان Shliemann في الطبقة الثانية من حفائره في طرواده ، ولكن شواهد أخرى تدل على حدوث تغييرات واضحة فيما بعد بحيث توجد آثار حريق عظيم في هذه الطبقة الثانية يرجع تاريخه إلى نهاية القرن ٢٤ ق م تقريباً .

ولا يوجد من التشابه بين الحضارة التي سادت منطقة إيجه وتلك التي كانت داخل الهضبة إلا مظاهر ضئيلة أخذت تختفي بعد ذلك ، فقد وجدت في الصناعات المعدنية أسماء عصر النحاس طرز مشتركة في الأدوات وفي بعض المظاهر الزخرفية الصغيرة بكل من المنطقتين تكاد تكون من الكثرة بحيث توحى باحتمال الوصول إلى مراسل متشابهة في تطور نوع معين من الصناعة في الشرق الأدنى ، بينما لا يتشبه ذلك التشابه في الفخار إلا في أشكال فردية يمكن أن تستخدم في المازنة التاريخية ، كما أن اختلاف بقية المظاهر الأخرى لا التشابه فيما بينها هو الذي يستحق الدراسة لكي نقبين مدى اختلاف الحضارة في كل من المنطقتين - ولا بد من الإشارة هنا إلى منطقة قبايقا حيث أنها بالمثل ترك الهضبة من خلفها وتوجه نحو سوريا ولذا لا نقبين هنا إلا آثاراً طفيفة للاحتكاك بين هرسين وطرسوس من جهة وبين أهل طروادة من جهة أخرى خلال عصر البرونز القديم ، أما في عصر النحاس فإن علامات هذا الاحتكاك - فيرة تدل على نشاط تبادل التجارة مع الهضبة عن طريق ممرات طوروس وعلى تغافل الذوق السوري بل والفلسطيني أيضاً ، ومن المنطق أن نستنتج بأن النيار الحضاري كان يتخذ طريقة عبر قيليقيا إلى وديان الأهار والبلاد الواقعة في بفر ب « حاجز الحجر الحديث »

ومن ثم إلى الأراضي المرتفعة في شرق الفرات ثم إلى ساحل البحر الأسود في الشمال ، ونظرا لأن هذه المساحات لم تدرس دراسة وافية بعد فإن أى شيء يقال عن تاريخها في عصر النحاس يكون في معظمه مجرد تخمين - والواقع أن المثال الوحيد لمخلفات هذا العصر يوجد في موقع يعرف باسم كاراز (Karaz) بالقرب من أرزروم (Erzurum) حيث عثر في طبقة أثرية تنتمي إلى عصر النحاس على طرز جديدة من الفخار يوجد ما يشبه لها في القوقاز .

والخلاصة أن جيران الأناضول في الشمال والشرق والجنوب الشرق ما زالوا غامضين نسبياً إذا ما قورنوا بساحل البحر المتوسط في غرب قيليقيا وقد يدل عدم وجود آثار في تلك الجهات على أنها لم تكن مسكونة بالفعل خلال هذا العصر - وهكذا فالهيكل الأساسي لما نعرفه عن عصر النحاس يمكن تلخيصه في سطور قليلة ، ففي حوالى سنة ٢٣٠٠ ق . م تغيرت مميزات الحضارة في الأناضول نظرا لدخول طائفة من الناس تميل إلى الفخار الملون الاجنبي الذى ينتمى إلى كبادوشيا وهنا نصل إلى نهاية العصر قبل التاريخى فى هضبة الأناضول .

العصر التاريخى

يبدأ العصر التاريخى فى هضبة الأناضول بوصول تجار آشوريين إليها وكان هؤلاء يتراسلون مع أوطانهم الاصلية باللغة البابلية حيث عثر على ألواح رسائلهم الطينية فى ككول تبه وغيرها - وهى لا تمدنا إلا بالقليل من المعلومات عن السكان الاصليين وتاريخهم غير أننا نقبل فيها كثيرا من الاسماء

الهندوأوربية بما يوحى بأن الهندوأوربيين كانوا قد استقروا فى المنطقة قبل ذلك، كما تمددنا هذه الألواح عن الامراء المحليين وقصورهم - ومن ذلك نستنتج أن البلاد كانت مقسمة إلى عشرة مقاطعات صغيرة على الأقل من بينها مدينة بوروش خاندا التى تمتعت بالسلطان فى بادىء الامر لأن حاكمها كان ميزاً عن حكام المدن الأخرى بلقب الامير العظيم ، ومدينة كسارا (١) التى ركب أميرها أنيتا بن بتخاننا نصاً يشير إلى كفاحه وكفاح أييه من أجل السلطان ضد بعض المدن المنافسة ومن بينها حاتى كما يذكر أنه قد تم إخضاع هذه المدن بنجاح وأن حاتوساس دمرت تدميراً تاماً وبعد أن تم له قهر جميع الأعداء نقل مقر حكمه إلى نيسا Nesa ، ويظهر أن هذا الملك قد تمكن فى أواخر عهده من الاستيلاء على الجزء الأكبر من هضبة كبادوشيا .

ولا يعرف متى أدخلت الكتابة الهيئبة بالخط المسماى إذ أنها تختلف اختلافاً بيناً عن الأسلوب الذى استعمله التجار الآشوريون فى كتابة لغتهم وخاصة لأن النصوص الهيئبة المتأخرة تشير إلى أن الامراء المحليين فى العصور المبكرة كانوا يستعملون اللغة الاكدية فى كتاباتهم .

ويبدو أن النشاط التجارى الآشوريين فى كبادوشيا ظل مزدهراً حوالى

(١) يجهل أن كوسارا كانت إلى جنوب حاتوساس (بوغازكوى الحالية) عاصمة دولة حاتى التى كانت تتركز فى منطقة كبادوشيا .

ثلاثة أجيال ولكنه انتهى فجأة في حكم الملك أنيتا ، ولا ندرى هل كان ذلك نتيجة لانتصارات هذا الملك أو أن كارثة حلت بمدينة آشور نفسها في ذلك الوقت - وليس هناك ما يبرر الاعتقاد بأن السكان المحليين لم يكونوا على علاقات ودية مع التجار الآشوريين بل على العكس من ذلك ربما كان هؤلاء يرحبون بمثل أولئك الذين كانوا يحملون لهم ثمار الحضارات المتقدمة من بلاد النهرين .

وإذا ما أردنا تتبع علاقة الملك أنيتا المشار إليه بمملكة حاتى فإننا نجد أنه كان يحكم في مدينة كوسارا أى أن هذه المدينة كانت مقره في العصور الحيثية المبكرة إن لم تكن هي عاصمته الإدارية كذلك ، ولذا يعتقد بعض العلماء أن الأسرة المالكة الحيثية كانت من سلالة أنيتا إلا أن هذا الاعتقاد فيما يبدو لا يتفق مع ما نعرفه عن تدمير حاتوساس والعداء الذى أظهره أنيتا لها مما يدل على أنه كان ينتمى إلى تقاليد تختلف عن عن تقاليد الملوك الذين اتخذوا حاتوساس عاصمة لهم فيما بعد - كذلك لم نعر في نصوص ملوك الحيثيين على ما يثبت أن أحدا منهم ادعى بأن أنيتا كان أحد أسلافه .

الدولة القديمة

كان الملوك الحيثيون فى العصور المتأخرة يميلون إلى انتسابهم إلى ملك يدعى لابارناس ، أى أن التساريخ الحيشى يبدأ به على الرغم من أنه لم يكن فيها يبدو أول ملوك أسرته ، بل ولم يوجد لهذا الملك أى نص وإنما ذكرت أعماله فى نص لآحد خلفائه تبين منه أن لابارناس كان يتزعم أولاده وأقاربه فى بقعة صغيرة ، وكلما خرج إلى القتال أخضع أعداءه بالقوة وجعل بلادهم مغلوبة على أمرها ومد حدوده إلى البحار ، والظاهر أنه وصل بحدود بلاده إلى أقصى اتساع بلغته المملكة حتى فى أزهى عصور الامبراطورية المتأخرة كما يرجح أنه عاصمته لم تكن حاتوساس بل كوسارا القديمة .

وخلف لابارناس على العرش حاتوسيليس الأول الذى كان يتولى الحكم فى كوسارا - وقد ألقى فيها خطابا يعد مصدرنا الرئيسى عن الحالة السياسية فى ذلك العهد ، ومنه تبين أن العاصمة فى نهاية حكمه كانت حاتوساس وأن اسمه الاصلى لم يكن حاتوسيليس الأول بل كان لابارناس مثل أبيه ، أى أنه نقل عاصمة ملكه وغير اسمه - ولا بد أن تغيير العاصمة كان يرجع إلى أسباب استراتيجية إذ بدأت المملكة الحيثية فى الاتساع جنوبا وشرقا فى عهده والعهود التالية ، أى أن الجيوش الحيثية قد خرجت من خلف حواجزها الجبلية واخترقت سلاسل جبال طوروس المنيعه التى لا يوجد بها إلا عدد قليل من الممرات ، وربما كان الدافع إلى ذلك هو شراء السهول الجنوبية وازدهارها وقدم حضارتها - وربما كانت أول

مملكة اصطدم بها حاتوسيليس هي مملكة ياخذ الامورية (١) التي كانت عاصمتها حلب وكانت تسيطر على شمال سوريا ، ولاشك في أن هذه المملكة قد خضعت للحيثيين ولكنها ثارت وخرجت عن سلطانهم بعد ذلك .

ولما تولى العرش مورسيليس الاول خنفا لحاتوسيليس دمر ياخذ ولم يكتف بفتح سوريا الشمالية بل تتبع الفرات جنوبا وقضى على المملكة الامورية الكبرى في بابل حوالي سنة ١٦٠٠ ق.م وبذلك انتهت الاسرة البابلية الاولى التي كان حامورابي أعظم ملوكها .

وببدو أن الظلام الداخلى في المملكة الحيثية لم يكن قد وصل إلى درجة من الاستقرار تهيء لها الصمود فقد ظهرت فيها علامات الاضطرابات منذ عصر الملك حاتوسيليس إذ أن أفراد البيت المالك ثاروا عليه بقيادة ولى عهده ولكنه استطاع أن يسحق الثورة وأنكر ولى عهده ونفاه وعين في مكانه مورسيليس الذى كان أصغر منه ، وخنقه بالفعل على العرش ولكن كثرة تغيب هذا الملك الشاب في حملاته الحربية شجعت على حدوث المؤامرات ضده حيث قتله بعد عودته من بابل صهره حاتيايس - الذى كان متزوجا بأخته - وبدأ عهدا مليئا بحوادث القتل والسائس استمر أجيالا عدة حتى آلت المملكة إلى حالة قريبة من الفوضى .

وقد توالى الازمات وحالت الكوارث الخارجية في عهد حاتيايليس

فالحوريون المقيمون بالجبال المحيطة ببحيرة وان والذين كان مورسيليس قد غزاهم من قبل هاجموا الجزء الشرقى من المملكة الحيثية وتقدموا فيه حتى وصلوا إلى قرب العاصمة من الناحية الشمالية ، ودمروا في طريقهم بعض المدن مما جعل الملك يضطر إلى تقوية حصون حاتوساس نفسها .

وقد فقد حاتيليس وخلفاؤه معظم الأراضى التى كان أسلافهم قد استولوا عليها فى الجنوب ، ولم يتحسن الحال نوعا إلا عندما اعتلى العرش تايدينوس الذى كان مقتصبا ولكنه كان على عكس أسلافه يمتاز بالمهارة إذ نجح فى تقوية مركزه بالنخلى من الذين نافسوه على السلطة ونجح فى إنهاء حالة الفوضى التى استمرت حوالى خمسين عاما وذلك بسن قانون لاعتلاء العرش وتقوية الدولة الحيثية من الداخل وبعد هذا أعظم أعمال تايدينوس ، ومن المحتمل أن القانون الذى أصدره عن كيفية اعتلاء العرش والتعليمات الخاصة بسلوك الملوك ولأمراء هو الذى أتبع فيما بعد حتى آخر أيام الامبراطورية .

أما سياسته الخارجية فتتلخص فى أنه اكتفى بتأمين حدوده الدفاعية وتقويتها وطردهم الغزاة البرابرة من شمال العاصمة وشرقها كما يحتل أنه أعاد غزو بعض الأراضى التى خرجت عن سلطان الحيثيين . وقد عقد معاهدة مع مملكة كيزواتنا (kizzuwatna) ، وهو أول من ذكر بأنه عقد معاهدة مع دولة أجنبية وهذه المملكة هى التى كانت تحتل فى ذلك الوقت الجزء الشرقى من سهول قيليقييا . ويبدو أنها كانت دولة قوية إذ اعترف بمملكتها على قدم المساواة معه .

ويعتبر تليينوس عادة آخر ملوك الدولة القديمة ، ورغم عدم العثور على وثائق تاريخية يمكن بواسطتها التعرف على أسماء خلفائه الذين تبعوه في السنوات الاربعين التالية لحكمه إلا أننا نجد أن قليلا من النصوص تحدثنا عنها ، إذ يرجح أن القانون الذى عثر على نصوصه فى بوزاز كوى وهو أحد الوثائق التاريخية الهامة يرجع إلى عهد أحد خلفائه كما أن كثيرا من عقود الارض والموثيق تنتمى إلى هذه الفترة أيضا .

عصر الامبراطورية

يعد تود هالياس الثانى مؤسس الأسرة التى كان لها الفضل فى تشييد الإمبراطورية الحيثية شخصية غامضة ولم يسجل له التاريخ إلا حادثا واحدا وهو غزو حلب وتدميرها وهذا لا يكفى للدلالة على أن المملكة الحيثية قد استعادت استقرارها الداخلى وأصبحت قادرة على فرض سلطانها مرة أخرى على جيرانها ، ومع أن تاريخ تدمير حلب وظروفه غير مؤكدة إلا أنه يجب وضع هذا الحادث حسب تاريخ سوريا المعروف فى القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، فبعد موت مورسيليس الأول ضعف الحيثيون فترة طويلة تمكنت خلالها هانى جلمبات وهى إحدى الوحدات السياسية التى انتظم فيها الحوريون من السيطرة على شمال سوريا حوالى ١٥٠٠ ق.م ، وبما يدل على ضعف حانى فى ذلك الوقت أن أحد موالى المملكة الحورية نجح فى الاعتداء على حدود البلاد الحيثية ولم يلق جزاء على ذلك ، وفى سنة ١٤٥٠ ق.م. انتهت السيطرة الحورية بفضل انتصارات تحتمس الثالث فى حملته الثامنة وأصبح المصريون هم أصحاب السلطة العليا

في سوريا لمدة ثلاثين عاما تقريبا ، ولكن سيطرتهم على شمال سوريا تراخت قليلا بعد وفاته لظهور قوة حورية جديدة هي مملكة ميتاني التي أصبحت القوة الفعالة في غرب آسيا فترة من الوقت .

وربما كان غزو الحيثيين لحلب يرجع إلى أنهم أرادوا عقاب هذه المدينة على عودتها للخضوع إلى هاني جالبات ولذا يرجع أن غزوها لا يمكن أن يكون متأخرا عن هزيمة هاني جالبات على يد تحتمس الثالث في سنة ١٤٥٧ ق.م. وليس من المستبعد أن يكون الحيثيون قد قاموا بهذا الغزو بالاتفاق مع الملك المصري تحتمس الثالث إذ أننا نعلم بأنه قد تسلم هدايا من خيتا العظمى وهذا ما يفسر لنا سبب عدم وجود أى إشارة في النصوص المصرية إلى الاستيلاء على حلب في هذه الحملة .

وقد سببت نهضة ميتاني أزمة جديدة للمملكة الحيثية فبعض المقاطعات التي كانت فيها مضى تسير في فلك الحيثيين انضمت إلى القوة المنافسة (ميتاني) أو أعلنت استقلالها وبدأت علامات الضعف تبدو في المملكة لإبتداء من عهد أرنوواندس الأول خليفه - تودهالياس الثاني - وفي عهد خلفاء هذا الأخير وهم حانوسيليس الثاني وتودهالياس الثالث وارنووانداس الثاني وصلت المملكة إلى حافة الهاوية كما يشير إلى ذلك نص تركه أحد الملوك المتأخرين ، وبما جاء فيه :

« في الأيام الحسوى كانت البلاد الحيثية تغزو البلاد التي تقع خارج حدودها ،

وتم جاء العدو من كاسكا ونهب الأراضى الحيثية واتخذ نيناسا حدوداً له ... كما جاء العدو من آرزوا خلف الأراضى السفلى ونهب البلاد الحيثية أيضاً واتخذ ووانودا وأودا حدوداً له . كذلك جاء العدو من بعيد من أونا ونهب أرض جاسيباً ... الخ ،

وليس من المعقول أن تكون الهجمات العديدة التي ذكرها هذا النص قد حدثت دفعة واحدة ، ولكن يبدو أن القصة تتفق مع حقيقة الحال في ذلك الوقت إذ لا بد أن الأفاطار المجاورة للمملكة الحيثيين من الشرق كانت تلقى تأييداً من جانب ميتانى ، ويستدل على ذلك من الخطابات التي وجهها الفرعون إلى ملك آرزواو التي عثر عليها في محفوظات تل العمارنة .

وتنتهى فترة الضعف هذه باعتلاء سوبيلوليوما على العرش حوالي سنة ١٣٨٠ ق م وظروف ارتقائه غامضة رغم أنه كان ابن تودهالياس الثالث وعرف عنه أنه صاحب والده في حملاته ولكنه كافح بضع سنين في أول حكمه حتى دعم سلطانه في وطنه وأغاب الظن أنه هو الذى شيد الحائط الضخم في جنوب العاصمة حانوساس وأقام تحصينات أخرى للدفاع عنها . وبعد ذلك تفرغ لتسوية حساباته مع مملكة ميتانى التي يمكن أن تعد مسؤولة عن سوء الحالة التي وصلت إليها المملكة في الجيل السابق .

وقد بامت غزوته الأولى التي عبر فيها جبال طوروس إلى سوريا

بالفشل وتكبد خسائر فادحة وتمكن ملك ميتاني توشراتا من أن يقدم
جزءاً من الغنيمة التي حصل عليها إلى حليفه ملك مصر ، وقد استفاد
ملك الحيثيين من هذه التجربة فأعد غزوته الثانية بدقة كبيرة ومن المحتمل
أنه استطاع أن يكتشف بأن خطوط الدفاع الرئيسية لمملكة ميتاني
كانت في شمال سوريا ولذلك عبر الفرات عند مالاطيا وهاجم مملكة ميتاني
من الخلف بعد أن مهد لذلك بعملته أولية ، لأن الطريق المؤدى
إليها كان شديد الخطورة لوجود القبائل المتوحشة في منطقة الجبال
التي تحف به وقد استطاع أن يخضع هذه القبائل في تلك الحملة الأولى
وعقد معاهدة معهم توثقت بزواج أخت الملك من زعيم هذه القبائل ،
ثم استطاع سويوليوما أن يعبر الفرات وأن ينقض فجأة على عاصمة
ميتاني التي كان اسمها وشوجاني فدخلها ودمرها (١) - وعاد سويوليوما
بعد ذلك إلى اجتياز الفرات وتقديم إلى سوريا حيث سارع أمراؤها
المحليين إلى التسليم بعد أن حرموها من مساعدة ميتاني واكتفى سويوليوما
بأن جعل نهر الأورنت حدا له ولم يتقدم نحو مصر ، ولكن ملك قادش
التي كانت تعتبر نقطة أمامية للنفوذ المصري خرج لقتاله إلا أن العربات
الحيثية اكتسحته وتقدم الجيش الحيثي جنوباً إلى « أبنسا » بالقرب
من دمشق وادعى سويوليوما أنه اتخذ لبنان حدردا له ، ومن حسن
حظه أن مصر في ذلك الوقت لم يكن يحكمها من المراعاة من يهتم بالدفاع
عن امبراطوريتها إذ كان اخناتون منهمكاً في الإصلاح الديني الداخلي (٢) -

(١) أنظر أعلاه ص ٢٧٥

(٢) أنظر أعلاه ص ١٨٠ - ١٨١

وهذه الحملة يجب تأريخها حوالى سنة ١٣٧٠ ق.م ، وكان من نتيجتها أن أصبحت حلب وعلاق Alalakh (عطشانه الحالية) حيثية - ومن المحتمل أن المعاهدات بين ممالك أواسط سوريا وآمور التي تشمل منطقة لبنان وجزءا كبيرا من ساحل البحر المتوسط قد عقدت فى ذلك الوقت ، وعلى أى حال فإن بعض البلاد وخاصة قرقيش كانت تنتظر مساعدة من قوات توشرانا التي لم تنهزم وإن كانت الشقة فيها قد أصبحت مفقودة .

وقد اضطر سوبيلوليوما فى ذلك الوقت أن يعود إلى وطنه نظرا لظروف طارئة عاجلة وترك مهمة المحافظة على سوريا لأحد أولاده وكان يدعى تليينوس ولكن هذه المهمة لم تكن سهلة إذ انقسمت المقاطعات السورية إلى فريقين : فريق كان يناصر الحيثيين والآخر يناصر الميتانيين وأخذ كل منهما يتربع نتيجة الصراع الدائر بين السكتلين الكبيرتين - ولحسن حظ الحيثيين فرقت الفتنه مملكة ميتانى لأن ملكها توشرانا كان يحالف المصريين وتوطدت الصلة بين الاسرتين المالكين فيهما بالزواج ولكن مصر كانت فى ذلك الوقت قد أصبحت عاجزة عن أن تمد يد المساعدة لحليقتها ، وقد رأى فى ذلك فرع منافس للبيت المالك الميتانى فرصة للخروج على الحكم وطلبوا مساعدة آشور أو بالط الذى كان ملكا على آشور فى ذلك الوقت وتمكن هذا من مساعدة الحرب الذى لجأ إليه ، وقتل توشراتا فاعترفت أرتاتاما ملك ميتانى الجديد بأشور كما اعترف بها كذلك ابنة شوتارتا وقدمت إلى ملك آشور الهدايا الفاخرة بعد أن كان ملوكها يقدمون الولاء للمملكة ميتانى .

وكان ظهور هذه الدولة القتيبة (آشور) المفاجيء مما ساعد دون شك على سقوط ميتاني وأدى هذا بدوره إلى سهولة غزو الحثييين لسوريا واستطاع سوبيلوليوما أن يحتاح سوريا وأصبحت الاراضى الممتدة من الفرات حتى البحر بما فى ذلك حصن قرقيش ولاية حمثية وعين ولده تلبينوس المشار اليه ملكاً على حلب كما عين ابناً آخر ملكاً على قرقيش .

ولم يمض وقت طويل حتى لجأ ابن توشرانا إلى سوبيلوليوما (وقد فر بحياته بعد مقتل أبيه) وبذلك وجد سوبيلوليوما فرصة سانحة لإنشاء دولة محايدة بينه وبين المملكة القتيبة آشور فأرسل ابن توشرانا إلى ولده ملك قرقيش وتقدم الإثنان بعد عبور الفرات على رأس قوات كبيرة ودخلوا وشوجاني ، عاصمة ميتاني وهكذا ظهر إلى الوجود ملك جديد موال للحثييين .

ويبدو أن أن سوبيلوليوما نال شهرة كبيرة، لأنه حينما كان يحاصر قرقيش وصله رسول من مصر يحمل خطاباً من ملكتها تذكر فيه أن زوجها توفى وليس لها ولد وطلبت منه أن يرسل أحد أبنائه لىكي تزوج منه لأنها لا ترغب زرجاً من رعيتها ، فدهش سوبيلوليوما وأرسل رسوله الخاص إلى مصر ليتأكد بأن ليس فى الأمر خدعة ، وقد عاد هذا الرسول سريعاً يحمل رسالة ثانية من الملكة تذكر له فيها بأنه لو كان لها ولد لما كتبت إلى أجنبي تستدعيه إذ ليس من المعقول أن تعلن مصيبتها ومصيبة شعبها على الملأ كما أن كرامتها تأبى عليها أن تزوج بأحد من رعيتها ونظراً لأن له أبناء كثيرين فقد لجأت إليه ليرسل إليها

أحدهم. - ومن المرجح أن هذه الملكة هي زوجة توت عنخ آمون
الإبنة الثالثة الملك أخناتون ، ولم يضع سوبيلوليوما الفرصة فأرسل أحد
أبنائه على الفور ولكن هذا الأمير الحيثي لقي حتفه عند وصوله إلى مصر
بإيعاز من د آي ، أو د حور محب ، (١).

وبعد وفاة سوبيلوليوما هاجم آشور أوبالط مملكة ميتاني (التي كان
ملكها ابن توشراتا الموالى للحيثيين) وضمها إلى ملكه - ومع ذلك فإن سلطان
الحيثيين لم يتزعزع على سوريا ، فبعد وفاة سوبيلوليوما ووالده الأكبر
أرنو وانداس الثالث ظل أمراء حلب وقرقيش على ولايتهم لوارث العرش
الشاب مورسياليس الثاني مع قلة خبرته - وقد أثبت هذا جشارته بإخضاع
المناطق النائية التي خرجت على طاعة الحيثيين وبين يديهم ولاية حيثيين عليها
كما أنه ظل ينظم الإمبراطورية طوال حياته ، ولكن الثورات كانت دائما تتجدد
كلما اعتلى العرش ملك جديد كما أن الحدود الشمالية كانت مصدر قلق دائم
ولذلك وزعت القسرة الحيثية على مناطق متباعدة فكان من الصعب
على المملكة أن تحتفظ بحدودها وخاصة لأن القبائل البعيدة كانت تتلقى
مساعداً خارجية .

وقد قامت ثورة في سوريا بتحرير مصر من عهد حور محب
على الأرجح وكان شاركوشورخ ، ملك قرقيش قد توفي واستطاع أحد
الغزاة أن يستولى عليها ولكن ملك الحيثيين (وهو شقيق ملك قرقيش)
تدخل شخصيا في السنة التاسعة من حكمه ، وكان مجرد ظهور الجيش
الإمبراطوري كافيا لإخضاع الأمراء السوريين وعين ابن شاركوشورخ
ملكاً على قرقيش ، وفي نفس السنة تقدم ملك الحيثيين شمالا حيث استطاع
إخضاع بعض المناطق هناك .

(١) أطر أعلاه ص ١٨٤ هامش .

وقد ترك «ورسيليس لإبته وخليفته مواتاليس لإمبراطورية وطيـدة الدعائم تحوطها شبكة من الممالك الموالية فلم تحدث أية اضطرابات عند اعتلائه للعرش، ومع ذلك كان لابد من استعراض قوته في الغرب - وبعد أن أمن الملك سلطانه في هذه الجهات أصبح قادرا على تركيز مجهوداته ضد الخطر الآتي من الجنوب حيث تحرك المصريون أخيرا لأن ملوك الأسرة التاسعة عشرة طمعوا في استرجاع أقاليم سوريا التي سبق أن غزاها تحتمس الثالث وضاعت أثناء حكم اخناتون، وفي حوالي سنة ١٣٠٠ ق. م قاد سبتي الأول ملك مصر جيوشه إلى كنعان وتقدم إلى قادش ولكن يبدو أن الحيثيين قاوموه بشدة، ومع ذلك فقد أعاد الملك المصرى القانون والنظام في أرض كنعان وظل السلام «أما بقية عهده، ولكن عند ما تولى خليفته رعحمسيس الثانى حكم بلاده. كان من الواضح أن من المستحيل تجنب الصدام بين الامبراطوريتين المتنافستين، ولهذا جمع «مواتاليس، فرقا من كل حلفائه الذين ذكرتهم التوثم المصرية بينما لم تشر إليهم التوثم الحيثية التي من ذلك العهد. وكان الدردانيون من بين هؤلاء الحلفاء (وهم الذين عرفوا في إلباظة هوميروس أيضا) والفلسطينيون - الشرادانيون الذين ذكرتهم النصوص المصرية مرارا - وتقابلت جيوش الامبراطوريتين في قادش في السنة الخامسة من حكم رعحمسيس، ويبدو أن «مواتاليس، قد تمكن من التقدم والاستيلاء على «آبا، أو «أبينا، بالقرب من دمشق رغم أن الفرعون مالا الدنيا تفاخرا ببساتنه ونقش أخبار انتصاره على المعابد المصرية ولكن ليس هناك أدنى شك في أن محرقة قادش قد انتهت بانتصار الحيثيين الحاسم.

وفي عهد موواتاليس أعيد تنظيم المقاطعات الشمالية الشرقية من المملكة ووحدت في إمارة عاصمتها « حاكيس » تحت إشراف « حاتوسيليس » شقيق الملك بينما أقام الملك نفسه في الجنوب في مدينته المنيعه « داتاسا » ليقبى بمقربة من العمليات الحربية في سوريا .

وعندما توفي موواتاليس تولى ابنه « أورهى تشوب الملك » وأراد أن يخفض من أملاك عمه الطموح لاعتقاده بأنه يريد العرش لنفسه وظل « حاتوسيليس » يعاني اتهامات ابن أخيه نحو سبع سنوات وأخيرا أعلن الحرب عليه وعزله، ويدعونا هذا إلى الظن بأن حكومة « أورهى تشوب » لم تكن محبوبة على الإطلاق وقد أسر « أورهى تشوب » في سموحا بالقرب من مالاطيا ولكنه عومل بالحسنى ونفى إلى المقاطعة السورية البعيدة نوهاس .

وعندما اعتلى « حاتوسيليس » العرش كان يبلغ من العمر نحو ٥٠ سنة وكان قائداً محنكا نعمت الامبراطورية الحيثية في عهده بشيء من السلام والازدهار النسبي وإن كانت قد حدثت بعض الاحتكاكات بينها وبين مصر وبابل (الدولة الكاشية) في بداية عهده ، وربما كان ظهور قوة آشور في ذلك الحين مما ساعد على التقارب بين الامبراطوريتين الحيثية والمصرية وأصبحت العلاقات بينهما ودية للغاية، وفي سنة ١٢٦٩ ق . م عقدت المعاهد المشهورة بين « رعسيس الثانى » وبين « حاتوسيليس » - وبعد ١٣ سنة توطدت المعاهدة بزواج رعسيس من أميرة حيثية - وفي عهد حاتوسيليس كذلك عادت العاصمة إلى « حاترساس » التي كانت قبائل « السكاسكا » قد نهبتها في عهد « موواتاليس » عندما كان متغيبا في حملة في الجنوب ،

وأعيد بناء المدينة وتدريب الأرشيف وساد الاستقرار والازدهار
 وصدر عدد كبير من المراسيم الدينية والإدارية - ومع هذا فإن ما وصلنا
 من حوليات حاتوسيليس يدل على أن الحالة لم تكن في الغرب على ما يرام
 وربما وجهت بعض العمليات الحربية ضد العدو القديم في آرزواوا
 كما تدهورت العلاقات مع بابل بعد وفاة ملكها كادشمان تورجو ، وربما
 كان لأورهي تيشوب الأمير المنفي يد في ذلك حينما كان يقيم في نوهاس
 إذ أن حاتوسيليس يقص علينا بأنه (أى أورهي تيشوب) ضبط وهو يتأمر
 مع البابليين وأنه نقل بسبب ذلك إلى البحر ، وربما كان المقصود
 بأنه نقل إلى قبرص أو إلى قطر أجنبي بحرى آخر ولم يقف نشاطه عند هذا الحد
 بل إنه اتصل بملك مصر - ومن المحتمل أنه كان يسعى للحصول
 على مساعدة دولة أجنبية لاسترداد عرشه ولكنه باء بالفشل ، وقد اخترع
 حاتوسيليس قصة مؤداها أنه طرد الملك الشرعى واستأثر بالعرش نظراً
 لما لقيه من استفزاز شديد وبناء على أمر من الإلهة « آشتار »
 إلهة « ساموحا » .

وقد توفي حاتوسيليس بعد فترة قصيرة من زواج إبنته من ملك مصر
 وتولى من بعده ابنه « تود هالياس الرابع » الذى وجه اهتمامه نحو
 الشؤون الدينية ، ويمثل الجزء الأول من حكمه عصر سلام وإن كانت
 بعض الحملات الناجحة فى غرب المملكة قد مكنت الحيثيين من ضم
 إقليم أسوا إلى مملكتهم ولكن لم تلبث أن ساءت الحالة هناك قبل نهاية حكمه
 ومع أن الملك كان فى حالة من القوة تسمح له بالقضاء على أى عدوان
 على أجزاء من مملكته إلا أن أيام الامبراطورية الحيثية أصبحت معدودة ،

ففي عهد الملك التالى وهو أرنووانداص الثالث ، تدهورت الحالة فى غرب هضبة الاناضول وحدثت تحركات ضخمة من شعوب هذا المناطق حيث تقدمت واجتاحت الاقاليم الواقعة فى شرق البحر الابيض المتوسط واضطرت الحيثيين وشعوب هذه الجهات الى الهرب الى سوريا ، ثم اتحدت بعد ذلك مع شعوب البحر فى هجوم كبير كان من نتائجه استقرار الفلسطينيين على ساحل فلسطين وحل الفريجيون محل الحيثيين كقوة حاكمة وأصبح خطر هذه الشعوب يهدد مصر لولا أن د رعسيس الثالث ، نجح فى الانتصار عليهم برأ وبحرا وأبعد خطرهم .

الممالك الحيثية الجديدة

استمر الاثر الثقافى للحيثيين فى الاجزاء الجنوبية الشرقية من امبراطوريتهم بعد سقوطها نحو من خمسة قرون وظلت السجلات الاشورية تشير الى سوريا ومنطقة طوروس على أنها أرض حائى وتتحدث عن ملوك يحملون أسماء حيثية ، كذلك يشير الكتاب المقدس الى ملوك المقاطعات السورية كملوك للحيثيين واهتم الكثيرون منهم بإقامة آمار تحمل نقوشا دونت بخط هيروغليفى لم يمكن تفسيره حتى الآن ، أى أن تقاليد الثقافة الحيثية ظلت منتشرة فى المناطق الممتدة من ملاطيا الى حدود فلسطين حتى بعد أن تحولت هذه المنطقة الى جزء من الامبراطورية الاشورية ، ولم تكن لغة تلك النقوش الحيثية الجديدة ولا الديانة التى نصت عليها هى التى استعملت فى حاتوساس ، وليست هى التى استعملها عامة الشعب الذين استوطنوا سوريا فى عهد الامبراطورية الحيثية (لانهم كانوا حوريين) وعلى هذا

يبدو أن سوريا قد اجتاحتها شعب آخر جاء من إحدى المقاطعات الحيثية وكان يتخذ الحضارة الحيثية ، ويحتمل أن هذه المقاطعة هي «كزوواتنا» ويرجح أن ذلك لم يكن نتيجة غزو منظم لأنه أدى إلى ظهور عدد كبير من الممالك الصغيرة في القرن ١٢ ق . م تدل أسماءها على أنها لم تكن على الإطلاق بمجرد استمرار للممالك الحيثية القديمة التي كانت خاضعة للإمبراطورية في سوريا وأن معظم هذه الأسماء نشأ حديثاً ، ونظراً لأن الخط الهيروغليفي الحيثي لم يمكن تفسيره حتى الآن فلا يمكن تتبع تاريخ هذه الممالك في إيجاز إلا عن طريق سجلات الدول المجاورة مثل آشور وأوراتو (آارات) وإسرائيل .

وأول ملك آشوري يصل إلى الفرات بعد سقوط « حاتوساس » هو « تيجلات بلاسر الأول » الذي ذكر بأنه حارب حاق العظمى ووصل إلى البحر المتوسط ولا شك أنه كان يقصد مملكة « ميليد » ويدهشنا أن يذكر بأن مملكة أخرى لحاق العظمى قدمت له عند عودته فروض الطاعة والولاء وربما كان يقصد بهذه مملكة « قرقيش » ، أي أن هاتين المدينتين كوتتا مملكتين حيثيتين عند معبر الفرات .

وقد انسحبت الجيوش الآشورية على أي حال ومضت عدة سنوات قبل أن يصل أي ملك آشوري آخر إلى الفرات أو أن يعبره ، وفي خلال فترة الضعف الآشوري هذه جاء الآراميون البسود من الشرق وأسسوا بدورهم ممالك في سوريا كانت أولها وأقواها دمشق (١) التي تقع جنوب

(١) انظر أهلاه ٢٧٩

خط الغزو الحيثي - ولا بد أن الآراميين قد اصطدموا في الشمال مع الإمارات الحيثية الحديثة العهد وهزمت الحيثية في أماكن متعددة وحل محام الآراميون حيث كانوا أسرات حاكمة في عواصم الممالك الحيثية التي استولوا عليها ونقشوا نقوشهم بالكتابة الفينيقية أو بلغتهم الآرامية بينما ظلت الأسر الحيثية الباقية تحافظ على كيائها وأستمرت في تدوين نقوشها بالهيروغليفيين الحيثية .

ولا نعرف شيئاً عن تاريخ قيليقيا في هذه الفترة لأن نقوش « كاراتيب » لم يمكن تفسيرها بصفة مؤكدة حتى الآن ولكن يستدل من النقوش التي تركها والى « أضنة » بأن أضنة كانت العاصمة ولم يكن حاكمها هو الملك بل كان والياً من قبل الملك ، وربما كان « الدانيونا » الذين ذكرتهم النصوص المصرية بين شعوب البحر هم سكان هذه البلاد ، كما يحتمل أنهم كانوا من جنس يغاير الشعوب المجاورة لهم - وقد عرف الآشوريون قيليقيا منذ عهد شلمنصر الثالث ولكنهم كانوا يطلقون عليهم اسم « قوا » ولا يعرف تفسير لهذا الاسم حتى الآن .

وتمتعت الممالك الحيثية الحديثة وجيرانها الآراميون بشيء من الاستمرار والازدهار لمدة يسيرة وانتشرت الثقافة الحيثية جنوباً إلى فلسطين وخدم الجنود المرتقة الخيثيون في الجيوش اليهودية وأدخل سليمان الهيئات في حريمه .

وقد بدأت آشور تستعيد مجدها في عهد « أداد نيرارى الثاني » وفي عهد خلفه « توكراتى نينورتا الثاني » ، ولم تكنه الممالك السورية لهذا الخطر فاستطاع

خليفتها « آشور ناصر بال » أن يدعم فتوحات أسلافه سريعا ، وفي السنوات السبع الأولى من حكمه استولى على الإقليم الواقع شرق الفرات ولم تقاومه قرقيش عندما فرض عليها الجزية ثم عبر الجيش الأشوري الفرات واخترق سوريا إلى الساحل ، ولم تقاومه الممالك الحيثية الأخرى حيث فشلت في الاتحاد ضد الغازي - ومع أنها حاولت الاتحاد بعد ذلك بنحو ١٨ سنة حينما عبر « شلنصر الثالث » نهر الفرات إلا أنها لم تنجح في المقاومة ووقع شمال سوريا مرة أخرى في يد الأشوريين غير أنهم اضطروا للانسحاب أمام المقاومة التي أبدتها ملوك حماة ودمشق التي كان يعاونهم فيها ١٢ أميرا من أنصارهم وخاصة من الساحل الفينيقي رغم أن المتحالفين قد تكبدوا خسائر فادحة - ومع هذا فقد عاد « شلنصر الثالث » إلى الهجوم على دمشق في السنوات التالية حتى ضعفت وتمكن « أداد نيرارى الثالث » بمساعدة زاكير الآرامى (الذى كان قد استولى قبيل بضعة سنوات على حماة الحيثية) من إخضاعها وبذلك ادعى أداد نيرارى السيادة على حاق وأمورو وبالأشتو جميعها .

وقد ضعفت سلطة الأشوريين بعد ذلك فترة لا تقل عن نصف قرن بسبب ظهور منافس جديد في الجبال الشمالية يتمثل في مملكة أوراتو التي استفذت الجزء الأكبر من جهود ملوك آشور ، ومن المحتمل أن الدولة الحيثية في شمال سوريا كانت تشعر بشيء من التقارب الجنسي أو التقافى مع هذه المملكة الجديدة ، أما جنوب سوريا فقد أصبح كله آراميا ، وهكذا انقسمت سوريا إلى قسمين : حثي وآرامى ثم انتهت هذه الحالة فجأة بنهضة آشور مرة ثانية بقيادة « تيجلاب بلامر الثالث » ، فقد نجح هذا الملك

في السنة الثالثة من حكمه في التقسّم غربا والانتها من مشاكل سوريا بصفة نهائية إذ استطاع أن يهزم السوريين وكان يعاونهم ملك أورارتو الذي حضر بنفسه على رأس قواته ولكنه اضطر إلى الحرب هربا مشينا بعد هزيمة جيشه - وبعد ثلاثة أعوام تمكن ملك آشور من إخضاع بقية سوريا وعادت جميع عائلاتها إلى ولائها السابق لآشور ، إلا أن ذلك لم يستمر سوى عامين حيث قامت ثورة جديدة اضطر ملك آشور لإزائها إلى السير لإخضاعها وضم سوريا إلى آشور ضما مباشرا - وقد اتبع خلفاء تيجلات بلاسر الثالث سياسته التي سار عليها إذ نجد أن «شلمنصر الخامس» و«سرجون الثاني» يستعملون القوة والعنف في ضم بقية الممالك السورية حتى انتهى أمرها في سنة ٧٠٩ ق . م ، وبذلك انتهى تاريخ الممالك الحيثية في شمال سوريا حتى إن الرحالة الإغريق عندما زاروا هذه البقاع لم يجدوا إلا مقاطعات الإمبراطورية الآشورية وأصبح اسم حاقى نفسه منسيا .

سكان غرب وجنوب هضبة الاناضول « الأخيون والظرواديون »

يظن أن بلاد الأخيين أو اليونان الميسينية هي التي عرفت في النصوص الحيثية باسم أهيارا (Ahhiyawa) أو أهيا (Ahhiya) وقد ظهر هذا الاسم لأول مرة في عهد سوبيلوليوما ، ومن المحتمل أن المقصود في هذه الحالة جزيرة قبرص التي نفي إليها « أورهي تشوب » (١) - كذلك ذكرت هذه البلاد في حوليات « مورسيليس الثاني » في السنتين الثالثة والرابعة من حكمه ومنها عرفنا أن تلك البلاد كانت عبر البحر .

(١) أنظر اعلاه ص ٣١٨ ، ٣١٩ .

وحيثما مرض الملك مورسيليس بحث الكهنة ، عن مصدر الغضب الإلهي الذي سبب هذا المرض ودونت الأسئلة والإجابات المتعلقة بذلك على لوحة كبيرة يفهم منها أن إله أهياوا وإله لازباس قد جلبا على أمل إيجاد علاج له ، ويفهم منها كذلك أن علاقات الود كانت قائمة بين حاقي وأهياوا ولازباس التي يحتمل أنها هي ليزبوس (Lesbos) .

ومن الرسائل الهامة في ذلك العهد رسالة تعرف باسم خطاب تاواجالاواس (Tawagalawas) وقد دونت في ثلاثة لوحات ، ومنها عرفنا أن شخصا كان واليا حيثياً أو من الطبقة العليا (واسمه بياما رادوس كان يقيم في ميلواندا) أصبح قاطع طريق وسبب اضطرابات في بلاد لوكا . ويحتمل أنها ليقيا ، التي كانت تكون مقاطعة من الامبراطورية الحيثية وكانت مركز عملياته مدينة مجاورة في منطقة خارج ممتلكات الحيثيين وتحت الحكم غير المباشر لملك أهياوا . ولما كانت هذه الرسالة موجهة من أحد ملوك الحيثيين (١) إلى ملك أهياوا فإن من المرجح أن الغرض المقصود منها هو تسليم ذلك الثائر وإراحة مقاطعة لوكا من متاعبه . ويبدو أن تاواجالاواس كان قريبا لملك أهياوا وقد قصد أهالي المقاطعة لمساعدتهم وبعد أن دعم تاواجالاواس مركزه في بلاد لوكا بعك برسالة إلى الملك الحيثي يطالبه فيها بالاعتراف به كوالي من قبله ، كما يبدو أن الملك الحيثي وافق على ذلك وأرسل ولده ليصاحب تاواجالاواس

(١) إما أن يكون هذا الملك هو مورسيليس الثاني أو خلفه مووانايس .

إلى حضرته ، فاستاء هذا الأخير لأن مرافقه لم يكن القائد العام للجيش
بنفسه وعلى ذلك انسحب غاضبا فسار ملك الحيثيين إلى لوكا وقضى
على الثورة فيها ، وبعدئذ تسلم رسالة من ملك أهيا يخبره فيها بأنه أمر عامله
في ميلاوندا بأن يسلمه قاطع الطريق ولما تقدم الملك نحوها وجد أن ذلك
الثائر (بيامارادوس) قد أبيع له الهرب على ظهر سفينة فأرسل ملك
الحيثيين رسولا خاصا إلى ملك أهياوا لإقناعه بتسليم الثائر واعداء إياه
بالإبقاء على حياته ومعلمنا له بأنه يترك رسوله الخاص كرهينة من أجل
ذلك - ويتبين من سياق النصوص أن العلاقات بين حاتي وأهياوا
كانت ودية ومتينة ، وبعد مضي بعض الوقت أصبح حاكم ميلاوندا
من موالى الملك الحيثي - ومن الرسائل التي تبودلت بينهما نتبين أن خلافت
عديدة نشبت بينهما وأن ملك أهياوا رضخ في النهاية لطلب الملك الحيثي
وسلمه قاطع الطريق .

ولدينا خطاب من عميد حاتوسيليس يبين أن ملك أهياوا أرسل
إلى ملك حاتي يطلب نصيبه من الهدايا التي أرسلت إليه ، ولا تعرف
طبيعة هذه الهدايا ، وهناك نص آخر يشير إلى الوقائع الخاصة بانقلاب
د حاتوسيليس ، (١) والسكتة مهشم وإن كان البعض يرى أن هناك ما يدعو
إلى ربط اسم د أورهي تشوب ، مع أهياوا ولكن لا يوجد
ما يؤيد ذلك .

(١) أنظر أملاء ص ٣١٨

وفي إحدى فقرات معاهدة أبرمت بين «تود هالياس الرابع (١)»، وبين ملك أمورو نتبين أن ملك أهياوا ذكر على قدم المساواة مع ملوك مصر وبابل وآشور، أي أنه كان يمثل إحدى القوى الكبرى في ذلك الوقت وإن كان القصر الحيثي لم يعترف بهذه الحقيقة رسمياً بدليل إزالة اسم أهياوا من النص ولكن العلامات المتخلفة تدل على وجود اسمها فيه من قبل - وهناك نص مهشم ربما كان من عصر «تود هالياس الرابع»، كذلك يشير إلى أن ملك أهياوا قد انسحب، مما يوحي بأنه كان موجوداً في آسيا الصغرى وأن بلاده كانت ولاية على حدود الإمبراطورية الحيثية وأنه كان قد استولى على بعض أراضيها ثم انسحب بعد ذلك .

والخلاصة التي يمكن أن نستنتجها أن العلاقات بعد حاتي وبين أهياوا كانت طيبة في أول الأمر حتى إن أقارب ملك أهياوا كانوا يرسلون إلى حاتي لدراسة فن قيادة العربات كما كانت ترسل آلهة أهياوا إلى حاتي لعلاج الملك في مرضه ثم نسمع بعد ذلك بازدياد الأعمال العدوانية التي يرتكبها عمال أهياوا على حدود الممتلكات الحيثية وقد بلغت هذه أشدها أثناء حكم «تود هالياس الرابع»، «د وأرنووانداس الثالث»، ورغم أن هذا النشاط بدأ في عهد مورسيليس فقد ظلت العلاقات الرسمية بين الملوك ودية في الظاهر على الأقل حتى نهاية عهد مورسيليس، ثم ترد بعض الإشارات عن تدخل ملك أهياوا بصورة عدائية في إقليم موال للحيثيين ولا يوجد بعدئذ ما يدل على وجود علاقات رسمية ودية .

(١) انظر أعلاه ص ٣١٩ .

ومن الواضح أن أهل أهياوا كانوا بحارة ممتازين وصلت سفنهم حتى ساحل سوريا (أمورو) وقد اعتدوا على الإمبراطورية الحيثية في أربعة مناطق على الأقل، ولا شك في أن الحيثيين قد أخطأوا في نطق اسمهم وحرفوه إلى أهياوا بعد أن عرفوهم واتصلوا بهم، ولا بد وأن هؤلاء كانوا يعيشون في أقصى غرب شبه الجزيرة وسيطروا مثل المقدونيين على البحار. فابتداء من سقوط كنوسس حوالي سنة ١٤٠٠ ق. م إلى الغزو الدوري في القرن الثاني عشر كانت السيادة العليا على البحار متركزة في أيدي الاغريق الميسينيين وقد وجدت منتجاتهم بكثرة في مختلف الجزر وخاصة قبرص وكريت ورودس التي لا بد وأن كان في كل منها مستعمرة هامة للأحيين كما وجدت مستعمراتهم بكثرة في بعض الأماكن السورية وفي قيليقيا وفي أماكن مختلفة من السواحل الجنوبية الغربية لآسيا الصغرى - وبما أن الحيثيين لم يعرفوا إلا مملكة واحدة باسم أهياوا، وبما أن العالم الميسيني لم يشمل وحدة سياسية واحدة فإننا لا ندرى هل كانت أهياوا تدل على ميسينا بأكملها أو أنها كانت إحدى الممالك التي تنقسم إليها بلاد ميسينا سواء في شبه الجزيرة الإغريقية نفسها أو مملكة في إحدى الجزر مثل كريت وقبرص وغيرها .

أما طروادة فقد ذكرت في النصوص الحيثية بأسماء كثيرة وذكرت في إحدى المرات ضمن مناطق بلاد آسوا ومعنى ذلك أن هذه الأخيرة تقع على الساحل الغربي لآسيا الصغرى ويرى البعض أن اسمها هو الذي

حرف فيها بعد إلى آسيا ، ويبدو أن أول ملك حيثي زار هذه الانحاء هو « تود هالياس الرابع » .

ويحاول الكثيرون أن يقربوا بين الاسماء التي وردت في النصوص الحيثية وبين الاسماء التي ذكرت في أشعار هومر والاساطير اليونانية التي يمكن ربطها بطروادة ولكن هذه المحاولات ما زالت مبنية على أسس غير مؤكدة ومن ذلك مثلا محاولة استنتاج أن مملكة تسمى في النصوص الحيثية إلوسينا أو (ولوسيا) وكانت موالية للحيثيين هي نفسها التي تعرف في شعر هومر باسم وليوس التي يظن أنها طروادة وكان ملكها يدعى « الكساندوس » في عهد موواتاليس الحيثي (حوالي سنة ١٣٠٠ ق . م) ويرى البعض أن هذا الملك ليس إلا (Alaxandres Aliaé Paris) بارس أمير طروادة ، وتتميز أسطورة بيزنطية إلى أن موتيلوس (Motylos) هو الذي استقبل هيلين وبارس (في رحلتها من اسبرطة إلى طروادة) ويظن بعض المؤرخين أن هذه الاسطورة تشير إلى المعاهدة التي أبرمت بين موواتاليس والكساندروس ويسكاد يسكون اسم دردني الذي أطلق في النصوص المصرية على جماعة كانوا يحاربونهم كحلفاء للحيثيين في معركة قادش هو اللفظ الوحيد القريب من اسم الطرواديين - وهكذا لا يمكن أن نجد ما يؤكد وجود صلة بين الاسماء التي ذكرت في النصوص الحيثية وبين طروادة .

الحيثيون في فلسطين

مع أن الكتاب المقدس يشير إلى الحيثيين كقبيلة فلسطينية إلا أن معلوماتنا عن تاريخ أهل حاتي تقودنا في البحث عن موطنهم الاصلى بعيداً عن فلسطين وتذهب بنا إلى قلب هضبة الأناضول وخاصة لأنه لم توجد دولة حيثية جنوب جبال طوروس قبل عهد سوبيلوليوما وأن الدول السورية الموالية للإمبراطورية الحيثية اقتصرت على المنطقة الواقعة شمال قادش على نهر الأورنت - ورغم أن الجيوش الحيثية وصلت إلى دمشق إلا أنها لم تدخل فلسطين على الإطلاق ولم توجد دولة حيثية من الدول الجديدة جنوب حماه، إذ كان يفصل هذه الأخيرة عن فلسطين المملكة الآرامية في دمشق .

وعندما حل الطاعون بأرض حاتي في بداية عهد الملك « مورسيليس الثاني » وبحث الملك في الأرشيف عن سبب غضب الإله عثر على لوحين أوضحا له أنه أهمل عيداً خاصاً وأن أهل حاتي قد نكثوا عهد إلههم « جوحاتي » بعد أن أقسموا به في معاهدة لهم مع مصر إذ أنهم أغاروا على أملاكها السورية ثانية وتقدموا إلى العمق ونجحت الحملة فحينها تفشى وباء الطاعون بينهم بدأ ذلك لمورسيليس كهتاف واضح .

ومن المحتمل أن فئة من الحيثيين استوطنوا تلال فلسطين وربما كان هؤلاء ممن جاءوا من بلاد تحت حكم الحيثيين ، كذلك ربما كان هؤلاء المستوطنون من أقرب الأقاليم الحيثية في سوريا التي استولى

- ٣٣١ -

عليها سوييلوليوما باسم آخر كأنها غير حيثية لأن هجرة الحِيثين من الاناضول إلى فلسطين لم تكن كثيرة الحدوت - كذلك يحتمل أن هؤلاء المستوطنين الحِيثين لم يكونوا في الواقع إلا من الاقوام التي كانت تتكلم اللغة الحِيثية وعاشت منعزلة في تلال فلسطين حتى بعد أن ساد فيها الساميون والحريريون لأن هذه اللغة كانت واسعة الانتشار في جنوب غربي آسيا .

الفصل السابع

العراق

يقع العراق في جنوب غرب آسيا ويحتل القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي ، وهو يبدو لأول وهلة شبيها بمصر من حيث ظروفه الطبيعية إذ يعتمد سكانه في صميم حياتهم على نهري دجلة والفرات كما يعتمد المصريون على نهر النيل ، وقد استرعى التشابه بين الفرات وبين النيل أنظار قداماء المصريين فأطلقوا عليه اسم النهر المتعكس أي الذي يسير على غير ما ألفوه في النيل .

ولا يقتصر الفرق بين مصر والعراق على اتجاه الأنهار فحسب وإنما تبدو الاختلافات بينها واضحة عند دراسة بقية الظروف الجغرافية في كل منها - فبمقارنة ما عرفناه من طبيعة مصر (١) بما نجده في العراق نجد أن هذا الأخير ينقسم إلى قسمين رئيسيين :

١ - القسم الشمالي :

وتغلب عليه الطبيعة الجبلية إذ تكثر به المرتفعات وخاصة في قسمه الشمالي الشرقي الذي تتخلله وديان نهر دجلة وفروعه ويفصله عن الجهات التي تقع أبعد من ذلك شلالا سلسلة جبال طوروس وهضبة أرمينيا .

(١) أظر أعلاه ص ٣٢

ب - والقسم الجنوبي :

وهو حديث التكوين من الناحية الجيولوجية لأنه كان جزءاً من الخليج العربي ثم غمرته الرواسب التي جاء بها نهر دجلة والفرات من المناطق الجبلية في الشمال (١)

ونظراً لوقوع العراق في طريق الهجرات البشرية التي حدثت في أزمنة مختلفة من تاريخ الإنسان فقد استقرت به عناصر سامية وغير سامية ، وإن كانت العناصر السامية قد سادت فيه في معظم أدواره التاريخية إلا أن العناصر غير السامية كانت تتوغل فيه أحياناً وخاصة من الشمال والجنوب الشرقي . وكان لهذه العوامل بالطبع أثرها في تاريخ العراق وحضارته .

(١) يرى البعض خلافاً لذلك - أن هذا القسم من العراق كان مرتفعاً ثم انخفض فغمرت مياه البحر بعض أجزائه التي انخفضت عن مستواه ولكن هذا الرأي مازال لا يجد قبولا لدى الكثيرين

العصور قبل التاريخية :

١ - العصر الحجري القديم

لم يعثر إلا على آثار ضئيلة جداً من حضارات العصر الحجري القديم ، وهي تتمثل على الخصوص في هضبة كردستان إذ وجدت آثار الحضارتين الشيلية والأشولية في بردابلكا (شرق ججمال) كما وجدت آثار الحضارة الموستيرية في كهف شاندر وكهف هزارمرد ، ومن المحتمل أن هيكل الطفل الذي عثر عليه في كهف شاندر من نوع إنسان نياندرتال - أما آثار أواخر العصر الحجري القديم فقد وجدت في كهوف زرزي وبالي جورا وكريم شهر وإن كان البعض يميل إلى تأريخ آثار كريم شهر بأول العصر الحجري الحديث .

٢ - العصر الحجري الحديث

تتمثل آثار هذا العصر في حضارات جرمو (في لواء كركوك) وحسونة (في لواء الموصل) وسامراء (في لواء بغداد) .

حضارة جرمو :

عثر في منطقة جرمو على حوالي ١٢ طبقة حضارية ، وتتميز الآثار التي وجدت فيها بالطبقات التي تنتمي إلى العصر الحجري الحديث بأن بقاياها المعمارية تمثل منازل بسيطة تتألف جدرانها من الطين وهي مقامة على أساس من الحجر - وقد عثر في هذه الطبقات على بعض التماثيل الصلصالية

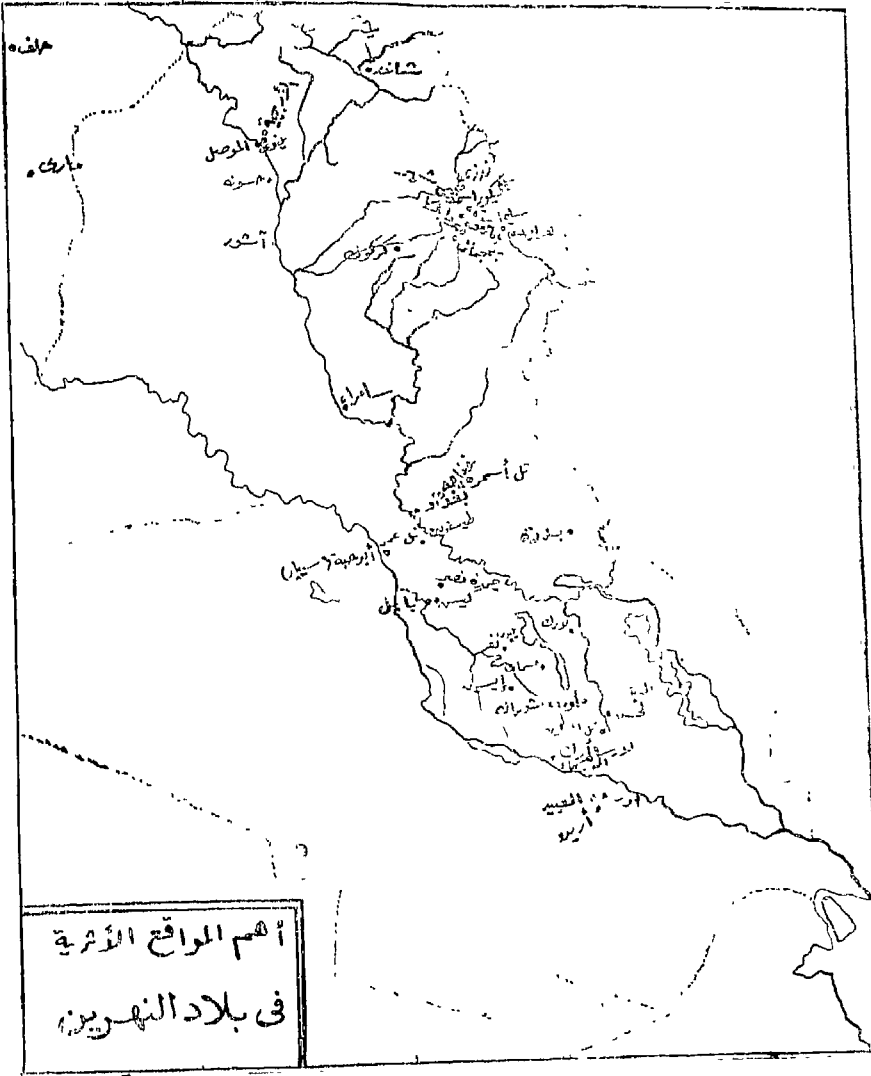
التي تشمل بعض الحيوانات وآلهة الامومة ، كذلك عثر فيها على مناجل فخارية وبقايا بعض الجيوب مما يوحى بتوصل أهل هذه الحضارة للزراعة ، كما وجدت لديهم بعض الأدوات والأواني الحجرية - وتدل بقايا الحيوانات التي عثر عليها على أنهم استأنسوا الأغنام والماعز والبقر والخنازير وأنواع صغيرة من الخيول ومن المحتمل أن تكون حضارة جرمو حضارة قائمة بذاتها حيث يظن أن بينها وبين كريم شهر فجوة حضارية أخرى ، وقد يرى البعض أن حضارة جرمو تعاصر حضارة الفيوم ولكن - نظرا لأن الفيوم أصبح يشك في أنها معاصرة لحضارة نقادة الأولى (١) التي تعد من عصر بداية استعمال المعادن بينما ترجع حضارة جرمو إلى العصر الحجري الحديث - فإن من العسير الأخذ بهذا الرأي .

حضارة حسونة

يبدو أن حياة الاستقرار بالمعنى الصحيح أخذت تثبت دعائمها ابتداء من عصر هذه الحضارة التي ترجع إلى الألف السادس قبل الميلاد تقريبا ، ومع أن أهلها كانوا يعيشون في بداية الأمر في بيوت من الشعر (١) إلا أنهم اتخذوا بيوتاً بسيطة من الطين فيما بعد - وقد وصلوا إلى مرحلة لا بأس بها من التقدم والرقى إذ تتميز حضارتهم بنوع من الفخار

(١) أنظر أعلاه ص ٥٣، ٥٤

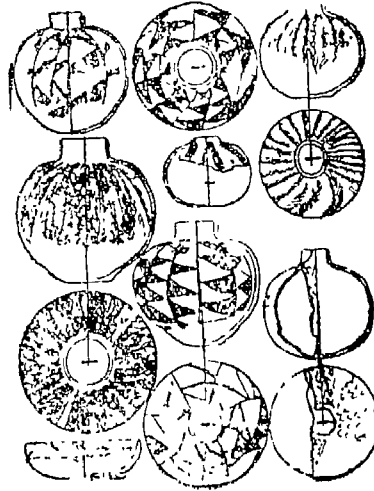
(١) طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ج ١ (بغداد سنة ١٩٥٥) ص ٦٠



خريطة رقم ٥

المزين بالتمقوش والاصباغ (شكل ٢٣) ، انتشر استعماله في المناطق الممتدة إلى البحر المتوسط ،

وتدل آثار حضارة حسونة على أن أهلها كانوا زراعا وأنهم استأنسوا الأغنام والماعز - ولم يمكن التوصل حتى الآن إلى الجنس الذي كان مسؤولا عن هذه الحضارة رغم العثور على جثث أطفال دفنت في أواني فخارية كبيرة .



شكل (٢٨) أواني من حسونة

حضارة سامراء :

عثر في هذه الحضارة على أواني فخارية مزينة بنقوش هندسية وحيوانات وأشخاص ، وهي تؤرخ بأواخر الألف السادس قبل الميلاد ، وتدل الآثار التي وجدت بها على وجود علاقات بينها وبين أرمينيا وبلاد العرب بدليل وجود بعض المصنوعات التي استخدمت فيها مواد تنتمي أصلا إلى هذه الجهات .

عصر بداية استخدام المعادن (١)

حضارة حلف

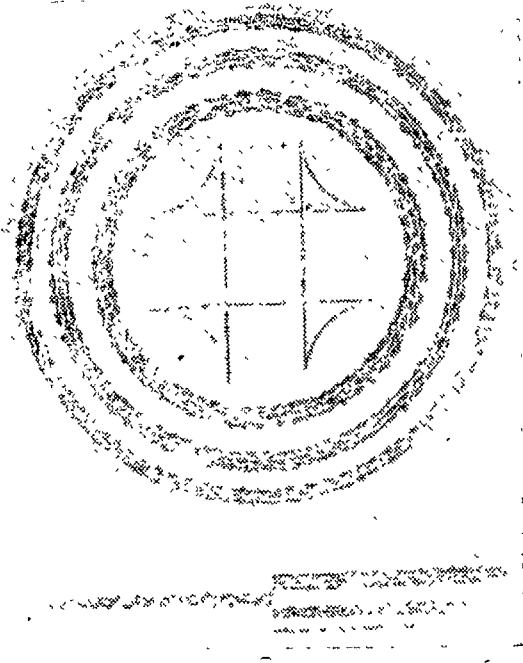
يختلف المؤرخون في أصل هذه الحضارة التي تعد أول عمود ما قبل الأسرات في العراق ، وقد وجدت آثارها في جهات مختلفة تمتد غربا إلى منطقة العمق في سوريا كما وجدت شمالا في الأريجية قرب الموصل .

وتتميز هذه الحضارة بأواني فخارية لمصقولة رقيقة الجدران ، كان الواحد منها يلون بمعدة ألوان زاهية جميلة (شكل ٢٩) ، وتعتمد الخزاف التي زينت بها هذه الأواني من أحسن ما خلفه الإنسان القديم على الفخار ، كما تتميز هذه الحضارة أيضا ببده استخدام النحاس وزيادة القرى عنها في العصر السابق - وتدل الآثار التي اكتشفت في الأريجية على أن القرية كانت شوارعها مبلطة بالحجارة وأنها كانت محاطة بسور ووجدت بها بعض المباني العامة والمعابد كانت بين آثارها تماثيل صغيرة تمثل آلهة الأمم مما يدل على تقدم الحياة الاجتماعية والدينية .

وليس من الغريب أن تنسب هذه الحضارة إلى حلف التي تقع في الإقليم السوري وتخرج عن نطاق العراق فقد وجدت آثارها في أماكن متفرقة من سوريا مثل رأس شمرة (أوجاريت القديمة) إلى جانب وجودها في بعض جهات العراق

(١) أطلق على هذا العصر في العراق أيضا اسم ما قبل الأسرات شأنه في ذلك شأن مصر أطر أعلاه ص ٥٦ وما بعدها .

هذا ويلاحظ بأن كل الحضارات من أقدم العصور إلى عصر حضارة حلف ليست ممثلة في جنوب العراق بما يرجح أن هذا الإقليم لم يكن صالحا للسكنى حتى قيام هذه الحضارة .



شكل ٢٩ إناء من الأرابجية

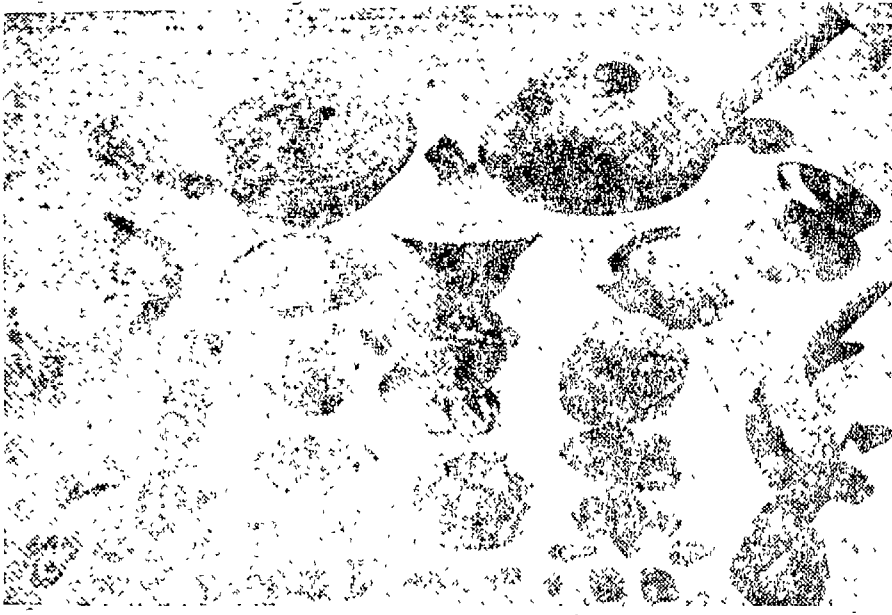
حضارة العميد :

يبدو أن الإقليم الجنوبي من العراق أخذ يصلح للسكنى ابتداء من عصر هذه الحضارة ، وكان اختلاف ظروف البيئة في الجنوب والشمال خلال هذا العصر سببا في وجود بعض الاختلافات في مظاهر الحضارة التي سادت في هذين القسمين ، ويذكرنا ذلك بما حدث من تخصص إقليمى أثناء العصر الحجري الحديث في مصر وهو يدعونا إلى التمييز بين حضارة العميد الشمالية وحضارة العميد الجنوبية .

فحضارة العبيد الشمالية تتميز بالفخار الملون والتماثيل الطينية الصغيرة والأواني الحجرية والأدوات العظمية ، كما عثر في إحدى المناطق التي تنتمي لهذه الحضارة (وهي تبة جورا) على مجموعة من المباني الهامة (معابد ومنازل) استخدم الآجر في بعض أبنيتها ولم يستعمل الحجر في ذلك إلا نادرا ، وقد عثر على مقابر الأطفال في طبقات المنطقة بينهما كان البالغون يدفنون في جبانات أخرى على السفح عند أسفل التل وكانت المقابر أحيانا تغطي بالحصير .

أما حضارة العبيد الجنوبية فتعتبر أقدم حضارة ظهرت في هذا الجزء من العراق حيث أن مخلفاتها تستقر على الأرض البكر ، ومن أهم مواقعها تل أبو شهرين (أريدو) وأور وقلعة الحاج محمد (قرب الوركاء) ، ومن أهم ما يميزها الفخار الملون بلون يميل إلى الخضرة والحرة أو اللون البني والرسوم التي تزينه ملونة بألوان مائية سوداء وهي تمثل أشكالاً هندسية (شكل ٣٠) مما يذكرنا بحضارة نقادة الأولى في مصر - وقد عثر كذلك على تماثيل طينية وأدوات وأواني حجرية وبعض المناجل التي على شكل الهلال - هذا وقد عثر على آثار مجموعة من المعابد يتضح منها أن عمارة المباني ذات المداخل والمخارج التي على أبعاد منتظمة تأخذ في الظهور منذ هذا العصر ، وهذا الطراز يبدو بصورة واضحة في مقابر العهد الآسرتين الأولى والثانية في مصر - ويبدو أن حضارة العبيد على العموم جاءت عن طريق إيران إلى جنوب العراق ومنه انتشرت إلى الشمال ، ومنذ ذلك الحين أحرز جنوب العراق قصب السبق في ميدان الحضارة ، فبينما توصل أهل الجنوب في حضارة الوركاء التالية إلى بداية الكتابة ظل أهل

الشمال يجهلونها وعندما بدأ هؤلاء يستخدمونها كان أهل الجنوب (سومر)
قد دخلوا عصرهم التاريخي (١).



شكل ٣٠ - أواني فخارية من أريدو « حضارة العبيد »

« حضارة الوركاء » :

تتمثل هذه الحضارة في بضعة مواقع لم يعثر فيها على مقابر إلا في
موقعي أور وخفاجة شرق بغداد حيث عثر على بضعة مقابر صغيرة -
وقد عثر في الوركاء على برج مدرج من اللبن عرف باسم الزقورات (٢)

(١) Georges Roux, Ancient Iraq, (Pelican A 828), p. 81

(٢) عن الزقورات أنظر :

Andre', Parrot Ziggurats et Tour de Babel, Paris 1949

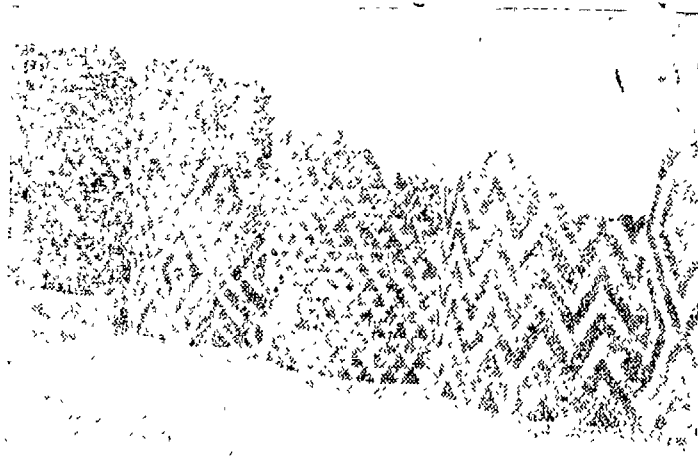
على جانبي درجه معبد أو معبدان يعرفان باسم المعبد الأرضي أو السفلي ويحيط الزاوية والمعبد الأرضي ساحة كبيرة بها حجر متعددة ويحيط بالجميع سور ضخم كما وجدت بالمدينة معابد أخرى منها معبد إى - أنا (إله السماء التي عرفت فيما بعد باسم الالهة عشترار) وهو يتوسط القسم الشرقي من المدينة ومعبد جميل شيد لعبادة الاله أنو (إله السماء) في القسم الغربي من المدينة وقد عرف باسم المعبد الأبيض لوجود طلاء من الجص على جدرانه .

وتتميز هذه الحضارة وجود أقدم أمثلة النحت في السطوح المستوية ونحت كتل الأجسام (نحت التماثيل أو النحت المستدير) ، هذا فضلا عما عثر عليه من آثار تدل على تطور في الصناعة مثل الأواني الحجرية والاختتام الأسطوانية وأدوات الزينة وتمثل في هذه الحضارة كذلك أقدم محاولات الكتابة ، وهي كتابة بدائية استعملت فيها الصور لتدل على معاني وكانت تكتب بقلم معدني ذو طرف مدبب على لوحة من الطمي قبل أن تجف ، وامتازت هذه الحضارة أيضا بنوع من الفخار الأملس المصبوغ بالأحمر واليرتقالي كما أن المباني كانت تزخرف بقطع صغيرة من الفخار أو الحجر الملون وهذه القطع كانت مخروطية الشكل وتثبت في الجدران المبنية باللبن في صفوف بحيث تبدو كأنها فسيفساء (شكل ٣١) .

حضارة جومدة مصر :

آخر مرحلة سابقة للمصر التاريخي وقد استطاع الإنسان فيها أن يصل إلى مرحلة متقدمة في الفن والكتابة حيث نجد أمثلة متفوقة في العبارة ذات

الفجوات التي على أبعاد منتظمة - وتطورت فيها صناعة الاواني الحجرية والفخارية وزخرفتها كما أن الرموز التي استعملت للتعبير بالكتابة تعددت



شكل ٣١ أعمد مغطاة بالموزاييك المخروطي الشكل في أوروك (الوركاء)

وبسطت حتى أصبح من الميسور أن يعبر بها عن أغراض أكثر من ذي قبل ، على أن أهم موضوعات الكتابة التي عثر عليها في هذه المرحلة كانت تتصل بحسابات مختلفة منها ما يتعلق بالمعابد ، وهذا يدل على مدى ارتباط النواحي الاقتصادية بتطور الكتابة كما أنه يعتبر تمهيدا للعصر التاريخي ويمكن القول بأن التوصل للكتابة قد ساعد على تنظيم النواحي الاقتصادية بل والسياسية والاجتماعية كذلك - على أنه يجب أن لا يغيب عن الذهن ما نلاحظه من اختلاف في ظروف البيئة بين مصر وبلاد النهرين

حيث أنها في الأولى قد ساعدت على توحيد كل من مصر السفلى والعليا قبل ظهور الكتابة بزمن طويل أى أن سهولة الاتصال بين الجماعات التي عاشت فيها قد مكنت من تعاونهم واتحادهم فاضموا تحت لواء هاتين الوحدتين الكبيرتين ، أما في الحالة الثانية (بيئة بلاد النهرين) فقد كانت صعوبة الاتصال نسبيا سببا في تكوين عدد من المدن تحكم كلا منها حكومة معينة - ويرى البعض أن بلاد النهرين توصلت منذ نهاية عصر التمهيد للكتابة إلى إيجاد نوع من الحكم الديمقراطي إذ فرضت ظروف البيئة (التي كانت عرضة للكثير من الفيضانات والأعاصير وإغارات الشعوب المجاورة) نوعا من التنظيم الاجتماعى وذلك لمواجهة خطر مشترك أو للرغبة فى نفع مشترك كالتحكم فى مياه الأنهار واستغلالها وتحالف بعض المدن ضد القوى المعادية التي تهدد كيانها .

وكان التوصل إلى بعض مظاهر الحضارة فى كل من مصر والعراق لإحداها قبل الأخرى بما جعل الأثريين والمؤرخين يختلفون فيما بينهم على أى الدولتين كانت أسبق من الأخرى فى ميدان الحضارة ولكن لم يمكن حتى الآن لإثبات أسبقية حضارة إحداها بصفة مؤكدة ، كما أنه لا يوجد من الأدلة القاطعة ما يكفى لإثبات أن الحضارة قد انتقلت من إحداها إلى الأخرى وخاصة فى تلك المراحل السحيقة فى القدم .

العصر التاريخي

يعد العصر التاريخي في مصر تاريخ وحدة سياسية لانه بدأ في أنحائها المختلفة منذ أن اكتملت وحدتها السياسية تقريبا - أما في بلاد النهرين فإنه أبعد من أن يمثل تاريخ وحدة سياسية لانه لم يبدأ في جميع أرجائها في وقت واحد نظرا لاختلاف ظروف البيئة في أقسامها المختلفة ولاختلاف الألفوام التي عاشت فيها ، ولذا ينقسم هذا العصر إلى أقسام يتميز كل منها بتغيرات سياسية هامة تصاحبها أحيانا تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية .

وأول هذه الأقسام هو الذي يطلق عليه اسم العصر قبل السرجوني أو عصر فجر السلالات إذ أنه يشمل جزءا من الألف الثالث وينتهي بغزو الملك السامى سرجون الأول ملك أكاد لبلاد سومر حوالي سنة ٢٤٠٠ ق م - وقد سبق أن أشرنا إلى أن النسم الجنوبي من بلاد النهرين بدأ عصره التاريخي قبل قسمها الشمالي (١) ، ولما كان ذلك القسم قد عرف باسم سومر (٢) فإن من الممكن القول بأن السومريين هم الذين بدأوا العصر التاريخي في بلاد النهرين .

(١) أنظر أملاء ص ٣٤٠

(٢) طور « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » جزء (١) (بشاد ١٩٥٥)

ص ٨٩ وما بعدها .

١ - السومريون

اختلف المؤرخون في أصل هؤلاء السومريين إذ لم يمكن إرجاع لغتهم إلى عائلة اللغات السامية أو إلى عائلة اللغات الهندو أوروبية ، ولذا فإن فريقا من الباحثين يرى بأنهم جاءوا أصلا من مكان في شرق بلاد النهرين أو جنوبها الشرقي ، ويرى فريق آخر بأنهم جاءوا عن طريق البحر وأنهم من نفس الجنس الذي وصل إلى مصر في عصر ما قبل الأسرات ، بينما يرى فريق ثالث أنهم نشأوا نشأة محلية وتطورت حضارتهم محليا أى أنهم لم يكونوا من الأجنبيات .

وإذا ما تتبعنا الأساطير السومرية لوجدنا أن السومريين اعتقدوا بأن الآلهة خلقت البشر ليقرموا على خدمتهم وأن الإنسان في حاجة إلى من يرعاه من الحكام الذين يختارهم الآلهة لتدعيم قوانينها المقدسة ، وفي عصر سحيق أنزل التاج وعرش الملكية من السماء - ومنذ ذلك الوقت سيطرت سلسلة من الحكام على مصائر أهل سومر نيابة عن الآلهة وهم يعملون لصالحها في نفس الوقت ، فالملوك على هذا النحو كانوا يتمتعون بالقدسية منذ أقدم العصور وإن كان بعض الباحثين يعتقدون بأن نظام الحكم في سومر كان يمثل ديموقراطية بدائية حيث كانت طائفة من المدنيين تختار - عند الأزمات - زعيم المحاربين « لوجال » لتسولي شئون الدولة ويستدلون على ذلك بما يتمثل في أسطورة الخلق حيث تشير إلى أن الآلهة

اختارت « مردوخ » كى يقضى على « تياما » (١) - ورغم أن تاريخ السومريين غير واضح في معظمه إلا أن ما وصلنا من نصوص تاريخية وما أسفرت عنه البحوث الأثرية تدل على أنهم كانوا في عصر فجر السلالات يعيشون في عدد من المدن المستقلة تحاول كل منها فرض سيادتها على المدن الأخرى ولكن لا يوجد من النصوص التاريخية ما يدل دلالة قاطعة على أن دويلات المدن كانت تحكمها هيئات جماعية بل ولا نجد في تاريخ هذه المدن إلا أحكام أو ملوك كانوا يتلون الآلهة في المرتبة .

وقد وصلتنا بضعة وثائق تحتوى على أسماء الملوك الذين حكموا في هذه المدن ومدة حكمهم ، وقد وردت السلالات الحاكمة في المدن المختلفة متتالية الواحدة بعد الأخرى رغم أن بعضها على الأقل كان يعاصر البعض الآخر ، وقد اتفقت هذه الوثائق في الإشارة إلى حدوث فيضان كبير أو طوفان « أهلك الحرث والنسل » يحاول كثير من الباحثين الربط بينه وبين الطوفان المشار إليه في السكيب السماوية - كذلك تفصل هذه الوثائق بين الملوك الذين حكموا قبل الطوفان وأولئك الذين حكموا من بعده - وقد أمكن التوصل إلى قائمة بملوك سومر جمعت من ١٥ وثيقة مختلفة من تلك الوثائق (٢) وهى تمدنا بهيكل تاريخى لسومر منذ أقدم العصور

(١) « مردوخ » هو أبو الآلهة عند البابليين ويمثله لدى السومريين « إنليل »

إله الجو والهواء — أما « تيامات » فهى إلهة الماء المالح وكانت تريد إهلاك أبنائها

Th. Jacobsen, The Sumerian King List. 1939

(٢)

إلى (القرن ١٨ ق م) وقت كتابة هذه الوثائق .

وهذه القائمة تشير إلى الأبطال الذين عاشوا في العصر الأسطوري لسور فتذكر بأن الملاكية هبطت من السماء إلى مدينة أريدو أولا حيث حكم فيها ملكان لمدة لا تقل عن ٦٤,٨٠٠ سنة وانتقلت بعد ذلك إلى بادتيرا (تل المداين قرب تلو) حيث حكم ثلاثة ملوك منهم الإله تموز (إله الإنبات) لمدة ١٠٨,٠٠٠ سنة ومنها إلى لارك (قرب كوت العمارة) حيث حكم ملك واحد لمدة ٢٨,٨٠٠ سنة ثم إلى سنبار (أبو حبة) حيث حكم ملك واحد لمدة ٢١,٠٠٠ سنة ثم إلى شوروباك (تل فرا) حيث حكم ملك واحد لمدة ١٨,٦٠٠ سنة وبعدها جاء الفيضان .

وبعد زوال الفيضان هبطت الملاكية ثانية من السماء إلى كيش (شرق بابل) حيث تكونت فيها السلالة الأولى من ٢٢ ملكا حكموا بمعدل ١٠٠٠ سنة للواحد منهم ، ومن الملاحظ أن من بين هؤلاء الملوك ١٢ ملكا أساؤهم سامية ، ٦ أساؤهم سومرية ويرى بعض المؤرخين أن ماورد عن هذه الأسرة ليس بأكمله أسطوريا بل بعضه تاريخي - كذلك تذكر هذه القائمة أن آخر ملوك كيش « أجا » هزم على يد أول ملوك أسرة الوركاء ولكن مصادر أخرى تدلنا على أن الأسرتين كانتا متعاصرتين فترة طويلة وأن « أجا » المشار إليه كان يعاصر خامس ملوك الوركاء « جاجامش » الذي قضى على مملكة كيش - كذلك يستدل من هذه المصادر على أن الوركاء كانت على علاقة مع آراتا (التي يحتمل أنها كانت غرب إيران أو في عيلام) وان جماعات مارتو (الاموريين في سوريا حاصروها واستولوا على الحكم في بلاد النهرين .

ومن العسير التوصل إلى بداية العصر التاريخي نظرا لأن قائمة ملوك سومر تذكر أرقاما خيالية لمدة حكم الملوك فلا نعرف منها متى انتهى العصر الأسطوري ومتى بدأ العصر التاريخي ، وما يزيد الأمر صعوبة أن بعض البحوث الأثرية أسفرت عن الكشف عن أسماء عدد من الملوك الذين حكموا في مدينة لجش ولم يذكروا في القائمة وقد أمكن وضع مجمل تاريخي لهذه المدينة من الألف الثالث ق م إلى سنة ٢٠٠٠ ق م تقريبا ولكن ربما كان ذلك لأنهم لم يحكموا سومر كلها - وهما كان الأمر فإن العثود على نصوص تاريخية للملوك من الذين ذكروا في قائمة ملوك سومر يدل دلالة قاطعة على أن هؤلاء الملوك عاشوا بالفعل وأن أقدم النصوص يرجع إلى أسبق الملوك في ترتيبه الزمني .

ففي المتحف العراقي قطعة من المرمر مجهولة المصدر كتب عليها « دى - براج - سى ، ملك كيش وأممكن اثبات أن هذا الملك هو « إن - سى - براج - سى ، (١) الملك الثانى والعشرين من أسرة كيش الأولى الذى كان يعتبر أسطوريا وهو والد « أجا ، الذى حارب ضد جلجامش خامس ملوك الوركاه - كما أن قطعة رخامية أخرى عثر عليها فى أور كتب عليها أن الملك « إى - أنى - بدا ، بن « مس - أنى - بدا » بنى مهبدا للإلهة « ن - هورساج ، (وهى الإلهة الام وتقابل إينانا التى عرفت باسم عشتار لدى الساميين) - ولم يكن « إى - أنى - بدا ، معروفا ولكن

(١) لفظ « إن » يدل على أداة يمكن حذفها - أنظر

سامية إلا أن الآثار التي عثر عليها كانت سومرية الطابع وقد وجدت آثار شبيهة بها كذلك في أشنونا (تل أسمر) في وادي دباله .

وقد عثر في بعض مقابر الجبانة الملكية في أور على ما يثبت دفن الضحايا البشرية مع المتوفى ، والظاهر أن ذلك يرجع إلى الاعتقاد بأن هؤلاء المتوفين كانوا من الآلهة سواء في ذلك الملك أو الملكة فلم يكن هناك من فاصل بين الملك ورئاسة الكهنة - ثم أخذت هذه العادة في الاختفاء بعد أن تم الفصل بين العرش والمعبد كما يستدل على ذلك من أن «أينتمينا، حاكم لجش (سنة ٢٥٠٠ ق.م) لم يكن كاهنًا الأعظم إذ عثر على آنية فضية عثر عليها دونت عليها عبارة تفيد أن «دودو» كان كاهن «نجرسو» إله لجش ، ويبدو أن النزاع قد أشتد بعد ذلك بنحو مائة عام بين الملك والكهنة حيث ظهر ذلك في عهد أوركاجينا آخر ملوك لجش ، ولم يستمر هذا النزاع طويلًا لأن لجش وسومر كلهما خضعت لغير السومريين بعد ذلك .

عصر فترات الأسرات :

كما سبق يتبين لنا أن عدداً من الحكام المحليين كانوا متعاصرين ، وأن أسرة كيش الأولى كانت صاحبة السيادة إذ تشير قائمة الملوك السومرية إلى أن الملكية هبطت إليها بعد الفيضان وعلى ذلك أصبح لقب «ملك كيش» يعادل على الأرجح لقب «ملك سومر» - وقد أشرنا إلى أن ملكها «إن - سي - براج - سي» حكم حوالي سنة ٢٧٠٠ ق م ، وتدل الشواهد الأثرية على أنه بنى معبداً للإله إنليل في نيبور مما جعلها تعتبر عاصمة

والده يعد في قائمة ملوك سومر مؤسس الأسرة الأولى في أور التي تلت أسرة الوركاء الأولى في هذه القائمة ، وقد أمكن اثبات أن هذا الملك الأخير كان يعاصر جلجامش - ومن كل ذلك نستنتج بأن أقدم حاكم سومرى معروف لنا هو د إن - م - براج - سى ، ، وإذا ما اعتبرنا أن سرجون الأكدي عاش في الفترة ٢٣٧١ - ٢٣١٦ ق م فان من الممكن تقدير تاريخ حكم د إن - م - براج - سى ، بحوالى سنة ٢٧٠٠ ق م كما يمكن إعتبار ذلك التاريخ بداية للعصر التاريخى في بلاد النهرين (١).

ومع أن أحد الكهنة البابليين ويدعى برعوشو (Berossus) وكان يعيش في عهد أنتيوخوس الأول (سوتير ٢٨٠ - ٢٦١ ق م) وضع تاريخا لبلاد في ثلاثة أجزاء فان ما وصلنا من تاريخه عن طريق مؤرخى اليونان لا يعدو جزءا ضئيلا لا يلقى كثيرا من الضوء عن تاريخ هؤلاء السومريين ، كذلك لا تذكر النصوص الأدبية التي ترجع إلى عصر فجر الأسرات إلا ١٣ مدينة هي من الشمال إلى الجنوب : سيار ، كيش ، أكشاك ، لاراك ، آداب ، أوما ، لجش ، بادتيبرا ، أورك ، لارسا ، أور ، أريدو بينما أسفرت البحوث الأثرية عن وجود مدن هامة أخرى في أجزاء بعيدة من بلاد النهرين كانت تحت تأثير سومرى قسوى ومن هذه آشور (قلعة شرقاط) على نهر دجله وارى (تل الحريرى) على نهر الفرات ، ومع أن الأسماء المدونة في نقوشها المحلية تدل على أنهما في قلب منطقة

G. Roux, op. cit., pp. 119 - 120

(١)

سومر الدينية وأصبح ملوك وحكام مختلف المدن يتبارون في إرسال الهدايا لمعبدها، وبالتالي أصبح من الضروري أن يتم اختيار الحكام بواسطة الإله لأنليل في نيبور إذا ما أرادوا أن يعترف بهم الامراء الآخريين كسلطينهم وأصبح امتلاك نيبور لا مناص منه للسيادة على سومر، وأصحاب نظرية الديمقراطية البدائية يميلون إلى أن السومريين في عصر الاسرات الباكر كانوا يرسلون إلى نيبور (عندما يهدد سومر غزو أجنبي) مندوبين من كل دويلات المدن لاختيار قائد عام للحرب - فاختيار أنليل لمن يصبح صاحب السلطان المطاق في البلاد هو المظهر الباقي لهذا الاجراء القديم ولكن وجود مثل هذا التعصب لنيبور أمر افتراضى بحث وربما كان للعوامل الاقتصادية أثرها كذلك حيث كانت كيش ونيبور تقعان فيهما بين دجلة والفرات وتمكها في طريق البرونز الذى يصل من الأناضول وأرمينيا وأذربيجان إلى جنوب العراق - وربما لم تصبح نيبور عاصمة سياسية اكتفاء بمركزها الدينى مثل هليوبوليس في مصر.

وتشير الأساطير السومرية والبابلية إلى جلجامش ونصف أعماله الخارقة وحكته البالغة وأسفاره البعيدة جريا وراء الخلود وإلى أنه بنى أسوار الوركاه ومعبدها المقدس كما أنها تذكر ما حدث في عهده من طوفان عظيم يحاول الباحثون توحيداه بطوفان نوح في الكتب السماوية - وقد سبق أن ذكرنا بأنه هو الذى قضى على مملكة كيش (١).

ومن المرجح أن أسرة أور الأولى خلفت أسرة كيش في السيادة لأن مؤسسها «مس - أنى - بدا» ذكر على ختم عثر عليه في أور باعتباره «ملك كيش» كما أن ولديه من بعده امتلكا نيبور لأنها قاما بترميم معبدها - ومن الآثار التي عثر عليها في جبانة أور نيتين مقدار ثراء هذه المدينة وعظمة أسرتها الحاكمة حيث عثر على بعض مقابرها الغنية التي حوت كثيرا من الاثاث الثمين والتحف النادرة ومن أهم هذه المقابر مقبرة «بو - آبي» التي كانت تعرف فيما سبق باسم «شب - عاد» (١) التي حوت بالإضافة إلى حلى هذه السيدة كأسا ذهبية وغطاء للرأس في حالة جيدة وقيثارة ذهبية تعد من آيات الفن القديم ، وقد دفن مع صاحبة المقبرة عدد من الاتباع أحياء - ومن بين الآثار التي عثر عليها في إحدى مقابر أور لوحة خشبية مطعمة بالصدف نقوشها تمثل الحاكم (أو الملك) وهو يستعرض عددا من الجنود والأسرى ، فضلا عن ذلك فإن آثار هذه المدينة تؤيد ما ذهبنا اليه من أنها كانت تنعم بالرخاء والرفاهية إلا أن هذه الحال فيما يبدو لم تدم طويلا فبعد نحو قرن فقدت أهميتها لأن القبائل العيلامية التي كانت تسكن الجبال الشرقية من بلاد النهرين كانت تغير عليها إلى أن تمسكت أسرتنا أوان وجمازى الأجنيتان (وهما من عيلام) أن تفرضوا سلطانها عليها وعلى جزء من سومر على الأقل - ولم يكن هذا هو أول دور في سلسلة الحروب الطويلة بين بلاد النهرين وعيلام التي استمرت منذ ذلك التاريخ لمدة ألفي سنة - ومن أهم مسد

عصر فجر السلالات مدينة لجش، وليس هذا لأن آثارها أودتنا بنصوص تاريخية أكثر من أى مدينة أخرى فقط بل لأن أحد حكامها سيلعب دورا هاما أيضا فى بلاد سادتها الفوضى بعد الغزو الأجنبي - إذ أن «إياناثم» (حوالى سنة ٢٥٥٠ ق.م) كان مثل جده «أورنانشه» حاكم لجش بناء عظيمًا للمعابد وشق القنوات، وقد جعلته الظروف أيضاً محاربا عظيما فخلص السومريين من قبضة العيلاميين وأمن حدوده الشرقية بإخضاع عدة مدن عيلامية على الحدود إن لم يكن كلها كما ادعى، وقهر أور وأورك و وأضاف مملكة كيش إلى إمارة لجش، ولكن الحرب التي جاءت معلومات هامة عنها هي الحرب المحلية ضد أوما على بعد ١٨ ميلا شرق لجش حيث كان التنافس بينهما على أشده من أجل منطقة زراعية تدعى «جو ليدن» تقع على الحدود بين المدينتين وكل منهما كانت تدعى ملكيتها، فقبل «إياناثم» بعدة أجيال توسط ملك فى كيش يدعى ميسيلم (١) بين الدولتين ووضع لوحة له كحدود فاصلة بينهما وانتهى القتال بمعاهدة سلمية وثبت ملك لجش حدوده مع إيناكالى أمير أوما وأعاد لوحة ميسيلم إلى مكانها وفرض ضريبة ضخمة من الشعير على أوما.

وقد بين إياناثم انتصاره على أوما فى لوحة تعرف باسم لوحة النسر وفى نهاية عهده حارب ضد ائتلاف من رجال كيش ومارى . يقوده «وزو» (أو أنزو) ملك أكشاك (٢) ومع أنه أعلن لا انتصاره إلا أنه لا شك فى أن هذه الحرب قد تسببت فى انهاء امبراطوريته الصغيرة التي كونها .

(١) ويحتمل توحيد مع « مس - أنى - بدا » حاكم أور
(٢) لم تعدد بالعدة بعد ويحتمل أنها تل عمر (سلوتيا) أمام طيسفون

والقرن الذى تلا إياناتم كان مضطربا - ويبدو أن د إن - شاكوش - انا ، ملك أورك و د لوجال أناموندا ، ملك أدا ب (بسايا الحالية ١٦ ميلا شمال تل فرا) احتلا على التوالى كيش ونيبور واعترف بهما ملوكا على سومر ولكن ملوك مارى كانوا يتحدون سيادتهما - وتذكر قائمة ملوك سومر أن ستة من ملوك مارى حكموا فى سومر لمدة ١٣٦ سنة وهذا الرقم مبالغ فيه ، كما أن حكم ملوك من هذه المدينة التى تبعد كثيرا فى الشمال الغربى لمنطقة جنوب العراق يدل على أن الفوضى سادت هذه المنطقة فى هذا العهد - وفى لجش اندلعت الحرب ثانية بين د اتمينا ، ابن أخ د إياناتم ، وبين أوما التى كان ملكها يعاونه د ملوك أجانب ، يحتمل أنهم ملوك مارى - وعلى ختمين اسطوانييين يوجد نص طويل يشير فيه د اتمينا ، إلى ما حدث فى الماضى من أنه قضى على قوات أوما وقاوم حاكمها د مخرب الحقول والوراعات ، الناطق بالسوء ، وحفر خندقا كحدود دائمة بين المدينتين المنافستين ، كذلك نعلم من مصادر أخرى أن د اتمينا ، أبرم معاهدة سلمية مع جاره القوى د لوجال - كينيش - دودو ، ملك أورك الذى وحد أورك وأور فى مملكة واحدة وانتهى حكمه فى سلام ورفاهية ولكن بعد سنوات قلائل تدهور الموقف ثانية فى لجش واستولى كهنة د ننجرسو ، (١) على الحكيم نحو عشرين عاما وزادوا فى مملكاتهم على حساب الآلهة وبعد ذلك أطاح بهم د أوروكاجينا ، (٢)

(١) معبود مدينة لجش

(٢) يمد أول مشروع فى تاريخ البشر ومن تفسيراته أخذ حامور ابى قانونه

الذي عرف باصلاحاته الاجتماعية ولكنه لم يحكم سوى ٨ سنوات ثم استطاع د لوجال زاجيزى ، حاكم أوما أن يستولى على لجش وأن يدمرها وبعدها استولى على أورك ونصب نفسه ملكا عليها ثم تقدم لغزو بقية سومر ونجح على ما يبدو فى ذلك حيث درن على إناء ندرى لإنليل هثر عليه فى نيبور أن غزواته شملت كل بلاد النهرين وسوريا .

ومن العسير الاعتقاد بأنه امتلك مثل هذه الامبراطورية ، ويحتمل أن ملك الوركاء تمكن من الحصول على اعتراف الساميين فى مارى بخضوعهم له أو الاتحاد معه وكان هؤلاء بدورهم لهم نفوذ على الساميين فى سوريا - وعلى أى حال لم تستمر امبراطورية لوجال زاجيزى أكثر من حكمه الذى استمر ٢٥ سنة حيث قضى عليه وعلى امبراطورية الأمير السامى سرجون ملك أكاد .

٢ - الساميون

فى عصر الأسرات الباكر تنافس حكام سومر على السيادة على نحو ١٢ مدينة وبضعة أميال مربعة من الأرض القابلة للزراعة التى يحدها البحر جنوبا وتنتهى عند كيش شمالا وكانت كل من مارى وآشور أجنبية بالنسبة لهم مثل عيلام - ولكن بعد سنة ٢٤٠٠ ق م بقليل غير الأمر الساميون فى وسط العراق من مجريات الأحداث ولم يسكتف سرجون وخلفاؤه بإخضاع دويلات المدن السومرية لهم بل غزوا كل حوض دجلة - الفرات وأجزاء أخرى من البلاد المجاورة كما أرسلوا بعثات فى الخليج العربى وكونوا أول امبراطورية عظيمة لبلاد النهرين - وقد استمرت هذه الامبراطورية نحو قرنين ثم قضت عليها قبائل جبال زاغروس والثورات الداخلية ولكنها

ضربت مثلاً لا يمحى عن إمكان وحدة بلاد النهرين ووصولها إلى حدودها الطبيعية التي أصبحت حلم كل الملوك بعد ذلك فمن منتصف الألف ٣ ق م إلى سقوط بابل سنة ٥٣٩ ق م يتمثل تاريخ العراق في محاولات هؤلاء الملوك لتحقيق هذا الغرض ومدى نجاحهم وفشلهم فيه .

ويختلف المؤرخون بشأن نشأة المملكة الآكدية فمنهم من يرى بأن وجود العنصر السامي في جنوب ووسط العراق يرجع إلى غزوة سامية حدثت في أوائل القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد وكانت مدينة كيش أهم مسرح لها وما أن استقر الأمر لهؤلاء الساميين حتى عملوا على توسيع رقعة سلطانتهم ونجحوا في ذلك حتى استطاعوا أن يغيروا مجرى التاريخ في العراق القديم ، ومن المؤرخين من يرى بأن الساميين كانوا بالعراق منذ أقدم العصور وقد عاشوا جنباً إلى جنب مع السومريين بدليل وجود أسماء سامية للملوك سلالة كيش الأولى ولكنهم كانوا دون شك يكونون غالبية السكان في شمال العراق ومهما كان الأمر فإن هذا العنصر السامي قد نجح إلى أبعد الحدود وتركز نشاطه في المنطقة الوسطى من بلاد النهرين وقد عرفت هذه المنطقة باسم أكد ولذا يطلق على الدولة التي أسسها سرجون فيها اسم الدولة الآكدية .

سرجون الأول :

يرجع بعض المؤرخين حكمه إلى الفترة ما بين ٢٣٧١-٢٣١٦ ق م بينما يرى البعض الآخر أنه أنشأ مملكة موحدة حوالي سنة ٢٣٥٠ ق م ولكنهم جميعاً يتفقون في أنه حكم نحواً من ٥٥ عاماً على أي حال - ونظراً لنجاحه الساحق فقد حيكت حول نشأته الأساطير وخاصة لأنه لم يكن في طفولته شخصية

معرفة ، ومن المحتمل أنه كان من غلمان قصر ملك كيش ثم تدرج في سلك الوظائف حتى أصبح ساقياً للملك « أور - زابا » ، (مالك ملوك أسرة كيش الرابعة) .

وبفضل ذكائه استطاع أن يصل إلى مركز سام جعله يستحوذ على السلطة وما لبث أن قضى على سيده وأعلن نفسه ملكاً على كيش ، ثم بدأ في الكفاح ضد لوجال زاجيزى ملك أوما الذى سبقته الإشارة إليه (١) وتمكن من الانتصار عليه ثم شيد مدينة أكد وأخذ في تدعيم ملكه حتى أنشأ الامبراطورية السامية الأولى ، إذ أنه بعد ان نجح في ثورته على سيده وانتصاره على لوجال زاجيزى اتجه نحو الشمال واستولى على مدينة مارى (تل الحريرى) ومنها اتجه نحو الشمال الشرقى إلى هضبة كركوك وأربيل وبعد ذلك عاد إلى جنوب العراق حيث نشر نفوذه على مدينة أور السومرية واستطاع أن يوحد العراق لأول مرة توحيداً ظل مستمراً فترة طويلة نسبياً - وبعد أن وطد نفوذه في الداخل استولى على منطقة عيلام الواقعة في جنوب غرب إيران (أى جنوب شرق العراق) وكانت عاصمتها سوسة ، وتذكر وثيقة من تل العمارنة (وهى مكتوبة في عصر متأخر عن عصر سرجون) بأنه عبر جبال طوروس إلى بلاد الأناضول وسيطر على جزء كبير منها ، ويؤكد ذلك ما ورد في بعض الوثائق التى عثر عليها في أطلال بوزاز كوى كما يحتل أنه وصل إلى جزيرة قبرص - وهكذا نجد أنه حكم إمبراطورية مترامية الأطراف ظل يحكمها نحو ٥٥ عاماً حتى حيكت حوله الأساطير وأصبح في نظر الأجيال المتأخرة إلهاً ، ومع هذا فقد أخذت نيران الثورة تشتعل ضده في جميع أنحاء الإمبراطورية قبل وفاته .

ومنذ عهد سرجون أخذت العناصر السامية تسيطر من الناحيتين السياسية والحضارية وقد بدأت اللغة الاكدية المكتوبة بالخط السامى تحتل مكانة رفيعة حتى أصبحت اللغة الدولية فى الشرق الأدنى القديم .

خلفاء سرجون

خلف سرجون ابنه د ريموش ، الذى اضطر للكفاح من أجل إعادة السلم فى مختلف أنحاء مملكته فقام بغزوات متلاحقة على كثير من أطرافها لكى يخمد الثورات فيها ، ولم يستمر فى الحكم طويلا بل ذهب ضحية مؤامرة فى السنة التاسعة من حكمه وخلفه أخوه د مانيشتوسو ، الذى استمر فى كفاحه من أجل الإبقاء على الإمبراطورية التى شيدها أبوه ولم يقتصر فى ذلك على سياسة الغزو بل قام بتحسين الأحوال الاقتصادية والشئون الداخلية فى البلاد وقد حكم خمسة عشر عاما ثم تبعه ابنه د نرام - سن Naram-sin ، الذى تمكن من إعادة الاستقرار إلى إمبراطوريته الواسعة على الرغم من محاولة السومريين تفكيكها وحدثها ، وقد حكم «نرام - سن» نحو من أربعين عاما بذل فيها جهده فى رفع شأن أمته حيث شجع الفنون على اختلافها وحرص على تشييد دور العبادة وتعميرها ، ومن أهم آثاره لوحة النصر وهى تمثل على رأس جيشه منتصرا على بعض القبائل الجبلية المعروفة باسم لولوبى Lulubi ، ومن آثاره كذلك لوحة حفرت فى جبل عال فى منطقة ديار بكر شمال العراق جاء فيها أنه هزم بلاد د ماجان ، التى تحوى محاجر الديوريت وقد استورد منها هذا الحجر ليصنع تماثالا لنفسه . وكان بعض المؤرخين يشك فى أن د ماجان هى مصر حيث أن النصوص البابلية كانت تشير إلى مصر باسم د مالوخا ، الغنية بالذهب

كما يشكون في أن «نرام-سن» هاجم مصر في أوائل عهد الأسرة السادسة ويستدلون على ذلك بأن ببي الأول كلف وزيره أونى بالدفاع عن مصر ضد غزوات قوية وجهت إليها في شمالها الشرقي ولكن أونى استطاع أن يهزم الغدم عند الحدود الشمالية الشرقية لمصر إلا أن هذا الرأي بعيد عن الصواب لأن ماجان كانت تطلق على منطقة عمان الواقعة جنوب شبه العرب وهى غنية بالحجر والنحاس .

وكان نرام سن آخر ملك قوى من الأكديين حيث تبعه في الحكم ولده «شاكاشرى» (وشار بالأكدية تعنى ملك) الذى كان ضعيفا لم يستطيع مجابهة الظروف حيث اندلعت الثورات فى أنحاء الامبراطورية وقامت الشعوب التى خضعت للأكديين تبغى لإعادة استقلالها ، كما انتهزت قبائل الجوتيين التى كانت تسكن فى الجبال الشمالية الشرقية فرصة الضعف الذى منيت به الامبراطورية وزحفت على السهول الخصبة فى بلاد النهرين وقضت على حكم الامبراطورية ، وكان من قسوتها فى حروبها أن ظل الناس فى الاجيال التالية يذكرون فظائهم لمدة طويلة ، وقد وصف أحد الكتاب القدامى ذلك بقوله « وحوش الجبال الذين فتكوا بالناس وسلبوا النساء من أزواجهن والاطفال من أمهاتهم والذين اغتصبوا الحكم وقضوا على (سومر) بعد أن حملوا كنوزها معهم إلى الجبال ،

وبعد أن استقر الامر لهؤلاء الغزاة فضلوا العودة إلى وطنهم فى الشمال مكثفين بفرض الجزية على أهل المدن السومرية ، وقد اتبموا فى حكمهم الأساليب التى استعملها الأكديون ولم يغيروا شيئا من النظم الحضارية فاستعملوا اللغة السومرية فى رسالتهم ومكاتباتهم وقد تفاخروا بتلقيب

أنفسهم بلقب « ملوك الجوتى وأركان العالم الأربعة » - ولم يصلنا عن حكمهم شيئاً اللهم إلا أسماء ملوكهم فقد ذكرت قائمة الملوك السومرية أسماء ٢١ ملكاً لهم ولكن خمسة فقط من هؤلاء هم الذين تركوا بعض النقوش ولم نعرف من النصوص التاريخية اللاحقة لبعدهم شيئاً عن الأحداث التاريخية في زمنهم ولكنها مع ذلك تصفهم بالتمسك الشديد .

وكان لبعدهم في الشمال وتركهم نصريف الأمور لأبناء البلاد الأصليين أثر في إتاحة الفرصة لهؤلاء كي يعيدوا مجد الحضارة السومرية وأن ينهضوا من جديد فظهرت في ميدان القوة بعض المدن السومرية وخاصة أور ولجش وغيرها - ولم يستمر حكم الجوتيين أكثر من ١١٠ عاماً تقريباً .

٣- عودة نفوذ السومريين (النهضة السومرية)

ظلت معظم المدن السومرية تحت حكم أسراتها الحاكمة وإن خضعت لسلطان الآكديين أو غيرهم ، وانتقل الحكم من أسرة إلى أخرى في المدن المختلفة وظهر فيها بعض الحكام الأقوياء بين حين وآخر .

ومن أشهر هؤلاء الحكام « أوتوحيجال » مؤسس أسرة الوركاء الخامسة الذي أعان الحرب على الجوتيين - وما أن بدأ كفاحه ضدهم حتى انضم إليه عدد من أمراء جنوب العراق فهزموا الجوتيين المسكرويين لدى الجميع وحاول ملكهم « تيرقان » الهرب ولكن قبض عليه وسلم لقائد السومريين ، ونهضت نيبور من جديد وأصبحت الوركاء على رأس دويلات المسدن

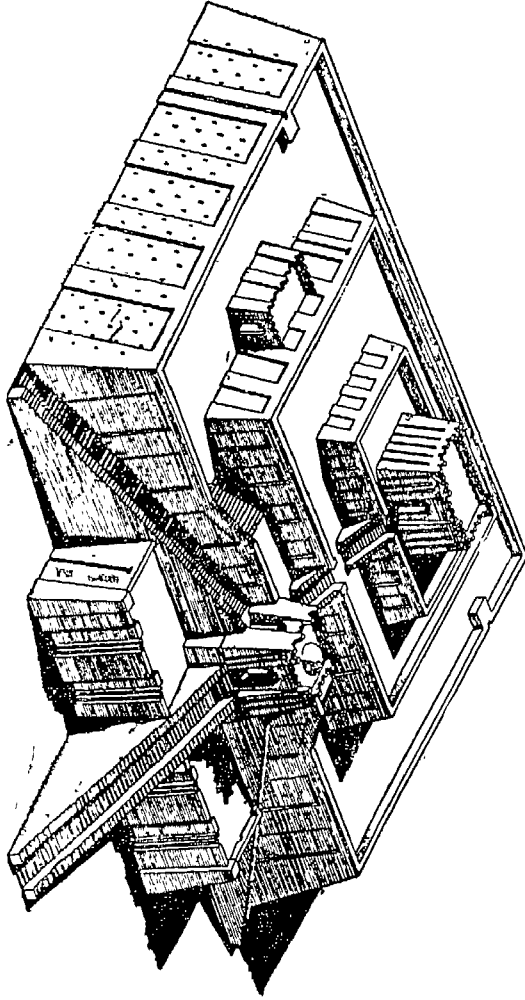
السومرية - إلا أن ذلك لم يستمر طويلاً لأن «أورنمو» مؤسس الأسرة الثالثة في أور سرعان ما أعلن الثورة على «أوتوحيجال»، وانتزع منه السيادة وأعلن نفسه ملكاً على دولة سومر.

وكان أورنمو Ur-Nummo، من قواده في أول الأمر ولكنه استطاع أن يبرز في أور وأن يمد نفوذه إلى ما وراء حدودها فضم عدداً من المدن تحت سلطانه وأعلن نفسه ملكاً في أور على دولة سومر وبذلك أسس أسرة أور الثالثة التي يعد عصرها «عصر أور الذهبي»، لما ظهر فيه من تقدم ورخاء.

وقد قام أورنمو بإصلاحات كبيرة فأعاد بناء ما تهدم من المعابد وأعاد حفر شبكة القنوات التي كانت تعتمد عليها ثروة البلاد، وقد عثر على نسخة من القانون الذي وضعه قبل قاقون حورابي بثلاثة قرون تقريباً ومن أهم الآثار التي تركها معبد أور المدرج المعروف باسم زقورات أور Ziggurat^(١) شكل وكان مبنيًا باللبن في درجات يعلو بعضها البعض تؤدي

(١) أراد البعض مقارنته بالهرم المدرج ومباني الهنود الحمر في المكسيك إلا أن الوظائف المخصصة لكل من هذه المباني تختلف عن وظائف الأخرى، فالهرم المدرج عبارة عن مقبرة ملكية أما زقورات أور ومباني الهنود الحمر المدرجة في المكسيك فهي عبارة عن مساكن - والجزء الأساسي من الهرم المدرج هو حجرة الدفن التي تقع تحت سطح الأرض بأسفل الهرم أما في زقورات أور ومعابد المكسيك فإن الجزء الأساسي هو الذي في أعلى البناء وهو الهيكل نفسه -- وربما كانت الدرجات التي تؤدي إلى أعلى البناء في زقورات أور تنطى بالطلح لزراعة بعض النباتات.

شکل ۲۲ - زاقورات اور



إلى الأماكن التي تعلق البناء - ، قد ترك لنا أورنمو نقوشاً تبينه وهو يتعبد في المعبد كما تبين بعض مناظر عملية بنائه - وكان جودية رابع أمير في أسرة لجش الثانية يعاصر « أورنمو ، أو خلفه « شولجي » ، وقد اشتهر هذا الأمير بأعماله العمرانية وتشجيع التجارة مع كثير من أقطار الشرق الأدنى مثل عيلام وسوريا والأناضول وقد عمل على رفاهية رعيته طوال مدة حكمه التي بلغت ثلاثين عاماً وكان تفانيه في خدمة الدين من الأسباب التي جعلته يترك آثار تفوق آثار غيره من أمراء المدن السومرية .

ولما مات أورنمو خلفه ولده « شولجي Chulgi » الذي سار على نهج والده في سياسة التعمير ولكنه اهتم بمدينة « أريدو » التي كانت على شاطئ البحر وكانت تعتبر مقراً للإله « إنكي » إله الماء والبحار - وقد عثر على بعض اللوحات في مدينة لجش أمكن منها معرفة الكثير عن النظام الإداري في عهده وتبين أن الحكومة المركزية في أور كانت تشرف إشرافاً تاماً على سائر شؤون الدولة وفي مختلف أرجائها ، وقد وصل نفوذه السياسي والحضاري إلى أمد بعيد حتى ليرى البعض أنه وصل إلى آسيا الصغرى وحوض البحر المتوسط ولكنه لا يوجد من الأدلة ما يكفي لإثبات ذلك .

ولما مات شولجي كان الرخاء والأمن سائدين ولذا لم يجد خلفاؤه ما يوجب بذل جهود ضخمة ، وكان هذا الرخاء في الواقع يحمل بين طياته نذير الاضمحلال

٤ - تنافس الاموريين والعيلاميين (سيادة مدينتي ايسين ولارسا)

يعد عهد سلالة أور الثالثة الذي دام أكثر من مائة عام نهاية حياة السومريين السياسية لأن هؤلاء اندمجوا بعد ذلك بالساميين ولم تحكم في أور بعدها أسرة سومرية خالصة - وقد قام آخر ملوكها (أبي - سن) وهو خامسهم ببناء سد لصد هجوم الاموريين وهم الشعب السامية التي عاشت واستفحل خطرها في منطقة مارى في حوض الفرات الأوسط .

ومن المعروف - حسب آخر ما كشف من الوثائق التاريخية - أن المدن التي كانت تحكمها أور أخذت تخرج عن سلطانها حتى السنة الحادية عشر من حكم «أبي - سين» ، وحينما رأى حاكم مارى من قبل ملك أور (وهو المدعو أشبي - ليرا) أن الاموريين يهددون مدينتي ايسين ونفر استنجد أول الامر بسيدته للدفاع ضد الاموريين ولكنه وجد بعد ذلك أن تدهور الاحوال داخل المملكة يشجعه على أن يستغل الفرصة لنفسه فقام بالدفاع عن مدينة ايسين لصالحه الشخصي ونجح في تكوين سلالة خاصة في هذه المدينة لإبتداء من السنة الثانية عشرة من حكم أبي سين .

وفي نفس الوقت تقريباً نجح العيلاميون في غزو العراق ودمروا أور - ويرى بعض الباحثين أن أبي سين لم يؤخذ أسيراً إلى عيلام بعد هذه الغزوة لأنه كان متحالفاً مع العيلاميين ضد الاموريين عندما اشتد ضغطهم على بلاده ومهما كان الامر فإن سيادة أور انتهت بذلك الغزو المزدوج الذي قام به الاموريون والعيلاميون ، وقد نتج عن هذا وجود أسرتين حاكمتين في العراق إحداهما في ايسين وهي التي أسسها «أشبي ليرا» والاخرى في لارسا ، وهذه يرجح أنها كانت خاضعة لنفوذ العيلاميين - وفي نفس الوقت

كان الاشوريون في الشمال قد بدأوا يـكـونون دولة مستقلة كما وجدت بعد فترة مملكة في بابل ينتمى ملوكها إلى أصل أمورى ومملكة أخرى عرفت باسم مملكة أشنونا (نلبة إلى العاصمة أشنونا وموقعها الآن تل أسمر) في حوض نهو دبالى ، وهكذا نجد أن بابل عادت بعد سيادة أور إلى نظام دويلات المدن ، وقد اصطاح المؤرخون على تسمية هذا العهد باسم العهد البابلي القديم ، وفي أثنائه كانت سلالة من الساميين الغربيين تحكم في مدينة مارى وكان بعض ملوكها يعاصرون الملك حامورابى .

وقد استمر النزاع بين أسرق إيسين ولارسا ولا تعرف عن حكمها سوى أن ملوك الأسرة الحاكمة فى إيسين قاموا بأعمال عمرانية فى أنحاء البلاد الخاضعة لهم ورعموا كثيرا بما خرب على أثر سقوط أسرة أور الثالثة - ومن أشهر ملوكهم « ايت عشتار » خامس ملوك الأسرة الذى عثر له على قانون مكتوب باللغة السومرية يعد من أحسن شرائع العالم القديم - وقد حكم فى إيسين ١٥ ملكا لمدة تقرب من ٢٢٥ سنة أما فى لارسا فقد حكم ١٤ ملكا مدة تقدر بنحو ٢٦٠ سنة ، وكان ملوك إيسين من الاموريين أما ملوك لارسا فمن البابليين الذين خضعوا لنفوذ العيلاميين وقد تدخل هؤلاء فى شئون البلاد وقضوا على آخر ملك فيها وعينوا بدلا منه ابن ملك عيلام فى مكانه ، ولما مات هذا الأخير عين أخوه (ريم سين) من بعده - وقد قضى هذا الأخير على الأسرة المنافسة فى إيسين وحكمها بنفسه - وفى هذه الأثناء كان حامورابى سادس ملوك الأسرة البابلية الأولى يحكم فى بابل ، وقد تمكن هذا الملك من أن يقضى على العيلاميين بعد حروب طاحنة - كذلك قضى على مملكة أشنونا وتم له ذلك فى السنة الثانية والثلاثين من حكمه كما استطاع أن يقضى على استقلال المملكة التى تكونت فى آشور وكان من أشهر ملوكها سرجون الاول (الاشورى) .

٥ - مملكة أشنونا

تعد مملكة أشنونا من دويلات المدن التي لعبت دورا هاما في تاريخ العراق فقد نشأت هذه الدولة التي كانت عاصمتها أشنونا (تل أسمر الحالية) منذ عصر فجرالأسرات ثم قضى على استقلالها سرجون الأكدي^(١) وبعدها خضعت لأسرة أور الثالثة^(٢) ، ولكنها استقلت بعد ذلك فترة طويلة دامت إلى السنة الثانية والثلاثين من حكم حمورابي الذي قضى على استقلالها في تلك السنة وضمها إلى امبراطوريته بعد أن ظلت قائمة نحو قرنين ونصف من الزمان وتوالى في حكمها نحو من عشرة ملوك ترك أحدهم (وهو على الأرجح « بلالاما ») قانونا يعد من أقدم قوانين العراق القديم إذ أنه يسبق قانون « لبت عشتار » بنحو نصف قرن وقد عثر على هذا القانون في تل حرمل^(٣) وليس في أشنونا نفسها .

وقد تدهورت مملكة أشنونا بعد « بلالاما » فترة بسبب إغارة ملك « دير »^(٤) عليها وهزيمتها أمام ملك كيش الذي حرماها من كثير من مملكتاتها ، ولكنها عادت إلى التوسع في عهد ملكها « ليبق - أدد الثاني » الذي يبدو أنه أراد الاستيلاء على حوض الدجلة وأرض الجزيرة العليا حتى سفوح كردستان وإنشاء جسره على نهر الفرات حتى يتحكم في طرق التجارة الآتية من الشمال والغرب ولكن هذا التوسع كان وقتيا وذهبت

(١) أنظر ص ٣٥٦ وما بعدها

(٢) أنظر ص ٣٦١

(٣) تل صغير بالقرب من بغداد وهو موقع « شادويوم » التي كانت المركز الإداري لمنطقة زراعبة في مملكة أشنونا .

(٤) في مكان « بدره » الحالية على بعد نحو ٦٥ ميلا شرق تل أسمر .

محاولات الملوك الاخيرين في المملكة من أجل الإبقاء على الاراضى التي امتلاكوها سدى لأن الممالك القوية التي نشأت في بابل ولارسا في الجنوب وآشور في الشمال ومارى في الغرب أحاطت بأشونونا ووقفت سداً منيعاً أمام أطماعها ثم استولى عليها الآشوريون في عهد ملكهم « شمش - أدد » ، ولم يبق الحال على ذلك طويلاً لأن ملك أشونونا (الذي يرجح أنه كان « دادوشا » ، ظل يثير المتاعب ويحجك المؤامرات لجيرانه وللمملكة آشور - وقد تمكن الآشوريون من التوغل في أراضى أشونونا إلى مسافة بعيدة ولكن تعاونت قوات « توروكو » في كردستان مع قوات أشونونا وظهرت جميعها في كركوك بل وهددت مارى ، وقد أثار تقدم الأعداء على طول الفرات خوف العاصمة الغربية فاستنجد ملكها الآشورى « يسمح - أداد » بأخيه « اشمى - داجانف » ملك آشور وأوقف تقدم قوات أشونونا ثم قضى حورابى ملك بابل بعد ذلك على كل من مملكتى أشونونا ومارى .

٦- البابليون

الدولة البابلية الاولى

أسس هذه الدولة الملك «سمو - أبوم» ، الذي كان يحكم رقعة صغيرة في جنوب العراق ، وقد بدأ توطيد سلطانه بالقضاء على أمراء المدن الجنوبية وأعلن نفسه ملكا على بابل بعد أن بسط نفوذه على سومر وأكاد ، وظل في الحكم ما يقرب من خمسة عشر عاما ثم خلفه أربعة ملوك حافظوا على حدود المملكة وإصلاح شئونها .

ولما استولى العيلاميون (في عهد زابوم ثالث ملوك الاسرة البابلية) على مدينة أيسين عاصمة الاموريين واستقروا فيها أخذ النزاع يشتد بين ملوك بابل والعيلاميين حيث بدأ ملوك بابل يشعرون بالخطر يهدد كيانهم نظرا لسرعة انتشار نفوذ العيلاميين .

وحينما تولى حامورابي سادس ملوك الاسرة البابلية عرش بلاده (١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م) لم يغفل خطورة الموقف ، وكان رجلا فذا في شئون السياسة والحرب فلم يحاول الخروج إلى الحرب في السنوات الأولى من عهده بل شغلا بالإصلاحات الداخلية وتقوية وسائل الدفاع حول مدنه الهامة استعدادا لمكافحة المرتقب ، فقد وجد في بداية عهده أن دولة لارسا أصبحت تتحكم في الأجزاء التي تقع إلى جنوب بابل بعد أن أخضع ملكها « ريم سن » ملكة أيسين لسلطانه ، وأن ملكة أشنونا تحكم المنطقة التي تقع إلى شمال بابل مباشرة بينما كانت ملكة آشور تتحكم في الأجزاء التي تلي ذلك شمالا .

وقد بدأ حمورابي في السنة الخامسة من حكمه بالاستيلاء على أيسين
ولكنه وجد أن قوته لا تسمح له بملاقاة « ريم سن » ملك لارسا ففضل
الانتظار نحو ثلاثة وعشرين عاما فضاها في الاستعداد وفي السنة التاسعة
والعشرين تقابل مع الملك العيلامي ريم سن في حرب قاسية استطاع
الانتصار فيها ، وكان هذا الانتصار حدثا في تاريخ العراق أرخ به
المؤرخون ومن جرائه تغنى شعراء بابل بعظمة حامورابي ورتلوا الأناشيد
من أجله في المعابد .

ولما زال خطر العيلاميين تمكن حمورابي من مد سلطانه شمالا إلى
أعلى نهر دجلة فاستولى على مملكة أشنونا وضمها إلى إمبراطوريته
كما ضم إليه بلاد الآشوريين إذ تمكن في السنة الثانية والثلاثين من حكمه
من الاستيلاء على عاصمتهم الغربية ماري ، وقد اكتشف أرشيف قصر هذه
المدينة وعثر فيه على أكثر من ٢٠ ألف لوحة طينية من بينها مجموعة
من الرسائل المتبادلة بين ملوك المدينة وغيرهم من حكام المدن الأخرى
وملوكها ، ومن أهمها رسائل تبودلت بين الملك « زمرى ليم » ، Zamrilim
وبين حمورابي كما أن لإحدى هذه الوثائق ثبتت معاصرة الملك حمورابي
للملك « شمشي أدد الأول » ملك آشور ، - كذلك تمكن حمورابي
من الوصول بحدوده جنوبا إلى الخليج العربي ، وبعد عصره العصر الذهبي
لببلاد العراق القديم من حيث الرخاء والرفاهية التي كانت تنعم بها .

وتعد مجموعة التشريعات التي سنها وهي المشهورة باسم « قانون
حمورابي » أهم ما قام به من إصلاحات ، وقد وجدت نسخة من هذا القانون

على كثة من الديوريت عثر عليها في أطلال دسوسة ، وتبلغ مواده نحو ٢٥٠ مادة ، وقد حدد العقوبات التي يستطیع القضاة توقيعها في حالات معينة - أما إذا لم يرد نص يختص بجريمة ما فإنه أشار إلى أن الحكم يجب أن يكون حسب العرف السائد في المنطقة ، ومن الملاحظ في هذا القانون أنه كان قاسياً في توقيع العقوبات على كل من يخرج على العرف أو يعترف ما يتنافى مع مبادئ الاخلاق كما أنه تعرض لمشاكل الوراثة والتبني وغيرها ، وفي معظم أحكام هذا القانون نجد اتجاهاً للأخذ بمبدأ العين بالعين والسن بالسن ، أو المعاملة بالمثل ، الشائع بين الشعوب السامية .

وقد حكم حورابي نحو ثلاثة وأربعين عاماً تمثل أزهى عصور العراق ولكن خلفاءه لم يتمكنوا من الدفاع عن دولتهم المترامية الاطراف حيث أخذت الثورات تشتعل في أكثر من مكان ، ورغم أن ولده د سامسو ليلونا ، قام بجهود متواصلة لإخماد هذه الثورات فإن جهوده ذهبت عبثاً حيث أخذت أجزاء من الامبراطورية التي كونها والده في الانفصال وأعلنت استقلالها ودب الضعف في كيان ما تبقى من الدولة حتى تمكن الحيثيون في نهاية عهد الاسرة البابلية من القضاء نهائياً على دولتهم بعد أن حكم فيها ١١ ملكاً نحو من ٢١٥ سنة .

مملكة بابل الثانية (دولة أرض البحر)

أشرنا فيما سبق إلى أن « سامسو - إيلونا » قام بجهود متواصلة للإبقاء على الامبراطورية التي تركها والده ، وأن هذه الجهود ذهبت هباء حيث فقدت الامبراطورية مساحة كبيرة من أراضيها - ومع أن الثورة التي قام بها أحد الثائرين (١) في الأجزاء المتاخمة لعميلام أخذت وقتل القائم بها بعد عامين من نشوبها ، فإن « إيلومو إيلو » الذي يحتمل أنه كان من سلالة « دامق - إيلوشو » آخر ملوك أيسين قد أعلن استقلاله في سومر وأصبح سييدا على البلاد الواقعة في جنوب نيبور جميعها وأسس ما يعرف باسم مملكة بابل الثانية أو « دولة أرض البحر » ، ونتج عن ذلك تدمير وتخريب عدد من المدن السومرية - ومن بينها أور - في الحروب الطويلة الطاحنة حيث كانت مسرحا لعمليات الفريقين المتنازعين وقد حاول خلفاء سامسو إيلونا إعادة خضوع هذه البلاد لسلطانهم دون جدوى ، فظلت دولة أرض البحر قائمة تتبادل النصر والهزيمة مع بابل التي قنع ملوكها في النهاية بتحصين بعض مدنها والتفرغ للاعمال العمرانية والدينية .

وبعد أن قضى الحيثيون على مملكة بابل الأولى وحشد الكاشيون الذين كانوا يستوطنون في أقدم عصورهم منطقة لورستان (٢) الفرصة سانحة

(١) سكان يدعى « ريم - سين » مثل آخر ملوك لارسا .

(٢) في الجزء الأوسط من سلسلة جبال زاغروس .

لإخضاع بابل لسلطانهم وخاصة بعد انسحاب الحيثيين المفاجيء منها ، وأصبح ملوكهم يتربعون على عرشها بعد أن احتلوها - وفي حوالى سنة ١٥٠٠ ق.م (أى بعد نحو ٨٠ سنة من الغزوة الحيثية) استطاع ملوكهم د أولام - بورياش ، أن هزم ملك أرض البحر د إبا جميل ، ففضى على مملكة بابل الثانية وأعاد خضوع بلاد سومر بأحكام لسلطان بابل من جديد .

مملكة بابل الثالثة (الدولة الكاشية)

في نفس الوقت الذى سقطت فيه أسرة بابل الأولى تقريبا أخذت جموع متتالية من رجال القبائل الجبلية الواقعة فى شرق نهر دجلة تهبط إلى السهول لمهاجمة بلاد بابل ، وقد استطاعت (بعد انسحاب الحيثيين) أن تكون دولة قوية عرفت باسم الدولة الكاشية (Kassites) أو دولة بابل الثالثة ومع أن حكمها يمد أطول احتلال شهدته أى دولة قديمة إذ استمر نحو من ٤٣٠ سنة (١٥٩٥ - ١١٦٢ ق.م) إلا أن معلوماتنا عنه قليلة نظرا لضعف الوثائق التاريخية عنه .

ويتميز عصر هذه الدولة بحدوث الكثير من الغزوات والتفائل فى منطقة الشرق الأدنى القديم ، وقد كثرت السلطات المتنازعة على السيادة الدولية فى أثنائه وكانت بعض القوى الجديدة تظهر ثم لا تلبث أن تختفى لتحل محلها قوى أخرى - وهكذا نجد دولة البحر فى جنوب العراق والكاشيين فى الوسط والاشوريين فى الشمال والشمال الشرقى ، وبينما كان الاشوريون يجاهدون فى الانفصال عن الكاشيين نجدهم لا يلبثون أن يخضعوا للميتانيين - ومن

جهة أخرى كان الميثانيون ينافسون الحيثيين الذين استطاعوا القضاء على دوله بابل الاولى والسيطرة على شمال العراق وسوريا واتسعت امبراطوريتهم تدريجيا حتى اصطدموا بالمصريين فى عهد الدوله الحديثه التى كانت حينئذ تسيطر على أكثر مناطق العالم القديم المعروفة ، أما عيلام فلإنها لم تتمكن من أن تعيد قوتها مباشرة بعد أن قضى عليها حمورابى - وفى نهاية هذا العهد تعقدت العلاقات الدولية وتبادل الملوك الرسائل وقامت بينهم المعاهدات والمصاهرات الدولية .

وقد اختلف المؤرخون فى أصل الكاشيين ولم يصلوا إلى رأى فى هذا الصدد ، وكل ما نعرفه عنهم هو أنهم جاءوا من منطقة فى وسط جبال زاغروس كما أشرنا ، وما أن احتلوا بابل حتى تأثروا بالحضارة البابلية ووجدوا بين آلهتهم وبين آلهتهم ، وقد حكم منهم فى بابل ٣٦ ملكا كان أولهم الملك جنداش (Gendach) .

وقد نجح الكاشيون فى القضاء على مملكة البحر فى جنوب العراق (١) وبذلك ثبت نفوذهم فى بابل - وتشير وثائق وخطابات تل العمارنة (٢) إلى وجود علاقات ود وصداقة بين المنحنب الثالث والملك الكاشى المعاصر له (٣) - ولم يستمر عهد الكاشيين طويلا بعد ذلك لأن الآشوريين فى الشمال أخذوا يحتكون بهم حينما أرادوا توسيع مملكتهم لأن دولة ميتانى

(١) انظر اعلام ص ٣٧٠ - ٣٧١

(٢) عاصمة الحانزون انظر ص ١٧٩

(٣) الملك « كادشمان خاربى » على الأرجح

ودولة الخيتميين كانتا تقفان لهم بالمرصاد من الغرب ومن الشمال ، ولذا لم يكن أمامهم سوى الاتجاه في توسعهم إلى الجنوب فجهموا على دولة بابل الكاشية وتمكنوا من ضمها إليهم ، إلا أن هذا الانتصار الآشوري لم يستمر طويلا لأن العيلاميين كانوا قد استعادوا قوتهم وخاصة في عهد ملكهم « شيلاق - أنشو سناق » الذي استطاع أن يخضع كثيرا من الاقطار المجاورة لسلطانه (١) وقد أخضع بابل وأبهى حكم الأسرة الكاشية ولكن ذلك لم يدم طويلا إذ انتقل الحكم فيها إلى أسرة قوية من أمراء آيسين تعرف باسم « الأسرة البابلية الرابعة » أو « أسرة آيسين الثانية » وبلغ من قوتها أنها كانت تتدخل في شئون آشور الداخلية - وفي نفس الوقت أخذت عيلام في التدهور فانتزعت نبوخذ نصر الأول ، ملك بابل فرصة ضعفها وهاجمها بمساعدة أحد أمراتها واتصر عليها إلا أن هذا الانتصار لم يكن هزيمة حقيقية لعيلام ولم يحقق نتائج بعيد المدى .

وما لبثت الأوضاع أن تغيرت بعد ذلك لظهور قوة آشور فكان على خلفاء نبوخذ نصر أن يكافحوا لا من أجل المحافظة على الأراضي الأجنبية التي امتلكوها فحسب بل ومن أجل حماية أنفسهم أيضا ، ومع كل فقد انتصر الملك الآشوري (آشوردان) على بابل وجعل على عرشها أحد الآراميين (٢) ، ولم تنعم بلاد النهرين عامة وبابل بصفة خاصة بالهدوء لباستقرار بعد ذلك إذ عمت الفوضى والحروب في أرجائها فترة طويلة ،

(١) Chirshman , Iran , (Pelican A 239) , pp. 66 - 67

(٢) ثالث خلفاء نبوخذ نصر

ففي بابل حكم سبعة ملوك كوفوا بها ثلاث أسرات أسس الأولى منها (أسرة بابل الخامسة) أحمد الكاشيين من مواليده مملكة أرض البحر وأسس الثانية (السادسة البابلية) آرامى ، أما الثالثة (السابعة البابلية) فقد أسسها عيلامى - وما أن تولت العرش أسرتها الثامنة إلا وانحدرت إلى الهاوية ووجد الآراميون عاصمتها من كل نفوذ خارج حدودها حتى إنها لم تتمكن من إقامة الاحتفالات الدينية التي كانت تنقل فيها تماثيل الآلهة بين العاصمة وأمها المدن البابلية في بداية كل عام وأصبح ملوكها مجرد أسماء في قائمة ، ومن المحتمل أن بعض القبائل الآرامية استقرت بين حوض نهر دجلة الأدنى وحدود عيلام وكان من بين هؤلاء الكلدانيون الذين تمكنوا من الإغارة على سومر ثم قدر لهم أن يعيشوا النهضة إلى بابل من جديد بعد نحو ٣٠٠ سنة ويمكن اعتبار سقوط الأسرة الكاشية الحاكمة في بابل نقطة هامة في تاريخ بلاد النهرين ولكن أهميتها لا تقاس بالنسبة لما جرى من أحداث في الشرق الأدنى خلال القرن الثاني عشر ق . م ، فقد اختفت مملكة الحيثيين في آسيا الصغرى وتضعفت قوة مصر وأصبحت فريسة الانقسامات الداخلية واستقر الفلسطينيون في كنعان بينما كان موسى يقود شعبه إلى الأرض الموعودة والرحل الآراميون يهددون الأمراء السوريين وملوك آشور وفي الغرب البعيد كان اليونان الدوريون يغيرون على شبه الجزيرة الهلينية ، وهكذا تحرك الهندوأوربيين ثانية إلى غرب آسيا حيث نشروا استعمال الحديد وبدأوا صفحة جديدة في تاريخ الإنسانية وأحدثوا سلسلة من الحركات الجغرافية والسياسية كان لها أثرها السريع في تغيير معالم الشرق .

٧- الآشوريون

كان الآشوريون من الساميين الذين سكنوا في شمال بلاد النهرين منذ الألف الثالث ق.م. ، وكانت المدينة « آشور » التي أعطت اسمها لهم (١) تقع في بقعة استراتيجية هامة وتتحكم في الطريق بين سومر وأكد من جهة وبين كردستان وأرض الجزيرة العليا من جهة أخرى فكانت دائما مطمعا للبلوك الأقوياء الذين ظهروا في الجنوب أمثال سرجون و نارام سن وملوك أور - ومع أن الأمراء الآشوريين جاهدوا طويلا في الاستقلال بمذنبهم عن حكم الدول التي كانت تخضعهم سواء من الجنوب أو من الغرب إلا أنهم لم ينجحوا في تأسيس دولة إلا في عصر متأخر نسبيا ، بل وليس لدينا أى دليل على أن هذه الدولة تمكنت من الاستقلال قبل الألف الثاني ق م ثم قدر لهذه الدولة أن تصل إلى مركز الصدارة وأن تلعب دورا خطيرا في السياسة الدولية في ذلك الحين .

ويقسم بعض المؤرخين تاريخ الآشوريين إلى فترتين :

(١) الفترة الأولى من ٢١٠٠ إلى ٩٠٠ ق م تقريبا ، وفيها كانوا يناضلون في سبيل النهوض سياسيا وعسكريا .

(١) كان اسم « آشور » يطلق في النصوص القديمة على كل من المدينة والهها والدولة نفسها

أنظر G. Roux, op. cit., 171 n.

(٢) الفترة الثانية وتمتد بعد الفترة الأولى إلى ٦٣٣ ق.م. تقريبا
وهي التي تمكنوا فيها من تكوين إمبراطوريه .

غير أن غالبية المؤرخين الآن تميل إلى تقسيم التاريخ الآشوري
إلى ثلاثة مراحل هي :

(١) مرحلة التكوين أو « العهد الآشوري القديم » ويبدأ من فجر
التاريخ الآشوري إلى نهاية حكم أسرة بابل الأولى .

(٢) عصر المملكة الآشورية أو « العهد الآشوري الوسيط » ويبدأ
من نهاية مملكة بابل الأولى وينتهي في بداية القرن التاسع ق م .

(٣) عصر الإمبراطورية أو « العهد الآشوري الحديث » ويمكن
أن نقسمه بدوره إلى قسمين : (أ) الإمبراطورية الأولى من ٩١١
إلى ٧٤٥ ق.م. تقريبا ، (ب) الإمبراطورية الآشورية الثانية من ٧٤٥
إلى ٦١٢ ق.م. تقريبا .

١ - العهد الآشوري القديم

عثر في خورسباد على قائمة بأسماء ملوك آشور يمكن أن نعددها
مناظرة لقائمة الملوك السومرية (١) ، وهي تعطينا أسماء ١٧ ملكا تذكر
أنهم كانوا يعيشون في الخيام مما يدعو إلى الاعتقاد بأن هؤلاء كانوا
يمثلون ملوك فجر التاريخ الآشوري - ومع أنها تورد السلالات التي تضمنت

(١) أنظر أعلاه ص ٣٤٩

أسماء هؤلاء الملوك متتابعة إلا أن من المرجح أن بعضاً منها على الأقل كانت تعاصر بعضاً آخر، ومن الملاحظ أن عدداً من الأسماء القديمة في هذه القائمة مثل «توديا»، «أوشديا»، «سولولى»، «كيكيا»، لا تدل على أصل سامى أو سومرى بل هى أسماء هندو أوروبية ربما كانت حورية (١) أو سوبارية (٢).

وقد خضع الآشوريون لحكم ملوك أسرة أور الثالثة (٣)، وبعد سقوط الامبراطورية السومرية أصبحت - آشور - مثل كثير من المدن الأخرى مستقلة وبدأ «بوزور - آشور الأول» الذى حكم حوالى سنة ٢٠٠٠ ق م. سلسلة جديدة من الملوك الذين يحملون أسماء أكديّة بحتة - وقد ترك لنا اثنان من هؤلاء («إيلوشوما»، «إيروشوم الأول») نصوصاً تدل على بناء معابد الآلهة آشور وأداد وعشتار فى المدينة - كما أن من المعروف أن «إيلوشوما» توغل فى جنوب بلاد النهرين أثناء حكم «شمشى - داجان» ملك أيسين (١٩٥٣ - ١٩٣٥ ق م).

ومن المحتمل أنه وسع فى مملكته حتى شملت نينوى على بعد ٦٠ ميلاً شمال آشور ولكن المؤسسين الحقيقيين لفسوة آشور كانوا من الساميين

(١) أنظر أعلاه ص ٢٩١

(٢) السوباريون قوم سنجكو فى شمال شرق بلاد النهرين فى أقدم العصور ثم اختلط بهم الساميون الذين أصبحوا أغلبية وكونوا الشعب الآشورى.

(٣) أنظر أهلاه ص ٣٦١

الغربيين الذين تدفقوا على شمال وجنوب بلاد النهرين في القرون الأولى من الألف الثاني ق.م. حيث بدأ أحد زعماء الاموريين في الاستقرار في المنطقة ما بين نهري الخابور والدجلة وحكمها خلفاؤه كأتباع للأشوريين ثم تمكن أحدهم (١) من الاستيلاء على « آشور » واعتلاء العرش ، وفي نفس الوقت تقريبا تمكن أموري آخر من أن يصبح ملكا في ماري - ومنذ ذلك الحين ارتبط مصير المملكتين الشماليتين العظيمتين كل منهما بالأخرى ، فقد بدأت بينهما علاقات حسن الجوار أولا ولكنها سرعان ما انفصمت وتمكن الأشوريون من وضع يدهم على ماري بعد أن اغتيل ملكها « ياهدون - إيم » .

وكان الملك « شمشي أدد » الذي استولى على ماري في بدء حياته خارجا على القانون ، فبعد أن أصبح أخوه خليفة لوالده على عرش آشور فر إلى الجنوب وجمع قوة من المرتزقة استولى بها على مدينة إيكالاتوم في وسط الدجلة (لم يمكن التعرف عليها بعد) التي كانت خاضعة لمملكة أشنونا ثم تقدم إلى آشور ونجح في اغتصاب العرش من أخيه وبعدئذ توسع غربا حتى وصل إلى ساحل البحر المتوسط وعين أحد ولديه (يسمع - أدد) حاكما في ماري وعين الابن الآخر (إشمي - داجان) حاكما في إيكالاتوم وهكذا خضع حوضي دجلة والفرات لسلطان الأشوريين ، ولكن لم يدم ذلك طويلا فقد دأبت القبائل الرعوية التي يحكمها زعمائها

(١) الملك « إيللا - كابتابو »

على إحداث القلاقل وتهديد الممتلكات الآشورية وخاصة بالنسبة للمملكة
مارى كما كانت مملكة أشنونا تحيك الدسائس للمملكة لبيكالانوم واستطاعت
أن تهدد مملكة مارى (١) وأخيرا تمكنت مملكة بابل فى السنة الثلاثين
من حكم ملكها حامورابى من أن تستولى على مارى وتدمرها .

٢ - العهد الآشورى الوسيط :

ظلت آشور خاضعة لسلطان بابل إلى أن سقطت هذه الأخيرة على يد
الحيثيين وبعد أن تراجعوا عنها احتلها الكاشيون - أما آشور فقد ظهر
فيها أمراء أقوياء كافحوا طويلا فى جهات مختلفة فقد كان الآراميون
فى الغرب والحوريون (الذين كونوا المملكة الميتانية) فى وسط بلاد
النهرين (٢) والحيثيون فى الفرات الأعلى والخابور والكاشيون فى الجنوب -
وقد خرج هؤلاء الأمراء من الأزمات والصعاب التى تعرضوا لها ما يقرب
من خمسة قرون وتمكنوا من تأسيس دولة قوية ساعدها الحظ فى عهد ملكها
« آشور أوبلطان » بحدوث انقسام فى البيت الملك الميتانى إلى فريقين
إذ أن أحد الفريقين المتنازعين استعان بأشور رغم أنها كانت لاتزال
خاضعة لسلطان الميتانيين ، وكن نتيجة للوأمراء والدسائس بين الفريقين
قتل الملك توشراتا المعارض للفريق الموالى للآشوريين وفر ولده إلى بابل
ولكن ملكها « بورنابورياش » تمسكا بمبدأ الحياد رفض منحه حق اللجوء

(١) أنظر أعلاه ص ٣٦٦

(٢) أنظر أعلاه ص ٢٩١ وما بعدها

السياسى فاضطر إلى الذهاب إلى البلاط الحيثى بينما اقتسمت آشور ودولة صغيرة فى حوض دجلة الأعلى تدعى «آلى» بلاد ميتانى، وهكذا لم يتمكن «آشورأوبل» (دون أن يطلق سها واحدا) من أن يعمر بلاده من سيطرة الميتانيين فحسب بل وتمكن من أن يتسبب فى القضاء على الدولة التى كان آباؤه يدفعون لها الجزية - وقد اتبع سياسة حكيمه مع جيرانه فصاهر مع ملك الكاشيين (الذى تزوج بابنته) أملا فى أن يصبح حفيده يوما ملكا على بابل .

وتلا آشورأوبل ثلاثة ملوك قاموا بجمود مشكورة فى تأمين حدود بلادهم ، بل وتمكن آخرهم «أدد نزارى» من أن يضم مساحات أخرى من أرض الجزيرة إلى مملكته - على أن أعظم ملوك هذه الأسرة كان دون شك «شلمنصر الاول» رابع خلفاء آشور أوبل إذ استولى على منطقة أرمينيا الجبلية (أورارتو) وبلاد الجوتيين وهزم مملكة «هاتى جابات» (١) وجنودها المرتزقة من الحيثيين وغيرهم .

وعندما اعتلى «توكلى نورتا» خليفة «شلمنصر الاول» على عرش آشور تمكن من الاستيلاء على بابل بعد أن هزم مملكة الكاشى «كاشتيلاش» ولكن مع هذا حدثت فترة فى آشور قتل فيها الملك وشادت بعد عهده الاضطرابات تدهورت أحوال الدولة - وتوالى على حكم بابل ثلاثة أمراء ضعاف من الموالين لآشور وبعد ذلك تمكن العيلاميون الذين عادوا إلى القوة

(١) كان يدعى «رنى مردوخ»

بعد ضعف استمر نحو أربعة قرون من الاستيلاء على بابل - ولم يدم حكم العيلاميين لبابل طويلا لأن قواهم قد انهكت في فتح المساحات الواسعة من إيران الغربية من جهة ولأنهم شعروا بخطر الميديين والفرس من جهة أخرى ، وسرعان ما أصبح أمراء الأسرة البابلية الرابعة في أيسين على درجة من القوة بحيث أمكنهم التدخل في شئون آشور وانهزمو بنوخذ نصر الأول ، ملك بابل فرصة الانهيار الذي حدث في مملكة العيلاميين بعد عهد ملكها « شيلاق - أنشوشناق ، وهاجما ولكنه هزم في أول حملة ثم انضم إليه أحد أمراء عيلام (١) فاتصر عليها انتصارا حاسما كما سبق أن اشرنا .

وقد تعرضت آشور لسلسلة من الأزمات بسبب النزاع على العرش وضياع بعض الممتلكات الشرقية من بلادهم ثم تجملت حولها المناعب من جميع الاتجاهات وكادت تقضى عليها لولا نشاط وكفاءة بعض الملوك من خلفاء « آشور - دان الأول ، - وما أن اعتلى « تجلات بلاسر الأول ، عرش آشور حتى قام بغزوات ناجحة في الشمال الشرقي والشمال ووصل إلى البحر الأسود ثم اتجه غربا نحو سواحل آسيا الصغرى وفينيقية وبعد ذلك أخضع بابل فأصبح يحكم معظم أنحاء الشرق الأدنى من البحر الجنوبي إلى البحر الشمالي وسواحل البحر المتوسط .

وتوالى بعده على الحكم ملوك ضعاف تدهورت في أيامهم أحوال

المملكة وأصبح الآراميون يهددون حدودها في الغرب إلى أن قدر لها بعد ذلك أن تنهض من جديد .

٣ - العهد الآشوري الحديث

يقسم هذا العهد إلى دورى نهوض تخللتها فترة من الضعف وهذان الدوران هما :

١ - الامبراطورية الآشورية الاولى

حينما تسلم الحكم د أدد نيرارى الثانى ، عمل على تقوية جيشه وبدأ في إخضاع بعض الأقاليم المجاورة ثم تحالف مع مملكة بابل ونظم شئون الدولة ، ولما تبعه د توكتى نورتا الثانى ، زاد من تأمين طرق مواصلاته التجارية والعسكرية مع أطراف مملكته وشيد بعض القلاع والحصون .

ويعد خلفه د آشور ناصربال الثانى ، رغم شهرته بالقسوة من أعظم ملوك الآشوريين فقد وصلت فتوحاته إلى الجبال الشرقية ، والشمالية وأدخل تحسينات كثيرة في الجيش والإدارة حيث استخدم الخيالة على نطاق واسع وقسم بلاده إلى ولايات يحكم كل منها أحد الولاة وجدد بناء مدينة كالح (نمرود) وبنى فيها قصرا فخما زينته بألواح كبيرة من الرخام نقشت عليها مناظر تملئه في حروبه وهيبته وقدم الأسماء الخاضعين له ومعهم الهدايا الجزية ، ومن آثاره كذلك مسلة ضخمة عثر عليها في نمرود وهي تحمل نقوشا تبين أعماله خلال السنوات الخمس الأولى من حكمه .

ولم يكتف ولده وخليفته د شلنصر الثالث ، بالإمبراطورية الواسعة التي خلقها له والده بل أضاف إليها مستعمرات جديدة وصلت إلى منابع

دجلة والفرات ، وقد قام بسلسلة من الحملات الحربية في سوريا وفلسطين على أحلاف الآراميين واليهود (١) كما قام بحملات في الأناضول وهضبة إيران الشمالية وهاجم بعض القبائل العربية .

وفي أواخر حكمه نار عليه أحد أبنائه وأحدث بعض الاضطرابات التي أدت إلى فقدان هيبة الدولة في الداخل والخارج ، ومع أن ولي عهده « شمشي أدد الخامس » تغلب على أخيه الناثر إلا أن تلك الاضطرابات كانت سبباً في فقدان آشور لبعض مستعمراتها البعيدة - وفي تلك الأثناء ظلت بابل على ولائها لآشور وتحسنت العلاقات بينها بزواج ملك آشور من أميرة بابلية تدعى « شمورامات » حظت بشهرة كبيرة حتى عرفها اليونان باسم « سميراميس » ، وقد صارت وصية على ولدها « أدد نراري الثالث » الذي اعتلى العرش وهو صغير السن بعد وفاة والده .

وقد توالى على حكم آشور ملوك ضعاف بعد ذلك حدث في عهد أحدهم « آشور دان الثالث » كسوف للشمس (٢) وتفشى في زمنه وباء الطاعون ، واستمر تدهور الدولة حتى حدثت في العاصمة نمرود ثورة داخلية تولى الملك على أثرها « تجلات بلاسر الثالث » الذي أعاد إلى المملكة مجدها وبدأ عهد الامبراطورية الثانية .

(١) أطر أعلاه ص ٢٨٦

(٢) بالحساب الفلكي أمكن اتخاذ هذه الظاهرة أساساً لضبط التاريخ الاشوري —

ب - الامبراطورية الاشورية الثانية

بعد أن توفي « أدد نرارى الثالث » ، تتابع على العرش أولاد الأربعة الذين كان أصغرهم « تجلات بلاسر الثالث » ، وقد جاء هذا على العرش بعد مقتل أخيه (ثالث أبناء أدد نرارى) في الثورة الداخلية التي نشبت في نمرود وقد أثبت هذا أنه كان جديراً بالحكم إذ عرف مواطن الضعف في الدولة وعمل على علاجها ثم أخذ يعد العدة لإعادة مجد آشور واستطاع أن يباغ بإمبراطوريته إلى حدود لم تصلها من قبل حيث أخضع الدولة البابلية وضمها إلى إمبراطوريته واعلان نفسه ملكاً عليها ، كذلك تمكن هذا الملك من اجتياح معظم المدن السورية وحاصر دمشق إلى أن أسقطها وقتل ملكها (١) - كما تمكن أيضاً من أن يؤمن حدوده الشمالية ضد غزوات بعض القبائل الأرمينية ، وهكذا قضى « تاجلات بلاسر الثالث » معظم حكمه في الحروب ولكنه ترك إمبراطورية واسعة .

وفي عهده ولده « شلنصر الخامس » قام ملك اسرائيل (هوشع) بتحريض من المصريين بمحاولة التخلص من السيطرة الاشورية فأسرع شلنصر وحاصر السامرة لمدة ثلاثة أعوام ولكنها لم تسقط إلا في يد خلفه « سرجون الثاني » ، لأنه اضطر إلى العودة إلى آشور لحدوث بعض المؤامرات فيها ، وقد انتهت هذه بقتله بعد حكم دام أقل من خمس سنوات وفي بداية عهد خليفته « سرجون الثاني » قامت الثورات في أنحاء

(١) أنظر أهلاه ص

كثيرة من الامبراطورية رغبة في الانفصال عن سيطرتها ، فاضطر أن يقوم بحملات متتالية تمكن على أثرها من أن يعيد الوحدة إليها وأسرت بعض المناطق المجاورة لاكتساب عطفه بالهدايا مثل قبرص ، ولما شعر بأن مصر تبذل جهودها في إقامته بعض الأحلاف مع أمراء سوريا وفلسطين لكي تحمي نفسها من غزوات آشور المتوقعة قضى على تلك المحاولات حيث أخضع معظم الإمارات السورية والفينيقية وفتح السامرة وسبي أحسن رجالها ونقلهم إلى ميديا (١) .

ولما مات سرجون تبعه ولده سناحريب الذي واجهه في بداية حكمه خطرين أحدهما من بابل التي كانت تحاول الاستقلال ثانية والثاني من ولايات سوريا وفلسطين - وكان ملك بابل وملك مصر يمينان ولايات سوريا وفلسطين بالمساعدة ، وكانت بابل بوجه خاص تحرص على تشجيع هذه الولايات حتى تشغله عنها وقد فطن سناحريب لذلك فتوجه إليها ودك حصونها وخربها وعين ابنه «أسرحدون» واليا على جنوب العراق ثم قضى على دويلات أهل البحر في أقصى الجنوب لكثرة ثوراتهم مستعينا في ذلك بسفن صنعها له صناع مهرة من الفينيقيين واليونانيين - وحينما علم بحدوث تحالف بين أمراء سوريا وفلسطين بمساعدة مصر توجه إلى منطقة الخطر بجيش كبير وغزا المدن الساحلية في فلسطين ثم حاصر بيت المقدس وأخضعها واكن وباء خطيرا أنتشر بين قواته فاضطر إلى العودة إلى بلاده بفلول جيشه (٢)

(١) أنظر أعلاه ص ٢٨٨، ٢٣٠

(٢) أنظر ص ٢٣٠ .

وخاصه بعد وصول الانبياء بحدوث اضطرابات فيها ومات بأيدي أبنائه
الذين طمعوا في العرش .

وبعد مقتل سناحريب تنافس أبنأوه على العرش . ثم فاز به ولده
« أسرحدون » الذى استطاع أن يقضى على الفتنة سريعاً ثم وجه همه
للاتتقام من مصر لتدخلها فى شؤون مستعمراته فى سوريا وفلسطين - وقد
استعد ملكها النوبى طهرقة لملاقاته كما أرسل بعض الامدادات إلى حلفائه
فى سوريا وفلسطين ، فلما زحف الملك الأشورى نحو مصر استطاع أن يصل
إلى شرق الدلتا ولكن المصريين استماتوا فى الدفاع حتى تمكنوا من هزيمة
الأشوريين وردوهم عن بلادهم ، ففقدت الجيوش الأشورية هيبتها واضطر
الملك إلى الاستعداد لإعادة الكرة حرصاً على سمعة الابراهيمية - أما طهرقة
فقد اطمأن إلى أن الأشوريين ان يعودوا إلى مصر ولم يستعد لملاقاتهم
إلا أن الملك الأشورى عاد سريعاً وظهر فجأة فى سوريا وعاقب ملك
صور على انضمامه لمصر ثم أسرع مخترقاً الصحراء ، ولم يكن طهرقة متأهباً
للقائه فوصل الجيش الأشورى إلى الوجه البحرى واضطر طهرقة إلى التحصن
بمنف ولكن الأشوريين أسرعوا ورامه وهزموا الجيش المصرى وفتحوا
منف ففر طهرقة إلى طيبة فى الجنوب واستعمر الأشوريون الدلتا ، ثم عاد
أسرحدون إلى بلاده حيث أصيب بمرض مات على أثره .

وحدث اختلاف على العرش من جديد وانتهى هذا الاختلاف بتعيين
آشور بانبيال ملكاً بينما عين أخاه الأكبر ملكاً على بابل ولم يكذب
آشور بانبيال يجلس على العرش حتى وصلت أنباء ثورة المصريين ضد
آشور وذلك لأن بعض الأمراء اتفقوا مع طهرقة على أن يعود هذا الأخير

إلى الدلتا ويقتسم السلطنة معهم (١) ، فجرد آشور بانبيال حملة كبيرة سارت إلى مصر ، ولم تكثف هذه الحملة باحتلال الدلتا بل سارت إلى طيبة وخربتها وعاد طرفة إلى عاصمته في النوبة العليا (نباتا) وبقي بها إلى أن مات - ومع ذلك لم يبق الآشوريون بمصر طويلا بل عادوا إلى بلادهم واكتفوا بأخذ الجزية ، فلما تولى عرش نباتا « تانويت أماني » عاد إلى احتلال مصر من جديد ولم يجد آشور بانبيال بدأ من أن يرسل جيشا إلى مصر فاضطر تانويت أماني إلى الفرار إلى عاصمته نباتا وخرّب الجيش الأشوري طيبة المرة الثانية - وقد استمر التعارن بين آشور بانبيال وأخيه ملك بابل نحسو وعشرين عاما ولكن هذا الأخ ثار بعد ذلك فجرد آشور بانبيال حملة تأديبية ضده تمكنت من القضاء عليه وفتحت بابل عنوة وبعدئذ تقدم الآشوريون جنوبا وأخضعوا القبائل العربية والآرامية التي ساعدت بابل في ثورتها وهاجموا العيلاميين وفتحوا عاصمتهم سوسه كذلك .

وبعد وفاة آشور بانبيال حدثت منازعات حول العرش تمكن بعدها ولده « آشور - إتل - إيلاني » من الفوز به ولكنه كان ضعيفا فانفصلت عن المملكة بعض ممتلكاتها مثل مصر وكثير من المدن الساحلية في فلسطين وسوريا كما انفصلت عنها مدن أرمينية - وشن أحد ملوك الميديين هجوما على آشور فصدّه الجيش الأشوري وهزم جيشه وقتله ، وفي بابل تكونت أسرة جديدة تعرف باسم « الأسرة البابلية الأخيرة » أو « المملكة

الكلدانية ، ، كما انتهز القائد الاشورى فرصة إقامة الملك في نمرود فأعلن تمرده عليه في نينوى وعزله ولكن أخا الملك حارب هذا القائد وقضى عليه ثم استأثر بالسلطة .

وقد أثرت الحرب الداخلية على سمعة المملكة وهيبتها فانفصلت أماكن أخرى كثيرة عنها واستطاع « كى اخسار Cyaxares » ملك الميديين أن يستولى على شمال إيران وشمال بلاد النهرين ثم توغل إلى سهول آشور حيث قامت بينه وبين الجيش الاشورى حروب طاحنة ، وبعد أن اتفق مع ملك بابل هاجما العاصمة فسقطت في أيديها بعد حروب عنيفة وافتسما مملكة آشور فاستولى الميديون على قسمها الشمالى الشرقى واستولى البابليون على جنوبها وأرسل ملك بابل ولده « نبوخذ نصر » ليتبع فلؤل الجيش الاشورى التي كانت قد هربت إلى حران ، - وانتصر « نبوخذ نصر » وقضى على بقية الجيش الاشورى ثم واصل سيره غربا واحتل المقاطعات التي كانت تخضع للاشوريين من قبل ، وقد تقابل مع الملك المصرى نحاوالذى كان قد تقدم إلى سوريا ودرات بين الاثنين معركة حاسمة بالقرب قرقيش انتصر فيها نبوخذ نصر وتراجع الجيش المصرى إلى بلاده (١) .

٨ - العهد البابلي الأخير « المملكة الكلدانية »

أشرنا فيما سبق إلى القلاقل التي تعرضت لها الدولة الآشورية قبل انهيارها، والواقع أن أكثر هذه القلاقل خطورة هي التي قامت في الجنوب حيث انتهز البابليون فرصة تدهور آشور وبدأوا كفاحهم من أجل الاستقلال وقد بدأ الحاكم البابلي الذي عينه (آشور بانيبال) بعد أخيه الثورة بمجرد تعيينه ، وبعد وفاته أصبح حاكم بلاد البحر (نبولصر)^(١) زعيما للثورة ولم تتمكن القوات الآشورية المرابطة في الجنوب (في نيبور) من هزيمته فأعلن نفسه ملكا على بابل مؤسسا الأسرة الحادية عشر البابلية وهي التي تعرف باسم « الأسرة البابلية الأخيرة » ، أو « المملكة الكلدانية » كما أشرنا .

وقد ظلت الحروب قائمة بين بابل وآشور نحو ١١ عاما استطاع بعدها « نبولصر » أن يستولى على نيبور وأن يحرر كل بلاد سومر وأكد ثم استمر في فتوحاته شمالا على طول الفرات حتى وصل إلى منطقة حران ومنها تقدم على طول دجلة إلى كركوك وآشور - وحاصر آشور ولكنه لم ينجح في الاستيلاء عليها ، وفي تلك الأثناء طلب الآشوريين المعونة من مصر التي كانت خاضعة لها فيما سبق ولكن هذه المعونة جاءت متأخرة لأن الميديين كانوا هم أيضا قد بدأوا غزو الأراضي الآشورية

(١) كان من قبيلة الكلدان الآرامية - أنظر

واستولوا على أرانجا وآشور ، وعند هذه الأخيرة تقابل د كى أخسار Gyaxares ، ملك الميديين دسح د نبوبلصر ، ملك بابل وارتبطا برباط الصداقة والسلام وأيدا ذلك فيما بعد بزواج (نبوخذ نصر) بن (نبوبلصر) من (أميتس) ابنة (كى أخسار) ، ومنذ ذلك الوقت ظل الاثنان يجاربان معا وتمكنا فى النهاية من إسقاط نينوى كما سبق أن أشرنا - وبعد مقتل آخر ملوك آشور اعتلى العرش أحد قواده (وكان يدعى آشورأوبالط وجمع ما بقى من فلول الجيش الآشورى والمسدد المصرى الضئيل الذى أرسل إلى آشور واعتصم بهم فى منطقة حران ، فتقدم البابليون والميديون نحوه وسقطت مدينة حران فى أيديهم - وبعد محاولات، يائسة لمدة عام تقريبا اختفى (آشور أو بالظ) بعد أن اعتلى العرش الآشورى نحو ثلاثة أعوام ، ويبدو أن الميديين لم يهتموا بامتلاك آشور فقتلوا بنصيبهم من الغنائم ثم حولوا أظماهم إلى أرمينيا وآسيا الصغرى - أما البابليون فقد امتلكوا آشور ولكنهم لم يحتلوها ولم يحاولوا لإصلاح ما أتلّفوه فيها حيث كرسوا جهودهم لإعادة لإحياء المجد الدينى والثقافى لجنوب بلاد النهرين .

وحينما وقعت سوريا وفلسطين فى أيدي المصريين كحماولة غير ناجحة من (نحاو) (١) لمساعدة حلفائهم الآشوريين تقدم البابليون للقاءه بقيادة د نبوخذ نصر ، لأنهم كانوا يحرصون على إبقاء طريقهم إلى البحر المتوسط مفتوحا ، وانتصر البابليون وفتحوا سوريا وفلسطين وتقدموا نحو مصر ولكن موت د نبوبلصر ، أثناء ذلك جعل ولده (نبوخذ نصر) يهود مسرعا إلى بابل .

(١) انظر اعلاه ص ٢٣٨ - ٢٣٩

وقد تولى « نبوخذ نصر » هذا العرش بعد والده وكانت البلاد قد بدأت في الازدهار واستقرت أمورها السياسية فوجّه جهوده نحو تشييد العمارات وترميم المعابد وإن كان قد أرسل جيشاً لتأديب مملكة يهودا حيث احتل بيت المقدس إلا أن اليهود ثاروا بعد مضي عشر سنوات فسار إليهم ودخل بيت المقدس وخرّبها وفتك بأهلها .

- بعد أن حكم « نبوخذ نصر » نحو ٤٣ سنة خلفه على عرش بابل ملوك ضعاف فلم يكده ولده يحكم عامين حتى ثار عليه الكهنة لسماحه لليهود بممارسة طقوسهم الدينية بحرية وعلى نطاق واسع وقتلوه ونصبوا في مكانه أحد قواد والده وهو صهره في نفس الوقت ، ولم يقدّم هذا الأخير بما يستحق الذكر ثم مات بعد أن حكم ٤ سنوات وتبعه ابنه الصغير الذي لم يحكم سوى أسابيع قليلة ثم تدخل الكهنة ثانية وأبعدوه عن الحكم وعينوا في مكانه أحد أبناء طائفتهم ويدعى (نبونيد) ولكن هذا لم يستطع أن ينهض بأعباء الحكم ولم يقدّم إلا ببعض النشاط العمراني وقد تحالف مع الملك الفارسي كورش ضد الميديين ثم غزاهم وغزا شمال بلاد العرب وانشغلت فارس بحروبها في جهات أخرى - وفي عهد خلفه ثار حاكم سوسه وانضم إلى الفرس وبعدئذ هاجم ملك الفرس « كورش » بابل ودخاها وأخذ ملكها (نبونيد) أسيراً ، وهكذا زالت آخر سلالة بابلية وانتهى رمز الحضارة البابلية رغم بعض محاولات الفرس لإحياء مجد مدينة بابل ومن بعدهم حاول الاسكندر أن يجعلها مركزاً إمبراطوريته ولسكنها سرعان ما أهملت بعد وفاته وتحولت إلى أطلال .

الفصل الثامن

إيران

تتلو العراق شرقا منطقة إيران وتمتد النهاية الشرقية لإقليم الشرق الأدنى وكانت ذات أثر كبير في تاريخه وحضارته لأنها تقع في طريق المواصلات البرية بين الشرق الأقصى وإقليم البحر المتوسط، وكثيرا ما كانت تستقبل هجرات بين حين وآخر من وسط آسيا، ويعد سكان سهلها من أقدم الشعوب التي توصلت إلى الزراعة والاستقرار - وقد تمكن حكامها في بعض عصورها التاريخية من أن يسيطروا نفوذهم على ما جاورهم وأسسوا إمبراطورية واسعة ما أن أقل نجمها حتى أخذت تصبح مجالاً لتنازع القوى الكبيرة لما لها من موقع استراتيجي ممتاز ولما لثرواتها الطبيعية من أهمية اقتصادية .

وهي في شكلها العام تمثل هضبة مثلثة تنحصر بين منخفضين : الخليج العربي في الجنوب وبحر قزوين وسهل التركان في الشمال .. وتغلب عليها الطبيعة الجبلية ولكلي سلاسل جبالها تمتد حول منخفض في الوسط يمثل منطقة صحراوية كانت في الأصل بحرا داخليا ثم جفت مياهه ، وهذه السلاسل هي : جبال زاغروس في الغرب وهي تسير في سلاسل متوازية من الشمال الغربي إلى الجنوب الغربي وتفصل فيها بينها عدداً من الوديان

وجبال البرز في الشمال وهي التي تكاد تحف بالشاطيء الجنوبية لبحر قزوين وتمتد غربا بحيث تنهى في منطقة أذربيجان (وتعرف أيضا باسم الخليج الميدي) التي تتوسطها بحيرة أرميا الملحة وتكاد تكون أكثر مناطق إيران كثافة في السكان يسهل الدخول إليها من الشمال الغربي والشمال والشمال الشرقي بما كان له أكبر الأثر في تاريخها ، وفي الشرق توجد جبال خراسان وهي قليلة الارتفاع سهلة العبور وتعد المنفذ الثاني لدخول إيران ، وفي الجنوب توجد جبال مكران - أما الجزء الأوسط من إيران فهو صحراء من أجذب بقاع العالم تنقسم إلى قسمين : الشمالي منها عبارة عن مسطحات طينية ماحة لا يعيش فيها كائن إلا حيث تقل نسبة الملوحة في جهات نادرة . أما القسم الجنوبي فعبارة عن منطقة جافة تماما تنعدم فيها الحياة (أنظر خريطة رقم ٦) فالحياة في إيران منذ عصورها السحيقة محتملة في الوديان والسهول فقط سواء تلك التي تحف بالهضبة من الخارج أو التي توجد بداخلها .

ويمثل السهول التي تحف بالهضبة من الخارج : « أ » سهل خوزستان في الجنوب الغربي (منطقة سوسة القديمة) وهو يعد امتداداً لسهول العراق وكان مقراً لمدينة قديمة مستقرة إلا أن أهله تأثروا في تاريخهم بالقبائل البدوية وشبه البدوية التي سكنت الجبال والتلال المجاورة - وحينما اتسعت رقعة الإمبراطورية الإيرانية كان مركزها في وسط هذا السهل (حول سوسة) « ب » السهل الشمالي الذي ينتهي عند الجبال المطلة على بحر قزوين .

أما السهول الداخلية في الهضبة فلم تلعب إلا دوراً ثانوياً في حضارة إيران وكانت الصعوبة الدائمة أمام أهلها تنحصر في عدم توفر مياه الري

ومحاولتهم تدبيرها ، وقد عثر على ما يشير إلى أن القنوات الصناعية استخدمت بها من أقدم العصور إلى عهد الإخمينيين (١) - وتقع مدن إيران القديمة وعواصمها في مواجهة الصحراء على طول الطريقين الرئيسيين اللذين يحفان بسلسلة الجبال العظيمة (السيرز في الشمال ومكران في الجنوب) ، وكان لهذا أثره بالطبع حيث نجد أن أهم المواقع الأثرية مثل سيالك (قرب قاشان) ودمغان ومشهد وغيرها تقع في هيئة قوس حول الصحراء الملحية سالفة الذكر .

وهكذا نجد أن الهضبة الإيرانية - من الوجهة الطبيعية - تعتبر مجزأة إلى مناطق منفصلة غير متجانسة لا يسهل توحيدها كما أن الدفاع عنها عسير - ومع أن هذه كانت حالها في تاريخها الطويل ، ومع أن أهلها عاشوا مشتتين في الواحات والسهول الزراعية الضيقة فقد استطاعوا خلق مدينة تركت طابعها في كثير من المدنيات الأخرى (٢) .

(١) أنظر فيها بحدس ١٤٨ وما بعدها

(٢) R. Ghirshman, "Iran" (Pelican 1945), P. 26

العصور قبل التاريخية

العصر الحجري القديم :

أقدم ما عثر عليه من آثار في إيران يدل على أن الإنسان كان يعيش في الكهوف واستمر كذلك إلى العصر الحجري الحديث ، ومن المواقع التي وجدت فيها آثار من العصر الحجري القديم كهف تنجى بابدا في جبال بختياري التي تحد الهضبة (١) من الغرب حيث عثر على فتوس حجرية تشبه نظائرها في جهات العالم الأخرى .

العصر الحجري المتوسط :

لم يعثر على آثار تمله في إيران حتى الآن وما زالت البحوث الأثرية فيها غير كافية بصفة عامة .

العصر الحجري الحديث :

حينما اشتد الجفاف في أقاليم الشرق الأدنى أخذ الإنسان يهجر المناطق التي عاش فيها إلى وديان الأنهار وبالقرب من المجاري المائية الدائمة كما سبق أن أشرنا (٢) ، ولم يشذ أهل إيران عن غيرهم من سكان بقية أقاليم الشرق الأدنى فاتجهوا إلى السهول حيث أخذوا يتحولون إلى حياة الاستقرار فيها - وأقدم المحلات التي أمكن التعرف عليها في السهول توجد في سيالك (قرب قاشان) جنوب طهران التي يميز

Ghirshman, op. cit, 27 f (١)

(٢) انظر اعلاه ص ٢٥٢٤

فيها بين طبقات حضارية ثلاث تعرف بين الاثريين باسم سيالك ١ ،
سيالك ٢ ، سيالك ٣ على الترتيب - ولا ينتمى منها إلى العصر الحجري
الحديث إلا سيالك ١ .

سيالك ١ :

تنتمي هذه الحضارة إلى نهاية العصر الحجري الحديث ، وفيها لم يعرف
الإنسان بناء المنازل بل كان يحتوى - في أول الأمر - في دروة من المواد
الخفيفة ثم عرف - في نهاية المرحلة - كيف يقيم جدراناً من الطين بأوى
اليها ، ومع أنه استمر صيادا إلا أنه أخذ يستأنس بهض الحيوانات
مثل الماشية والاعنام (التي اكتشفت عظامها مع مخلفاته) وبدأ مرحلة
الزراعة وصنع الفخار وهو إما أسود أو أحمر وكانت أوانيهم مزخرفة
بخطوط أفقية ورأسية متقاطعة يحتمل أنها كانت محاكاة للسلال ، وكانت
كل آلاته من الحجر ، وقد عثر منها على سكاكين ومخيمات وفتوس وغيرها
أما أدوات الزينة فكانت كثيرة منها دلايات من المحار وأساور وخواتم
من المحار أو الحجر ، ومن المرجح أن الإنسان في ذلك العصر استعمل
الوشم أو طلاء الوجه على الأقل حيث عثر على مصحن وصلاية دقيقين -
وقد أخذت، النزعة الفنية في الظهور فبدأ الحفر والنقش في العظام إذ نجد
مقايض بعض الأدوات مزينة برسوم تمثلى غزال أو أرانب ، وأجمل
ما عثر عليه من هذا العصر قهقمة يحتمل أنها كانت مقبض سكاكين
وهى فى هيئة إنسان يلبس قلنسوة ويغطى عورته إزار. مثبت بحزام وتعد
من أقدم تماثيل الشرق الأدنى القديم .

وكان أهل هذه الحضارة يدفنون موتاهم تحت أرضية للنازل فى وضع

مقرفص ومن المارجح أنهم اعتقدوا في البعث لوجود بعض الآثات
الجزى والتدمات مع الموتى .

ويدل وجود المحار - وهو من نوع يوجد على بعد ٦٠٠ ميل
من موقع سيالك - على أن إنسان سيالك دأء كان على صلات تجارية
مع مناطق بعيدة جدا ، ويرجح بعض الأثرين أنه توصل إلى معرفة
النحاس واستخدامه في بعض الأغراض البسيطة مثل عمل الدبابيس ، فإن
صح هذا فإن إيران تكون أول من استخدم النحاس في العالم القديم
ولا يمكن في هذه الحالة أن تنتبر سيالك دأء ضمن العصر
الحجرى الحديث .

عصر بداية استخدام المعادن :

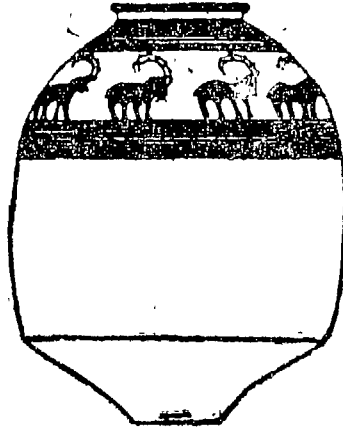
سيالك ٣ : هذه الحضارة تعاصر تقريبا حضارة البدارى في مصر
وحضارة العمق وحى في سوريا - وهي مرحلة منقذة يبدو أن الامور استقرت
فيها بما أتاح الفرصة للنهوض ، فقد أخذ الإنسان يستخدم اللبن بدلا
من السكتل الطينية التي كان يستعملها في بناء مأواه ، ولم يكن هذا منتظها
في شكله تماما لأنه لم يصنع بقوالب بل كان يهيو باليدين مما جعله يتخذ
شكلا بيضيا (أى أنه كان في وسطه أكثر سمكا منه في الطرفين) -
وكانت المنازل متسعة وأصبحت تطل باللون الأحمر وتزود بالأبواب
أو بمنافذ تغطيتها ستر ، وكان الموتى يدفون في أرضيتها كما كان الحال
في الحضارة السابقة - وتقدمت صناعة الأواني الفخارية وزادت زخرفتها
حيث زينت بمنظر حيوانات وطيور رسمت بلون أسود على أرضية

حمراء ، وكثير استخدام النحاس وإن كان مازال يطرق ولا يصب في قوالب ولم يتعد استخدامه صناعة بعض لأواني والدبابيس - كذلك كثرت أدوات الزينة واستخدمت فيها مواد جديدة مثل العقيق وغيره من الأحجار البراقة ، ومن الحيوانات التي استأنسها إنسان هذه الحضارة كلاب الصيد والخيل الصغيرة الحجم بالإضافة إلى الماشية والأغنام التي عرف استئناسها من العصر السابق .

سيالك ٣ : يظهر في هذه الحضارة تطور معمارى جديد إذ أصبح شكل اللبن منتظماً بعد أن صار يصيب في قوالب وأصبحت القرى تحترقها ممرات طويلة ضيقة ومترجة تفصل بين الملاك المختلفين وكانت المنازل تزود بأبواب ونوافذ صغيرة ضيقة ، ولكن كان بما يساعد على زيادة إضاءتها أن جدرانها لم تكن مستقيمة بل كانت ذات مداخل ومخارج أو فجوات على أبعاد منتظمة وكانت تزينها من الخارج قطع من الأواني الفخارية الكبيرة يرجح البعض أنها ثبتت في الجدران لحمايتها من الرطوبة، كذلك كانت تطلّى باللون الأحمر كما في العصر السابق أو باللون الأبيض الذى أخذ يظهر في بيوت هذا العصر - وقد ظل الموتى يدفنون تحت أرضية المنازل وفي الوضع المقرفص أيضاً ، وزادت كمية الاثاث الجنزى وكثرت التقدّمات .

ومن أهم الاختراعات في هذه العصر عجلة الفخار التي ساعدت على خلق كثير من الأشكال في صناعة الاواني كذلك أدخلت أنواع عديدة من الزخارف (انظر شكل ٣٣) - وتبين في رسوم الفخار أنها مرت

بثلاثة مراحل : الأولى كانت الكائنات فيها ترسم على حقيقتها ، والثانية رسمت فيها الكائنات بشكل زخرفي مختصر ، أما الثالثة فقد عاد الميل فيها إلى فن الحقيقة من جديد وتميزت المناظر المختلفة فيها بالحَيوية والحركة حيث يبدو أن الفنان كان يريد أن يعبر بها عن أفكار يرغب في إبدائها للناظر أى انه كان في الواقع يمهّد للكتابة وهذه المرحلة ترجع إلى نفس

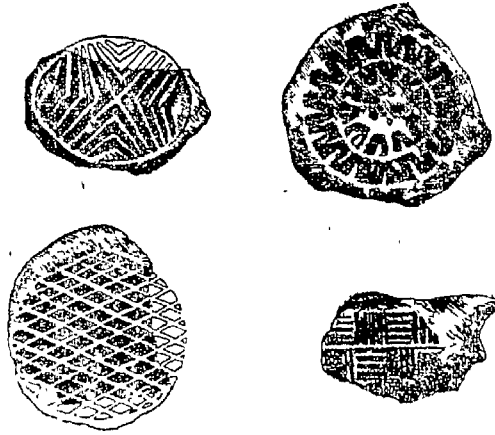


شكل ٣٣ آنية من سيالك ٣

الزمن الذي ظهرت فيه الكتابة في العراق ، أى أنها عاصرت نشأة الكتابة هناك - ولم يقتصر المقدم الفنى على رسوم الفخار بل كان يتمثل كذلك في أشكاله حيث عملت منه تماثيل صغيرة تمثل إلهة الأمومة وأنواع عديدة من الحيوانات ولعب الأطفال .

وقد تطورت صناعة المعادن فأصبح النحاس يصهر ويصب في قوالب لعمل الأدوات المختلفة ولو أن الآلات الحجرية ظلت مستعملة كذلك وتعددت أدوات الزينة وزاد استخدام الاحجار شبه الكريمة ، ومن المرجح

أن اتساع نطاق التجارة جعل الصناع يميزون صناعاتهم بعلامات مميزة فاستخدموا ختمًا من الحجر على شكل مخروط كان في بداية الأمر ينقش بزخارف هندسية الشكل (شكل ٣٤) ثم وضعت بعد ذلك رموز أخرى من الكائنات الحية والنباتات التي كانت تستوحى من رسوم الفخار.



شكل ٣٤ - أختامهم ازخارف هندسية الشكل

وكانت التقدم واضحاً في كل مضمير أثناء هذه المرحلة الحضارية إذ ارتقت الحياة الاجتماعية حيث انتظمت الجماعات المختلفة في مدن كبيرة في مناطق السهول وخاصة في سوسة فقد ظهرت أول حكومة مدنية في عيلام ، أما المناطق الأخرى من الهضبة فإن قلة عدد السكان وتفرقهم في أماكن متباعدة كان سبباً في تأخر نمو هذه الجماعات وانتظامها في مدن كبيرة .

ولم يعثر على ما يمثل هذه المراحل الحضارية الثلاثة شالفة الذكر مجتمعة في أي من الأماكن الأثرية بالهضبة ، ففي جيان (قرب نهاوند)

وتل باكون وسوسة مثلاً لم تستقر الحضارة فيها إلا من نهاية عصر سيالك ٢ وبعدها أخذت بعض المظاهر الحضارية ومن بينها الفخار الملون تنتشر في كل أنحاء الهضبة وخارجها ، ثم أخذت صناعة الفخار والمعادن تخطو في تقدمها خطوات موحدة تقريباً وإن وجدت مميزات فردية لكل منطقة حيث أخذ كل مصنع يميل إلى أشكال معينة ويتأثر بمؤثرات خاصة ، وقد مهد ذلك إلى تطور الحضارة في منطقة عيلام قبل دخولها في عصرها التاريخي .

فقرة التمهيد للعصر التاريخي في عيلام

أشرنا إلى أن علامات انعدام الوحدة في صناعة الفخار الملون أخذت تظهر في النصف الثاني من الألف الرابع قبل الميلاد ثم اختفى هذا الفخار فجأة من سوسة وحل محله فخار أحمر بمائل أحد الأنواع التي ظهرت في بلاد النهرين ، وربما يرجع ذلك إلى حدوث نهضة حضارية في سوسة كانت متأثرة بحضارة تلك البلاد

ولم تكن منطقة سوسة هي المنطقة الوحيدة التي تأثرت بمؤثرات غربية بل أثبتت الأبحاث الأثرية أن كل السواحل الشمالية للخليج العربي قد تأثرت بها ، كما أن المناطق الجنوبية من إيران كافتحت طوال العصور القالية دخول المؤثرات الثقافية التي كانت تأتي من بلاد النهرين - أما المناطق التي كانت في غرب الهضبة فلم تعان ضغطاً أجنبياً وظل الفخار الملون مستعملاً بنفس الأساليب القديمة ولكن أضيفت إلى أشكاله وزخارفه القديمة أشكال وعناصر زخرفية جديدة كما يتبين ذلك في آثار جيان

ثم أخذ الفخار الملون في الاختفاء تدريجياً من غرب إيران وحل محله الفخار الاسود أو الرمادي المسود مما يوحى بتسلسل عناصر أجنبية إلى المنطقة واندماجهم مع السكان الأصليين فيها ، وتدل شواهد الأحوال على أن العناصر الدخيلة جاءت من التركستان الزوسية أو من سهول بعيدة وسط آسيا واستمرت في تقدمها غرباً حتى وصلت إلى كبادوشيا Cappadocia بآسيا الصغرى .

ولم ينج وسط إيران من المؤثرات الخارجية فقد وجدت في سيالك آثار تدل على حدوث حريق وتدمير لبعض المساكن التي تنتمي إلى سيالك ٣ وإقامة مساكن أخرى في مساكنها اختفى الفخار الملون منها وحل محله فخار أحمر أو رمادي يشبه في أشكاله فخار سوسة ، كما أن الختم الاسطواني أصبح يستعمل بدلاً من الختم المخروطي الذي كان معروفاً من قبل ، ويدلنا هذا على إدخال الكتابة على الألواح الطينية وبالفعل ظهرت الكتابة قبل العيلامية في الواح وآثار وجدت مع هذه الأختام . ويبدو أن العناصر التي جلبت معها هذه الكتابة « قبل العيلامية » إلى سوسة دخلت أيضاً إلى منطقة سيالك ولكن في غزوة وحشية ، ومن المرجح أنها كانت أقوى وأغنى من سكان المنطقة الأصليين ، لأن وجود مظاهر حضارية (من تلك التي أحدثوها في سوسة) بمنطقة سيالك مع ما صاحبها من آثار تدمير وحريق يشير إلى أن هذه الحضارة قد فرضت بالقوة خلافاً لما حدث في المنطقة الشمالية حيث تسالت إلى هذه الأخيرة العناصر المسالمة التي أشرنا إلى احتمال مجيئها من التركستان أو من السهول البعيدة في وسط

آسيا وجلبت معها الفخار الأسود والرمادى المسود واندجحت مع السكان الاصليين. (١)

وتتميز منازل هذا العصر بأنها بنيت بعناية ولو أن أبوابها ظلت حقيمة ، وكانت تزود عند مدخلها بموقد مقسم إلى قسمين - أحدهما للطعام والآخر للخبز - وإلى جانبه إناء للماء - وقد عثر فيها على أثاث متواضع خشن الصنع كانت مفرداته والمؤن المختلفة التي معه توضع داخل فجوات مخصصة لها أو تحاط بأسوار أو حواجز حجرية لحمايتها - وكان الموقد يدفنون تحت أرضية الحجرات وتوضع معهم مهبات جنزية وتقدمات مختلفة مثل أدوات الزيتة والمرايا النحاسية وأواني من المرمر وغيرها - وقد زين الموقد أنفسهم بحلى كثيرة منها دلالات من الفضة المطعمة بالأصداف والذهب واللايس لازولى (٢) ودلالات أخرى من الفضة المطروقة وأقراط مزينة بقطع من الذهب واللايس لازولى بالتبادل وأساور من فضة وعقود طويلة خرزها من أحجار بيضاء ومن الذهب والفضة واللايس لازولى والعميق ، ويوحى تعدد المواد ورقى الصناعة بأن هذه الحلى صنعت في سوسة أو في بلاد العراق حيث عثر على ما يشبهها في المقابر الملكية في أور .

وتنحصر أهمية تلك الحضارة التي وجدت في سوسة وتوغلت

(١) يبدو ذلك واضحا في آثار جيان كما أشرنا أعلاه .

(٢) كان التنظيم يثبت هذه المواد في الفضة بواسطة القار 48 Chirshman, Iran,

إلى وسط هضبة إيران في استخدام الكتابة التي يدل مظهرها على أنها كانت متقدمة عن الكتابة التصويرية البحتة ، ومع أنها لم تقرأ بعد إلا أن ما عثر عليه من نصوص كتبت بها يدل على أن هذه النصوص عبارة عن أرقام وعمليات حسابية خاصة بشؤون تجارية .

ومنطقة سيالك هي الموقع الوحيد الذي وجدت فيه وثائق مكتوبة قبل قبل عصر الآخمينيين (١) في داخل الهضبة ، وحيث أن هذه المنطقة قد تأثرت بحضارة عيلام (٢) فلا بد وأن الكتابة والثقافة والعيلامية قد انتشرت إلى هنا عن طريق توسع سياسي عيلامي يحتمل أنه كان لخدمة أغراض تجارية ، وبما يرجح هذا الرأي أن الكتابة والثقافة العيلاميتين استمرت فيها طوال المدة التي بقيت فيها مراكز تجارية عيلامية في وسط الهضبة ثم اختفت بعد زوالها .

ومع أن التأثيرات الحضارية التي جاءت إلى إيران لم تصل إليها من منطق واحد أو في وقت واحد أو بدرجة واحدة فإنها استطاعت أن تمتص هذه المؤثرات وفي نفس الوقت كانت ثقافتها تنتشر إلى ما جاورها فمثلا استعملت بلاد النهرين نوعا من الفخار المزخرف الذي كان شائما في سيالك وحسار أي أنه انتقل إليها من إيران .

(١) منذ أوائل الألف الأولى قبل الميلاد سادت إيران ثلاث عناصر هندوأوروبية فقد حكمتها على التوالي الإيريانيون والميديون ثم الآخمينيون الذين كونوا إمبراطورية راسعة تنازعت مع اليونان على السيادة على العالم القديم إلى أن قضى عليها الإسكندر الأكبر .

(٢) أنظر أعلاه ص ٤٠٤ وما بعدها

العصر التاريخي

١ - عيلام

في بداية الألف الثالث قبل الميلاد لم يدخل من إيران في العصر التاريخي سوى منطقة عيلام وحدها أما بقية المناطق فإن معلوماتنا عنها تأتي من مصادر بلاد الهرين التاريخية وعلى الأخص المصادر البابلية وهذه لا تذكر شيئاً عن الجهات الداخلية البعيدة وإنما تسكتفي بالمناطق المتاخمة لها على الحدود حيث كان سكانها يعيشون على التلال ويحتكون دائماً بأهل بلاد النهرين السومريين والساميين ، وسكان المناطق المرتفعة هؤلاء هم من الجنوب الى الشمال : العيلاميون والكاشيون واللوبي والجوتي ، وكلهم ينتمون إلى جنس واحد ويتكلمون لغات متشابهة - وقد أدى الضغط المستمر الذي كانت تفرضه عليهم الممالك المتحضرة في السهول الى اتحادهم أحياناً وبصفة مؤقتة إذ كان الكفاح مستمرا بين الأمم المتحضرة في السهول وبين البدو وأشباه البدو في المناطق الجبلية ، فكما تكونت أسرة قوية في بابل زاد الضغط على سكان المناطق الجبلية وكما ضعفت بابل انحدر هؤلاء من الجبال إلى مناطق السهول الغنية يحتلونهم لفترات مختلفة ، وعلى ذلك ظلت الحضبة الإيرانية في معظمها على حالة من البداوة ولم يدخل العصر التاريخي في أول الأمر إلا منطقة عيلام .

فحوالي الربع الأول من الألف الثالث قبل الميلاد كانت هناك أسرة عيلامية قائمة بالفعل تحكم مساحة كبيرة من السهول والمناطق الجبلية من بينها جزء هام من ساحل الخليج العربي ومنطقة بوشير ، وتدل شواهد

الأحوال على أن المملكة القائمة وإن كانت قد اتخذت كتابة خاصة إلا أنها استعملت اللغة السومرية .

وعندما أعتلى « سرجون » الأكدي عرش بلاده غزا عيلام التي كافحت من أجل الدفاع عن كيانها ولكن سرجون انتصر عليها في موقعتين حاسمتين ، ومن المحتمل أنه ضم سوسة نفسها إلى مملكته . كذلك كان ولده « مانيشتوسو » موثقاً في حروبه ضد عيلام واستطاعت جيوشه أن تعبر الخليج العربي لتأمين الطريق المؤدى إلى المرتفعات التي كان يجلب منها المواد اللازمة للبناء - وفي عهد خليفته « نارام سن » حدثت ثورة في أطراف مملكته ومن بينها عيلام ولكن هذه الثورة أخضعت بشدة واستطاع أحد قواده أن يشيد بعض المباني الهامة في سوسة ، وقد حلت اللغة الأكديّة (السامية) محل العيلامية وأوشكت الثقافة العيلامية أن تختفي لولا أنها ظلت قائمة في المناطق الجبلية الوعرة .

وقد انتهز حكام عيلام الوطنيون ومن بينهم « بوزور انشوشناق » كل فرصة للنهوض بعيلام من جديد حيث نجد أن نصوصاً كتبت باللغة العيلامية وما قبل العيلامية قد عادت للظهور جنباً إلى جنب مع نصوص كتبت بالأكديّة . وانتهز « بوزور انشوشناق » فرصة التظاهر بالدفاع عن سيده « نارام سين » (١) وتوسع في مد سلطانه نحو الشمال حتى وصل

(١) أنظر أعلاه ص ٣٥٩ - ٣٦٠

إلى الإحتكاك بقبائل جوتى ، وقد أثرى بلاده بالغنائم التى حصل عليها
 وشيد الكثير من المباني ، ولما مات « نارام سين » أعلن استقلاله وهاجم
 بابل نفسها حتى وصل إلى أكد وبعكته رد عنها بصعوبة ومع ذلك
 فقد احتفظ باستقلاله عن بابل التى أخذت فى الضعف تدريجيا ، واتجهت
 إليها الأنظار وخاصة بعد نجاح « بوزور انشوشناق » فزتها قبائل اللولوبى
 والجوتى الواحدة بعد الأخرى - واللولوبى كانوا يعيشون فى المنطقة التى تمتد
 من شرق بغداد الحالية إلى كرمانشاه وحمدان وطهران أما الجوتى فكانوا
 يعيشون فى المنطقة الممتدة بين وادى زاب الأدنى والحوض الأعلى لنهر
 دياله ، وقد تخلصت بابل بعد ذلك من سيادة الجوتيين بقيام أسرة جديدة
 فى أور تمكنت فضلا عن ذلك من إخضاع سوسة وما حولها تحت
 سلطانها ولمكن هذه المملكة الجديدة لم يقدر لها البقاء طويلا فبعد مرور
 نحو قرن من الزمان هاجمتها مملكة « سيماش » (فى الجبال الغربية من أصفهان)
 وهزمت ملكها وحملته أسيراً إلى الجبال ، وأصبحت « سيماش » صاحبة
 السلطان فى سوسة وعليلام - ثم حدث رد فعل جديد حيث تكونت
 أسرة أيسين التى طردت « سيماش » واستولت على عيلام .

وهكذا نجد أن دور إيران فى تاريخ غربى آسيا قد زاد أهميته
 فى أثناء الألف الثالث قبل الميلاد ، وكان ملوك بلاد النهرين يهدفون
 فى حروبهم ضدها إلى غرضين : سياسى يتلخص فى ضمان عدم قيام دولة
 قوية على حدودهم حتى لا تهدد كياناتهم السياسى ، واقتصادى يقصد من ورائه
 تحويل موارد الثروة من إيران إلى بابل .

ولا يعرف شيء عن الأحوال السياسية في المناطق الداخلية من إيران ولا نعرف مدى توغل العيلاميين واللوبيين والجوتيين في المناطق التي تقع إلى الشرق من تلك التي أشرنا إليها ، ففي سيالك توجد فجوة أثرية تمثل فترة استمرت ما يقرب من ألفي عام لا نعرف ماذا حدث خلالها - ولكن في جيان يبدو أن المجتمع الذي عاش فيها ظل يتبع نفس أساليب الحياة دون تغيير يذكر فالفخار الملون الذي يحاكي فخار موسسة ظل مستعملا ، وقد وجدت في المقابر حلى كثيرة من البرونز والفضة - وفي حसार حل الفخار الرمادي المسود محل الفخار الملون كما حدث في غرب الهضبة ، وازداد استخدام المعادن وخاصة في صنع الأشياء الصغيرة ، ومن المحتمل أن البرونز كان يقدر لقلته نسبيا أكثر من الفضة وبذلك دخلت إيران الداخلية في عصر البرونز .

وأهم ما حدث في الألف الثاني قبل الميلاد هو ظهور العناصر الهندو أوربية في غربي آسيا (وكان من أثرها دخول الهكسرس إلى مصر على الأرجح) - ويبدو أن هؤلاء جاءوا من المناطق الرعوية في آسيا وتشعبوا إلى شعبتين . غربية دارت حول البحر الأسود (بعد أن عبرت البلقان والبسفور) ووصلت إلى آسيا الصغرى حيث كونت المملكة الحيثية ، شرقية عرفت باسم الهندو إيرانيين وقد دارت حول بحر قزوين وخرجت منها بضعة فروع اتجه أحدها عبر القوقاز إلى أعلى الفرات حيث اختلط بالخوريين أهل البلاد السابقين وكونوا مملكة ميتاني (١) ، واتجه

فرع آخر وسط جبال زاغروس إلى المنطقة الواقعة في جنوب طريق القوافل حيث استقر فيها كأقلية نشيطة (اشتهرت متطعتها فيما بعد بتريسة الخيسول) عرفت باسم الكاشيين الذين يحتل بأنهم هم الذين تسببوا في القضاء على مدينة حसार أثناء اندفاعهم غربا للاستقرار في تلك المنطقة وذلك في حوالى منتصف الألف الثانية قبل الميلاد .

ومن المعروف أن أحد أمراء عيلام استطاع أن يغزو بابل في بداية الألف الثانية قبل الميلاد مكونا بعد ذلك بوقت قصير أسرة لارسا التى استطاعت أن تقضى على أسرة أيسين وبذلك أصبحت سيادة على بابل وأورك ، ولكن حينها تولى هامورابى عرش بابل سرعان ما أوقف تقدم العيلاميين بل وتمكن بعد ٣١ عاما من أن يهزم ملكهم « ريم سن » - وبعد عدة محاولات فاشلة من جانب ملوك عيلام حاولوا فيها الاحتفاظ بسلطانهم على لارسا اختفت عيلام لمدة قرن من الزمان ثم أعيد بناؤها بضعة عشرات من السنين واختفت بعد ذلك على إثر غزوات الكاشيين وأول ما يطالعنا من النصوص عن الكاشيين في بابل هو ما يذكره خليفة هامورابى من أنه صد هجوما لجيش من الكاشيين ولكن مع ذلك يبدو أنهم تمكنوا في النهاية من التسلل إلى بابل كهاجرين مسلمين لمدة قرن ونصف تقريبا ثم استطاعوا أن يستأثروا فيها بالسلطة في حوالى القرن ١٨ ق.م ، وتعد سيطرتهم في بلاد النهرين أطول سيادة أجنبية فرضت فيها (١) ومع ذلك لم يدخلوا عناصر حضارية جديدة تستحق الذكر

(١) أنظر اهلام ص ٣٧٣

وتدل شواهد الاحوال على أنهم كانوا على صلوات بمصر في عهد العمارنة ، ويظهر أن مملكة آشور استطاعت أن تنهض وعقدت بينها وبينهم معاهدة على أثر حملة قام بها ملك آشور « أداد نيرارى » ، وقد اتفق فيها على الحدود ثم عادت النهضة من جديد في عيلام إلا أن الكاشيين ظلوا قابضين على ناصية الامور في بابل ولكنهم أصبحوا غاية في الضعف حيث أنهم وحلفاءهم الاشوريين هزموا أمام عيلام التي استطاعت أن تقضى أولا على سلطان الكاشيين في بابل وخلفت ملكهم عن العرش ووضعت ابنه في مكانه وبعدئذ تقدمت جيوشها إلى الشمال واخترقت حوض ديبالة ووصلت إلى منطقة كركوك ثم تقدمت نحو آشور كما حاصرت مدينة بابل ، وبذلك أصبح كل حوض الفرات ومعظم ساحل الخليج العربي وسلاسل جبال زاغروس في يد عيلام .

وما أن حلت نهاية الالف الثمانى قبل الميلاد إلا وتكونت أسرة قوية جديدة في بابل استطاع ملكها « نبوخذ نصر » أن يحطم قوة عيلام واستولى على سوسة فاختمت عيلام مرة أخرى وكان ذلك لمدة ثلاثة قرون تقريبا اشتد فيها التنافس بين مملكتى بابل وآشور الجديدتين من أجل السيطرة على الاراضى السهلة بينهما ظلت الهضبة الإيرانية قليلة الأهمية إلى أن تمكنت بعد بضعة قرون من أن تغير وجه التاريخ .

٢- الإيرانيون: الميديون والفرس

الإيرانيون

في بداية الألف الأول قبل الميلاد زاد استخدام الحديد وحدثت هجرة جديدة للشعوب الهندو أوروبية وكان لذين الحادئين أكبر الأثر في تاريخ آسيا .

ومن المحتمل أن الهجرة الهندو أوروبية الجديدة كانت تشبه الهجرة السابقة وربما كانت من نفس المنطقة التي جاءت منها أيضا - ففي سنة ١٢٠٠ قبل الميلاد تقريبا اتجهت بعض الشعوب الهندو أوروبية إلى آسيا الصغرى وحطمت امبراطورية الحيثيين ، وكان الفاسطيونيون الذين استقروا إلى اليوم - وقد وصلت هذه الهجرة عبر سوريا إلى فلسطين وتقدمت في فلسطين من بين شعوب هذه الهجرة وما زالت فلسطين تحمل اسمهم نحو مصر إلا أن رعمسيس الثالث صدها - أما في إيران فإن الشعوب الإيرانية قد اخترقتها في بداية الألف الأول قبل الميلاد وأثرت عليها تأثيرا مغايرا لتأثير الغزوة السابقة التي حدثت قبل ذلك بألف سنة تقريبا (١) حيث أنهم لم يندمجوا في السكان الأصليين مثل ما فعله الحوريون والميتانيون والكاشيون من قبل ، فقد وضعوا أنفسهم في مركز السيادة بعد أن تسلوا تسللا بطيئا إلى المنطقة ثم تمكنوا بعدئذ من الخروج لغزو العالم ، ولم تتمكن الشعبة الشرقية من هؤلاء الإيرانيين من التوغل جنوب هندكوش

فاتجهت نحو الغرب إلى قلب إيران إلا أنها ظلت تطمح في الوصول إلى بلاد الهند الغنية وأخذت تتحين الفرصة لذلك ، أما الذين اتجهوا إلى الغرب فلم تكن السلاسل الموازية لجبال زاغروس هي التي تحول دون تقدمهم بل وقفت أمامهم سدا منيعاً هناك ولايات قوية لها ماضى وحضارة مستقرة منذ آلاف السنين ، فالقبائل الإيرانية التي أرادت الاتجاه إلى الجنوب الشرقي على امتداد زاغروس كانت تواجهها من الشمال إلى الجنوب : آشور وبابل وعيلام ، وإلى الشمال الشرقي حول بحيرة وان توجد جبال القوقاز وملكة أرارات التي أصبحت فيما بعد ملكة أرمينيا - وعلى هذا ظل الإيرانيون لا يستطيعون اختراق ذلك الحاجز وأخذوا خلال الأربعة قرون التالية يتمتعون السكان الأصليين ويفرضون ثقافتهم وسلطانهم السياسي في وديان جبال زاغروس .

وكان النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد نقطة التحول في تاريخ البشرية لأن مركز السيادة العالمية أصبح لا يوجد في السهول والوديان الخصيبة مثل وادي النيل ووادي دجلة والفرات بل انتقل إلى المرتفعات حيث وجدت ثلاثة قوى في شرق إقليم الشرق الأدنى كانت تتصارع فيما بينها وهؤلاء هم : الآشوريون وملكة أرارات والإيرانيون - وبعد كفاح مرير تمكن الآخرون من الإنتصار على خصومهم وأسسوا أول إمبراطورية عالمية ، ومن العسير التعرف على تفصيلات حوادث هذه الفترة إلا عن طريق الوثائق الآشورية حيث لا يوجد ما يبرهن لنا الطريق عن هذا العصر سواها وإن كان من المحتمل أن نعرف كثيراً عن حضارة هؤلاء الإيرانيين بعد تقدم التنقيبات التي تجرى في إيران وخاصة

في منطقة سيالك التي أشير إليها فيما سبق ، وما ساعد على التحول السياسي عن السهول ازدياد استخدام الحديد كما أشرنا من قبل وهو يوجد بكثرة في جنوب البحر الأسود وعبر القوقاز التي تتحكم فيها مملكة أرات - وقد حولت هذه اهتمامها نحو إيران التي كانت تكثرت بها الخيول اللازمة للجيوش وبعض المعدن ، وحينما منعت إيران تلك الموارد عن آشور اضطرت هذه إلى اتباع سياسة الاعتماد عليها ولكن ملوكها لم ينجحوا دائما في إخضاع تلك الجهات - إذا ما نجحوا فإن إدارتهم لها لم تكن فعالة ، وكانت هذه الاعتمادات المتكررة سببا في تغيير بعض الأساليب الحربية وأصبح الخيالة أهم سلاح في الجيش حيث حلوا محل العربات .

الميديون

نجد في حوليات شلنصر الثالث أول ذكر الإيرانيين ، ففي سنة ٨٤٤ ق.م عرف الآشوريون الفرس وفي سنة ٨٣٦ ق.م عرفوا الميديين - وكان الفرس في غرب وجنوب غربى بحيرة أورميا ، أما الميديون فكانوا في الجنوب الشرقى الى جوارهمدان ، ومن المرجح أن هذه الأسماء لا تدل على اختلافات جنسية وإنما تدل على أسماء القبائل التي عاشت في تلك المناطق - ويذكر الملك الآشورى شمشى أدد الخامس ، أنه هزم زعيما إيرانيا شمال بحيرة أورميا سنة ٨٢٣ ق.م .

ويبدو أن الفرس لم يستقروا في الشمال الغربى من إيران طويلا إما نتيجة للغزوات الآشورية وإما نتيجة لضغط مملكة أرات أو بعض

القبائل الأخرى ، وعلى ذلك اتجهوا في القرن الثامن نحو الجنوب الشرقي واستقروا في نهاية هذا الجزء من إيران غرب جبال بختيارى في منطقة عرفت باسم « بارسوماش » - ولما كانت المملكة الأشورية قد أخذت في الضعف منذ نهاية القرن التاسع فإن مملكة أرات قد انتهزت الفرصة ووسعت أملاكها وفرضت سلطانها على الفرس ، واستمر النضال بين أرات وآشور إلى أن اعتلى عرش آشور « تجلات بلاسر الثالث » الذى انتصر على ملك أرات وتوغل داخل مملكته وحاصر العاصمة نفسها ولكنه لم يستطع الاستيلاء عليها - وقد قام بعدة حملات على الأمراء الأيرانيين والميديين وأخضع مدنهم ونظم إدارتها ، ثم حاول ملك أرات الجديد أن يستنهض زعماء القبائل المجاورين له ونجح فى تكوين حلف منهم .

وكان من هؤلاء زعيم الميديين الذى أسس المملكة الميدية ولكن « سرجون الثانى » ملك آشور نجح فى القضاء على الثورات التى نشبت فى أجزاء مختلفة من مملكته كما أنه جلب ٣٠ ألف اسرائيلى وأسكنهم فى المدن الميدية - وكلما تجددت الثورات ضد مملكة آشور كان سرجون يقضى عليها ، أما « سناحريب » الذى جاء بعد ذلك بفترة فإن انشغاله فى حروبه ضد عيلام ومصر ويهوذا جعله يخفف الضغط على الميديين ، وفى تلك الأثناء دخلت عناصر جديدة هندوأوربية التفتت هى وكثير من المدن الأيرانية حول أحد زعماء ميديا فبلغت هذه من القوة مبلغا جعلها تنجح فى تكوين مملكة وتمكنت من التحكم فى العناصر الهندوأوربية الأخرى ومن بينها القبائل الفارسية - وقد استغل الميديون فرصة ضعف الامبراطورية

الاشورية واتجهوا نحو نينوى محاولين السيطرة على آشور ، ولكن الملك البابلي د نبوبولصر ، استطاع إيقاف هذا التوسع الميدي ثم تحالف الميديون والبابليون وتمكنوا من إسقاط نينوى سنة ٦١٢ ق.م وقسمت المملكة الاشورية بين الميديين والبابليين الكلدانيين فاستولى الميديون على المناطق الواقعة شرق وشمال نهر دجلة واستولى الكلدانيون على تلك التي تقع في الجنوب والغرب - ولم يستتف الميديون بذلك بل توسعوا نحو الغرب في آسيا الصغرى وحاولوا فرض سيطرتهم على ليديا (غربي آسيا الصغرى) وانتهى الامر بالتحالف بينهما نتيجة لتوسط ملك بابل ، ومع ذلك لم يأمن البابليون جانب الميديين فاتجهوا نحو عنصر إیرانی آخر بدأ يبرز إلى ميدان القوة وهذا العنصر حاول تأسيس مملكة بزعامه د أخيمين ، (سنة ٧٠٠ - ٦٧٥ ق.م) - وحينما اعتلى العرش ولده تيسيس أطلق على نفسه لقب د ملك أنشان ، ثم قسم مملكته بين ولديه د أريارامن ، و د كورش الأول ، ، وقد حكم الأول في بارسا وحكم الثاني في أنشان وبموت د أريارا من ، خلفه ولده الذي لم يستمر طويلا على العرش إذ أن د قبيز ، بن د كورش الأول ، وخليفته تمكن من أن يوحد المملكةين تحت سلطانه .

الآخمينيون (الفرس)

ظل قبيز خاضعا للنفوذ الميدي على الرغم من أنه كان يحكم مملكة موحدة فلم يكن مستقلا كل الاستقلال ، ولكن في عهد خلفه د كورش الثاني ، اصطدمت القوتان الفارسية والميدية واستطاع كورش أن يقضى على هذه المملكة الأخيرة واتخذ عاصمتها د اكباتاما ، (همدان) عاصمة

إيران الموحدة وبذلك بدأ عهدا جديدا لإيران حيث احتلت بعد ذلك مركز السيادة في الشرق القديم - وقد تمكن كورش من توسيع مملكته فبسط سلطانه حتى حدود البحر المتوسط غربا والهند شرقا بل وتمكن كذلك من احتلال بعض المدن والجزر اليونانية واحتل بابل وبذلك قضى على أكبر منافس في الشرق القديم، ومنذ ذلك الحين انتهت مدنية بلاد النهرين - واستمر كورش الثاني في عملياته الحربية في الشرق والغرب موطئا أركان امبراطوريته، وكان سياسيا ماهرا فلم يكن قاسيا في معاملته للاعداء ولم يدمر بابل بعد إسقاطها - أما الأسرى الاسرائيليون الذين كانوا قد جلبوا إلى آشور وميديا فقد أعادهم إلى وطنهم الأول فلسطين . (١)

ولما اعتلى « ولده قبيز الثاني » عرش الامبراطورية تمكن من غزو مصر فأصبح الفرس يحكمونها من الاسرة السابعة والعشرين إلى الاسرة الحادية والثلاثين باستثناء فترات قصيرة ثار فيها المصريون على الحكم الفارسي - وبعد موت قبيز انقسمت الإمبراطورية إلى عدد من الولايات التي كانت تحاول الاستقلال ولكن خليفته « دارا الأول » تمكن من إنقاذ الامبراطورية وأعاد الاستقرار إلى أجزائها المختلفة بعد أن خاض نحو من ١٩ معركة حربية .

ويعد « دارا الأول » من أهم الملوك الذين حكموا الامبراطورية

الفارسية التي كانت تتكون من عشرين ولاية حيث استطاع هذا الامبراطور بفضل جهوده أن ينعش الحركة التجارية في أجزائها المختلفة وتوسع في إنشاء الطرق وأمر بحفر القناة التي تصل بين النيل والبحر الأحمر ، ولذلك يرى بعض المؤرخين بأن هذا الامبراطور يعد « يهودى عصره » نظراً لما لقيه من نجاح في ميدان التجارة ، كذلك نشط هذا الملك في تشييد المباني وتجميل العاصمة واستخدام في ذلك أرز لبنان والنحاس وخشب الأبنوس الوارد عن طريق مصر واستعان بالعمال الميديين والمصريين والبابليين أيضاً كما استخدم نظام نقد ثابت استعملت فيه العملة بدل المقابضة - وفي نهاية عهده ساءت العلاقات اليونانية الفارسية بما أدى إلى قيام الحرب بينهما ، وقد انهزم الجيش الفارسي في الموقعة المشهورة باسم ماراثون سنة ٤٩٠ ق.م - وبعد ذلك بقليل أوى في عهد « احزر كسيس الأول » الذى تولى بعد دارا هزم الاسطول الفارسي في موقعة سلاميس سنة ٤٨٠ ق.م ، وقد تلا هذا الملك ملوك ضعاف كان عهدهم مليئاً بالحروب والثورات إلى أن انتهى الأمر بانتصار الاسكندر الأكبر فأصبحت إيران ضمن أملاك السلوقيين ولم تتمكن من العودة إلى النهوض إلا في عهد الساسانيين (١) الذى استمر إلى أن دخل العرب إيران سنة ٦٥١ م .

ولاشك أن الإمبراطورية الإيرانية كان لها أكبر الأثر في تاريخ

(١) بدأ حوالى سنة ٢٢٦ ق.م

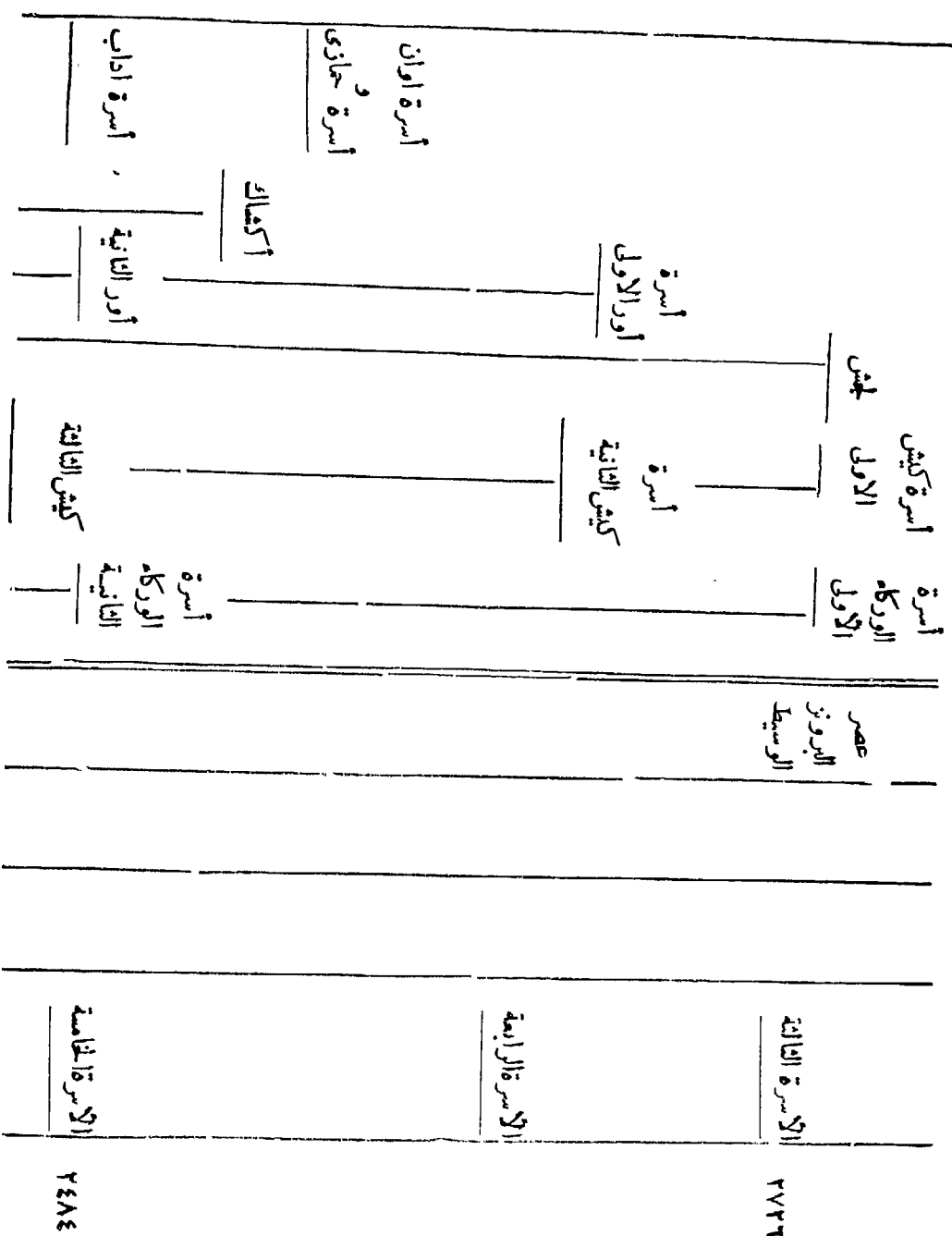
وحضارة الشرق الأدنى القديم ، فقد استعملت اللغة الآرامية كلغة رسمية وهذه انتشر استعمالها كلغة دولية في الألف الأول قبل الميلاد ، كما أن العقيدة الزرادشتية نمت وتزعرعت في ظل الإمبراطورية الإخمينية وكانت معاصرة للديانة البوذية ومازالت هاتان العقيدتان منتشرتين في كل من إيران والهند - ولم يحل تمسك الإيرانيين بعقيدتهم دون تسامحهم الديني في غالب الأحيان واتجهوا في سياستهم وحكمهم للشعوب اتجاها نسانيا ، فلم يدمروا مثلما دمر الآشوريون ولم يشتتوا سكان بعض المناطق كما فعل غيرهم بل على العكس من ذلك نجد أنهم في بعض العصور كانوا يميلون إلى اتباع سياسة تهدف إلى إنعاش التجارة وتمميم الرخاء في الولايات المختلفة .

ملحق تاريخي

ترتيب أهم الادوار التاريخية في الشرق الاوسط

بلد	الاقليم	البلد	العصر	التاريخ التقريبي
إيران	آسيا الصغرى	العرب	عصر	ق.م. ٠٠٠٠ بعده ظهور الانسان
بلاد النهرين	الاقليم السورى	العرب	عصر	ق.م. ٠٠٠٠
الخط - ارة - الاثيوبيا - ارة - الاثيوبيا				
الخط - ارة - الاثيوبيا - ارة - الاثيوبيا				
سيالك ١	جزيرة	العرب	عصر	ق.م. ٠٠٠٠
سيالك ٢	جزيرة	العرب	عصر	ق.م. ٠٠٠٠
سيالك ٣	جزيرة	العرب	عصر	ق.م. ٠٠٠٠

الغسولييه عصر البرونز الاول	سايبة مسنده بن سلامة المسادي	٢٥٠٠
الوركا	الدولة الفدييه	١٥٠٠ ± ٢١٠٠
جداة نصر	الاسرة الاولى	(٩ ٣٢٤٦) أو (٩ ٣٢٣٤)
عصر البرونز القديم	الاسرة الثانية	(٩ ٩٨٢)



أسرة حارثي

أكشاك

أور الثانية

بنين
علي حكا
الأكديين

كثي
الرابعة

أكاد

الوركة
الثانية

الوركة
الرابعة

غزو
السومريين

غزو
الأكديين

الاسرة السامية

١٧٨٦	٤٥٥ العروض الثاني	١٧٠١٣ الاسرات الثاني	١٧٨٦	١٧٠١٣ الاسرات الثاني	١٧٨٦	١٧٠١٣ الاسرات الثاني	١٧٨٦	١٧٠١٣ الاسرات الثاني
١٥٧٥	١٨ الاسرة	١٨ الاسرة	١٥٧٥	١٨ الاسرة	١٥٧٥	١٨ الاسرة	١٥٧٥	١٨ الاسرة
	الدولة الحديشية	الدولة الحديشية		الدولة الحديشية		الدولة الحديشية		الدولة الحديشية
	٤٥٥ العروض الثاني	٤٥٥ العروض الثاني		٤٥٥ العروض الثاني		٤٥٥ العروض الثاني		٤٥٥ العروض الثاني
	الدولة	الدولة		الدولة		الدولة		الدولة
	القديسية	القديسية		القديسية		القديسية		القديسية
	دولة أرض البحر	دولة أرض البحر		دولة أرض البحر		دولة أرض البحر		دولة أرض البحر
	العسرو الطهي	العسرو الطهي		العسرو الطهي		العسرو الطهي		العسرو الطهي
	الاسرة الكائنية	الاسرة الكائنية		الاسرة الكائنية		الاسرة الكائنية		الاسرة الكائنية
	الميتانيون	الميتانيون		الميتانيون		الميتانيون		الميتانيون
	المطوريون	المطوريون		المطوريون		المطوريون		المطوريون
	فيلام	فيلام		فيلام		فيلام		فيلام

تابع ، الجدول التالي تاريخي ،

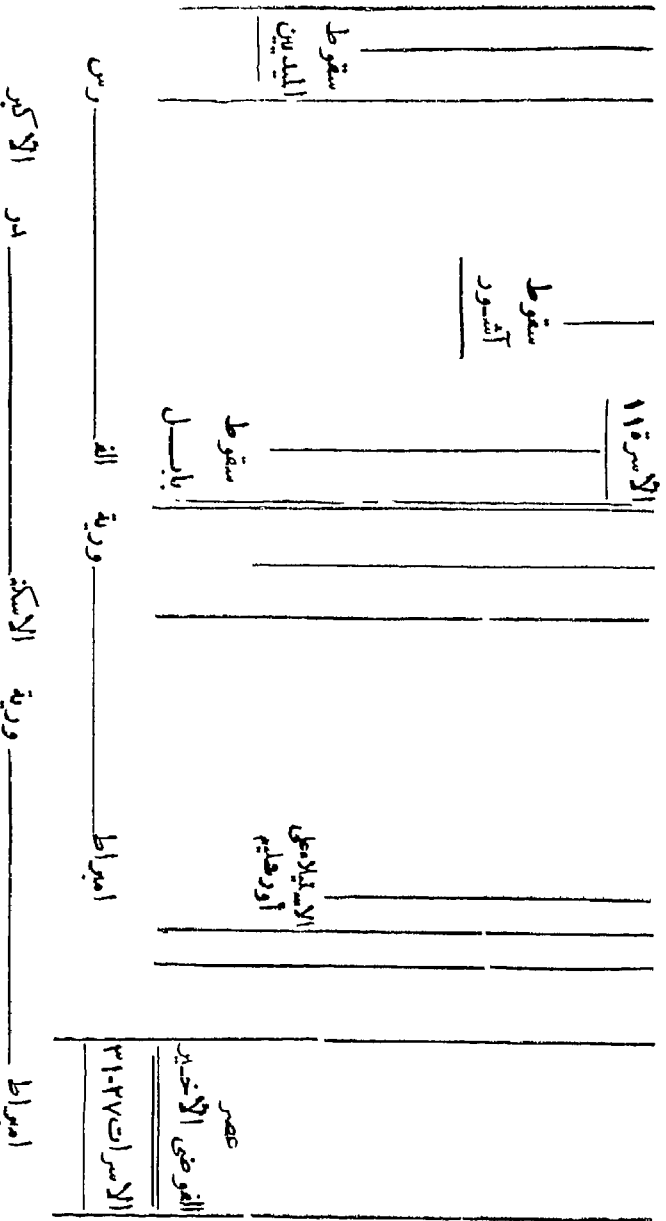
بلد	الاقليم	الاصول	بلد	مصر	التاريخ القوي
ايران	بلاد النهرين	آسيا الصغرى	العرب	مصر	ق. ٢٠٠
	آشور عيلام الخوريون	عصر الامبراطورية	مدين	الاسرة ١٩	١٢٣٥
	بابل				
	الاسرة الكاشية				

العزو الفرنجي	الاراميون	عزو وشعوب البحر الفاطميون	الاسرة ٢٠	١٢٠٠
الاسرة الرابعة	عزو تيجلات بلاسر الاول	البرافيون عصر القضاة	عصر الاضطهاد الك	١١٠٠
الاسرة الخامسة الاسرة السادسة	عزو الاراميين بلاد النهرين الملك الميتية الهديتو الملكة الارامية	الملكه	الاسرات ٢٠٢١	١٠٥٠

١ - ١

<p>الأسرة السابعة</p>	<p>المبيدون الإخفاءون</p>
<p>الأسرة الثامنة</p>	<p>الأسرة التاسعة</p>
<p>الأسرة التاسعة</p>	<p>الأسرة العاشر</p>
<p>الأسرة العاشر</p>	<p>بال تدمير بال</p>
<p>يهودا إسرائيل</p>	<p>سقط سأساء</p>
<p>ملد الإسرائيليين من بلاد نهرين عزو وطنهم الذالك أداد تداوى الثالث يستولى على دمشق</p>	<p>سجادة آارات ولبيا</p>
<p>الأشور و برون ببزون الملكة المهية بالمدينة</p>	<p>عصر البرهضة الموقفة الأسرة ٢٢</p>

١
٢٤٤٣



رس ————— الله وريه ————— امبراط

الاكبر ————— امبراط

المختار من المراجع العامة

١ - باللغة العربية :-

- ١ - أحمد بدوى « في موكب الشمس » ، جزءان القاهرة ١٩٤٦ ، ١٩٥٠
- ٢ - أحمد فخري « مصر الفرعونية » ، القاهرة (طبعة ثانية) ١٩٦٠
- ٣ - إرمان - رانسك « مصر والحياة المصرية » ، مترجم - القاهرة
- ٤ - برستد « تاريخ مصر السياسي من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي » ،
ترجمة حسن كمال - القاهرة ١٩٢٩
- ٥ - ديلاپورت « بلاد ما بين النهرين » مترجم - القاهرة
- ٦ - سليم حسن « مصر القديمة » الاجزاء الاثني عشر الاولى
- ٧ - طه باقر « مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة » ، جزءان - بغداد ١٩٥٥ ، ١٩٥٦
- ٨ - فرانكفورت وآخرون « ما قبل الفلاسفة » .. مترجم - بغداد ١٩٦٠
- ٩ - محمد ابو المحاسن عصفور: (١) الشرق الأدنى قبل عصوره التاريخية الاسكندنرية ١٩٦٢
(٢) علاقات مصر بالشرق الأدنى القديم .. الاسكندنرية ١٩٦٢
(٣) موجز تاريخ الشرق الأدنى - البصرة ١٩٦٦ الاسكندنرية ١٩٦٢
- ١٠ - فيليب حتى « تاريخ سورية ولبنان وفلسطين » ترجمة جورج حداد
وعبد الكريم رافق - بيروت ١٩٥٨
- ١١ - نجيب مينخائيل « مصر والشرق الأدنى القديم » ، ٦ أجزاء - الاسكندنرية

ب - باللغة الأوربية :

Arkell, A. J., A History of the Sudan from the Earliest Times to A. D. 1821, Londo, 1955.

Baumgrtel, E. J; The Cultures of Prehistoric Egypt, 2 Vols.: I (2nd. ed. London 1955) II (London 1960).

Bilabel, F. & Grohman, A. Geschichte Vorderasiens und Aegyptens vom 16 Jagrhundert v. Chr, Heidelberg, 1927.

Breasted. J. H., Ancient Records (Hist. Documents from the Earliest Times to the Persian Conqest (I—IV, Chicago, 1906; V. Index, 1907)

„ , A History of Egypt from the Earliest Times to the Persian Conquest (2nd ed), London 1925.

أشرنا إلى ترجمته رقم ٤ من المراجع العربية

Budge. E. A. W., A History of Egypt from the End of the Neolithic Period to the Death of Cleopatra Vols. 13.), London. 1902.

Cambridge Ancient History. (2nd ed. II. Vols. & 4 Vols. pls.), Cambridge 1923 — 36

Capart & Contenau, Histoire de l'Orient ancien,
Paris, 1946

Cavainac, E, Le Monde méditerranéen jusqu'au IV^e
siècle av. J. C. (t. II de l'Histoire de Monde),
Paris, 1929.

Cavainac, E, Les Hittites, Paris, 1950

Delaporte, L., Les Hittites, Paris, 1936.

Delaporte, L., Les peuples de l'Orient Méditerranéen
t. I "Le proche Orient Asiatique" (clio 1938)

أشرنا إلى ترجمته رقم ٥ من المراجع العربية

Drioton, E. & Vandier, J., Les Peuples de l'Orient
Méditerranéen. t.II "L'Egypte" 4^e ed.

Gardiner, A. H., Egypt of the Pharaohs, London
1961.

Ghirshman, Iran, Pelican A 239

Gurney, O.R., The Hittites, Pelican A 259

Hall, H., The Ancient History of the Near East.
10th. ed., London 1947.

Hayes, W., The Sceptre of Egypt. I. New York,
1953.

- Huzayyin, S. A, *The Place of Egypt in Prehistory*,
Cairo 1941,
- Kees, H., *Das Alte Ägypten (Eine Kleine Landeskunde)*, Berlin 1955.
- Kienitz, F. R, *Die Politische Geschichte Ägyptens vom 7 bis Zum 4 Jahr hundert vor der Zeitwende*, Berlin, 1953.
- Lloyd, S., *Early Anatolia*, Pelican A354
- Luckenbill, D. D , *Ancient Records of Assyria and Babylonia (2 vols.)*, Chicago, 1926 — 7.
- Mercer, S.A.B., *The Tell el Amarna Tablets*, 2 vols.
Toronto 1939.
- Petrie, W.M.F., *A History of Egypt (3 vols.)* London,
193.
- Pritchard, J. B., *Ancient Near Eastern Texts Relating to the Old Testament*, Princeton, 1950.
- G. Roux, *Ancient Iraq*, Pelican A 828
- Söderbergh, T. Sæve, *Ägypten und Nubien*, Lund, 1941.
- Scharff, A. and Moortgat, *Ägypten und Vorderasien in Altertum*, Munich, 1950.
- Winlock, H. E., *The Rise and Fall of the Middle Kingdom in Thebes*, New York 1947.
- Zeissl; H., *Äthiopien und Assyrer in Ägypten*, Beiträge Zur Geschichte der ägyptischen Spätzeit (Ägyptologische Forschungen, Heft 14), Glückstadt und Hamburg, 1944.

فهرس أيجدى

٢٧٩ - ٢٨١ ، ٢٨٧ - ٢٩١ ، ٢٠٦

٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٢١ - ٣٢٤ ، ٣٢٦

٣٥٠ ، ٣٦٨ - ٣٧٠ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ -

٣٩٢ ، ٤١٥ - ٤١٩

آشور - إتل - إيلانى ٢٨٩

آشور أو بالظ الأول (أنظر آشور

أو بلط)

آشور أو بالظ (قائد) ٢٩٢

آشور بانيبال ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٥٩

٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٤١٣

آشور دان الأول ٣٧٥ ، ٣٨٣

آشور دان الثالث ٣٨٥

آشور ناصر بال ٢٧٩ ، ٣٢٣

آشور ناصر بال الثانى ٢٨٤

آلات ميكر ولينة ٣٩ ، ٣٦٤

آلاشيا (قبرص) ١٨٩

آلتى ٣٨٢

آمور ٢٠١ ، ٣١٤

آمون (رع) ١٣٣ ، ١٥٢ ، ١٦٤

١٦٥ ، ١٧٤ - ١٨١ ، ١٨٣ ، ١٨٤

٢٠٣ - ٢١٠ ، ٢١٢ ، ٢١٤ - ٢١٤

٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٩

آنو ٣٤٢

(١)

آبا (أنظر أبينا) ٣١٣ ، ٣١٧

آتوم ١٧٩

آتون ١٧٤ ، ١٧٧ - ١٨٠ ، ١٨٣

آحاب ٢٨٧

آداب (أنظر بسمايا)

آديامان ٢٩٦

آراتا ٣٤٨

آرال (بحر) ٢٣٨ ، ٢٣٨

آسيا ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٨

٤٢ ، ٦٦ ، ١٠٥ ، ١٤٨ ، ١٦٧

١٦٨ ، ١٧٢ ، ١٨١ ، ١٨٨ ، ١٨٩

١٩٣ - ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨

٢٠٩ ، ٢٢٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠

٢٤٨ ، ٣١١ ، ٣٣٢ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥

٤٠٦ ، ٤١٠ ، ٤١١

آسيا الصغرى ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٠١

٢٤١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ ، ٢٧٢

٢٩٣ - ٣٣١ ، ٣٦٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٣

٣٩٢ ، ٤٠٥ ، ٤١١ ، ٤١٤ ، ٤١٨

آشور ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٩٣

٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٨ - ٢٣١ ، ٢٣٣

٢٢٨ ، ٢٥٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥

أحمس بن أبانا ١٥٧ - ١٥٩	آي ١٨٣ - ١٨٦ ، ٣١٦
أحمس بن نخب ١٥٦ ، ١٥٨	ابراهيم (بنى) ٢٨٢
أحمس نفرتارى ١٥٨	أبريس ٢٤٠ ، ٢٤١
اخستون (أمنحتب الرابع) ١٧٨	إبشا (ي) ١٣٨ ، ١٤٧
١٨٩ - ١٨٦ ، ٢٩٢ ، ٣١٣ ، ٣١٦	أبو الهول ١٠١ ، ١٧٣
٣١٧	أبو بحر ٢٥١
أخورس ٢٤٦ ، ٢٤٧	أبو حله ١٦٥
أخيتاتون ١٧٩ ، ١٨١	أبو رواش ١٠٠
أخيمين ٤١٨	أبو سمبل ١٩٥
أداد ٢٧٩	أبو صير ١٠٤ ، ١٠٦
أداد نيرارى الاول ٣٨٢ ، ٤١٣	أبو فيس ١٥٠ ، ١٥٢
أداد نيرارى الثانى ٣٢٢ ، ٣٨٤	أييسدوس ٥٩ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٤
أداد نيرارى الثالث ٣٢٣ ، ٣٨٥	١١٠ ، ١١٢ ، ١٣٥ ، ١٢٧ ، ١٥٧
٣٨٦	١٨٩ هاشم ١٩٠ ، ٢١٢ هاشم
أدفو ٨٦	أيننا (أنظر آبا)
أدوم ٢٨٣	أبيسن ٣٦٥
أذريجان ٣٥٢ ، ٣٩٥	أنريب ٢٢٤ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤
أربخا ٢٩٢	أثينا ٢٤٥ ، ٢٤٨
أربيل ٣٥٨	أثيوبيا ٢٢٢
أرتاتاما ٣١٤	أجا (ملك) ٣٤٨ ، ٣٤٩
أرتكزر كسيس الاول ٢٤٤ ، ٢٤٥	أجاروم ٢٥٩
أرتكزر كسيس الثانى ٢٤٥	اجرز كسيس الاول ٤٢٠
أرتكزر كسيس الثالث ٢٤٨	أحمس الاول ١٤٩ هاشم ١٥٣
٢٤٩	١٥٨-١٥٥
	أحمس (ملكة) ١٦٠ ، ١٦٢

٣٢١	أرتيميس ٩٧
اسرحدون ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٦٠	أرزروم ٣٠٤
٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨٩ ، ٢٨٧ ، ٣٨٨	أرسو ١٩٩ ، ٢٠٠
أسركون (كاهن أو أمير) ٢١٨	أرسيس ٢٤٩
أسركون الاول ٢١٦ ، ٢١٧	أرمينيا ٣٣٢ ، ٣٣٧ ، ٣٥٢ ، ٣٨٢
٢٢٦	٣٩٢ ، ٤١٥
أسركون الثاني ٢١٨ ، ٢٢٦	أرتووانداس الاول ٣١١
أسركون الثالث ٢٢١ - ٢٢٤	أرتووانداس الاول الثاني ٣١١
٢٢٦	أرتووانداس الثالث ٣١٦ ، ٣٢٠
أسركون الرابع ٢٢٧	٢٢٧
اسطبل عنبر ١٤٨	أرى ١١٣
اسفنكس ١٠١	أريارامن ٤١٨
اسكالبيوس ٩١	أريحا ٢٦٥ ، ٢٦٧ ، ٢٩٠
أساخ ٢٣٦	أريبدو (أنظر تل أبو شهرين) ٣٤٠
أسوان ١٣٦	٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٦٤
إسوخ ٢٥٠	أزجوق ٣٠٠
اسيسى (زدكارح) ١٠٧ ، ١٣٦ ، ١٥١	أزمنة جيولوجية ١
اسيسى (شيشى) ١٥٠	اسبانيا ١٥ ، ١٠٢ ، ٢٧٨
أسيوط ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥	اسبرطه ٢٤١ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧
أشبي - ليرا ٣٦٥	استراليا ٢٣
أشتار ٣١٩	اسحق ٢٨٣
أشدود ٢٨٥	اسرائيل ١٩٧ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٢
	٢٣٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٣ ، ٢٨٧ - ٢٩٠

٣٧٦ ، ٣٧٥ ، ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٢٨٢
٣٨٥ ، ٣٨٤ ، ٣٨١
الآسيويون ٢٠١ ، ٢٠٠ ، ١٠٤
الاثينيون ٢٤٥ ، ٢٤٤
الاريجية ٣٣٨
الاردن ٢٨٨ ، ٢٨٣ ، ٢٧٦
الارز (خشب) ٢٧١ ، ٢٠٨ ، ٩٤
٢٧٩
الارمنيون ٢٦٧
الاحساء ٢٥٨ ماش ٢٥٩
٢٦٠
الايثييون ٤١٨ ، ٤٠٧ ، ٣٩٧
الاسبرطيون ٢٤٦
الاسرائيليون ٤١٩
الاسرات (أو السلالات المصرية)
الاسرة الاولى ٧٨ ، ٦٣ ، ٦١ ، ٥٦
٣٤٠ ، ٩٢ ، ٨٧ ، ٨٤ ، ٨٢ ، ٨١
الاسرة الثانية ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٤ ، ٦١
٣٤٠ ، ٩٧ ، ٩٠ ، ٨٨
الاسر الثالثة ٩٧ ، ٩٠ ، ٨٤
الاسرة الرابعة ١١٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٣
٢٦٨ ، ١٢٢

أشعيا ٢٨٩ ، ٢١٥ ، ٢١٤
أشمى داجان ٣٨٠ ، ٣٦٨
أشنونا (تل أسمر) ٣٥١ ، ٣٦٦ -
٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٣٨١
أشور أو بلط ٢٩٩ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٨١
٣٨٢
أصقيان ٤١٠
أضنة ٢٢٢
اصح حتب ١٥٧ ، ١٥٨
أفريقياس ٢٠ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٦
٣٢ ، ٣٨ ، ٤٠ ، ٥٦ ، ٢٢٩ ، ٢٥١
٢٥٢ ، ٢٧٧
أكاد (أكد) ٢٧٩ ، ٢٧٣ ، ٢٥٥
٣٤٥ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٧
٣٩١ ، ٤١٠
أكباتاما ٤١٨
أكزر كسيس ٢٤٤
أكشاك ٣٥٠ ، ٣٥٤
ألاجا ٣٠٠
الآخيون ٢٢٤ ، ٣٢٨
الآراميون ٢٧٢ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ -

الاسرة السابعة عشرة ١٤٢ ، ٨٢	الاسرة الخامسة ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧
١٥٦ ، ١٥٩ ، ١٤٩	١٣٢ ، ١١٨ ، ١١٧ ، ١١٠ ، ١٠٨
الاسرة الثامنة عشرة ٨٢ ، ٤٧٦	٢٧٥ ، ٢٦٨
١٩٧ ، ١٧٦ ، ١٥٦ ، ١٥٥ ، ١٢٨	الاسرة السادسة ١٠٧ ، ٨٥ ، ٨٢
هامش ٢٧٦ ، ٢٧٠ ، ٢٦٩	١١٥ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ١١٠ ، ١٠٩
الاسرة التاسعة عشرة ١٨٣ ، ١٨٥	٣٦٠ ، ٢٦٨ ، ١١٨
٣١٧ ، ٢٧٠ ، ٢٠٧ ، ١٩٩	الاسرة السابعة ٨٢ ، ١٢٠
الاسرة العشرون ٨٢ ، ١٩٩ ، ٢٠٠	الاسرة الثامنة ١٢٠ ، ١٢١
٢٧١ ، ٢٧٠ ، ٢٠٧ ، ٢٠٥	الاسرة التاسعة ١٢٣ ، ١٢١ ، ١١٥
الاسرة الحادية والعشرون ٨٢	١٢٤
٢٢٨ ، ٢١٣ ، ٢١٢ ، ٢٠٧ ، ١٥٨	الاسرة العاشرة ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨
هامش ٢٨٦	١٢٤ - ١٢١
الاسرة الثانية والعشرون ٢١١ ، ٢٢٠	الاسرة الحادية عشرة ٨٢ ، ١١٦
٢٧٩ ، ٢٢٦	١٣١ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢١
الاسرة الثالثة والعشرون ٢٢٠ ، ٢٢٥	الاسرة الثانية عشرة ٧٨ ، ١١٨ ، ١٣٠
٢٢٩ ، ٢٢٦	٢٦٨ هامش ١٧٠ ، ١٤٢ ، ١٣١
الاسرة الرابعة والعشرون ٢٢٣ ، ٢٢٥	٢٧٥
٢٢٦	الاسرة الثالثة عشرة ٨٢ ، ١٤٢ ، ١٤٤ -
الاسرة الخامسة والعشرون ٨٢	١٤٦
٢٢٣	الاسرة الرابعة عشرة ١٤٢ ، ١٤٥
الاسرة الاثيوبية أو	١٤٦
الاسرة النباتية (أو النباتوية) ٢١٤	الاسرة الخامسة عشرة ١٤٢
٢٢٦ ، ٢٢٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٠	١٤٩
٢٢٩	الاسرة السادسة عشرة ١٤٢ ، ١٤٩

الإمبراطورية الفارسية ٥٦ ، ٢٧١
٤١٩ - ٤٢٠

الإمبراطورية الكلدانية ٢٣٩

الاموريون ١٩٣ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٢
٣٦٥

الاناضول ٢٩١ ، ٣٥٢ ، ٢٦٤
٣٦٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥

الانباط ٢٥٣

الإنسان الحديث (الإنسان العاقل)
١٨ ، ٣٧ ، ٢٦٣

الاهرام ٥٠

الاورنت (العاصي) ١٩١ ، ٣١٣
٣٣٠

الإيرانيون ٤٠٧ ، ٤١٤ ، ٤١٧
الايونيون ٢٣٦

البابليون ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٩١
٣٩٢ ، ٤١٨

البحر الابيض المتوسط. ٢٧ ، ٥٢
١٥٧ ، ١٧٠ ، ١٩٣ ، ١٩٦ ، ٢٠١

٢١٩ ، ٢٢٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٦١
٢٦٧ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٠

٢٨٢ ، ٢٩١ ، ٣٠٤ ، ٣١٤ ، ٣٢٠
٢٢١ ، ٣٠٧ ، ٣٦٤ ، ٣٨٣ ، ٣٩٤
٤١٩

الاسرة السادسة والعشرون (أنظر
عصر النهضة) ٨٢ ، ٣٠٥ ، ٢٢٧

٢٣٥ - ٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٨

الاسرة السابعة والعشرون ٨٢ ، ٢٤٣
٤١٩

الاسرة الثامنة والعشرون ٢٤٥

الاسرة التاسعة والعشرون ٢٤٦
٢٤٨

الاسرة الثلاثون ٢٤٧

الاسرة الحادية والثلاثون ٨٢ ، ٢٤٣
٣٤٩ ، ٤١٩

الاسكندر الاكبر ٥٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠
٣٩٣ ، ٤٠٧ ، هامش ٤٢٠

الاشمونيين ١٢٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٣
٢٢٤

الاشوريون ٢٣٢ ، ٢٥٨ ، ٢٧٢
٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٩٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦

٣٢٢ ، ٣٦٦ ، ٣٦٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤
٣٧٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩١
٤١٣ ، ٤١٥ ، ٤١٦

الانصر (أنظر طيبة)

الإقليم السادس ١٢٦

الاكاديون (الاكديون) ٢٧١ ، ٣٦٠
٣٦١

الحضارة الشيلية ١٤٠٥، ٣٤٠، ٣٥٠، ٣٣٤	البحر الاحمر ٨٦ ، ١٢٩ ، ٢٣٩
الحضارة الاشولية ٥ ، ١٥ ، ١٧	٢٤٤ ، ٢٥٧ ، ٤١٩
٣٣٤ ، ٢٩٧ ، ٣٥	البحر الاسود ٢٩٣ ، ٣٠٢ ، ٣٠٤
الحضارة النيبيلية ٣٧ - ٤٠ ، ٤٤	٢٨٣ ، ٤١١ ، ٤١٦
الحضارة القفصية ٣٨ ، ٤٠	البحر العربي ٢٥٥
الحضارة الاورينياسية ٥	البحر الميت ٢٦٣ ، ٢٨٤
الحضارة السواترية ٥	البحرين ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، هامش ٢٥٩
الحضارة العاطرية ٣٧	٢٦٠
الحضارة المادلينية ٥	البراء ٢٥٥ ، ٢٥٧
الحضارة المستيرية ١٧ ، ٣٧ ، ٣٨	الخليج العربي ٤٠٨
٢٣٤ ، ٢٩٧	البدارى ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٥٥
الحضارة الناطوفية ٢٦٤	٤٥٠ ، ٦١ ، ٥٩
الحوريون ١٤٧ ، ٢٧١ ، ٢٨٣	البرشة ١٢٥
٢٩١ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣٢٠ ، ٣٣١	البسفور ٣٠١
٢٨١ ، ٤١١ ، ٤١٤	البطالم ٢٤٩
الحيثيون ١٧٤ ، ١٨٩ ، ١٨٤ ، ١٨٨	التاريخ التتابعى (التوقيت المتتابع)
١٨٩ - ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٧٠ ، ٢٧٦	٥٨ ، ٥٧
٢٨٢ ، ٢٩٢ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠	التركستان ٤٠٥
٣١١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣٢٠	التقويم ٦ ، ٧٨
٣٣٠ ، ٣٧٢ - ٣٧٦ ، ٣٨١ ، ٢٨٢	التوقيت ٦
الخابور (نهر) ٢٧٥ ، ٢٩٢ ، ٣٨٠	الثورة الديقية ١٨٠ ، ١٩٧ ، هامش
٣٨١	الجوتيون (الجوتى) ٢٦٠ ، ٣٦١
الخط المسارى ٧٥ ، ١٩٤	٣٨٢ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١١
	الحضارة الشيلية ٥ ، ١٤ ، ٣٤ ، ٣٥

الراديسية ١٨٩	الخليج العربي ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٣٩٤
الرامسيوم ١٩٠ ، ١٩٣ ، ١٩٤	٤٠٤ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٣
الرومان ٢٥٣	الخليج الميدي ٣٩٥
الزاقورة (الزاقورات) ٣٤١	الدانوب ٣٠١
٣٤٢	الدانيونا ٣٢٢
الزطية ٢٦٣	الدردانيون ٣١٧
الساسانيون ٤٢٠	الدكة ٩٢
السامرة ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٣٨٦	الدلتا (أنظر الوجه البحري ، مصر
الساميون ٢٧٢ ، ٣٢٦ ، ٣٥٩ ، ٣٧٩	السفلى)
٤٠٨	الدولة الأكديّة ٢٥٣
السرايوم ٢٤٩	الدولة البابلية الجديدة ٢٩٠
الشعري اليمانية (نجم) ٧٩ ، ٨٠	الدولة القديمة (في مصر) ٨٢ ، ٨٣
الصناعة الشالوسية ٣٥	٨٥ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١١٨ ، ١٣٦
السلالات البشرية ٢ ، ١١ ، ١٧	١٧٧ ، ٢٣٧ ، ٣٠٢
السلوقيون ٤٢٠	(وفي آسيا الصغرى) ٣٠٧
السودان ١٧ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٧٠	الدولة الوسطى ٨٢ ، ١٠٣ ، ١١٤
١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٨٧ ، ٢٠٥	١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٦
٢١٤ هامش ٢٢٢ ، ٢٣٢	١٣٨ ، ١٤٢ ، ١٤٧ ، ٢٦٩
السموريون ٢٥٣ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠	الدولة الحديثة (أنظر عصر
٢٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٧	الامبراطورية) ٧٥ ، ٨٢ ، ١٣٢
٣٦٠ ، ٤٠٨	١٤٣ ، ١٥٥ ، ١٦١ ، ١٩٦ ، ٣٧٦
السيثيون ٢٣٨	٣٧٩ ، ٣٧٤
الشردانيون ٣١٧	الدولة الكاشية ٣١٨ ، ٣٧٣ ، ٣٧٥
الشرق الأدنى ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣٩	الدير البحري ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٦٥

العظيمة ١٧٥	الشلال الاول ١١١ ، ١١٢ ، ١٦٠
العقولة ٢٦٧	٢٤٠
العصر (الدور) الحجري القديم ٤	الشلال الثاني ١٥٨ ، ٢٤٠ هامش
٢٩٦ ، ٢٩٥ ، ٢٦٣ ، ٢٥٢ ، ١٢ ، ٥	الشلال الثالث ١١٣ هامش ١٦٠
٣٩٨ ، ٣٣٤	الشلال الرابع ١٥٩ ، ١٦١ ، ١٦٣
العصر الحجري القديم الاسفل ١٢ ، ٥	١٧٥ = ٢١٤ هامش ٢٢٩
٢٦٣ ، ٣٦ ، ٣٤ ، ١٤	الشلال الرابع ٢٤٠
العصر الحجري القديم الاوسط ١٢ ، ٥	الشلال الخامس ٢٤٠
٢٦٣ ، ٣٦ ، ١٧	الصعيد (أنظر الوجه القبلي ومصر العليا)
العصر الحجري القديم الاعلى ١٢ ، ٥	الطارف ١٢٤
٢٦٤ ، ٤٠ ، ٣٨ ، ٣٧ ، ١٩	الطوفان ٢٦٠
العصر الحجري المتوسط ١٢ ، ٥ ، ٣٨ -	العبرانيون ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٥٣ ، ٢٧٦
٣٩٨ ، ٢٦٤ ، ٤٠	٢٨٠ - ٢٨٢ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦
العصر (الدور) الحجري الحديث	العبيد ٣٣٩ ، ٢٤٠
٣٨ ، ٢٨ ، ٢٢ - ٢٠ ، ١٢ ، ٥ ، ٤	العراق ٢٩ ، ٥٦ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥
٢٦٦ ، ٢٦٥ ، ٥٠ ، ٤٤ - ٤٢ ، ٤٠	٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٦٢ ، ٢٦٥ - ٢٦٧
٣٢٤ ، ٣٠١ ، ٢٩٩ - ٢٩٦ ، ٢٧٢	٢٧٣ هامش ٢٩٩ ، ٢٣٢ - ٢٩٣
٣٩٩ ، ٣٩٨	٣٩٤ ، ٤٠٦
العصر التاريخي (العصور التاريخية)	العرب ٤٢٠
٧١ ، ٧٠ ، ٦٤ ، ٦٢ ، ٥٦ ، ٥ ، ٣	العصر الاسطوري ٣٤٨ ، ٣٤٩
٣٠٤ ، ٢٦٨ ، ٢٥٤ ، ٢٥٢ ، ٨١	العصر قبل التاريخي (العصور قبل
٤٠٨ ، ٣٥٠ ، ٣٤٩ ، ٣٤٥ ، ٣٤٣	التاريخية) (٣ ، ٥ ، ٣٤ ، ٥٦ ، ٢٧١
العصر الطيني ٨٤ ، ٨٦	٣٠٤ ، ٣٣٤ ، ٣٩٨
العصر اليوناني ٦٨ هامش	العصر قبل السرجوني ٣٤٥
العصر الروماني ٢٤	

الفرات ٢٤ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٨٩
٢٠٢ ، ٢٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣
٢٩٠ - ٢٩٢ ، ٢٩٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٣
٣١٥ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣
٣٥٠ ، ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦٥ ، ٣٦٧
٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٥ ، ٣٩١ ، ٤١١
٤١٣ ، ٤١٥
الفرس ٨٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ -
٢٤٧ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٣٩٣ ، ٤١٤
٤١٦ ، ٤٢١
الفرنجيون ٣٢٠
الفلاح الفصيح ١١٦
الفينيقيون ٢٥٣ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨
٣٨٧
القيوم ٥٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ١٣٢ ، ١٣٦
١٣٧ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ٣٣٥
القبطية (لغة) ٧٤
القدس ٢٦٤
القرنة ١٩٠
القوس البوتقي ٢٩٣
القوصية ١٥١ ، ١٥٤
الكتاب ١٤٥ ، ١٥٧
الكاريون ٩٧ ، ٢٣٦
الكاشيون ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٢
٤٠٨ ، ٤١٢ - ٤١٤

العقرب (ملك) ٨٤
العمره ٥٦ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٦٢
٦٧
الحق ٢٦٥ - ٢٦٧ ، ٣٤٨ ، ٤٠٠
العناصر الآسيوية ٢٣٢ ، ٢٦٩
العناصر السامية ٢٥٣ ، ٢٧٣ - ٢٩١
٣٣٣
العناصر السردينية ٢٠١
العناصر الليبية ٢٠١
العناصر (الشعوب) الهندوأوربية
١٩٤ ، ١٩٧ ، ٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٦٩
٢٧٠ ، ٢٩١ ، ٣٠٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٩
٤١١ ، ٤١٤ ، ٤١٧
العهد الاشوري القديم ٣٧٨
العهد الاشوري الوسيط ٣٧٨
٣٨١
العهد الاشوري الحديث ٣٧٨
٣٨٤
العهد البابلي القديم ٢٥٩ ، ٣٣٦
العهد البابلي الاخير ٣٩١ - ٣٩٣
الميلاميون ٣٥٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦
٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٨٩ ، ٤٠٨ ، ٤١١
٤١٢
الفخارية ٢٩١

٢١٨ ، ٢١٧	الكتابة الديموطيقية ٧٣
المعادى ٥٦ ، ٦٥ - ٦٩	(الكتابة) الهيراطيقية ٧٣
المكربيون ٢٥٦ ، ٢٥٧	الكتابة الهيروغليفية ٧٣
المملكة السكلدانية ٣٩١ - ٣٩٣	الكرمل ٢٦٣
الموزيليوم ٩٧ هامش	الكرنك ٧٦ ، ١٢٤ ، ١٥٠ ، ١٥٤
الموصل ٣٣٤ ، ٣٣٨	١٧٢ ، ١٦٩ ، ١٦٥ ، ١٦١ ، ١٥٧
الميتانيون ١٤٧ ، ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣٧٣	٢١٥ ، ٢٠٣ ، ١٩٤ ، ١٩٠ ، ١٨٨
٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤١٤	الكلب (نهر) ٢٦٤
الميديون ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩٣	السكلدانيون ٢٧٢ ، ٢٨٠ ، ٢٨٣ ، ٢٩٠
٤٠٧ هامش ٤١٤ ، ٤١٦ - ٤١٨	٤١٨ ، ٣٧٦
الميليزيون ٢٣٨	الكساندوس ٣٢٩
الناصره ٢٦٣	الكنعانيون ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦
النبتاويون ٨٢ ، ٢٣٢	٢٨٠ ، ٢٨٢
النوبة ٩٣ ، ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١١١	اللايرانت ١٤٠
١١٢ ، ١٢٠ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٣٥ -	اللمنت ١٣٢
١٤٠ ، ١٤٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٤	الووفر (متحف) ٧٧
١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٧٢	اللولوبي (اللولوبيون) ٤٠٨ ، ٤١٠
١٧٤ ، ١٨٤ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٥	٤١١
١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٠	المليبيون ٨٢ ، ٨٥ ، ١٠٤ ، ١٠٦
٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٢٢ - ٢٢٥	١٨٩ ، ١٩٦ - ١٩٨ ، ٢٠١ ، ٢٠٢
٢٢٩ ، ٢٣٤ ، ٢٣٦ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٨٩	٢١٢ ، ٢١٨
النيل ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٣٧	المارن (نهر) ١٤
٨٥ ، ١٦١ ، ١٧٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٤	ماشواش او الها (شواش) ٢٠٢ ، ٢١٣
٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٣٣٣ ، ٤١٥ ، ٤١٩	

إليفانتين ٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤
٢٤٥

الين ٢٥٢

اليهود ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٥ ، ٢٨٨
٣٨٥

اليونان (واليونانيون) ٢٣٦ ، ٢٣٧

٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٣ - ٢٤٧ ، ٢٥٣

٢٦١ ، ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٢٩٢ ، ٣٥٠

٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٧ هـ ماش .

أما تيس ١٣١ ، ١٣٦

أما زيس ٢٤١ ، ٢٤٣

أمرقي ٢٤٥

أم قطفة ٢٦٣

أم - أم - أوبت ٢١٠

امنمحات الاول (أميني) ٧٨ ، ١١٨

١٣٠ - ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٣٥

امنمحات الثاني ١٣٧

امنمحات الثالث ١٣٩ - ١٤١

امنمحات الرابع ١٤١

امنمحتب الاول ١٥٨ - ١٦٠

امنمحتب الثاني ١٧٢ ، ١٧٨

١٩٧ هـ ماش

المكسوس ١٣٨ ، ١٤٥ - ١٤٧

١٤٩ - ١٥٢ ، ١٥٤ ، ١٥٨ - ١٩٧ هـ ماش

٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٨٢ ، ٤١١

الواحة الخارجة (أو الواحات

الخارجة) ٥٦ ، ٢١٤

الوجه البحري (أنظر الدلتا ومصر

السفلى) ٣٣ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٥٦

٥٩ ، ٦٠ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٦ ، ٨٣

٨٥ ، ٨٧ ، ١١٥ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٢٩

١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٤٧ ، ١٤٩ ، ١٥١

١٩٥ - ١٩٧ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٤

٢٠٦ ، ٢١٣ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ - ٢٢٥

٢٢٧ ، ٢٢٩ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٧

٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٦٨ ، ٢٤٤ ، ٣٨٨

٣٨٩

الوجه القبلي (أنظر الصعيد ومصر العليا)

٣٣ ، ٤٢ - ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٥٨

٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ١٢٩

١٣٦ ، ١٥٧ ، ٢٠٦ ، ٢٢٢ - ٢٢٥

٢٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٨

٣٤٤

الوركا ٣٤٠ - ٣٤٢ ، ٣٤٨ - ٣٥٠

٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٦١

لوسينا (ولوسيا) ٣٢٩

أنيتا (بن بتخانا) ٣٠٦ ، ٣٠٥
أنيل ٣٤٧ هامش ٣٥١ ، ٣٥٢
٣٥٦
ليني ١٦١ ، ١٦٤
لهناسيا ١١٩ - ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٢٧
٢١١ ، ٢٢٣ ، ٢٥٠
أهيا (وا) ٣٢٤ - ٣٢٨
أواريس ١٤٥ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٦
أوان ٣٥٣
أوتوحيجال ٣٦١ ، ٣٦٢
أوتيك (نونس) ٢٧٨
أوجاريت ٢٦٧
أودمو (أنظر دن) ٨٦
أور ٢٥٣ ، ٢٨٣ ، ٢٩١ ، ٣٤٠ ، ٣٤١
٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٣ - ٣٥٥ ، ٣٥٨
٣٦١ ، ٣٦٤ - ٣٦٧ ، ٣٧٢ ، ٣٧٧
٣٧٩ ، ٤٠٦ ، ٤١٠
أورارتو (آرارت) ٣٢١ ، ٣٢٣
٣٢٤ ، ٣٨٢ ، ٤١٥ - ٤١٧
أوربا ١٥ ، ١٧ ، ٢٠ ، ٣٨ ، ٤٠
٤٢
أورزابا ٣٥٨

أمنحتب الثالث ١٧٤ - ١٧٨ ، ١٨٥
١٩٧ هامش ٢٩٢ ، ٣٧٤
أمنحتب الرابع (أنظر اخناتون)
٢٢٧
أميتس ٢٩٢
أميرتايوس ٢٤٤ ، ٢٤٥
إناروس ٢٤٤ ، ٢٤٥
أنف الأول ١٢٣ ، ١٢٤
أنف الثاني ١٢٥
أنف الثالث ١٢٦
أنفيو خس الأول ٣٥٠
أنزو (زوزو) ٣٥٤
إنسان روديسيا ٢ ، ١٧
إن شاكوش أنا ٣٥٥
إنسان نياندرتال ١٨ ، ٣٧ ، ٢٦٣
٣٣٤
إنسان هيدلبرج ٢ ، ١٧
إنسان ٤١٨
أنقرة ٢٩٦
أنكي ٣٦٤
أنطاليا ٢٩٧
أنطلياس ٢٦٤
إن . م . ي . ٠ . براج . سي ٣٤٩ - ٣٥١

لیدوم ٢١١، ٢٨٦ هاشم	أورشليم (بيت المقدس) ٢١٥، ٢٣٠
لیران ٢٦٦، ٢٩٥، ٣٠٠، ٣٤٠	٢٨٩، ٢٨٥، ٢٨٤، ٢٨١، ٢٤٠
- ٣٩٤، ٣٩٠، ٣٨٥، ٣٨٣، ٣٤٨	٢٨٧، ٢٩٠
٤٢١	أورك ٣٥٠، ٣٥٤، ٣٥٥، ٤١٢
لوی - أنى - بندا ٣٥٠	أوركاجينا ٣٥١، ٣٥٥
لویزیس ١٦٣ هاشم	أورونارتى ١٥٨
أیسین ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٠	أورنالشه ٣٥٤
٣٧٢، ٣٧٥، ٣٨٣، ٤١٠، ٤١٢	أورنمو ٣٦٢، ٣٦٤
لیطالیا ١٥	أورمى تشوب ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٤
لیریکالاتوم ٣٨٠	٣٣٦
لیراکا بکابو ٣٨٠ هاشم	أوزیر ١١٧، ١٦١ هاشم
لیرلوشوما (لیروشوم الاول) ٣٧٩	أوما ٢٧٣ هاشم - ٣٥٤، ٣٥٠
لیرلومو - لیرلو ٣٧٢	٣٥٦
لیرمحتب ٩٠، ٩١	أولام بوریاش ٣٧٣
لیرناکالی ٣٥٤	أوناس ١٠٧، ١٠٨
لیرنانا ٣٤٩	أونى ١١٠ - ١١٢، ٣٦٠
لیرنتمینا (أتمینا) ٣٥١، ٣٥٥	لوی - أنا ٣٤٢
ب	لوی - أنا - تم ٣٥٤، ٣٥٥
با أوردد ١٠٧	لیرا جمیل ٣٧٣
بابل ٩٧ هاشم ١٦٨، ١٧٤، ١٧٦	لیربق أدد الثانى ٣٦٧
٢٣٨، هاشم ٢٣٩ - ٢٤٢، ٢٥٥	لیربور ١١٥
٢٦٠، ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٨، ٢٩٠	لیربى ١٢٩
٣٠٨، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٤٨، ٣٥٠	لیربنت ناوى ١٢٢
٣٥٧، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠	لیربجه (والإقليم الايجى) ١٥٨، ٢٨٤
٣٧٢ - ٣٧٦، ٣٨١، ٣٨٤، ٣٨٧	٢٩٢، ٣٠٠ - ٣٠٣

بجورس ٢٢٧ - ٢٢٩	٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥
براقش ٢٥٦	٤١٨ ، ٤١٩
بر لوب سن ٨٨	بادتبير (تل المدائن) ٣٤٨ ، ٣٥٠
بردا بلكا ٣٣٤	بادى باست ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٦
بساموتس ٢٤٧	بارس ٣٢٩
بسماتيك الاول ٢٢٧ ، ٢٣٣ - ٢٢٨	بارسا ٤١٨
بسماتيك الثانى ٢٣٩ ، ٢٤٠	بارسوماش ٤١٧
بسماتيك الثالث ٢٤٣	بازو (باسو) ٢٦٠
بسمايا (أنظر آدب)	باشان ٢٨٤
بسوسنس الاول ٢٠٨ ، ٢٠٩	بامى ٢٢٦
بسوسنس الثانى ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٨٦	بانجى ٣٠٦ ، ٢٠٧
بر رعمسيس ١٩٥ ، ١٩٦	باى ١٩٩ هاش
بر هشو ٣٥٠	باى نجم ٢٠٨ ، ٢٠٩
برقة ٢٤٤	بيلوس (جبيل) ٩٧ ، ٢٣٩ ، ٢٦٧
بطلبيوس الثانى ٧٥	٢٦٨ ، ٢٧٩
بطلبيوس الخامس ٩٢ هاش	بتاح (لاله) ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٧٧
بطلبيوس العاشر ٩٢ هاش	١٧٨
بعنجى ٢٢٢ - ٢٢٥ ، ٢٢٧ - ٢٢٩	بتاح حيث ١٠٧
بغداد ١٥٠ ، ٣٣٤ ، ٤١٠	بتاح ددف ١٠٣
ببلاد العرب ٢٧٣ ، ٢٨٨ ،	بجيرة أرميا ٣٩٥ ، ٤١٦
٣٣٧	بجيرة وان ٣٠٩

بورنا بوري ياش ٣٨١
 بوروش خاندا ٣٠٥
 بوشير ٤٠٨
 بوغاز كوي ١٩٤ ، ٣٠٥ هاش ٣١٠
 ٣٥٨
 بونت ١٠٥ ، ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩
 ١٣٧ ، ٢٥٤ هاش
 بوهن ١٨٧
 بيامارادوس ٣٢٥ ، ٣٢٦
 بيبي الاول ١١٠ ، ١١١ ، ٣٦٠
 بيبي الثاني ١١١ ، ١١٣ ، ١١٤ هاش
 بيت شان (بيسان) ٢٦٧ ، ٢٨٤
 بيت المقدس ٣٨٧ ، ٢٩٣
 بي غنخ ٢٠٨
 (ت)
 تا اوسرت ١٩٩ هاش
 تابوت العهد ٢٨٥
 تانيس ٢١٧ ، ٢٣١
 تانويت أماني ٢٣٤ ، ٣٨٩
 تا واجالاواس ٢٢٥
 تقي شري ١٥٧
 تجلات (تيجلات) بلاسر الاول ٢٧٩
 ٣٢١ ، ٣٨٢

بلاد النهرين ١٧٠ ، ٨١ ، ٧٤ ، ١٧
 ٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٥٣ ، ٢٦٠ ، ٢٦١
 ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠
 ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٣٤٣ - ٣٤٥ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠
 ٣٥٢ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٦٠ ، ٣٧٥
 ٣٧٦ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢
 ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤١٠ ، ٤١٢ ، ٤١٩
 بلاص ٥٧
 بلرمو (حجر) ٧٦ ، ٨٧ ، ١٠٥
 بلالاما ٣٦٧
 بنتشيتا ١٩٣
 بنجدد الاول ٢٨١
 بنوا ٢٠٤
 بسني حسن ١٢٥ ، ١٣٣ ، ١٣٨
 ١٤٨
 بني حجر ٢٥٩
 بو آبي (شب عاد) ٣٥٣
 بو بسطة (تل بسطة) ٢١٣ ، ٢١٩
 ٢٢٢ ، ٢٢٥
 بو حول ١٠٢
 بوزور آشور الاول ٣٧٩
 بوزور انوشناتق ٤٠٩ ، ٤١٠

تل الجديدة ٢٦٥ ، ٢٦٦	تجلات بلاسر الثالث ٢٧٩ ، ٢٨١
تل الحريري ٣٥٠	٢٨٨ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦
تل العمارنة ٧٥٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٣١٢	٤١٧
٣٧٤٤ ٣٥٨	تبة جورا ٣٤٠
تل الغسول ٢٦٥ ، ٢٦٦	تخمس الاول ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥
تل المتسلم (مجدل) ٢٦٧	١٦٨
تل باكون ٤٠٤	تخمس الثاني ١٦٢ - ١٦٥
تل حرمل ٣٦٧	تخمس الثالث ٧٦ ، ١٦٢ ، ١٦٤ -
تل عمر ٣٥٤ هامش	١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧٢ ، ١٧٨
تل فرا (شوروباك) ٣٥٥	١٨٩ ، ١٩٧ هامش ٣١٠ ، ٣١١
تليبينوس ٢٩٢ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١٤	٣١٧
٣١٥	تخمس الرابع ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٦
تمنع ٢٥٥ ، ٢٥٧	١٧٧
تموز (الله) ٣٤٨	تدمر ٢٥٣ ، ٢٥٥
تمى الامديد ٢٢١	تف لرب ١٢٥
توت عنخ آمون ١٨٢ - ١٨٦	تفنخت ٢٢٢ - ٢٢٥ ، ٢٢٧
٣١٦	٢٢٨ ، ٢٥٠
توتيايوس ٣٨٤	تكلوت الاول (تكرتي) ٢١٦ ، ٢١٧
توكلي نورتا الاول ٣٨٢	٢٢٦
توكلي نورتا الثاني ٣٢٢ ، ٣٨٤	تكلوت الثاني ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٦
	تكلوت الثالث ٢٢٧
	تل أسمر (أنظر أشنونا)

جبال بختيارى ٣٩٨ ، ٤١٧
 جبال خرسان ٣٩٥
 جبال زاجروس ٣٥٦ ، ٣٧٤ ، ٣٩٤
 ٤١٢ ، ٤١٤
 جبال طوروس ٢٦١ ، ٢٧٢ ، ٣٠٢
 ٣٠٣ ، ٣٠٧ ، ٣١٢ ، ٣٢٠ ، ٣٣٠
 ٣٣٢ ، ٣٥٨
 جبال مكران ٣٩٥
 جبل البرقل ١٦٣ ، ٢١٤ هاشم
 جبل الشيخ سليمان ٨٦
 جبل الكرمل ٢ ، ١٧ ، ١٦٦
 جبل شمر ٢٥٥
 جبل طارق ١٥ ، ١٨
 جرجر ٨٦
 جزيرة ٥٦ ، ٥٨ ، ٦١ - ٦٣
 جرمو ٢٣٤ ، ٣٣٥
 جريكو ٢٦٥ ، ٢٦٦
 جزر ٢١١ ، ٢٦٦ ، ٢٨٤ ، ٢٨٦
 جزيرة سهيل ٩٢
 جمو ١١٣
 جلجاميش ٢٦٠ ، ٢٤٨ - ٣٥٠ ،
 ٣٥٢

تود هالياس الثانى ٣١٠ ، ٣١١
 تود هالياس الثالث ٣١١ ، ٣١٢
 تود هالياس الرابع ٣١٩ ، ٣٢٧ ، ٣٢٩
 تورين (برديّة) ٧٨ ، ٧٩ ، ١٢١
 ١٤٦ ، ١٨٩٤
 توشراتا ٢٩٢ ، ٣١٣ ، ٣١٥ ، ٣٨١
 توشكى ١٣٦
 توماس ١٠٥ ، ١٠٦
 تونس (أوتيكا) ٣٨ ، ٥٦ ، ٢٧٨
 تونيب ١٦٨ ، ١٩٣
 تى ١٧٥ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨١ ، ١٨٥
 تياما ٣٤٧
 تينولوجيا ٨
 تيتى ١٠٧ ، ١٠٩
 تيرقان ٣٦١
 تيشييس ٤١٨
 تيبا- ٢٥٥
 تيوس ٢٤٧ ، ٢٤٨

ث - ج

ثورى ١٥٨ ، ١٦٠
 جبال البرز ٣٩٥

حشيشبوت ١٦٢ ، ١٤٨ ، ١٢٨ -
١٧٥ ، ١٦٤
حداد ٢١١ ، ٢٨٦ هاشم
حران ٢٨٣ ، ٣٩٠ ، ٣٩١
حرخوف ١٠٧ ، ١١٣
حرسا ايسى ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٠
حريحور ٢٠٦ - ٢٠٨
حزقيا ٢٣٠ ، ٢٨٩
حسار ٤١١ ، ٤١٢
حسونة (حضارة) ٢٧ هاشم ٢٦٦
٣٣٤ ، ٣٣٥
حضر موت ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧
٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٧
حقاخاسوت ١٤٧
حقانخت ١٢٩
حلب ٢٧١ ، ٢٧٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٠
٣١٤ ، ٣١٦
حلف ٢٩٢ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩
حلوان ٤٣ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٦٤ ، ٦٥
حامزى ٣٥٣
حاه ٣٢٣ ، ٣٣٠
حمدان ٤١٠
حور (س) ٦٣ ، ٧٦ ، ٨٨

جنداش ٢٧٤
جو ايدىن ٣٥٤
جوحاقى ٢٣٠
جوديا ٢٧٢ ، ٢٧٩
جيانف ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤١١
جيت (أنظروا جيت) ٨٦
ح
حاتوب ١١٢ ، ١٣٥
حاتوساس ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٢
٣١٨ ، ٣٢٠ ، ٣٢١
حاتوسيليس الاول ٣٠٧ ، ٣٠٨
حاتوسيليس الثانى ٣١١
حاتوسيليس الثالث ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٥
حاتى أو خيتا (ملكة الحيتيين)
١٧٤ ، ١٧٩ ، ١٩٤ ، ١٩٦ ، ٣٠٥
٣٠٦ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦
٣٢٧ ، ٣٣٠
حاسو ٢٦٠
حاكيبس ٣١٨
حامورابى (سومراني) ٢٧٢ ، ٧
٢٩١ ، ٣٠٨ ، ٣٥٥ هاشم ٣٦١
٣٦٦ - ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٣٨١ ، ٤١٢
حاتيليس ٣٠٨ ، ٣٠٩
حبرون (الخليل) ٢٨٣

دارا الأول ٢٤٣ - ٢٤٥ ، ٤١٩	حور آختی ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٧
دارا الثاني ٢٤٥	١٧٩
دارا الثالث ٢٤٩ ، ٢٥٠	حور محب ١٨٣ ، ١٨٨ ، ٣١٦
دامق لإيلوشو ٢٧٢	حورون ١٠١
داود ٢١١ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦	حونی ٩٣ ، ٩٦
دجله ٥٤ ، ٢٧١ ، ٢٩١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣	خاتوسيل ١٩٢ ، ١٩٣
٢٧٣ ، ٣٦٧ ، ٣٥٦ ، ٣٥٢ ، ٣٥٠	خباش (خباباش) ٢٤٩ ، ٢٤٤
٤١٥ ، ٣٩١ ، ٢٨٥ ، ٣٨٠ ، ٣٧٦	خمع سنخم ٨٩
٤١٨	خفاجة ٣٤١
ددي رع ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٣٦ هامش	خقرع ١٠٠ ، ١٠١
ددي ١٠٠ ، ١٠٣	خ
دردنی ٣٢٩	خنت كار لس ١٠٣
دشاشة ١٠٥	خنوم (اله) ٩٢
دلون ٢٥٥ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩	خنوم حتب ١٣٨ ، ٢٧٥
دمشق ٢٥٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٩ ، ٢٨١	خوزستان (سهل) ٣٩٥
٢٨٧ ، ٣١٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٣٠	خوفو ٩٦ - ١٠٣ ، ١٣٦ هامش
٢٨٦	خبيان ١٥٠
دمغان ٣٩٧	خيتي ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٧
دنذار تبه ٣٠٠	د
دندرة ١٢٦	دابور (جصن) ١٩٢
جمدة نصر ٢٦٧ ، ٢٤٢ - ٢٤٤	داتاسا ٣١٨
	دادوشا ٣٦٨

رعمسيس الثالث ١٩٤ ، ١٩٩ - ٢٠٤

٢١٢ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٤ ، ٣٢٠

٤١٤

رعمسيس الرابع ٢٠٥

رعمسيس السادس ٢٠٥

رعمسيس التاسع ٢٠٥ ، ٢٠٧

رعمسيس الحادى عشر ٢٠٥ - ٢٠٧

رع نفرت ٩٦

رع ور ١٠٦

رودس ٩٧ ، ٣٢٨

روما ٢٧٨

ريم سين (ريم سن) ٣٦٦ ، ٣٧٩

٣٧٠ ، ٤١٢

ريموش ٣٥٩

ز

زابوم ٣٦٩

زاقورة (الزاقورات) ٣٤١ ، ٣٤٢

٣٦٢

زاكير ٣٢٣

زحلة ٢٨١

زمرى ليم ٣٧٠

د

دهشور ٩٤ ، ٩٦ ، ١٣٩

دودو ٣٥١

دولة أو ملكة أو بلاد (أرض) البحر

٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٩١

دير ٣٦٧

ديالة (ديالى) ٣٥١ ، ٣٦٦ ، ٤١٠

٤١٣

ديدالوس ١٤٠ هامش

دير تاسا ٤٣ ، ٤٤

ديودور - ٢٤٧

و

رأس شمرا (أوجماريت) قرقيش

٢٦٣ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٣٢٨

ربله ٢٤٠ ، ٢٩٠

رحبعام ٢١٥ ، ٢٨٧ ، ٢٨٩

رخى رع ١٧٠

رشيد (حجر) ٧١

رع ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٩

١١٠ ، ١٤٨ ، ١٧٤ ، ١٧٧ ، ١٧٩

رع حتب ٩٦

رعمسيس الاول ١٨٧

رعمسيس الثانى ٧٨ ، ١٩٠ - ١٩٦ ،

١٩٨ ، ٢٠٣ ، ٢٨٣ ، ٣١٧ ، ٣١٨

سخم خت (أنظر زوسر الثاني)

٩٣ ، ٩٢

سرجون الاول (الاكدي) ٢٥٥

هامش ، ٢٥٨ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ، ٢٧٩

٣٤٥ ، ٣٥٠ ، ٣٥٦ - ٣٥٩ ، ٣٦٦

٣٦٧ ، ٣٧٧ ، ٤٠٩

سرجون الاول (الاشوري) ٣٦٦

سرجون الثاني ٢٢٨ ، ٢٣٠ ، ٢٥٩

٢٧٠ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٣٢٤ ، ٣٨٦

٣٨٧ = ٤١٧

سردينيا ٢٧٨

سقارة ٦١ ، ٧٨ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١٠٤

١٠٦ ، ١٠٩ ، ١٧٣

سقارية ٣٠٢

سقن رع ١٥٢ ، ١٥٥

سلاميس ٤٢٠

سليمان ٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٦ ، ٢٨١

٢٨٦

سباريا ٢٣٠

سباينة ٥٦ ، ٥٨ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٢٦٧

سمرخت ٩٢

سمسون ٣٠٠

سمسي ٢٥٧

ز

زاب (نور) ٤١٠

زوسر ٩٠ - ٩٣ ، ٩٧

زيوس ٩٧

س

سابيلي ١٩٣

سساحورغ ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦

١٣٦ هامش ٢٧٥

ساكجي جوزي ٢٦٦ ، ٢٩٦ ، ٢٩٨

ساليثيس ١٤٩

ساليية (بردية) ١٥٢

سامراء ٢٦٦ ، ٣٣٤

سامسول يلوئا ٣٧١ ، ٣٧٢

ساموفا ٣١٩

سانخت ٩٢

سانيريون ٨٠

سايس (صالحجر) ٢٢٢ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨

٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٤٤

سبا (مريابة) ٢٥٥ - ٢٥٧

سبتاج ١٩٩

ست (إله) ٨٨ ، ١٤٥ ، ١٨٧

ست نخت ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٧٠

سختا ١٤٥

سوريا (الاقليم السورى)

١٣٧ ، ١٠٦ ، ٦٧ ، ٢٧ ، ٢٤ ، ٢٤

١٨٨ ، ١٧٠ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٤٩

-٢٢٤ ، ٢١٠ - ٢٠٨ ، ٢٠٣ ، ١٩١

٢٦١ ، ٢٥٧ ، ٢٥٣ ، ٢٤٣ ، ٢٣٨

٣١٥ - ٣١١ ، ٣٠٨ ، ٢٩٢ - ٢٦٢

٢٢٣ ، ٣٢١ ، ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٧

٣٦٤ ، ٢٥٦ ، ٢٤٨ ، ٣٣٨ ، ٣٢٤

٣٩٢ ، ٣٩٠ ، ٣٨٧ ، ٣٨٥ ، ٣٧٤

٤١٤ ، ٤٠٠

٣٨٩ ، ٣٧١ ، ٣٥٨ ، ٢٤٥ سوسة

٤٠٩ ، ٤٠٦ ، ٤٠٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٣

٤١٣ ، ٤٩١

٣٥٦ ، ٣٥٥ ، ٣٥٣ - ٣٤٥ سومر

٣٧٣ ، ٣٧٢ ، ٣٦٩ ، ٣٦٩ ، ٣٦٠

٣٩١ ، ٣٧٧ ، ٣٧٦

٤٠٥ ، ٣٩٧ ، ٣٦٦ ، ٣٧ سيالك

٤٩٦ ، ٤٠٧

٤٠٠ ، ٣٩٩:١ سيالك

٤٠١ ، ٤٠٠:٢ سيالك

٢٠٥ - ٤٠١:٣ سيالك

٣٥٠ ، ٣٤٨ سييار

٣١٧ ، ١٩٠ - ١٨٨ سبتى الاول

٢٨٤ سيحون

١٨٢ ، ١٨١ كارع سمنخ

٢٠٨ ، ٢٠٦ سمناس

١٥٨ ، ١٤٠ سمنه

٢٤٦ سمنود

٣٦٩ سمو آبوم

٣١٨ سموحا

٣٨٥ سميراميس (أنظار شمورامات)

٢٣٢ ، ٢٣٠ (سنخريب) سناجر ريب

٣٨٨ ، ٣٨٧ ، ٢٨٩ ، ٢٧٩ ، ٢٦٠

٤١٧

١٧ سنجا

١١٨ ، ٩٧ ، ٩٦ ، ٩٣ سنقرو

١٦٥ سنموت

١٣٧ - ١٣٣ ، ١٢٤ سنوسرت الاول

٢٧٥ ، ٢٦٩ ، ١٣٧ سنوسرت الثانى

١٧٠ ، ١٣٩ ، ١٣٨ سنوسرت الثالث

١٣٥ ، ١٣٤ ، ٧٨ سنوهى

٩٢ سهيل

٣١٦ - ٣١٢ ، ٢٩٢ سويلوليوما

٣٣١ ، ٣٣٠ ، ٣٢٤

١٥٢ (ست) سوتخ

شلمنصر الخامس ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٢٤
٣٨٦

شليمان ٣٠٣

شمس (شمشى) أدد الأول ٢٩١،٧
٣٦٨ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠

شمشى أدد الخامس ٣٨٥ ، ٤١٦

شمشون (الجبار) ٢٨٤

شوتارتا ٣١٤

شوروباك (تل فرا) ٣٤٨

شولجى ٣٦٤ هامش

شيشنق (ليس ملكا) ٢١٢ هامش
٢١٦ ، ٢١٧

شيشنق الأول ٢١٣ - ٢١٦ ، ٢١٩
٢٢٦ ، ٢٨٩

شيشنق الثانى ٢١٨ ، ٢٢٦

شيشنق الثالث ٢٢٠ ، ٢٢٦

شيشنق الرابع ٢٢١ ، ٢٢٦

شيلاق أنشوشناق ٣٧٥ - ٣٨٣

ص

صا الحجر ٢٢٣

صان الحجر ١٨٧

صرواح (صروح) ٢٥٧

صقلية ١٨ ، ٢٧٨

سياش ٤١٠

سينا ١٠٦ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٢ ، ٦٦

١٤٠ ، ١٣٧ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١١١

٢٦١ ، ٢٥٥ ، ٢٥٣ ، ١٨٨ ، ١٤١

٢٨٣ ، ٢٨٢

ش

شيبكا ٢٢٧

شاركا رشرى ٣٩٠

شاركو شورخ ٣١٦

شاروهن ١٤٩ ، ١٥٦

شامبليون ٧١

شاقول ٢٨٥

شيسسكاف ١٠٢ ، ١٠٣

شيبكا ٢٢٩ - ٢٣١

شبتكو ٢٣٠ ، ٢٣١

شبن وب ٢٨٨ هامش

شبه جزيرة العرب ٢٤ ، ٢٥١ - ٢٦٠

٢٨٠ ، ٢٨٢ ، ٣٦٠ ، ٣٩٣

شيوه ٢٥٧

شسب عنخ ١٠١

شهب البحر ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢١١

٢٢٦ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ ، ٣٢١

شلمنصر الأول ٣٨٢

شلمنصر الثالث ٤١٩ ، ٢٧٩ ، ٢٨١

٢٨٧ ، ٢٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٨٤ ، ٤١٦

ع	صدقيا ٢٤٠ ، ٢٩٠
طينة ٨٤	صموئيل ٢٨٥
عديج ايب ٨٧	صوبه ٢٨١
عدلون ٢٦٣	صـور ٢٢١ ، ٢٣٢ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩
عدن (جنة عدن) ٢٦٠	٢٨٠ ، ٢٨٧ ، ٢٩٠ ، ٣٨٨
عشتار ٣٤٩ ، ٣٧٩	صنعاہ (قرناو) ٢٥٦ ، ٢٥٧
عصر القضاة ٢٨٤	صيدا ٢٣١ ، ٢٤٠ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩
عصور جليدية ١٢٠ ، ١٣٠ ، ٢٤٠	٢٨٧
علاق (عطشانة) ٣١٤	ط
عليشار ٣٠٠	طبرية ٢٦٣ ، ٢٦٤
عمان ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٣٦٠	طرسوس ٢٩٦ ، ٣٠٣
عمري ٢٨٧	طرة ١٤٠ ، ٥٠٠
عنخ - س - زن - آمون ١٨٤ هامش	طروادة ٣٠٠ - ٣٠٣ ، ٣٢٨
عوج بن عنق ٢٨٤	طهران ٣٩٨ ، ٤١٠
عيلام ٢٧٥ ، ٢٨٨ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣	طهرقه ٢٣١ - ٢٣٤ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩
٣٧٦ - ٣٧٤ ، ٣٧٢ ، ٣٦٤ ، ٣٥٦	طوفان ٣٤٧ ، ٣٥٢
٤١٣ - ٤٠٧ ، ٤٠٤ ، ٤٠٣ ، ٣٨٣	طيبة (انظر الاقصر) ١١٩ ، ١٢٠
٤١٧ ، ٤١٥	١٢٢ - ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٤١ ، ١٤٢
عين شمس (هليوبولوس) ٢٢٤ ، ٢٢١	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩
ف	١٦١ ، ١٦٥ ، ١٧٢ ، ١٧٥ ، ١٧٨ ، ١٧٩
فاروس ٩٧	١٨٢ ، ١٨٤ ، ١٨٧ ، ١٩٠ ، ١٩٥
فأس يدوية ١٤ - ١٨ ، ٣٤ ، ٤٦	١٩٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ - ٢١٠
	٢١٢ هامش ، ٢١٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٩ -
	٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٣٥ - ٣٨٩

قرقيش ١٦٨ ، ٢٩٦ ، ٣١٤ - ٣١٦	فارس ٢٤١ ، ٢٤٣ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦
٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٩٠	٢٤٨ ، ٢٥٠
قصر الصاغة ٥٠	فسكيرتية ٣٠١
قلعة الحاج محمد ٣٤٠	فلسطين ١٧ ، ١١١ ، ١٣٩ ، ١٤٩
قلعة شرفا ط ٣٥٠	١٥٦ ، ١٦٦ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨١
قبين الاول ٤١٨	١٨٤ ، ١٨٨ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢١٠
قبين الثاني ٢٤٣ ؛ ٤١٩	٢١١ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٩
قفة ١٤	٢٢٤ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠
قوا ٣٢٢	٢٦٥ - ٢٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٢
قيليقيا ٢٦٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٩ ، ٣٠٣	٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٨٥ ، ٣٨٧ - ٣٨٩
٣٠٤ ، ٣٠٩ ، ٣٧١ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨	٣٩٢ ، ٤١٤ ، ٤١٩
ك	فيدياس ٩٧
كالح (أنظر نمرد)	فينيقيا ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٨١ ، ١٨٨
كابريوس ٢٤٨	٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٨ ، ٣٨٣
كاذشمان تورجو ٣١٩	ق
كادشمان خاربي ٣٧٤ هامش	قادش ١٦٦ - ١٦٨ ، ١٩١ ، ١٩٢
كارا تيب ٣٢٢	٣١٣ ، ٣١٧ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠
كاراز ٣٠٤	قاشان ٣٩٧ ، ٣٩٨
كارنارفون ٣٥٣ هامش	قانون حورابي ٣٧٠ ، ٣٧١
كاروي ١٥٩ ، ١٧٥	قبرص (آلشيا) ١٨٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨
كارين ٢٩٧	٢٧٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٢٨ ، ٣٥٨
كاشتا ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٦ ، ٢٢٨ هامش	٣٨٧
كاشتلياش ٣٨٢	قتبان ٢٥٥ ، ٢٥٧
كالح (نمرد) ٣٨٤	قرطاجنة ٢٤١ ، ٢٧٨

کھف شاندر ۱۷۰ ، ۲۳۴	کاموزا ۱۵۰ ، ۱۵۱ ، ۱۵۳ - ۱۵۶
کھف تمجی باندا ۲۳۴	۱۵۸
کھف هزار مرد ۲۳۴	کیادوشیا ۳۰۴ ، ۳۰۵ ، ۴۰۵
کورجوس ۱۶۰	کریون ۹ : ۱۴ ، ۱۰
کورس الاول ۴۱۸	کریون ۱۲ : ۹
کورس الثانی ۲۴۳ ، ۲۴۴ ، ۲۹۳	کردستان ۲۹۷ ، ۲۹۵ ، ۲۳۴ ، ۳۶۷
۴۱۸	۳۷۷
کوسارا (کسارا) ۳۰۷ - ۳۰۵	کرکوک ۲۹۲ ، ۲۳۴ ، ۳۵۸ ، ۳۶۸
کوم أمبو ۳۷ هاش	۴۱۳ ، ۳۹۱
کوم تبة ۳۰۰	کرمنشاه ۴۱۰
کی اخسار ۳۹۰ ، ۳۹۲	کسريت ۱۴۰ هاش ، ۱۵۵ ، ۱۷۰
کیش ۳۴۸ ، ۳۵۶ - ۳۵۸ ، ۳۶۷	۳۲۸
کیونجک ۲۳۰	کریم شهر ۳۳۴ ، ۳۳۵
لابارناس ۳۰۷	کزواتنا (کیزواتنا) ۳۰۹
لاراک ۳۴۸ ، ۳۵۰	۳۲۱
لارسا ۲۷۵ ، ۳۵۰ ، ۳۶۵ ، ۳۶۶	کفر الزیات ۱۹۸
۴۱۴ ، ۳۷۰ ، ۳۶۸	کلاکتونیه ۱۷ هاش
لازیاس (لیزبوس) ۳۲۵	کلیوباترا ۷۱
لاوی ۲۸۴	کنعان ۲۱۱ ، ۳۱۷ ، ۳۷۶
لبنان ۱۹۲ ، ۲۰۸ ، ۲۰۹ ، ۲۶۸	کنوسس ۳۲۸
۲۷۱ ، ۲۷۶ ، ۲۸۰ ، ۲۹۲ ، ۳۱۴	کھف بالی جورا ۳۳۴
۴۱۹	کھف زوزی ۳۳۴
لبت عشتار ۳۶۶ ، ۳۶۷	

٣٨٠ ، ٣٧٠ ، ٣٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٥٨	٣٥١ - ٣٤٩ ، ٣٧٩ ، ٣٧٢
٢٨١	٣٦٤ ، ٣٥٦ - ٣٥٤
مالطه ١٨	٣٤٦ لوجال
٣٥٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٨ مالوخوا	٣٥٥ لوجال أناموندا
١١٤ ، ١٠٩ ، ٨١ ، ٧٥ مانيشون	٣٥٦ ، ٣٧٣ ، ٣٧١ لوجال زاجيزى
٢٠٠ ، ١٤٨ ، ١٤٦ ، ١٣١ ، ١٢٠	٣٥٨
٢٣١ ، ٢٢٩ ، ٢٢٠	٣٥٥ لوجال كينيش (دودو)
٤٠٩ ، ٣٥٩ مانيشوسو	٣٢٦ ، ٣٢٥ لوکا (ليقيا)
٢٥٨ مانيقوم	٣٧٢ لورستان
٩٧ ، ٩٣ متن	٣٥٩ لولوبى
٢٩٠ ، ١٦٧ ، ١٦٦ مجدو	٢٤٦ ، ١٨٨ ليبيا
٢٨٣ مدين	٤١٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤١ ، ٢٣٦ ليديا
٢٠٢ مدينه هابو	١٧ هاش ليقالوازية
٣٤٧ مردوخ	٢
١٠٠ مرسنخ	٣٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٥٨ ماجان (بجان)
١٢٩ مرسو	٣٦٠
٢٩٨ ، ٢٩٦ ، ٢٩٦ مرسين	١٩١ ماتيلا
٣٠٣	٢١٠ ، ٢٠٩ ماحسارنى
٥٣ ، ٥١ - ٤٩ ، ٤٣ مرمدة بنى سلامة	٤٢٠ ، ٢٤٤ ماراثون
٦٧ ، ٦٦ ، ٦٤ ، ٥٤	٢٥٧ ، ٢٥٦ مارب
١٩٨ ، ١٩٧ ، ١٩٥ ، ١٩٤ مرنيتاح	٣٤٨ مارتو
٢٨٣ ، ٢٠١	٣٥٦ - ٣٥٤ ، ٣٥٠ ، ٢٧٥ ماري

متوختب الثالث ١٣٠ ، ١٣١
 من خوبروع ٢٠٩ ، ٢١٠
 مندیس ٢٤٦ ، ٢٤٨
 منف ٨٥ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٠ ، ١٢١
 - ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٢ ، ١٨٥ ، ١٧٧
 ٣٨٨ ، ٢٤٩
 من كاو حور ١٠٦
 منكاو روع (منقرع) ١٠١ ، ١٠٢
 موت نزم ١٨٦
 موت نفرت ١٦٣ هامش
 مورسيليس الاول ٣٠٨ - ٣١٠
 مورسيليس الثاني ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣٢٤
 ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠
 موسى ٢٨٣ ، ٢٨٥ ، هامش ، ٣٧٦
 مواتا ليس ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣٢٩
 ميتاني ١٦٨ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ٢٧٠ ،
 ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٥
 ٣١٦ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢
 ميسيلم ٣٥٤
 ميلاراندا ٣٢٥ ، ٣٢٦
 ميليد ٣٢١ ، ٤١١

مرتباح سابتاح ١٩٨
 مروى ١٦٠ ، ٢١٤ ، هامش
 مروى إن روع ١١٠ ، ١١١
 مروى إن روع الثاني ١١٤
 مروى كارع ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٣
 مس-آنى-بدا ٣٥٤ ، ٣٥٣ ، ٤٣٩ ، هامش
 مسد ٢٢٤
 مصطبة فرعون ١٠٢
 معين ٢٥٤ - ٢٥٦
 مكاشط (أنظر محتات) ١٥ ، ١٦ ،
 ١٨ ، ٣٥ ، ٣٩
 مكتى روع ١٣٠
 مکه ٢٥٥ ، ٢٥٧
 مکرابة (مکورابا) ٢٥٧
 ملاطيا (مالاطيا) ٣٢٠ ، ٣١٨ ، ٣١٣ ، ٢٩٦
 منارة الاسكندرية ٩٧
 متوام حات ٢٣٣
 متوختب الاول ١٢٣ ، ١٢٧ -
 ١٢٩ ، ١٣١
 متوختب الثاني ١٢٩ ، ١٣٠

نخاو (نكاو) ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٣٩	ميدوم (٦، ٩٤، ٩٦)
٢٤٨، ٢٧٨، ٢٩٠، ٢٩٢	ميسديا ٢٣٨ هامش ٢٣٩، ٢٤٠
نختنبو الاول ٢٤٦، ٢٤٧	٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٣٨٧، ٤١٩
نختنبو الثاني ٢٤٨	٣٢٨ ميسينا
نسوبا نبددد ٢٠٧، ٢٠٧	مينا (أنظر حا ، نعرمر) ٥٦
نصوص الاهرام ١٠٨	٦٣، ٧٦، ٧٧، ٨٤، ٨٥
نصوص التوايبت ١١٧	مينوس ١٤٠ هامش
نفر ايركارع ١٠٣، ١٠٥	ن
نفر تيتي ١٨٩، ١٨٤، ١٨٥ هامش، ١٨٥	نارام سن (نرام سين) ٢٥٥، ٢٥٨
١٨٦	٢٧١، ٢٧٩، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٧٧
نفر وهو (يقرو حاليا نفر تي) ١١٨، ١٣١، ١٣١	٤٠٩، ٤١٠
نفر معات ٩٦	ناهارينا (ناهارينا) ١٨٨، ٢٩٢
نفر ويتاح ١٤٠	نباتا (تبتة) ١٥٩، ١٧٣، ٢١٣
نفر ورع ١٦٥	٢١٤، ٢٢٢، ٢٢٤، ٣٢٩ - ٢٣٠
نفر يتس ٢٤٦، ٢٤٧	٢٣٢ - ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٨٩
نقادة ٩، ٥٣، ٥٧، ٤٨، ٢٣٥	نبوبولصر ٣٩١، ٣٩٢، ٤١٨
٢٤٠	نبوخذ نصر الاول ملك بابل ٢٣٩
نمرود ٢١٢ هامش ٢٢٣، ٢٢٤	٢٤٠، ٢٨٠، ٢٩٠، ٣٧٥، ٣٨٣
نمرود كالج ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٩٠	٢٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٤١٣
ننجرسو ٣٥١، ٣٥٥	نبونيد ٢٩٣
نن هورساج ٢٤٩	ننجد حامدي ٦٣
	ننحي (ملك) ١٤٥

هليوبوليس ١٠٣ ، ١٠٨ ، ٣٥٢	نهاوند ٤٠٣
هليوس ٩٧	نوزي ٢٩٢
همامية ٦١	نوهاش ٣١٨
همدان ٤١٦ ، ٤١٨	ني أوسرع ١٠٦
هواره ١٤٠ ، ١٤١	نيبور ٣٥١ - ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٣٩١
هوشع ٢٨٨ ، ٣٨٦	نيث إقرت (نينو كريس) ١١٤
هوميروس (هومر) ٣١٧ ، ٣٢٩	نيث حتب ٨٥
هيراكليوبوليس ١١٥	نيسا ٣٠٥
هيروودوت ٣٢ ، ٩٨ ، ٢٣٦ ، ٢٤٥	نينوي ٢٣٠ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٨
هيلين ٣٢٩	٢٤١ ، ٢٩٠ ، ٣٧٩ ، ٣٩٢ ، ٣٩٢
و	٤١٨
وادي الحمامات ١٠٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩	ه
١٣٣ ، ١٣٦ ، ١٤٠ ، ٢٥٧	هاريس (بردية) ١٩٩ ، ٢٠٠
وادي الطميلات ٢٤٤	هاليكارناسوس ٩٧ هاش
وادي الملوك ١٦١ ، ١٨٧	هاني جليات ٣١٠ ، ٣١١
وادي النطوف ٢٦٤	هريبط ١٩٥
وادي الهودي ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤١	هرقليوبوليس (أنظر اهناسيا) ٢١٢
وادي حلقا ٨٦ ، ١٣٦	٢١٧
وادي قينا ١٦٧	هرم الجيزة الأكبر ٩٧ - ٩٩
وادي مغارة ٩٤ ، ١٠٦	هرم سقاره المدرج ٩١ ، ٩٢
واش بتاح ١٠٥	هرونفر ١٢٧
وستكار (بردية) ١٠٠ ، ١٠٣	
وسرع ١٠٣	

يربعام الثاني ٢٨٨ ، ٢٨١	وسركارع ١٠٩
يسمح أداد ٣٦٨ ، ٣٨٠	وسركاف ١٠٣ ، ١٠٤
يعقوب ٢٨٣	وشوكاني (وشوجاني) ٢٩١ ، ٣١٣
يهدا ٢١٥ ، ٢٣٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٧ -	٣١٥
٢٩٠ ، ٢٩٣	وينامون ٢٠٨
يهوه ٢٨٣ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨	ي
يواقيم ٢٩٠	يام ١١٣
يوبت ٢١٦	ياخذاد ٢٧٦ ، ٣٠٨
يوزغان تبه ٢٩٢	ياهدون ليم ٣٨٠
يوسف ٢٨٣	ياهو ٢٨٧ ، ٢٨٨
يوشع ٢٩٠	يثيل ٢٥٦
يويواوا ٢١٢	يحم ١٦٦
	يربعام الأول ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢٨٧
	٢٨٩

حدثت بعض الأخطاء التي لا تخفى على فطنة القارىء والمرجو مراعاة مايلي

بصفة خاصة :-

س	ص	الصواب	الخطأ	س	ص	الصواب	الخطأ
١	٢٨١	الآراميين	الآرامين	٥	٢	أنقرضت	أقرضت
٤	٢٨٨	العبرانيون	القيريانيون	هامش	١٧	London	lonlon
هامش	٢٨٥	شيشنق	شيشنق	٢	١٨	الجانبية	الجانبية
٥	٢٨٩	Early Anatolia, A354	op. cit	١٢	٩٢	سرخم خت	سمرخت
هامش	٣٠١	حدودا	حدردا	١٣	٩٦	اللائريون	اللائريو
١٧	٣١٢	أرنووانداس	أرنووانداس	٧,٦	٩٨	لوجدنا	لوجدنا
١	٣٢٠	المقاطعات	المقاطعات	٤	١٠٢	الاقتصادية	الاقتصادية
١٣	٣٢٠	أوراتو	أوراتو	٥	١٠٦	الفرعون	الفرعوى
١٦	٣٢٣	الميسور	الميسور	١	١٠٨	في نقوش	نقوش
٤	٣٤٢	أعمدة	أعمد	١٧	١١٠	أبيدوس	أبيدس
الشكل	٣٤٢	أنظر	طور	١٠	١١٨	نفرقي	نفرروهو
هامش	٣٤٥	سيبار	سنبار	١٦	١٣٣	البحرى	البحر
٧	٣٤٨	ديبالي	ديبالي	١٩	١٢٧	كاموزا	كاوزا
٤	٣٦٦	الإدارى	الادرى	٥	١٥٠	(٣) مملكة	مملكة
هامش	٣٦٧	وحد	وحد	١	١٥٢	نخن	نخن
١٦	٣٧٢	أدادنيرارى	أدادنيرارى	٦	١٥٧	نفرورع	نفرورع
٩	٣٨٢	الأول	مملكة	١٢	١٦٥	خریطة رقم ٢ ب	خریطة رقم ٣
٣	٤١٣	ملك	ص	١٤	١٦٩	خریطة رقم ٢ ب	خریطة رقم ٣ ب
١٢	٣٨٢	ص ٢٨١	ص	الشكل	١٧١	أى	أى
هامش	٣٨٦	أرنجا	أرنجا	٢	١٨٥	وتجلت	ونجلت
١	٣٩٢			١٩	٢٠٠	بواسطة	بواسطة
				١١	٢١٩	kawa	kawra
				هامش	٢٣١	واحتل	واحل
				١٣	٢٣٢	رعسيس	رعسيس
				٩	٢٣٨	ثورة	بورة
				١	٢٤٦	الاموريون	الامورين
				٩	٢٧٣	العشرين	والعشرين
				١٠	٢٧٠		

مطبعة المصرى

٩ شارع ابراهيم - محلة الرمل

تليفون ٣٧٤٠٦

الاسكندرية

مطبعة المصطفى
١٩٤٩ - ١٩٤٨
٢٧٤٠٦
١٩٤٩